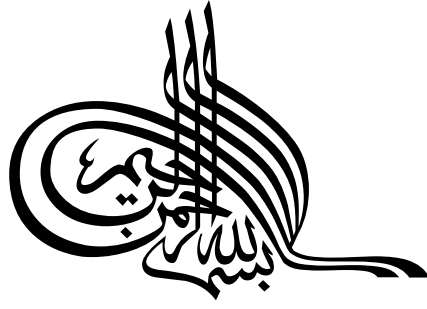




﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِرَبِّهِمْ أَشْياءَ عِشْرًا مِثْلَ مَا اتَّخَذَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ {سورة الكهف ٦٥}

﴿وَقُلْ رَأَيْتُ النَّارَ يَبْدُو أَنَّىٰ عِشْرًا مِثْلَ مَا اتَّخَذَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ {سورة طه ١١٤}

صَلَّى
الْعَظِيمِ

﴿إِلْهَامُ التَّفْسِيرِ﴾

الجزء الرابع

من تفسير سورة الزخرف (٤٣) إلى تفسير سورة الناس (١١٤)

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ {سورة الفرقان ٣٣}

من أحدث النفاسير - وهو مكون من ٤ أجزاء

للفقيه لله تعالى

شكيب عبد الرحمن أحمد العبادلة

" أبو أحمد العبادلة "

طبعه ونقحه وراجعاه المهندس محمود شكيب العبادلة



شهادة تسجيل مصنف

رقم (94 - 2011م)

تشهد وزارة الاقتصاد بأن المصنف موضوع هذه الشهادة قد تم تسجيله بإدارة حقوق النشر والتأليف بتاريخ 28 / 2 / 2011م، وذلك وفقاً للنسخة المودعة لدى الإدارة ووفقاً للبيانات التالية:

- 1) اسم المصنف : إلهام التفسير
- 2) نوع المصنف : مادة مكتوبة
- 3) وصف المصنف : عبارة عن اسطوانة مدمجة مثبت عليها مادة مكتوبة عن تفسير للقرآن الكريم، وذلك حسب النسخة المودعة لدينا.
- 4) اسم المؤلف : السيد/شكيب عبدالرحمن أحمد العبادلة
الجنسية: فلسطين
- 5) اسم صاحب حقوق : نفس البيانات أعلاه
المصنف

وقد سلمت الشهادة إلى : السيد/ SAMEH ELABADLA الجنسية: غينيا

بصفته: الوكيل القانوني عن صاحب حقوق المصنف بموجب توكيل موثق لدى سفارة دولة
دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ 2011/2/22م

ملاحظة:

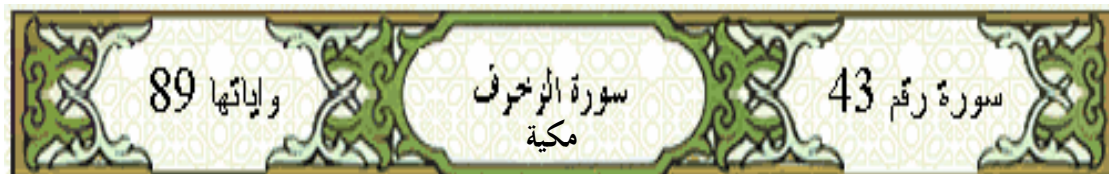
- لا يجوز تداول المصنف بناءً على هذه الشهادة، حيث يتعين الحصول على إجازة تداول مصنف من الجهة المختصة بالدولة.
 - أي كشط أو تعديل في بنود هذه الشهادة أو فصل في مرفقاتها المختومة يُلغىها.
- حررت في : 28 / 2 / 2011م

د. فوزي عبدالعزيز الجابري
مدير إدارة حقوق النشر والتأليف



طلب رقم (105 لسنة: 2011 بتاريخ 23 / 2 / 2011م)

www.economy.ae



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾

{حَمِّ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان.

وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تعالى: " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " ٤٢، ٤١ فصلت. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْكِتَابِ} القرآن الكريم {الْمُبِينِ} العظيم الواضح {إِنَّا} الله تعالى والجمع للتفخيم والتعظيم ذو الجلال والإكرام {جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} جعله الله تعالى باللغة العربية وليس باللغات الأخرى {لَعَلَّكُمْ} يا أهل قريش {تَعْقِلُونَ} تفهمون وتعقلون وتعلمون وتعملون به.

﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ

كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٢٠﴾

{وَأَنَّهُ} القرآن الكريم {فِي أُمِّ الْكِتَابِ} اللوح المحفوظ {لَدَيْنَا} عند الله تعالى {لَعَلِّي} عالي المرتبة والمقام والأحكام والأوامر والنواهي {حَكِيمٌ} في أوامره ونواهيهِ وفي حلاله وحرامه {أَفَنَضْرِبُ} أفنجدل ونبعد {عَنْكُمُ} أيها الناس {الذِّكْرُ} القرآن الكريم {صَفْحًا} بعيداً أي أنجعل القرآن بعيد المنال عنكم {أَنْ كُنْتُمْ} لأنكم كنتم أيها الناس {قَوْمًا مُّسْرِفِينَ} قوماً مفسدين ومُسْرِفِينَ أي زدتهم في الإسراف في المعاصي والذنوب والكفر والإجرام.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

{وَكَمْ} وكثيراً وهي كم الخبرية {أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ} بعثناه بالرسالة إلى قومه فالنبي هنا بمعنى نبي مرسل {فِي الْأَوَّلِينَ} في السابقين أي في الأمم السابقة والأمم الأولى {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ} وما يرسل إليهم من رسول وهو نبي مرسل من الله تعالى {إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} إلا سخروا به وضحكوا عليه {فَأَهْلَكْنَا} دمرنا بالعذاب وبالموت {أَشَدَّ مِنْهُمْ} أعظم منهم وأقوى {بَطْشًا} عذاباً وقهراً وظلماً وفساداً وانتقاماً وبغياً {وَمَضَىٰ} وذهب وهنا معناه واستمر {مَثَلُ} عبرة {الْأَوَّلِينَ} السابقين أي واستمرت العبرة من الأولين وما حلّ بهم لمن يعتبر فكل من يستهزئ بهم مصيره الموت والهلاك والعذاب وهذه سنة الله في خلقه في السابقين الزلازل والصواعق والهلاك.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

{وَلَيْنَ} إن {سَأَلْتَهُمْ} استفسرت منهم يا محمد وطلبت منهم الإجابة {مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} من الذي خلق من العدم السموات السبع والأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها {لَيَقُولُنَّ} ليجابن {خَلَقَهُنَّ} الذي سواهن وعملهن {الْعَزِيزُ} الله العزيز في ملكه {الْعَلِيمُ} العليم والمطلع على خلقه وتصرفاتهم وعلى ملكه.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ

تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾

{الَّذِي} الله تعالى {جَعَلَ لَكُمْ} خلق لكم وعمل لكم {الْأَرْضَ} التي نحن عليها {مَهْدًا} ممهدة ومفروشة ومنبسطة وسهلة كفراش ومهد الصبي الذي ينام عليه مريحاً ومستوياً {وَجَعَلَ} وخلق وعمل {لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا} أي طرقاً إلى بيوتكم وطرقاً إلى المدن الأخرى والبلاد المجاورة وطرقاً بين الجبال وفي الأودية وفي البحر والبر والجو {لَّعَلَّكُمْ} حتى {تَهْتَدُونَ} أي تعرفون الطرق ولا تضلوا في أسفاركم والرجوع إلى بيوتكم أو بلادكم وفي سفركم للبلاد الأخرى المجاورة وهذا فضل من الله تعالى حتى لا يضل الناس في الأرض على اتساعها {وَالَّذِي} هو الله تعالى {نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} أنزل من السماء والسحاب مطراً وغيثاً {بِقَدَرٍ} بمقدار احتياجكم للمطر وبكمية محدودة بقدر علمه من الأزل وهو كالرزق يزيده لمن يشاء ويقلله لمن يشاء وله في ذلك حكمة {فَأَنْشَرْنَا بِهِ} فأحيينا بالمطر {بَلْدَةً مَّيْتًا} بلدة كانت ميتة بالقحط والجذب لعدم وجود الماء والمطر {كَذَلِكَ} وهكذا {تُخْرَجُونَ} تخرجون من قبوركم أحياء يوم القيامة حيث يأمر الله تعالى السماء أن تمطر فتमطر السماء كمضي الرجال أربعين يوماً حتى يعلو الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ١٦]. وقال البخاري: "يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا" حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النفختين

أربعون) قالوا أربعون يوماً؟ قال: (أبيت) قالوا أربعون شهراً؟ قال: (أبيت) قالوا أربعون سنة؟ قال: (أبيت) قال: (ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يُركَّبُ الخلق يوم القيامة). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٦٣].

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۚ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۚ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝﴾

{وَالَّذِي خَلَقَ} هو الله تعالى خلق من العدم {الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} الصنفان من الذكور والإناث من إنسان وجان وحيوان ونبات وطير {وَجَعَلَ لَكُم} وخلق لكم وعمل لكم {مِّنَ الْفُلْكِ} وهي السفن {وَالْأَنْعَامِ} وهي الخيل والبغال والحمير والجمال {مَا تَرْكَبُونَ} ما تركبون في أسفاركم فالسفن نركبها في البحار والأنهار والخيل والبغال والحمير والجمال في البر والصحراء {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} أي لتركبوا مستوين مطمئنين مرتاحين عليها عند ركوبكم ظهورها {ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ} ثم لتتفكروا نعمة وفضل ورحمة ربكم إذ سخرها لكم {إِذَا اسْتَوَيْتُمْ} أي ركبتم واستويتم اعتدلتكم واطمأننتم {عَلَيْهِ} أي على ظهر الفلك أو الأنعام {وَتَقُولُوا} ولتقولوا عندها أي عند ركوبكم {سُبْحَنَ} تمجيد وتنزيه وتسبيح {الَّذِي سَخَّرَ} وهو الله تعالى الذي خلق وجعل وسخر وأرسل هذه النعم لكم بدون مشقة منكم {لَنَا} إلينا معشر الإنس {هَذَا} ظهر هذا الفلك أو الآلة المعدة للركوب (سيارة - طائرة - دراجة ...) أو الأنعام من الإبل والخيل والبغال والحمير {وَمَا كُنَّا لَهُ

مُقَرَّنِينَ} وما كنا له قادرين على قيادته ولا حاكمين ولا مطيقين ولا مسيطرين عليه {وَأِنَّا} معشر الإنس {إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} إلى الله تعالى يوم القيامة لراجعون وعائدون وميتون ثم نحيا بعد الموت للحساب. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال رأيت علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الرُّكَّاب قال: ((باسم الله)) فلما استوى عليها قال: ((الحمد لله سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)) ثم حمد الله تعالى ثلاثاً وكبر ثلاثاً ثم قال: ((سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي)) ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري). [وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي به وقال الترمذي: حسن صحيح - ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرْدِفَه على دابته فلما استوى عليها كَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وحمد ثلاثاً وسَبَّحَ ثلاثاً وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال: (ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك). [تفرد به أحمد - ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقى

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ثم يقول: (اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هَوِّنْ علينا السفر واطوِ لنا البعيد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا). وكان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى أهله قال: (آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ). [وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به]. [ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤].

وقال أحمد أيضاً: حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله ح وعلي ابن إسحاق أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرني محمد ابن حمزة أنه سمع أباه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (على ظهر كل بعر شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم). [ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤]. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي [واسمه محمد بن الأسود بن خلف] قال حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم: (ما من بعر إلا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله عز وجل). [ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤].

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ آتَّخَذَ مِنْ مَّا تَخَلَّقُ
بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ
مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

{ وَجَعَلُوا لَهُ } جعل الكفار لله تعالى { مِنْ عِبَادِهِ } من خلقه { جُزْءًا } جزءاً وقسماً
وطائفة من الأولاد والبنات فقالت اليهود العزيز ابن الله وقالت النصارى عيسى
ابن الله وقالت الكفار الملائكة بنات الله وكذلك الجن بنات الله { إِنَّ الْإِنْسَانَ }
وهم أولاد آدم وسموا بالإنسان لنسيانهم العهود والمواثيق أو يأنسون لغيره وينسون
الطاعة { لَكَفُورٌ } لجاحد منكر وكافر بالله تعالى { مُبِينٌ } عظيم وواضح وجلي كفره
مَنْ يتلفظ بهذا الشرك والكفر { أَمْ آتَّخَذَ مِنْ مَّا تَخَلَّقُ } أم أخذ الله من خلقه { بَنَاتٍ }
البنات { وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَنِينَ } وترك لكم البنين وهم الذكور يعني هل يعقل لو كان
الله متخذاً أولاداً كما تدعون فهل يختار البنات له ويترك لكم الأولاد أنتم
تنجبونهم { وَإِذَا بُشِّرَ } وإذا أخبر { أَحَدُهُمْ } أحد منهم { بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ } بما
وصف لله تعالى من أن الله تعالى له بنات فقط وهم الملائكة { مَثَلًا } أي إذا بُشِّرَ
أحدهم بالأنثى وهو ما ضربه مثلاً للرحمن وأنته بنت وهي المولودة الجديدة { ظَلَّ
وَجْهُهُ } بقي وجهه الرجل الذي بُشِّرَ بمولودة أنثى { مُسْوَدًّا } معبساً وأسوداً
{ وَهُوَ كَظِيمٌ } وهو مغتاظ ومقهور من شدة الغيظ والغضب والقهر والكرب والزعل
من سوء ما بُشِّرَ به من الأنثى المولودة الجديدة.

﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝

{أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ} وهذا وصف للكفار أن من ينشأ ويشب ويكبر في الحلية والذهب والترف والمجون والبذخ {وَهُوَ فِي الْخِصَامِ} في المجادلة وإيتاء الحجة {غَيْرُ مُبِينٍ} غير قادر على الإيتاء بالحجة وغير واضح في الإدلاء بها وغير كفاء بالمناظرة وهذا هو أشد التحقير لشأنهم فمن كان هذا حاله ووصفه لا يؤخذ بكلامه ولا بحديثه فيما ينسبه لله تعالى من الشريك والولد وخاصة من البنات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وشبه تلك الطائفة وكأنهم نساء يتحلون بالذهب ولهذا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرير والذهب على الرجال من المسلمين وفي الحديث عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحرم على ذكورها). [رواه أحمد والنسائي وصححه - سبل السلام ج ٢ ص ٨٦]. وعن حذيفة رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه. [رواه البخاري - سبل السلام ج ٢ ص ٨٤]. {وَجَعَلُوا} أي الكفار عملوا {الْمَلَائِكَةَ} ملائكة الرحمن {الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ} الذين هم خلق من خلق الله تعالى والرحمن هو رحمان الدنيا والآخرة {إِنشَاءً} بنات لله تعالى {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ} هل حضروا أول خلقتهم وحضروا خلقهم وميلادهم {سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ} أي ستسجل عليهم شهادتهم وتكتبها الملائكة التي تكتب السيئات بأنهم كذبوا على الله تعالى وادعوا أن الملائكة هم بنات الله تعالى {وَيُسْأَلُونَ} وسيسألون عن تلك الشهادة يوم القيامة ويحاسبون عليها لأنها ستسجل عليهم.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾
 ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴾

{وَقَالُوا} قال الكفار {لَوْ شَاءَ} لو أراد {الرَّحْمَنُ} الله تعالى وهو رحمان الدنيا والآخرة {مَا عَبَدْنَاهُمْ} ما عبدنا الأصنام والأوثان والشركاء والملائكة ولهدانا لعبادته وحده وعدم الإشراك به وهذه حجة واهية ضعيفة فالله شاء لهم الهداية لأنه هداهم النجدين ووضع لهم العقل ليتدبروا الحق من الباطل ولكنهم اختاروا طريق الضلال والكفر من تلقاء أنفسهم واتباعهم لشهواتهم وللشيطان والله نهى عن ذلك وأرسل الرسل والكتب وحذر وأنذر من خالف ذلك بنار جهنم ولكنهم أضلوا أنفسهم {مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} ليس لهم علم يقين ولا حجة أكيدة ولا بينة واضحة {إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} إن هم أي الكفار إلا يكذبون {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ} أم هل آتيناهم كتاباً منزلاً من عند الله تعالى كالقرآن مثلاً {فَهُمْ} الكفار {بِهِ} بالكتاب المنزل من عند الله تعالى {مُسْتَمْسِكُونَ} متبعون ومقتدون ومهتدون ومتمسكون به {بَلْ قَالُوا} وزيادة على ذلك الكذب قالوا زيادة على ذلك {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا} الكفار يقولون وجدنا آباءنا وأجدادنا {عَلَىٰ أُمَّةٍ} على طريقة من الأمم السابقة يتبعونها ويؤمنون بها {وَإِنَّا} الكفار {عَلَىٰ آثَرِهِمْ} على منهجهم وطريقتهم وعلى عاداتهم وسلوكهم {مُهِتَدُونَ} مهتدون على طريقتهم ومستنبرون بهم فهم على الحق والصواب ومقتدون بهم فطريقتهم توصلنا للصواب والهدى والرشاد ونحن نهتدي بهم وبطريقتهم.

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾

﴿ قُلْ أُولَٰؤِ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

كَافِرُونَ ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

{ وَكَذَلِكَ } وهكذا { مَا أَرْسَلْنَا } ما بعثنا برسول ولا نبي { مِنْ قَبْلِكَ } ممن قبلك

من الأمم السابقة يا محمد { فِي قَرْيَةٍ } في قرية من القرى والمدن السابقة لأن كل

رسول بعث إلى قرية قومه { مِنْ نَّذِيرٍ } من رسول ينذرهم ويحذرهم من الكفر

والشرك ومن معصية الله تعالى { إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا } إلا رد على الرسول وقال

مترفوها ومنعموها وأصحاب الترف والبذخ والكبر والمجون { إِنَّا } نحن الكفار

{ وَجَدْنَا آبَاءَنَا } وجدنا وشاهدنا آباءنا وأجدادنا { عَلَىٰ أُمَّةٍ } على طريقة وعلى

هذه الطريقة أمة سبقتنا بذلك { وَإِنَّا } نحن الكفار { عَلَىٰ آثَرِهِمْ } على الاقتداء

بهم وعلى طريقتهم وعلى عاداتهم وسلوكهم ونهجهم { مُّقْتَدُونَ } متبعون

ومقتفون أثرهم ومنهجهم { قُلْ } قال لهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم { أُولَٰؤِ

جِئْتُكُمْ } هل تفعلون هذا حتى لو جئتم وأتيت لكم { بِأَهْدَىٰ } بأفضل وأحسن

وأرشد وأجود وأقرب إلى الهدى والرشاد { مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ } مما جاءكم

آباؤكم به وأجدادكم وأفضل من خير ما وجدتم عليه آباءكم وأجدادكم { قَالُوا } قال

الكفار للرسول { إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ } إنا بما بُعثتم به من رسالة { كَافِرُونَ } جاحدون

ومنكرون ومكذبون { فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ } أخذناهم بالعذاب الشديد والانتقام

هو أخذهم بالعقوبة الشديدة والعذاب الأليم { فَأَنْظُرْ } فشاهد بعينك يا محمد

{كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ} كيف كان مصير ومآل {الْمُكَذِّبِينَ} الذين يكذبون بالله ورسله وملائكته وكتبه فمصيرهم هو الهلاك والدمار والعذاب والموت.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} وإذ قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {لِأَبِيهِ} لوالده آزر {وَقَوْمِهِ} قبيلته وأهل بلاده في العراق {إِنِّي بَرَاءٌ} إنني بريء ومتبرئ وليس لي ذنب فيما {مِمَّا تَعْبُدُونَ} ما تعبدون من الأوثان والأصنام والشركاء {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} ما عدا الذي خلقتني وهو الله تعالى فإنه ربي ولا أشرك به شيئاً {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} فإنه سيهديني إلى طريق الحق والعدل والصواب وعبادته وحده وترك ما سواه {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} وهذه المقولة التي تبرا فيها من عبادة الأصنام والأوثان والشرك وأنه لا يعبد إلا الله تعالى وحده لا شريك له وهي كلمة التوحيد جعلها إبراهيم عليه السلام باقية على مر الدهور والأزمان وفي جميع العصور ووصى بها ذريته وعقبه {لَعَلَّهُمْ} عسى ولعل قومه {يَرْجِعُونَ} يتبعون الحق ويعبدون الله وحده ويرجعون عن عبادة الأصنام والأوثان وعن كفرهم وشركهم وعنادهم.

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٣﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٢٤﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾

{بَلْ مَتَّعْتُ} ولكن تمتعت وأترفت وأغنيت وأحسنيت حياة {هَؤُلَاءِ} الكفار {وَوَآبَاءَهُمْ} وآباءهم وأجدادهم {حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ} حتى جاءهم القرآن {وَرَسُولٌ مُّبِينٌ} ورسول ونبي عظيم وواضح وجلي {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} ولما أتاهم بالحق والصدق والصواب وهو القرآن الكريم {قَالُوا} قال الكفار {هَذَا سِحْرٌ} القرآن هذا سحر كله {وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} ونحن به كافرون وجاحدون ومنكرون ومكذبون {وَقَالُوا} قال الكفار {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ} أفلا أنزل هذا القرآن الكريم {عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ} على رجل من رجال القريتين وهما مكة والطائف {عَظِيمٍ} لو كان من عظماء القريتين وذا شأن وكبير الجاه لاتبعناه وقالوا لو كان أحد الرجلين إما الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أو من شابههما من عظماء القريتين يكون عظيماً وكبير الشأن وذا جاه وسلطان لاتبعناه {أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} فهل هم الذين يقسمون بين الناس الأرزاق والرسالة والنبوة حتى يقولوا هذا أو ذاك {نَحْنُ} الله تعالى والجمع هنا للتعظيم والتبجيل لذاته العظيمة {قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فكيف ونحن الذين قسمنا بينهم وبين بعضهم البعض معيشتهم وأرزاقهم ومناصبهم ودرجاتهم في الدنيا فما بالهم يعترضون على غيرهم

ولا يعترضون على أنفسهم بأن جعلوا أنفسهم أغنياء أو سادة أو ملوك فإذا لأنفسهم لم يستطيعوا أن يجعلوا أنفسهم أغنياء ولا سادة ولا ملوكاً ولا أغنى أهل الأرض فما معنى احتجاجهم على أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم واعترضوا فاعتراضهم باطل حيث لا يملكون القسمة ولا تقسيم الأرزاق ولا تقسيم ميراث الرسالة والنبوة كما يدعون ويطلبون ويكذبون {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} أي جعلنا منهم السيد وجعلنا منهم الغني والثري وجعلنا مَنْ هم دونه في الرزق والغنى والدرجات والمناصب وإلا كان الجميع ملوكاً أو الجميع أثرياء وأغنياء والجميع سادة ولكن الله تعالى جعلهم بعلمه وإرادته وقدرته وحكمته بعضهم فوق بعض واحداً أعلى من الآخر وأغنى من الآخر في الرزق والوظيفة والدرجة والمنصب والجاه {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} يُسَخَّرُ بعضهم بعضاً حتى تتم المعيشة ويتكامل الكون فمنهم النجار والحداد والكهربائي والفراش والكنّاس والبناء ويسخر بعضهم من بعض في الأعمال {وَرَحِمْتُ رَبِّكَ} وهي رحمة الإيمان والإسلام وبرحمهم من العذاب في جهنم يوم القيامة {خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} رحمة الإيمان بالله تعالى خير وأفضل مما يجمعون من مال الدنيا ونعيمها ثم يعذبون بها يوم القيامة.

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٤٤﴾ وَزُخْرَفًا ﴿٤٥﴾ وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾

{ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } ولولا أن يكون الناس في غناهم وترفهم أمة واحدة متشابهة فلا يعرف عندها المؤمن من الكافر { لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ } لجعلنا إلى من يكفر بالله تعالى { لِبُيُوتِهِمْ } مساكنهم ودورهم { سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ } أي سقف منازلهم من فضة خالصة { وَمَعَارِجَ } أي سلالم وأدراج ومساعد { عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } عليها يرتفعون إلى أعلى إلى دورهم ومنازلهم وبيوتهم وإلى الطوابق العليا { وَلِبُيُوتِهِمْ } ولبيوتهم نجعل كذلك { أَبْوَابًا } تُغلق عليهم وتُحكم القفل { وَسُرُرًا } وأسرة { عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ } يستندون على جنوبهم وينامون على تلك الأسرة { وَزُخْرَفًا } وزينة ورسومات جميلة { وَإِن كُلُّ ذَلِكَ } وكل هذا { لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } كله زينة الدنيا ومتعتها { وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ } والدار الآخرة وجنتها ونعيمها عند الله تعالى { لِلْمُتَّقِينَ } للذين يتقون محارم الله تعالى ويطيعونه ويخافونه ويتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه. والمتقون هم الصالحون والعابدون لله حق عبادته.

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٢٨﴾ ﴾

{وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} ومن يُعرض ومن يتلهى ومن يغفل ومن يترك ومن يبتعد ومن يعمى والعشا في العينين هو ضعف البصر وعدم الرؤية الليلية ولكن هنا هو ترك الذكر والتسبيح لله تعالى والرحمن هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رحمن الدنيا والآخرة. وهذه الآية الكريمة حجة على من يدّعي أنه لا يوجد ذكر ولا تسبيح وهؤلاء صدّوا عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون وليعلم المسلمون أن الذكر هو ليس الصلاة كما يدّعي البعض لأن الصلاة يذكرها الله تعالى تكراراً ومراراً باسمها والذكر باسمه كما يذكر يحيى وهو غير عيسى وليس هما اسماً لواحد وهكذا الذكر غير الصلاة لأن الصلاة تُذكر في القرآن وتتردد باسمها ويتبعها دائماً إيتاء الزكاة والآيات كثيرة والفرق بينهما واضح وكما قال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ٣٥ الأحزاب. وقال تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {٤٢} " ٤١، ٤٢ الأحزاب. وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " ٩ المنافقون. وتأكيذاً على أن الذكر غير الصلاة فصل الله تعالى بينهما فقال تبارك وتعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ١٠ الجمعة. وكما قال تعالى أيضاً: " رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ " ٣٧ النور. وكما قال تعالى: " فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {٣٩} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ {٤٠} " ٤٠، ٣٩ ق. وكما قال تعالى: " فَإِذَا قُضِيَّتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا " ٢٠٠ البقرة. {نُقِضَ} نجعل {لَهُ شَيْطَانًا} شيطاناً وهو من عصاة وكفرة الجن أي يتبعه ويكون قرينه ويأخذ صفته الإنسانية من ذكورة أو أنوثة ويأمره بالسوء والفحشاء والمنكر ويزين له ويوسوس له {فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} أي ملازم له ومقرون به في أكله ونومه وسفره وقيامه وقعوده لا يتركه وكخياله لا يفارقه طرفة عين وهو موكل بالإغواء لابن آدم وهذا بناء على طلب من إبليس لعنه الله حتى يغوي ابن آدم ويضله وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤]. وهذا القرين هو الذي يُحْضَرُ عند أهل التنويم المغناطيسي ومن يزعمون أنهم يحضرون أرواح الموتى وَيَدْعُونَ بأنه روح ذلك الميت وفي الحقيقة هو قرين ذلك الميت {وَالنَّهْمُ} الشياطين {لَيَصُدُّوهُمْ} ليمنعون هؤلاء الكفار الذين يُعرضون عن ذكر الرحمن ويبعدونهم {عَنِ السَّبِيلِ} عن طريق الإسلام وعن الهدى والعبادة لله تعالى {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} ويظن هؤلاء الكفار والعصاة أنهم مهتدون باتباعهم الباطل والضلال والكفر والمعاصي والعناد كما قال تعالى: "الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" ١٠٤ الكهف. {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا} حتى إذا أتانا في يوم القيامة وحشر للعذاب {قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} يتمنى ويقول الكافر والعاصي والمذنب يا ليت أي أتمنى أن يتم الله لي مطلبي متمنياً أن لو كان لا يعرف قرينه في الدنيا ولم يتبعه وكان بينه وبين قرينه

وشيطانه {بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} بعد ما بين شروق شمس النهار وشروق طلوع الهلال في أول الشهر والذي يكون طلوعه حينها في جهة الغرب أي المسافة ما بين المشرق والمغرب وكذلك مشرق آخر هو بعد ما بين شروق الشمس من الشرق وشروق الشمس من الغرب عند إقفال باب التوبة وذلك من علامات الساعة الكبرى أي مسافة ما بين الشرق والغرب والمقصود بعد المسافة وعليه فليس المقصود بالمشرقين مشرق الشمس في الصيف ومشرقها في الشتاء لسببين أولهما أن شروق الشمس يكون من جهة واحدة في الفصلين الصيف والشتاء وثانيهما أن المسافة بين المشرق للشمس في الصيف ومشرقها في الشتاء قريبة جداً وهذا عكس اللفظ والمقصود والذي هو بعد المسافة {فَبِئْسَ الْقَرِينُ} فبئس صاحب وأساء صاحب من يردي رفيقه في النار يوم القيامة.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ١٦ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿١٩﴾

{وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ} لن يفيدكم {الْيَوْمَ} يوم القيامة يوم الحسرة والندامة {إِذْ ظَلَمْتُمْ} إذ أشركتم وكفرتكم وعصيتكم وأذنبتم وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {أَنْكُمُ} أيها الكفار والقرناء من الجن والشیاطين {فِي الْعَذَابِ} في عذاب جهنم {مُشْتَرِكُونَ} معاً وعلى حد سواء في العذاب والكل سيعذب وسيشترك مع قريبه ويأخذ كل واحد نصيبه من العذاب ولن يُترك أحد منكم إلا ويعاقب ويعذب فأنتم سواسية في العذاب {أَفَأَنْتَ} فهل أنت يا محمد {تُسْمِعُ الصُّمَّ} هل تستطيع يا

محمد أن تُسمع الأطرش ومن بأذنيه صمم فهؤلاء وصفهم الله تعالى بأنهم طرش لا يسمعون النصح ولا الهدى فهم لن يسمعوا إليك ولا إلى نصحك {أَوْ تَهْدِي أَعْمَى} وكذلك وصفهم الله تعالى بأنهم عمي والأعمى لا تستطيع هداه للطريق لأنه لا يرى وهم كأنهم عمي الأبصار وهذا كناية عن تعاميمهم وعماهم عن الحق وعن الهدى وعن اتباع الطريق المستقيم وعن اتباع الدين الإسلامي {وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ومن كان تائهاً عن الطريق وضل وابتعد بعداً عظيماً. هكذا وصفهم الله تعالى وهم الكفار بأنهم ضلوا السبيل وطريق الحق والعدل والرشاد وابتعدوا عن الحق بعداً عظيماً وكبيراً فلن يسمعوا ولن يقبلوا النصيحة منك يا محمد ولن يروا الحق ونور الهدى والعدل ولن يروا حقيقة الأمر وعميت قلوبهم عن التصديق بما تعظهم به وترشدهم إليه وضلوا وركبوا رؤوسهم وابتعدوا عنك وعن ما تأمر به وعن اتباع الإسلام بعداً كبيراً وعظيماً فلا ترجى عودتهم للإسلام ولا للحق {فَإِذَا نَذَهَبْنَ بِكَ} فإذا أمتناك أو توفيناك يا محمد {فَإِنَّا} الله تعالى والجمع للتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى {مِنْهُمْ} من الكفار والمشركين {مُنْتَقِمُونَ} معاقبوهم عقوبة شديدة وآخذوهم بالعذاب الأليم والقاسي والموجع {أَوْ تُرِيَنَّكَ} أو نجعلك تشاهد بأم عينيك وترى بعينك المجردة {الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ} وهو إنزال العقوبة والعذاب عليهم أو هلاكهم وموتهم {فَإِنَّا} الله تعالى والجمع للتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى {عَلَيْهِمْ} على الكفار والمشركين {مُقْتَدِرُونَ} قادرون على إنزال العذاب والعقوبة عليهم أو هلاكهم أو موتهم.

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٤٢ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ٤٣ وَسْأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ٤٤

{ فَاسْتَمْسِكْ } تمسك بـ وخذ وتشبث بـ { بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ } القرآن الكريم { إِنَّكَ } أنت يا محمد يا رسول الله { عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } على طريق مستقيم وعلى الحق وعلى الطريق القويم وعلى الهدى الذي لا اعوجاج فيه ولا ضلال وهو الإسلام الذي لا انحراف فيه { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ } وأنه أي الذي أوحى إليك لقرآن فيه عظة وتذكير { لَّكَ } لك يا محمد يا رسول الله أنت { وَلِقَوْمِكَ } أي وأمتك لأن كل رسول أرسل إلى قومه خاصة وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى أمته كلها { وَسَوْفَ } أي يوم القيامة { تُسْأَلُونَ } أيها الناس جميعاً عما فرطتم في جنب الله تعالى وما اتبعتم من كتاب الله أي ستحاسبون على أعمالكم يوم القيامة { وَسْأَلَ } مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا } وأسأل هنا للتأكيد على صحة قوله تعالى وليس معناه السؤال حقيقة حيث الرسل قد ماتوا جميعاً ولكن هنا السؤال أريد جوابه وهو للتأكيد بأن من أرسلنا وبعثنا قبلك من الأنبياء والرسل كلهم قالوا بأن الله تعالى واحد لا شريك له ولا إله معه { أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ } يقول الله تعالى هل جعلتُ وأرسلتُ من قبلك يا محمد يا رسول الله من رسول يعبد الأصنام وأمرناه بعبادة غير الله تعالى وهو رحمن الدنيا والآخرة وهل أمرنا أحداً من المرسلين والأنبياء السابقين أن يعبدوا أحداً غير الله تعالى الجواب بالقطع لا أي أنه لم يرسل الله تعالى أحداً من المرسلين والأنبياء السابقين بعبادة أحد غير الله

تعالى ومعناه يا محمد يا رسول الله اعلم أنه لا معبود غير الله تعالى ولم يعبد أحد سواه منذ أرسلنا الرسل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّحَرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد بعثنا بالرسالة والنبوة {مُوسَى} موسى بن عمران عليه السلام {بِآيَاتِنَا} بمعجزاتنا {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} إلى الوليد بن مصعب وهو ملك مصر {وَمَلَئِهِ} وقومه في مصر {فَقَالَ} قال موسى عليه السلام {إِنِّي} أنا {رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} مرسل من قبل الله تعالى ومبعوث لكم {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا} فلما أتاهم وأراهم آيات الله وهي المعجزات وهي العصا واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء وباقي التسع آيات الأخرى كالضفادع والقمل والدم والجراد {إِذَا هُمْ مِنْهَا} إذا هم أي الكفار قوم فرعون في مصر من معجزات الله على يد موسى عليه السلام {يَضْحَكُونَ} يسخرون ويستهزئون ولا يصدقون {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ} وما نجعلهم يرونه ويشاهدونه من معجزة {إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} إلا هي أكبر وأضخم وأعظم وأحسن وأفضل من أختها الأولى التي سبقتها. قال الرازي قال القبط قوم فرعون لموسى عليه السلام مهما تأتينا به من آية فهي عندنا من باب السحر فلا نؤمن بك فدعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان ليلاً ونهاراً حتى أنهم لا يرون شمساً ولا قمراً فاستغاثوا إلى فرعون فاستغاث إلى موسى فاستغاث موسى إلى ربه

فأمسك الله تعالى عنهم المطر وأرسل عليهم الرياح فشقت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة فقالوا هذا الذي جزعنا منه كان خيراً لنا فكفروا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات واشتد عليهم الأمر حتى صار عند طيرانه يغطي الشمس فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله تعالى على الجراد ريحاً ألقته في البحر فقالوا ما بقي من زرعنا فهو يكفيننا فكفروا فأرسل الله عليه القمل وهو القمل المعروف والبراغيث وصار على أبدانهم كالجدري فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأحرقتهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع كالليل الدامس حتى دخلت في زرعهم وطعامهم وعلى فرشهم ذراعاً قال فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأماتها وأرسل عليهم مطراً فاحتملها إلى البحر فكفروا فأرسل الله تعالى عليهم الدم فجرت أنهارهم دماً وقيل سلط الله عليهم الرعاف فمكثوا سبعة أيام يشربون الدم فقالوا يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك قال سعيد بن جبير وهذا عذاب سادس وهو الطاعون وقال وهب أنهم مكثوا في كل بلية أربعين يوماً. [نزهة المجالس ص ١١]. {وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ} أي عذبناهم وسلطنا عليهم العذاب والانتقام والعقاب على كفرهم {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} حتى ولعل أن يرجعوا عن كفرهم وعنادهم ويؤمنوا بموسى عليه السلام وبرسالته {وَقَالُوا} أهل مصر وهم قوم فرعون قالوا {يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ} أيها الساحر الذي تعمل السحر وتتقنه كما يقال يا أيها الرجل ويا أيها الطبيب لأنهم ظنوا بأنه ساحر متخصص في السحر وليس رسولاً {أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ} اطلب من ربك بالدعاء إليه {بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ} بما علمك وبما أعطاك من العلم والمعرفة أن يرفع عنا العذاب {إِنَّا لَمُهْتَدُونَ} إننا سوف نهتدي ونتبع الهدى إذا رفعت عنا العذاب {فَلَمَّا كَشَفْنَا

عَنْهُمْ أَلْعَذَابُ} فلما رفعنا عنهم العذاب ونجيناهم من العذاب {إِذَا هُمْ
يَنْكُثُونَ} إذا هم ينقضون عهدهم ويعصون الله ورسوله موسى عليه السلام.
﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ الْيَسَّىٰ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِن
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٦﴾
فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَخَفَّ
قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٦٠﴾

{وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ} نادى فرعون مصر. وفرعون هو ملك مصر في ذلك الزمان أي
زمان موسى عليه السلام واسمه الوليد بن مصعب {فِي قَوْمِهِ} في أهل مصر في ذلك
الزمان وهم أهل بلده {قَالَ يَنْقُومِ} يا أهل مصر يا أهل بلدي {الْيَسَّىٰ لِي مُلْكُ
مِصْرَ} أليس أنا حاكم مصر وملكها وأملك مصر {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ} نهر النيل
وفروعه {تَجْرَىٰ مِن تَحْتِي} من تحت ملكي وتحت إمرتي وتحت حكمي {أَفَلَا
تُبْصِرُونَ} أفلا ترون ذلك حقيقة بيّنة واضحة وتبصرونها وترونها بأعينكم {أَمْ
أَلَيْسَ {أَنَا خَيْرٌ} أفضل وأحسن {مِّنْ هَذَا} من موسى عليه السلام هذا {الَّذِي
هُوَ مَهِينٌ} ذليل وحقير {وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} ولا يستطيع البيان ولفظ الكلام ولا
يحسن النطق وذلك لعيب في لسانه عندما قدمت له آسية زوجة فرعون جمرة وتمرة
كامتحان لموسى عليه السلام عندما أراد فرعون قتله لأنه نتف لحيته فقالت هذا
موسى صغير ولا يعقل فقدمت له الإثبات على ذلك بأن قدمت لموسى عليه السلام
تمرة في طبق وجمرة في طبق آخر فأراد موسى عليه السلام تناول التمرة فأمسك

جبريل عليه السلام بيديه عن التمرة وجعله يأخذ الجمرة ويضعها في فمه فحرقت لسانه وصار به عيب خلقي في الكلام وفرعون يعلم ذلك من قبل ولذلك عايره بأنه لا يعرف ينطق الحروف ولا الكلمات صحيحة بناء على تلك الواقعة {فَلَوْلَا} أفلا {أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ} فلو ألقيت عليه أسورة من ذهب تنزل عليه من السماء ونحن نراها وهي تسقط عليه حتى نصدقه {أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} أو حضرت معه الملائكة ملازمين له ومع بعضهم لبعض نراهم هو وهم مع بعض وفي آن واحد ويحضروا إلينا حتى نصدقه {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ} فأثار قومه وضحك على عقولهم {فَأَطَاعُوهُ} فوافقوه الرأي وأطاعوه في قوله لهم {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} إنهم قوم فاسقون ومنحرفون وعاصون ومذنبون والفاسق هو المعلن بالمعصية {فَلَمَّا ءَاسَفُونَا} فلما أغضبونا وزاد الكيل وطفح عنادهم وكفرهم وعصيانهم {أَن تَقَمَّنَا مِنْهُمْ} عاقبناهم وعذبناهم عذاباً شديداً وقاسياً وأخذناهم بالعذاب وبالعقوبة الشديدة {فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} أغرقناهم في البحر جميعاً وهم فرعون وجنده وقومه الذين اتبعوا موسى عليه السلام ليقتلوه عند هربه منهم {فَجَعَلْنَاهُمْ} عملناهم {سَلَفًا} سابقة {وَمَثَلًا} وعظة {لِّلْآخِرِينَ} للمتأخرين بعدهم والقادمين من بعدهم حتى يعتبروا ويتعظوا ويكون ذلك لهم مثلاً وعبرة وعظة.

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ
أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا
عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ
يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا} ولما ضُرب المثل بعيسى بن مريم عليه السلام {إِذَا
قَوْمُكَ} إذا قومك وعشيرتك يا محمد يا رسول الله {مِنْهُ} من المثل الذي ضربته
وقلته لهم وصار لهم مثلاً {يَصِدُّونَ} يبتعدون ويُعرضون ويذهبون عنك ولا
يعجبهم ذلك {وَقَالُوا} وقال الكفار {ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ} مَنْ الأفضل وَمَنْ الأحسن
آلهتنا وهي الأصنام والأوثان أم {هُوَ} عيسى عليه السلام يعني أن آلهتهم
وأصنامهم وأوثانهم أفضل من عيسى عليه السلام {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ} وهذا المثل يا
محمد يا رسول الله الذي ضربوه وقالوه لك واستشهدوا به ما استشهدوا به لك
{إِلَّا جَدَلًا} إلا عناداً فقط ومجادلة فقط {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} ولكنهم قوم
مخاصمون ومجادلون ومعاندون ومشاكسون {إِنَّ هُوَ} إن عيسى عليه السلام {إِلَّا
عَبْدٌ} ما هو إلا عبد لله تعالى وليس معبوداً ولا إلهاً كما تدعون {أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ}
تفضلنا عليه منعمين عليه بالرسالة {وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ} وجعلناه مثلاً
ضربناه لليهود حيث أرسل إلى بني إسرائيل وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه
السلام واسمه إسرائيل و[إسرا] عبد و[إيل] الله أي [عبد الله] أي أرسلناه رسولاً
ويتكلم لهم في المهد معجزة حتى يتعظوا ويعتبروا ولكنهم ضلوا وعاندوا وأصروا على
عنادهم وكفرهم {وَلَوْ نَشَاءُ} ولو نريد {لَجَعَلْنَا} لعللنا {مِنْكُمْ} أيها الناس

{مَلَائِكَةٍ} كملائكة السماء {فِي الْأَرْضِ} أي مثلها في الأرض {تَخْلُقُونَ} أي يخلف بعضهم بعضاً بالرسالة والنبوة بدلاً من الرسل الذين هم من أولاد آدم عليه السلام ومن الإنس ويأتي بعضهم بعد بعض أي كلما انتهت فترة الرسول والنبي أرسلنا ملكاً رسولاً غيره وهكذا.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٢﴾

{وَإِنَّهُ} عيسى عليه السلام {لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} عنده علم وإخباراً بعلامات الساعة وكذلك نزوله في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى حيث هو الذي يقتل المسيح الدجال عند باب لد {فَلَا تَمْتَرُنَّ} فلا تكذبن {بِهَا} بيوم القيامة {وَاتَّبِعُونِ} أطيعوا أمري وأعملوا ما أمركم به وانتهوا عما أنهاكم عنه بأن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتبعوني أهدكم طريق الرشاد {هَذَا} هذا الأمر بعبادة الله وحده والتصديق بيوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} طريق قويم لا اعوجاج ولا التواء فيه ولا موارد ولا انحراف وهو عبادة الله وحده {وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ} ولا يبعدنكم ولا يمنعنكم الشيطان عن التصديق بالله تعالى وعبادته. والشيطان هو ما شط وابتعد عن الحق وهو إبليس {إِنَّهُ} الشيطان {لَكُمْ} أيها الناس {عَدُوٌّ مُبِينٌ} عدو عظيم وعدو شديد وعدو ماهر وعدو واضح العداء وعداوته عظيمة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٤﴾

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى} ولما أتى لهم عيسى عليه السلام {بِالْبَيِّنَاتِ} بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات الدالة على رسالته وصدقه بأنه مبعوث لهم {قَالَ} قال لبني إسرائيل {قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ} قد أتيتكم بالسنة والشرعة الغراء والموعظة الحسنة {وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ} ولأوضح ولأشرح ما تختلفون فيه من الشرائع {فَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله واعبدوه {وَأَطِيعُوا} وأطيعوا أمري ولا تعصوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {إِنَّ اللَّهَ} إن الله جل جلاله رب العالمين ورب الأرباب ورب الكونين عظم قدره وعلا شأنه {هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ} هو إلهي وإلهكم وخالقي وخالقكم {فَاعْبُدُوهُ} اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} هذا الأمر طريق واضح لا اعوجاج فيه ولا التواء فيه ولا موارد ولا انحراف وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

{فَاخْتَلَفَ} فتفرق واختلف في الرأي {الْأَحْزَابُ} أحزاب و فرق والشيع من بني إسرائيل {مِنْ بَيْنِهِمْ} فيما بينهم وبين بعضهم البعض {فَوَيْلٌ} يا ويلهم ويا مصيبتهم ويا عذابهم أي الويل والمصيبة والعذاب {لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر وظلموا غيرهم بالبغي والفساد والجور والظلم والاعتداء والقهر لغيرهم ولمن هم دونهم في الرتبة أو الوظيفة وأكل الحقوق بغير حق والاعتداء على الحرمات والأعراض والممتلكات والأموال {مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ} وهو عذاب يوم القيامة في نار جهنم {هَلْ يَنْظُرُونَ} هل ينتظرون {إِلَّا السَّاعَةَ} حتى يأتي يوم القيامة {أَنْ تَأْتِيَهُمْ} أن تجيئهم {بَغْتَةً} فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يعلمون ولا يدرون ولا يحسون إلا وقد فاجأتهم أسرع من لمح البصر وأسرع من البرق.

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

{الْأَخِلَّاءُ} الأصدقاء والأحباء والرفقاء والأصحاب {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ} مع بعضهم البعض وفيما بينهم {عَدُوٌّ} عدو ومخاصم {إِلَّا} ما عدا {الْمُتَّقِينَ} الأصدقاء المتقين الله والمتحابين في الله فهؤلاء يبقون أصحاباً وأصدقاء يوم القيامة ولا عداوة ولا خصومة ولا نفور بينهم لأنهم لم يضلوا بعضهم بل هدوا بعضهم وأوصلوا أنفسهم إلى مرضاة الله ورحمته وجنته فتبقى صداقتهم وصحبتهم والمودة بينهم كما هي. قال صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى:

المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي). [رواه الإمام أحمد - نزهة المجالس ج ١ ص ٤٠].

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ٢٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِغَايَتِنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٣٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٣١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾

{يَعْبَادِ} يا عبادي المؤمنين الذين أطعتموني ولم تعصوني ولم تشركوا بي شيئاً ويا
خالقي الصالحين {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ} لا خوف من العذاب أن يصيبكم ولا رعب من
جهنم {الْيَوْمَ} يوم القيامة {وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} ولا أنتم تحزنون ولا يصيبكم هم
ولا زعل فأنتم أصحاب الجنة {الَّذِينَ ءَامَنُوا بِغَايَتِنَا} الذين آمنوا بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَكَانُوا} وكانوا في الدنيا {مُسْلِمِينَ} مؤمنين ناطقين
بالشهادتين ومؤدين الفرائض ومجتنبين النواهي ومسلمين أمرهم لله تعالى بالطاعة
والعبادة الخالصة {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} ادخلوا يوم القيامة الجنة التي أعدها الله لكم
أنتم أيها المتقون والصالحون {أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ} أنتم وزوجاتكم اللاتي اتبعنكم في
الطاعة والعبادة {تُحْبَرُونَ} تُنْعَمُونَ وتُكْرَمُونَ وتُكَافَأُونَ {يُطَافُ عَلَيْهِمْ} يُمَرَّ
عليهم ويُدَار عليهم {بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ} بأطباق من ذهب خالص {وَأَكْوَابٍ}
وكؤوس من ذهب {وَفِيهَا} في الجنة يوم القيامة {مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ} ما تطلبه
وتوده وتريده النفس {وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} وتُسَرُّ الأعين بمشاهدته والنظر إليه وتلذذ

برؤيته ومنظره الجميل الخلاب {وَأَنْتُمْ} أيها المؤمنون والصالحون والمتقون {فِيهَا} في الجنة يوم القيامة {خَالِدُونَ} دائمون مخلدون {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا} وهذه الجنة التي دخلتموها وأورثتموها وحصلتم عليها وأخذتموها لكم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} دخلتموها بأعمالكم في الدنيا {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ} أعد لكم فيها فواكه كثيرة من جميع الأصناف والأشكال {مِنْهَا تَأْكُلُونَ} من هذه الفواكه تأكلون وتتمتعون.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٧٤ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوثُونَ ﴿٧٧﴾

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ} وهم الكفار الذين أجرموا في حق الله تعالى بأن أشركوا به غيره وأجرموا في حق أنفسهم بالمعاصي والشرك والذنوب وتكذيب الرسل {فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} يوم القيامة يكونوا في عذاب نار جهنم خالدين دائمين مستمرين {لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ} لا يخفف عنهم العذاب {وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} وهم فيه منغمسون دائمون حقيرون ذليلون آيسون من الخروج من نار جهنم {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} بعذابنا ما ظلمناهم ولا تعدينا عليهم ولا على حقوقهم {وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} ولكن هم الكفار وبكفرهم وعصيانهم وعنادهم وشركهم كانوا في الدنيا لأنفسهم ظالمين حيث أردوا أنفسهم النار جزاء كفرهم وشركهم وعنادهم ومعصيتهم وتكذيبهم للرسل {وَنَادَوْا} نادى الكفار {يَمْلِكُ} نادوا على مالك خازن النار وهو الملك الموكل على النار وهو خازن النار {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} لِيُنْهِ رَبُّكَ الله تعالى عذابنا

ويرحمنا {قَالَ} قال لهم مالك خازن النار {إِنَّكُمْ مَّكْثُوتٌ} إنكم باقون في النار ودائمون وخالدون لا خروج لكم ولا عفو كما قال تعالى: " خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ " ١٦٢ البقرة. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن أهل النار يدعون مالك فلا يرد عليهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم " إِنَّكُمْ مَّكْثُوتٌ " يعني دائمون.

﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ أَمْ أَبَرُّمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبَرِّمُونَ ﴿ ٧٩ ﴾ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾

{لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ} لقد أتيناكم بالدين الحق وجئناكم بالقرآن وهو حق وجئناكم بالرسول وهو حق {وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ} ولكن أكثركم أيها الناس للحق والصدق كارهون ومبغضون ولا تحبون {أَمْ} هل {أَبَرُّمُوا أَمْرًا} عقدوا العزم وتعاهدوا واتفقوا على محاربة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وعدم التصديق به وإيذائه صلى الله عليه وسلم {فَإِنَّا} الجمع لتعظيم الجلالة وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مُبَرِّمُونَ} عاملون على إبطال مكيدتهم ومؤامرتهم وكما قال تعالى: " وَمَكْرُؤًا وَّمَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " ٥٤ آل عمران. {أَمْ} هل {تَحْسَبُونَ} هل يظنون {أَنَّا} والجمع لتعظيم الجلالة وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ} لا نعلم سرهم وأسرارهم التي يتفقون عليها {وَنَجْوَاهُمْ} وحديثهم وكلامهم مع بعضهم البعض {بَلَى} تقال للتحقيق والتأكيد على أن الله تعالى يسمع ويعلم سرهم وخفاياهم ونجواهم وحديثهم بين بعضهم البعض {وَرُسُلْنَا} وهم الملائكة الكرام الكاتبين {لَدَيْهِمْ} معهم {يَكْتُبُونَ} أقوالهم وحديثهم ومكرهم وعنادهم وشركهم حتى يحاسبوا عليه يوم

القيامة كما قال تعالى: " مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٧﴾ فَذَرَهُمْ مَخُوضًا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٨﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ} حتى لو كان لله تعالى وهو الرحمن أي رحمن الدنيا والآخرة {وَلَدٌ} أي مولود له ولد {فَأَنَا} أي محمد صلى الله عليه وسلم {أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ} أول من يعبد الله تعالى ويوحده ويؤدي الفرائض ويجتنب النواهي والطاعة لله تعالى واجبة كالملائكة لما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم أطاعوا وامتثلوا لأن الأمر من الله تعالى علماً بأن السجود مخالف لعقيدتهم ولكنهم أطاعوا الله في أمره ولكن إبليس أبى ورفض وطرد من رحمة الله تعالى لمعصيته وهذا يؤكد للكفار بأن عبادة الله وحده واجبة حتى لو كان له ولد علماً بأن الله تعالى قد تعالى عن الولد لأنه لا يحتاج لا إلى مال ولا إلى عزوة ولا جاه لأنه هو وحده خالق الكون ولا يحتاج إلى مساعدة أو مساندة أحد ولا يخاف من كبر سنه أو من أن يهرم أو يخاف من غائلة الدهر أو يخاف أن يموت حتى يرثه ابنه ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟! {سُبْحَنَ} تنزه وتعالى وتقدس عن الولد وعن الشريك فهو {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فهو خالق السموات السبع ومن فيهن والأرض ومن عليها وما بينهما {رَبِّ} إله وخالق {الْعَرْشِ} والعرش وسع الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة

والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣].
 وفي رواية: (والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٩].
 {عَمَّا يَصِفُونَ} عما يقولون ويشركون ويخرصون بأن للرحمن ولداً {فَذَرَهُمْ}
 دعهم يا محمد يا رسول الله {تَخَوُّضُوا} يندفعوا في هذا الحديث ويتكلموا
 ويتحدثوا فيه {وَيَلْعَبُوا} ويتلها عن عبادة الله وحده {حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ} حتى
 يجيء يومهم وهو يوم القيامة ويلاقوه ويجدوه أمامهم لا مفر من عذابه {الَّذِي
 يُوعَدُونَ} الذي وعدهم الله به وهو يوم الحساب والجزاء والعقاب وهو يوم القيامة.
 ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ وَتَبَارَكَ
 الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

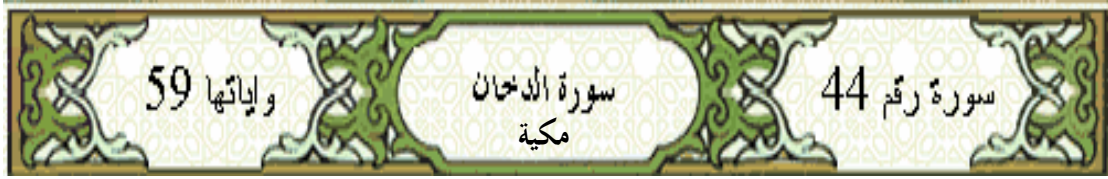
{وَهُوَ} الله تعالى {الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ} وحده الذي هو إله في السماء أي هو إله
 السموات {وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} وهو إله الأرض وربهما وهو خالق الكون كله وإله
 ورب العالمين السموات والأرض {وَهُوَ} الله {الْحَكِيمُ} الحكيم في ملكه أي خلق
 الكون بحكمة وبعلم {الْعَلِيمُ} العليم بخلقه والمطلع عليهم وعلى أعمالهم والعليم
 بما يدور في ملكه {وَتَبَارَكَ} زاد خيره وحسنت وازدادت واتسعت بركته حتى
 شملت جميع ملكه وعظم شأنه وعلا قدره وعزّ مقداره وجلاله وتسامت وعظمت
 قدرته وتمجد وتقدس وتعظم وتعالى وعز سلطانه وجلاله {الَّذِي لَهُ مُلْكُ} حكم
 وامتلاك {السَّمَوَاتِ} السموات السبع {وَالْأَرْضِ} التي نحن عليها ونعلمها {وَمَا
 بَيْنَهُمَا} من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح والسحاب والملائكة والجن

والإنس والطير والمخلوقات التي تُرى أو لا تُرى كالميكروبات والبكتيريا {وَعِنْدَهُ} عند الله تعالى في علمه من الأزل {عِلْمُ السَّاعَةِ} علم قيام ساعة القيامة ووقتها بالضبط ولا يعلمها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب غير الله تعالى وحده {وَالِيهِ} وإلى الله تعالى يوم القيامة {تَرْجَعُونَ} أي تحيون بعد موتكم وتُنشرون وتُبعثون من قبوركم إلى المحشر وإلى حساب الله وعقابه وجزائه ليحاسبكم على أعمالكم فالمؤمن يدخل الجنة والكافر والعاصي يدخل النار.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٨٦) وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

{وَلَا يَمْلِكُ} ولا يستطيع {الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} الأصنام والأوثان والأنداد غير الله تعالى {الشَّفَعَةَ} العفو وطلب المسامحة لهم وعدم عقابهم على الذنوب التي ارتكبوها في جنب الله تعالى وعلى كفرهم وشركهم وعنادهم ومعصيتهم {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} إلا من نطق بالشهادتين منهم أي من الأنداد الذين أشركوهم مع الله تعالى مثل النصارى جعلوا عيسى عليه السلام ابن الله واليهود جعلوا العزيز ابن الله فعيسى عليه السلام والعزيز والملائكة يشفعون يوم القيامة حيث أنهم شهدوا شهادة الحق وهي لا إله إلا الله وحده لا شريك له {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم عيسى والعزيز عليهما السلام والملائكة يعلمون ويعرفون أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولم يقبلوا أن يتخذهم أحد أرباباً من دون الله وفي الحديث: لما نزلت الآية: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" الآية قال الوليد بن المغيرة قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم

فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته) فأنزل الله عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ". [ابن كثير ج ٤ ص ١٣١]. {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ} وإذا سألت يا محمد يا رسول الله الكفار {مَنْ خَلَقَهُمْ} من الذي خلقهم وأوجدهم من العدم {لَيَقُولَنَّ اللَّهُ} سيقولون لك الله تعالى هو الذي خلق ويعترفون بذلك {فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} فمتى يرجعون عن ضلالهم وكفرهم وعنادهم {وَقِيلَ} وقوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم {يَتَرَبَّ} يا إلهي ويا معبودي ويا رب الذي خلقتني ومصيري بيدك {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ} إن هؤلاء الكفار وهم أهل قريش {قَوْمٌ} جماعة {لَّا يُؤْمِنُونَ} لا يصدقون بما أرسلت به {فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ} أي ابتعد عنهم واتركهم ودعهم يا محمد يا رسول الله {وَقُلْ} لهم {سَلِّمٌ} أي كلمة تقال عند الوداع وهي كلمة تحية أي وداعاً أو إلى اللقاء أي انتهى النقاش وانتهى الكلام معكم وكما قال تعالى: " وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " ١٠ المزل. {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} سوف يعلمون أنهم من أصحاب النار يوم القيامة وسوف يعلمون أن عذابي شديد وسوف يعلمون أنهم خسروا أنفسهم بالعذاب في جهنم وسوف يحاسبون وسوف يعلمون أنهم أصحاب الجحيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ ٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ٦﴾ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٧﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٩﴾

{حَم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تعالى: " سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " ٥ القدر. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْكِتَابِ} قَسَمَ بِالْكِتَابِ وَالْكِتَابِ هُوَ الْقُرْآنُ {الْمُبِينِ} العظيم الواضح البين أي والقرآن العظيم {إِنَّا} الله تعالى والجمع للتفخيم والتعظيم لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْزَلْنَاهُ} أنزل الله تعالى القرآن الكريم إلى بيت العزة من اللوح المحفوظ أي أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا قاله ابن عباس وغيره. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٩]. {فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} وهي ليلة القدر وهي مباركة أي بارك الله فيها وزاد فيها الخير والرحمة والمغفرة لمن صام رمضان حيث أنها كانت في شهر رمضان وتنزل فيها الملائكة بالرحمة في الأرض وهي ليلة قيامها خير من عبادة ألف شهر لأنها شاهدة ومشهودة بالملائكة واتفق جمهور المسلمين على أنها ليلة السابع والعشرين ولكنها غالباً ما تكون ليلة التاسع

والعشرين حيث تكون ليلة الجائزة والعامل يأخذ أجره قبل أن يجف عرقه كما في الحديث: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وحيث تكون أولاً بالفرد وثانياً في العشر الأواخر من رمضان حيث الأجير يأخذ أجره بعد انتهاء عمله وصفتها تكون الشمس صباحها منبلجة لا شعاع لها. فائدة: يقول الله تعالى ليلة القدر: يا جبريل الطاهر ويا ميكائيل الذاكر ويا إسرافيل الراكع اختاروا من الملائكة أرحمهم واقصدوا زيارة العصاة فيزلون مع كل ملك منهم سبعون ألف ومعهم أربعة ألوية لواء الحمد ولواء المغفرة ولواء الكرم ولواء الرحمة فيسمع أهل كل سماء حتى الحور العين في الجنان فيقلن يا رضوان ما هذه الليلة فيقول ليلة العرض تعرض أزواجكن فيرفع الحجاب حتى ينظرن أزواجهن فتنزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة على قبر محمد صلى الله عليه وسلم وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة ولواء الحمد بين السماء والأرض فلا يبقى بيت فيه مؤمن ومؤمنة إلا دخله ملك فمن كان جالساً سلم عليه الملك ومن كان ذاكرًا سلم عليه جبريل ومن كان مصلياً سلم عليه الرب سبحانه وتعالى. [نزهة المجالس ص ٢٠٧، ٢٠٨]. {إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع هنا لتعظيم الجلالة {كُنَّا مُنْذِرِينَ} أي أرسلنا الرسل لينذروا قومهم بعبادة الله وحده ولا يشركوا به شيئاً {فِيهَا} في هذه الليلة المباركة وهي ليلة القدر {يُفْرَقُ} يُؤْمَر ويُنفذ ويُفصل أي يؤمر بالتنفيذ {كُلُّ أَمْرٍ} كل أمر من الله تعالى {حَكِيمٍ} فكل أمر من الله تعالى فهو حكيم وصواب وفيه حكمة وفيه خير وفيه منفعة للناس والمخلوقات فهي ليلة الرحمة والعنتق من النيران فأخفاها الله تعالى لئلا يتكلموا وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (يُسح الخَيْرُ سحاً في أربع ليال ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر والأضحى وعرفة وأخفى ليلة القدر لأنها ليلة الرحمة والعنتق

من النيران فأخفاها لثلا يتكلموا). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٠]. {أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا} أي هو أمر من الله تعالى {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} أي مرسلين الرسل والأنبياء لينذروا قومهم عذاب الله تعالى لمن عصى وكفر والجنة لمن أطاع وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى {رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ} إرسال الرسل للناس ولقومهم ولأممهم هو رحمة من ربك يا محمد يا رسول الله أي من الله تعالى حيث يرحم الناس من عذاب جهنم من آمن منهم وأطاع وعبد الله وحده ولم يشرك به أحداً {إِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ السَّمِيعُ} لتوبة عباده فيقبلها {الْعَلِيمُ} بخلقه وأعمالهم وسيحاسبهم عليها.

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾

{رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} خالق السموات والأرض وإله السموات والأرض والسموات هي السموات السبع والأرض هي التي نحن عليها {وَمَا بَيْنَهُمَا} من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح والسحاب والملائكة والجن والإنس والطير والمخلوقات التي تُرى أو لا تُرى كالميكروبات والبكتيريا {إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ} إن كنتم مصدقين بذلك {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا رب ولا معبود إلا هو الله وحده لا شريك له {يُحْيِي} يخلق الناس من العدم ويضع فيهم الحياة كآدم عليه السلام وحواء ويحيي المولود من مني الرجل وبويضة المرأة ويخلقه ويكونه ويجعله بشراً سوياً ويحيي البذور ويحيي النبات بإخراجه من البذرة ويخرج الدجاج من البيضة ويحيي الأرض بعد موتها بنبات الزرع ويحيي الناس والمخلوقات يوم القيامة مرة ثانية بعد أن أصبحوا رميماً ورفاتاً وعظاماً نخرة {وَيُمِيتُ} بعد الحياة الأولى يميت

المخلوقات والكائنات في الدنيا {رَبُّكُمْ} هو ربكم وإلهكم وخالقكم ومعبودكم {وَرَبُّ
ءَابَائِكُمْ} ورب آبائكم وأجدادكم {الْأَوَّلِينَ} السابقين {بَلْ هُمْ} لكن هم {فِي
شَكٍّ} في شك وريبة وتكذيب {يَلْعَبُونَ} لاهون ولا يفكرون إلا في اللعب واللهو
وترك العبادة والطاعات والفرائض.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى النَّاسَ ١١ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٢﴾
رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

{فَارْتَقِبْ} فانتظر يا محمد يا رسول الله {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ} يوم يصير في
السماء ويخرج منها دخان {مُبِينٍ} عظيم يمكث أربعين يوماً وليلة يزكم فيه المؤمن
والكافر يأخذه فينتفخ حتى يخرج من كل مسامعه {يَغْشَى النَّاسَ} يأخذ الناس
جميعاً مؤمنهم وكافرهم أما المؤمن فيزكمه وأما الكفار فينفخه ويخرج من دبره
ومنخريه وأذنيه {هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} هذا الدخان هو عذاب أليم وموجع وشديد
على الكفار وهذا الدخان من علامات الساعة والأحاديث الدالة على ذلك: قال
الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري
قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة
فقال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان
والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف
خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن
تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا). [رواه
مسلم في صحيحه - ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥ ، ج ٤ ص ١٣٨]. وقال ابن جرير:
وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري

حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا والدخان) قال حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (”فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ” يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلةً أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخرية وأذنيه ودبره). [ابن كثير ج ٤ ص ١٣٩]. وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال). [رواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد ابن إسماعيل بن عياش به وهذا إسناد جيد - ابن كثير ج ٤ ص ١٣٩]. {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ} ربنا وإلهنا اصرف وارفع عنا العذاب هذا وهو الدخان {إِنَّا مُؤْمِنُونَ} أي يقول المؤمنون واثقين في استجابة الله تعالى لهم ربنا اصرف عنا العذاب واكشفه عنا إنا مؤمنون بك وبرسولك وملائكتك وكتبك وباليوم الآخر وكذلك يقول الكافر ربنا ارحمنا واكشف عنا العذاب فنحن الآن بعد رؤية العذاب مؤمنون بقدرتك ووحدانيتك.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى} أين لهم العظة ولن تنفعهم العظة ولا الموعظة لأنهم أصروا على العناد والكفر ولم يستغيثوا كالمؤمنين الذين قالوا ربنا اصرف عنا العذاب إنا مؤمنون بل عموا وسموا واستكبروا وأصروا على عنادهم وكفرهم ولذلك قال تعالى أنى لهم الذكرى أي لن تنفعهم هذه الذكرى وهذه العظة وهذه المعجزة وهي معجزة الدخان وهي من الآيات الكبرى على علامات الساعة {وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ} أي جاءهم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم {مُبِينٌ} عظيم وواضح البيان وهو القرآن الكريم الذي جاء معه {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ} ثم انصرفوا عنه أي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به ولم يصدقوه {وَقَالُوا} الكفار {مُعَلَّمٌ} أي واحد من البشر علمه {مَجْنُونٌ} أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مجنون وبه خبل وبه جنون {إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع للتعظيم للجلالة {كَاشِفُو الْعَذَابِ} أي سترفع عنهم العذاب {قَلِيلًا} أي في الدنيا لأن متاع الدنيا في الآخرة قليل {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إنكم أيها الكفار عائدون إلينا يوم القيامة لنحاسبكم على أعمالكم وما فرطتم في جنب الله تعالى وبما أشركتم أي عائدون بالحياة بعد الموت يوم القيامة إلى الله تعالى ليحاسبهم على أعمالهم {يَوْمَ نَبْطِشُ} يوم القيامة نبطش ونعذب {الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى} العذاب الأكبر في نار جهنم لأنه خلود بلا موت {إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع للتعظيم

للجلالة {مُنْتَقِمُونَ} معاقبون بالعذاب الشديد في نار جهنم للمشركين والعاصين والكفار والمعاندين والمستكبرين عن عبادة الله وحده.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِيَّيَ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٤٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾

{وَلَقَدْ فَتَنَّا} ولقد بلونا بالفتنة وحب الدنيا والعناد والاستكبار والكفر {قَبْلَهُمْ} قبل قريش قومك وهم الذين فتناهم وأحبوا الدنيا وركنوا إليها {قَوْمَ فِرْعَوْنَ} وهم أهل مصر قوم فرعون وهو الوليد بن مصعب {وَجَاءَهُمْ} وأتاهم من الله تعالى {رَسُولٌ كَرِيمٌ} وهو موسى بن عمران عليه السلام وهو كريم الأخلاق والصفات وكريم عند الله لأنه كرمه بالرسالة وفضله بها وقال لهم موسى عليه السلام {أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِيَّيَ عِبَادَ اللَّهِ} أي أعطوني وأرسلوا معي عباد الله وخلقهم وهم بنو إسرائيل لأن فرعون كان يظلمهم بأن يقتل أولادهم ويستحيي نساءهم {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} إني مرسل لكم من الله تعالى وأنا رسول أمين وصادق ولم أكذب عليكم ولم أفترى {وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ} وأن لا تتكبروا على الله بمعصيتي ومخالفة أمري {إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ} إني آتيكم بحجة واضحة وحجة بينة {وَإِنِّي عُذْتُ} وإني استجرت وأستجير {بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ} وهو الله تعالى ربي وربكم وإلهي وإلهكم ومعبودي ومعبودكم وخالقي وخالقكم {أَنْ تَرْجُمُونِ} أن تقذفوني بالكذب أو الجنون.

﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا إِلَىٰ فَاَعْتَزْلُوا﴾ ٢١ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُوْلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ٢٢ ﴿فَأَسْرَ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ ٢٣ ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ ٢٤ ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ ٢٥ ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا إِلَىٰ﴾ ٢٦ ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا إِلَىٰ﴾ ٢٧ ﴿فَاَعْتَزْلُوا﴾ ٢٨ ﴿فَاهْجُرُونِي وَاتْرَكُونِي وَدَعُونِي﴾ ٢٩ ﴿وَشَأْنِي﴾ ٣٠ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ ٣١ ﴿دَعَا مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ﴾ ٣٢ ﴿أَنْ هَتُوْلَاءِ﴾ ٣٣ ﴿أَيُّ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ وَهُمْ أَهْلُ مِصْرَ﴾ ٣٤ ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ٣٥ ﴿عَاصُونَ مُذْنِبُونَ مِصْرُونَ عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَلَمْ يَرْتَدُّوا بِمُعْجَزَةِ الْعَصَا الَّتِي تَلَقَّفَ حِبَالَهُمْ وَعَصِيَهُمْ وَتَبْلَعُهَا وَلَمْ يَنْفَعْ مَعَهُمْ مُعْجَزَاتُ وَلَا خِلَافُهُ﴾ ٣٦ ﴿فَأَسْرَ بِبَعَادِي لَيْلًا﴾ ٣٧ ﴿فَاخْرَجَ لَيْلًا وَسَرَّ بِبَعَادِي وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ ٣٨ ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ ٣٩ ﴿إِنَّكُمْ مُّلاحِقُونَ وَسَيَتَّبِعْكُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ وَيَلْحِقُوا بِكُمْ﴾ ٤٠ ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ﴾ ٤١ ﴿دَعَا الْبَحْرَ﴾ ٤٢ ﴿رَهْوًا﴾ ٤٣ ﴿سَرِيعًا وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ فَلَانٌ مِّثْلُ الرَّهْوَانِ أَيُّ سَرِيعٍ فِي الْجَرِيِّ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى السَّرْعَةِ فِي الْجَرِيِّ أَوْ الْمَشِيِّ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِبَعَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ" ٧٧ طه. وَلَأنَّهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا قَالَ تَعَالَى: "إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ" أَيُّ عَلَيْكُمْ بِالسَّرْعَةِ فِي السَّيْرِ فَرَهْوًا أَيُّ سَرِيعًا حَيْثُ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ وَحَتَّى يَغْرُقَهُمُ الْبَحْرُ وَيَنْجُو مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ﴾ ٤٤ ﴿إِنَّهُمْ﴾ ٤٥ ﴿فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ﴾ ٤٦ ﴿جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ ٤٧ ﴿كُلُّهُمْ مَغْرَقُونَ فِي الْبَحْرِ وَمَيِّتُونَ وَسَيُغْرَقُونَ جَمِيعَهُمْ﴾ ٤٨

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

{ كَمْ تَرَكُوا } كم ترك فرعون وقومه { مِنْ جَنَّاتٍ } من بساتين وحدائق وفواكه { وَعُيُونٍ } وآبار ماء { وَزُرُوعٍ } نباتات شتى من حبوب وفواكه وثمار وخضار { وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } ومسكن طيب وعيشة سعيدة راغدة وهنيئة ومنزلة طيبة { وَنَعْمَةٍ } كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ { ونعمة وعيشة منعمة مترفة كانوا فيها سعداء مسرورين فرحين يأكلون أنواع الثمار والفواكه { كَذَلِكَ } وهكذا { وَأَوْرَثْنَاهَا } وأعطيناها وملكناها وأخذها ميراثاً { قَوْمًا ءَاخِرِينَ } أي قوماً غيرهم حيث هم ماتوا فأتى من بعدهم من يأخذها وهم بنو إسرائيل كما قال تعالى: " كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ " ٥٩ الشعراء. { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ } فما بكّت ولا حزنت عليهم السماء والأرض ولا من فيهن لأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً ولأنهم أشركوا بالله وبخالق السماء والأرض وأغضبوا رب العالمين الذي خلقهم وفي الحديث أن السماء والأرض تبكيان كما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده قال: حدثنا أحمد بن إسحاق البصري حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا موسى بن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية: " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ "). [ابن كثير ج ٤ ص ١٤٢]. وأيضاً قال ابن جرير: حدثني يحيى بن طلحة حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ألا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ " ثم قال: إنهما لا يبكيان على الكافر). [ابن كثير ج ٤ ص ١٤٢]. وقال مجاهد رضي الله عنه: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً. [ابن كثير ج ٤ ص ١٤٢]. وعليه فإن الحداد على الميت أربعين يوماً لا شيء فيه على شرط أن لا تُلطم الخدود ولا تُشق الجيوب كما جاء في الحديث أي بدون سخط وليس الحداد كما تحد المرأة على زوجها بل هو احترام للميت وأهله فكما أن السماء والأرض تبكي على المؤمن بعد موته أربعين صباحاً فمن باب أولى احترام الناس بعضهم لبعض واحترام مشاعر أهل الميت طيلة مدة الأربعين يوماً لأن المؤمنين إخوة ومثلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وهذا فضل وليس إلزاماً ولا يعلم الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وكما قال تعالى: " وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " ٢٣٧ البقرة. {وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ} ولم يؤخروا أو يؤخّر عنهم العذاب والغرق والموت ولم يمهلوا بل أغرقوا وماتوا ليكونوا عظة وعبرة لمن يعتبر ويتعظ.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا
مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيِّتِ
مَا فِيهِ بَلَلٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٦﴾ فَاتُّوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾﴾

{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا} ولقد أنقذنا {بَنِي إِسْرَءِيلَ} وهم اليهود أبناء يعقوب عليه السلام
واسمه في لغتهم [إسرا] أي عبد و[إيل] أي الله أي عبد الله وهو يعقوب ابن
إسحاق بن إبراهيم وهم جميعاً أنبياء الله تعالى عليهم السلام {مِّنَ الْعَذَابِ
الْمُهِينِ} من العذاب الأليم والمذل والذي كان يهينهم به فرعون من قتل أولادهم
واستحياء نسائهم ويذلهم ويحقرهم {مِنْ فِرْعَوْنَ} من بطش وظلم فرعون وهو
ملك مصر واسمه الوليد بن مصعب {إِنَّهُ} فرعون {كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ} كان
ظالماً من المتهورين والمفسدين {وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ} وهم بنو إسرائيل وهم اليهود أي
اختارهم الله تعالى والجمع هنا للتعظيم للجلالة {عَلَىٰ عِلْمٍ} على حكمة ومعرفة
ودراية بهم حيث أنهم عمليون وجيدون الحرفة أو الصنعة فإذا رأيتهم في الزراعة
تراهم أمهر الناس بها وفي الصناعة كذلك وفي التجارة كذلك وقد خرج منهم كذلك
أنبياء ورسل كثيرون {عَلَى الْعَالَمِينَ} على العالم كله قديمه وجديده حيث أغلب
الرسل والأنبياء منهم فمنهم يوسف وداود وسليمان وموسى وهارون وزكريا ويحيى
وعيسى أي اخترناهم على العالمين بالرسالة والنبوة وبمهارتهم في صنعتهم والذي
اختارهم حتى يثيروا الأرض ويعمروها هو الله تعالى كما اختار آدم وأسجد له
ملائكته وفضّله على العالمين أي لم تسجد الملائكة لأحد غيره وكذلك بنو إسرائيل
لم تكن النبوة في غيرهم بهذه الكثرة من جميع العالمين قديمه وحديثه أما العرب

فلم يأت منهم من إسماعيل عليه السلام إلا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً فقط والتفضيل الثالث أنهم خلاصة الخلاصة من سلالة أنبياء ورسول من إبراهيم عليه السلام ثم من إسحاق عليه السلام نبي ورسول ثم من يعقوب عليه السلام نبي ورسول ثم يوسف عليه السلام نبي ورسول فهم كالخيل الأصيلة عندما تخرج أصايل وهكذا هم خلاصة من خلاصة وسلالة من سلالة من عدة أنبياء ورسول متوالين لا يفصل بينهم فاصل كما تقدم وهذا هو التفضيل لهم واختيار الله تعالى لهم على علم عنده " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ". وعلى العالمين على العالم كله قديمه وحديثه فلم يأت نبي من صفوة ثم من صفوة من إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب ثم يوسف عليهم الصلاة والسلام وكلهم رسل وكلهم أنبياء. وعلم الله تعالى هنا كما قال للملائكة إني أعلم ما لا تعلمون عندما خلق آدم حيث علمه الأسماء كلها ومنها فلاحه الأرض وعمارتها حيث أنه خليفة الله في أرضه زيادة على النبوة والرسالة ولو أخطأ هو وذريته فلا ينفي ذلك علم الله تعالى ومعرفته بخلقه وبكونه لمعرفته بأن آدم وذريته سيكون منهم علماء في الشرع والدين وإعمار الأرض من الصناعات المختلفة ففي قوله تعالى " إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " أي أنني أعلم أنه سيكون منهم عصاة مفسدون ومذنبون ولكني أعلم أيضاً أنه سيكون منهم علماء وأولياء وصالحون كذلك وأناي قد جهزت وحضرت لمن أطاع منهم الجنة ونعيمها ولمن أشرك وعصا وأذنب فله نار جهنم وهذا ما لم تعلمه الملائكة وهكذا بنو إسرائيل فبرغم من عصي وأذنب وكذب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن منهم من آمن ككعب الأحبار وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكلهم أحبار اليهود فلا يؤخذ الأمر من باب المعصية فقط لأن ذرية آدم تخطئ والله فضله مع ذلك على الملائكة لعلم الله تعالى الذي لا يجاريه علم أما من عصي فسيعاقبه الله

تعالى على معصيته وكفره فليس التفضيل هنا في كل الأشياء فمثلاً فضل الله يوسف عليه السلام بالجمال وفضل محمداً صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " قالت عائشة رضي الله عنها عن يوسف عليه السلام: أهو أحسن أم أنت يا رسول الله؟ فقال: (هو أحسن خلقاً وأنا أحسن خلقاً). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٦]. {وَأَتَيْنَهُمُ} وجئنا لهم {مِّنَ الْآيَاتِ} من المعجزات {مَا فِيهِ بَلَتْؤٌ مُّبِينٌ} ما فيه ابتلاء واختبار ومحنة عظيمة {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ} الكفار {لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ} أي لن يصيبنا إلا هذه الموتة الأولى فقط التي نموتها في الدنيا ولن يصيبنا بعدها لا حياة ولا نشور {وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ} ونحن الكفار لا نحيا ولا نُبعث يوم النشور وهو يوم القيامة {فَأْتُوا} هاتوا {بِعَابَابِنَا} إن كنتم صَادِقِينَ {أَحْيَا لَنَا آبَاءَنَا} مرة ثانية حتى نراهم بأعيننا إن كنتم صادقين بأن الموتى يحيون من جديد.

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

{أَهُمْ خَيْرٌ} هل هم خير وأفضل {أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ} أم قوم تبع وتبع هو أسعد الحميري كما جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسى الكعبة). [السيرة لابن كثير ج ١ ص ٢٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم). [السيرة لابن كثير ج ١ ص ٢٣]. وكانت العرب تسمي كل من حكم اليمن مع الشحر تبعاً كما يسمون من ملك من الروم الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك

الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس. [السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٩].
وقصة تبع الأول كما في كتاب شرف المصطفى أن تبعاً الأول خرج من بلاده ينظر
في الدنيا بعسكر كثير ومعه جماعة من الحكماء فلما قدم مكة أعرض عنه أهلها
فغضب عليهم وعزم على هدم الكعبة وقتل الرجال وأخذ الأموال والنساء فخرج من
أذنيه ماء له ريح كريه فسأل الحكماء عن ذلك فقالوا نحن نعالج أمراض الدنيا لا
أمراض السماء فلما كان الليل قال أحد الحكماء للوزير إن أخبرني الملك بما نواه
عالجته فأخبره بذلك فقال ارجع عن هذه النية ففعل فانقطع الماء فآمن بالله من
ساعته وستر الكعبة وهو أول من كساها ثم خرج نحو يثرب فنزل على عينها
فاجتمع رأي الحكماء على الإقامة بها فبلغ الملك ذلك فسألهم عن هذه البرية
فقالوا سيكون في هذه البقعة خير كثير يسكنها نبي آخر الزمان اسمه محمد مولده
مكة وهجرته إلى ههنا فبنى له أربعمائة دار وكتب كتاباً: ((يا محمد آمنت بك
وبربك وأنا على دينك فإن أدركتك فذلك الذي أريد وإلا فاشفع لي يوم القيامة
فإني من أمتك الأولين)) ودفع الكتاب إلى الحكيم الذي سأله عن نيته ورجع إلى
الهند فلم يزل الكتاب محفوظاً عند الحكيم وأولاده وأولاد أولاده إلى أبي أيوب
الأنصاري ((خالد بن زيد)) رضي الله عنه فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
ونزل في دار أبي أيوب دفع الكتاب إليه فقرأه علي رضي الله عنه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم: (مرحباً بالأخ الصالح) ثم نُظر في تاريخ الكتاب وقدم النبي صلى
الله عليه وسلم فوجدوه ألف عام. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧٤]. وقال تبع شعراً
واستودعه أهل المدينة وجاء فيه:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنك وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

[ابن كثير ج ٤ ص ١٤٤]

وقوم تبع هم أهل حرب وبغي مثل قوم فرعون {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} كقوم نوح ولوط وهود وصالح وقوم شعيب {أَهْلَكْنَاهُمْ} عذبناهم وأمتناهم {إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} إنهم كانوا مجرمين وباغين وآثمين ومذنبين في حق الله تعالى بالكفر والشرك وفي حق الناس بالبغي عليهم والظلم لهم ومجرمين في حق أنفسهم حيث لم يراعوا حق الله تعالى ولم يمتثلوا لأوامره ولا اجتناب نواهيه {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} وما خلق الله تعالى السموات السبع والأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح والسحاب والملائكة والجن والإنس والطير والمخلوقات التي تُرى أو لا تُرى كالميكروبات والبكتيريا وغيرها {لَعِبِينَ} عابثين ولاهين ولعباً وتسلية {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} وما خلقهما الله تعالى أي السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والعدل والصواب وليحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة حقاً وعدلاً وصدقاً {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} ولكن أكثر الكفار {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ولا يعرفون الحقيقة وهي البعث يوم القيامة للجزاء والحساب فمن عمل صالحاً دخل الجنة ومن أساء وعصى وكفر دخل النار خالداً مخلداً.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤١ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٢ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤٣﴾

{إِنْ} حرف للتأكيد {يَوْمَ الْفَصْلِ} يوم الحكم وهو يوم القيامة يوم يفصل الله تعالى بالحق بين الناس وفي المسند مرفوعاً عن أبي ذر رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا! قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣]. {مِيقَتُهُمْ} ميعادهم ومكانهم وهو يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء {أَجْمَعِينَ} جميع الخلائق والعوالم حتى الشياخ يحكم بينهم كما أسلفنا في الحديث السابق {يَوْمَ} يوم القيامة وهو يوم {لَا يُغْنِي} لا ينفع فيه ولا يسد فيه ولا ينوب فيه {مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا} سيد عن خادمه ولا خادم عن سيده ولا صديق حميم عن صديقه ولا رفيق عن رفيقه ولا صاحب عن صاحبه شيئاً {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ولا هؤلاء السادة والعبيد والأصدقاء والأصحاب والرفقاء لا يستطيع أحد أن ينصر أخاه ولا يستطيع أحد لهم النصر والمؤازرة من عقاب الله تعالى {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ} إلا من رحمه الله تعالى بعفوه وبرحمته من المؤمنين ومن التائبين ومن سبقت لهم منا الحسنى وأطاعوا الله في أوامره واجتناب نواهيه والعمل بالطاعات وأداء الفرائض في الدنيا والابتعاد عن المحرمات فهؤلاء من رحم الله {إِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ الْعَزِيزُ} العزيز والمنيع والقوي في ملكه وسلطانه {الرَّحِيمُ} الرحيم بعباده المؤمنين يوم القيامة بإدخالهم الجنة بعفوه ورحمته.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
 الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ
 عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ
 تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

{إِنَّ} حرف للتوكيد {شَجَرَتَ الزُّقُومِ} وهي شجرة في قعر جهنم يعذب الله بها الكفار وهي شديدة المرارة شديدة الحرق والالتهاب في المعدة وهي الشجرة الملعونة في القرآن أي الذي ذكرها القرآن الكريم فهي ملعونة لأنها خبيثة ومضرة ومرة وأكلها يحرق المعدة والأمعاء {طَعَامُ الْأَثِيمِ} شجرة الزقوم هي طعام وأكل الأثيم المذنب والعاصي والكافر {كَالْمُهْلِ} كعكر الزيت المغلي {يَغْلِي فِي الْبُطُونِ} يغلي في بطن من يأكلها لأنها تعمل لهيباً وحرارة رهيبة في المعدة والأمعاء {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} مثل الماء المغلي والشديد الحرارة وكما قال تعالى: " أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ {٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ {٦٣} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ {٦٥} فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {٦٦} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ {٦٧} " ٦٧-٦٢ الصافات. وكما قال تعالى: " لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ {٥٢} فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {٥٣} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ {٥٤} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ {٥٥} " ٥٥-٥٢ الواقعة. {خُذُوهُ} يقول الله تعالى لملائكة العذاب خذوه أي الكافر والعاصي {فَاعْتِلُوهُ إِلَى} فاحملوه إلى {سَوَاءِ الْجَحِيمِ} إلى وسط جهنم وعذابها وشدة نيرانها {ثُمَّ صُبُّوا} ثم صبوا وكبوا {فَوْقَ رَأْسِهِ} على رأسه {مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} من العذاب من الماء المغلي والنار

الحامية {ذُقْ} أي ذق طعم العذاب وقاسي ويلاته وتعذب فيه {إِنَّكَ} أيها الكافر والعاصي {أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} العزيز لدينا في جهنم والكريم في موقفك وموقعك هذا في جهنم وهذا هو أشد أنواع التقريع والتهكم والتوبيخ والسخرية منه وهو في هذا المقام الذي لا يحسد عليه {إِنَّ هَذَا} إن هذا العذاب في جهنم {مَا كُنْتُمْ بِهِ} ما كنتم به أيها الكفار {تَمْتَرُونَ} تكذبون وتجددون.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

{إِنَّ} حرف تأكيد {الْمُتَّقِينَ} وهم المؤمنون الذين يخافون عذابه ويرجون رحمته وهم الطائعون الذين يخافون الله تعالى ويؤدون أوامره وفرائضه ويجتنبون نواهيه ومحارمه {فِي مَقَامٍ} في منزلة ومكانة ودرجة {أَمِينٍ} لا خوف فيه مطمئنين غير خائفين {فِي جَنَّاتٍ} في الجنة وكل في الجنة على حسب عمله ومنزلته {وَعُيُونٍ} عيون ماء ينبع باستمرار فلا ينقطع {يَلْبَسُونَ} يلبسون ثياباً {مِّن سُنْدُسٍ} من حرير ناعم فاخر {وَإِسْتَبْرَقٍ} حرير ذو بريق ولمعان مدهش وجذاب من غليظ الحرير وسميكة {مُتَقَابِلِينَ} أي وجوههم إلى بعضهم غير متدابرين وهذا دليل المحبة والألفة كما قال تعالى: " وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّتَقَابِلِينَ " ٤٧ الحجر. {كَذَلِكَ} وهكذا {وَزَوَّجْنَاهُمْ} أي زوجنا من يدخل الجنة من الرجال {بِحُورٍ} أي ذوات حور العينين جمع حوراء وهي شديدة

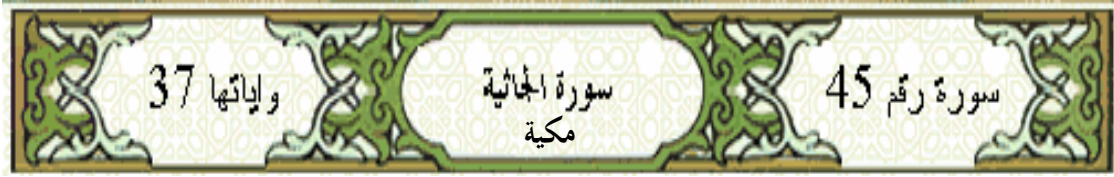
بياض بياض العينين شديدة سواد سوادهما {عَيْنٍ} جمع عيناؤه وهي التي عيناها
 فيهما اتساع وحسن. والحدور العين هم نساء أهل الجنة وكما قال تعالى: " وَحُورٌ
 عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {٢٣} " ٢٣، ٢٢ الواقعة. وقال الإمام أحمد: حدثنا
 حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن
 شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من له السبع درجات وهو على السادسة وفوقه
 السابعة وإن له ثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحيفة ولا أعلمه
 إلا قال من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليُلد أوله كما يُلد آخره
 ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليُلد أوله كما يُلد
 آخره وإنه ليقول يا رب، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما
 عندي شيء وإن له من الحدور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا
 وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض). [ابن كثير ج ٤ ص ١٣٤].
 وذكر القرطبي في سورة الواقعة عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح
 الجنة فتنفلق في يده فتخرج منها حوراء لو نظرت إلى الشمس لأخجلتها من
 حسنها ولا تنقص التفاحة) فقال رجل يا أبا سليمان إن هذا لعجيب لا ينقص من
 التفاحة شيء قال نعم كالسراج إذا أخذت منه سرج كثيرة لم ينقص منه شيء).
 [نزهة المجالس ص ٥١٩، ٥٢٠]. وفي الحديث أيضاً: (إن السحابة لتمر بالماء من
 أهل الجنة وهم جلوس على شرابهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه
 حتى أن منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أتراباً فيكون ذلك). [ابن كثير ج ٢
 ص ٥٦٨]. {يَدْعُونَ فِيهَا} يطلبون في الجنة {بِكُلِّ فَاكِهَةٍ} من كل فاكهة

{ءَامِنِينَ} مطمئنين غير خائفين من موت أو طرد أو نقص من الثمار أو أن يعتدي عليهم أحد {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ} أي لا يموتون في الجنة {إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى} إلا الموت الذي حصل لهم في الدنيا وهي الأولى والأخيرة وكما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ). [ابن كثير ج ٤ ص ١٤٦]. {وَوَقَّعَهُمُ} وحماهم وحفظهم ومنعهم {عَذَابِ الْجَحِيمِ} من عذاب جحيم جهنم ومن شدة نار جهنم وعذابها {فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ} فضلاً وكرماً ومنناً ونعمةً من ربك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {ذَلِكَ} هذا {هُوَ الْفَوْزُ} الفوز والفلاح والنجاح {الْعَظِيمُ} الكبير وهو دخول الجنة والحفظ من عذاب النار.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ} وهو القرآن الكريم يسرناه وسهلناه وجعلناه سهل القراءة والنطق واللفظ والمعنى {بِلِسَانِكَ} بلسانك يا محمد يا رسول الله وهو لسان اللغة العربية كما قال تعالى: " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ " ١٩٥ الشعراء. {لَعَلَّهُمْ} عساهم {يَتَذَكَّرُونَ} يتعظون ويتذكرون أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير {فَأَرْتَقِبْ} فانتظر وترقب ماذا يحل بهم {إِنَّهُمْ} الكفار {مُّرْتَقِبُونَ} منتظرون ماذا يحل بهم ففي الدنيا الخزي والعار والهزيمة والمصائب والموت وفي الآخرة نار جهنم تنتظرهم وهي موعدهم أجمعين كما قال تعالى: " فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ " ٣٠ السجدة.

قال الترمذي: من قرأ في ليلة الجمعة سورة الدخان استغفر له سبعون ملكاً إلى الصباح. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة يس ليلة الجمعة غفر له ومن قرأ حم الدخان يوم الجمعة أو ليلتها بنى الله له بيتاً في الجنة). [نزهة المجالس ج ١ ص ١١١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

{حَمْ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" ٣ فصلت. وقوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ٢ يوسف. وقوله تعالى: "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تعالى: " حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ " ٥ القمر. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} تنزيل القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا إلى قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام هو {مِنْ اللَّهِ} أنزله الله تعالى وهو {الْعَزِيزِ} العزيز في ملكه والمنيع في سلطانه {الْحَكِيمِ} فيما يفعل والحكيم في ملكه وكونه ومخلوقاته.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ ١٦٠ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ١٦١ ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٢

{إِنَّ} حرف للتأكيد {فِي السَّمَوَاتِ} في خلق السموات وما فيهن من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَالْأَرْضِ} وما فيها من بحار وقفار وجبال وأنهار وعيون وأشجار وحيوانات وإنس وجن وطيور {لَآيَاتٍ} لمعجزات ودلائل واضحات على قدرة الله تعالى وأنه وحده الخالق ولا شريك له {لِّمُؤْمِنِينَ} لمن أراد الإيمان

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَفِي خَلْقِكُمْ} وكذلك في خلقكم من ذكر وأنثى ومن تراب ثم من نطفة كما قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤} " ١٢-١٤ المؤمنون. {وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ} وما يخلق الله تعالى من دابة تدب على وجه الأرض من جن وإنس وحيوانات وحشرات وطيور وحياتان في البحار {ءَايَاتٌ} معجزات ودلائل واضحات {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} لقوم يؤمنون بالله ويصدقون أنه وحده لا شريك له وأنه الخالق وحده {وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ} وتكرر الليل والنهار باستمرار فلم يمكث أحدهم لا ليل دائم ولا نهار دائم بل يتعاقبان باستمرار {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ} وما أنزل الله تعالى من السماء من السحاب من رزق من المطر حيث المطر به ينبت الزرع والأشجار والفواكه والخضار والثمار وترعى البهائم فيمتلئ الضرع باللبن ف تأكل اللحم واللبن والجبن منهم كله من رزق الله تعالى وهو المطر {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي يحيي الأرض بعد جفافها وقحطها فتنبت بالعشب والزرع والنباتات والأشجار والثمار والفواكه والخضار {وَتَصَرَّفَ الرِّيحُ} تهب الرياح مرة رياح شرقية ومرة غربية ومرة شمالية ومرة جنوبية فتثير سحاباً وأمطاراً وكذلك تجري بها السفن بالشرع وتلقح الزهور {ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} كل ذلك هو آيات ومعجزات ودلائل واضحات على قدرة الله تعالى وأنه الخالق وحده ولا رب غيره فهو وحده لا شريك له.

﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ ۚ ﴾

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

{تِلْكَ} هذه التي أوردناها لك {ءَايَاتُ اللَّهِ} هي معجزاته ودلالاته الواضحات على قدرة الله تعالى وأنه الخالق وأنه المعبود وحده لا شريك له {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ} نقرؤها عليك في القرآن الكريم {بِالْحَقِّ} بالصدق والعدل فهي حق ليس بالباطل {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ} فبأي وبماذا من قول أو كلام نحدثهم به {بَعْدَ اللَّهِ} بعد قول الله تعالى في قرآنه {وَأَيَاتِهِ} ومعجزاته ودلائله الواضحات التي أوردناها {يُؤْمِنُونَ} يصدقون ويوقنون.

﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۚ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

{وَيَلْ} عذاب {لَّكُلِّ أَفَّاكٍ} لكل كذاب وجاحد ومعاند {أَثِيمٍ} مذنب {يَسْمَعُ} ءَايَاتِ اللَّهِ {يَسْمَعُ} يسمع القرآن وآياته {تُتْلَىٰ عَلَيْهِ} تُقرأ عليه {ثُمَّ يُصِرُّ} يصر ويعاند ويكابر ويستمر في صلفه وكبره وكفره ومعاصيه {مُسْتَكْبِرًا} متكبراً ومتعالياً عن الطاعة وعبادة الله تعالى وحده {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} كأنه لم يسمع آيات الله تتلى عليه وكأنه لا يدري بها ولا يعلم بها {فَبَشِّرْهُ} أي أخبره يا محمد يا رسول الله ببشارة والبشارة دائماً بالفرح ولكنها هنا تهكم عليه وتوبيخ وتقريع للكافر {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أخبره ببشارة العذاب الأليم والشديد والموجع الذي ينتظره {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ

ءَايَاتِنَا شَيْئًا} وإذا علم وعرف من آيات الله تعالى شيئاً {أَتَّخَذَهَا} اتخذ معرفته
 بآيات الله تعالى {هَزُؤًا} سخريّة {أُولَئِكَ} الكفار والمكذّبين بآيات الله تعالى {هُمْ}
 عَذَابٌ مُّهِينٌ} لهم يوم القيامة عذاب مهين ومذل وقاس وأليم {مِّنْ وَرَائِهِمْ} من
 خلفهم أي خلفهم أي بعد موتهم {جَهَنَّمَ} نار جهنم تنتظرهم ليعذبوا فيها {وَلَا
 يُغْنِي عَنْهُمْ} ولا ينفعهم {مَا كَسَبُوا} ما عملوا من المعاصي والذنوب والكفر وملذات
 الدنيا {شَيْئًا} لا شيء ينفعهم من الملذات التي كانت في الدنيا {وَلَا مَا آتَّخَذُوا مِن
 دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} ولا ما عبدوا من الأوثان والأصنام والأنداد التي اتخذوها غير الله
 أولياء مساندين ومعاضدين ليتولّوهم في كل شئونها فلا ينفعونهم كذلك {وَهُمْ}
 الكفار {عَذَابٌ عَظِيمٌ} عذاب عظيم وكبير وشديد وموجع وقاس يوم القيامة.

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

{هَذَا} هذا القرآن وآياته {هُدًى} هداية وإرشاد {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ}
 والكفار الذين كفروا وجحدوا وكذبوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {هُمْ}
 عَذَابٌ} لهم عذاب وعقاب {مِّن رَّجْزٍ} من عذاب وبلاء {أَلِيمٌ} موجع وقاس
 وشديد.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

{الله} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو رب العالمين وخالق الخلق والكون أجمعين {الَّذِي} هو الذي {سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ} جعل البحر مُسَخَّرًا وَمُذَلَّلًا وَمُطَوَّعًا لكم {لِتَجْرِيَ} لتسير {الْفُلُكُ} السفن والقوارب والمراكب والبواخر والغواصات {فِيهِ} في البحر {بِأَمْرِهِ} بإذنه وإرادته وبأمر منه سبحانه وتعالى وبقدرته {وَلِتَبْتَغُوا} أي تطلبوا في أسفاركم {مِنْ فَضْلِهِ} من تجارة وكسب مال ومتاع ورزق من فضله ومَنِّه وكرمه ونعمته ورحمته وأيضاً لتبتغوا من فضل الله من صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ والمرجان زيادة على استخراج الغاز والبترول منه وما يأذن الله تعالى به من فضل {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} عسى أن تشكروا الله على هذه النعم التي أنعمها عليكم وأعطاهما لكم {وَسَخَّرَ لَكُمْ} وجعل لكم مُسَخَّرًا وَمُذَلَّلًا لمنفعتكم {مَّا فِي السَّمَوَاتِ} من شمس وقمر ونجوم وكواكب وأمطار وما في الأمطار من غازات تذوب فيها وتحتاجها النباتات كغاز النيتروجين وغيره {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من شجر ونباتات وزروع وفواكه وثمار وبحار وجبال وأرض وقفار وبحار وأنهار وعيون وحيوانات وطيور وإنس وجان {جَمِيعًا} كل ما ذكر وعُرف أو لم يُذكر ولم يُعرف {مِّنْهُ} كله مسخر من الله تعالى وبأمره ومن فضله وكرمه ومَنِّه ورحمته {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في كل تلك المذكورات والمنوه عنها في السموات وفي

الأرض {لَا يَتِي} لمعجزات ودلالات واضحات وبيّنات {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} لأناس يتفكرون في مخلوقات الله تعالى وفي قدرته ورحمته ونعمته.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥٠﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {يَغْفِرُوا} يسامحوا ويعفوا ويتجاوزوا {لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} للذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا بالبعث ولا بالنشور ولا بيوم القيامة ولا يصدقون ذلك {لِيَجْزِيَ قَوْمًا} ليحاسب ويعاقب قوماً كفاراً وعصاة ومذنبين {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يعملون في الدنيا ويكسبون من الذنوب والآثام والمعاصي والأعمال السيئة وذلك يوم القيامة {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا} من عمل عملاً صالحاً من أعمال الخير والبر وصلة الرحم والصدقة والطاعات والعبادات والأعمال الصالحة {فَلِنَفْسِهِ} فثوابها ومردودها ومكافأتها لنفسه ولذاته فهو المستفيد من ذلك {وَمَنْ أَسَاءَ} ومن عمل سوءاً أو شراً أو قبيحاً أو عملاً فاحشاً وسيئاً أو خطأ متعمداً {فَعَلَيْهَا} أي يقع الوزر والإثم والعقاب على نفسه {ثُمَّ} بعد ذلك {إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} إلى ربكم يوم القيامة ترجعون وتعودون إليه ليحاسبكم على أعمالكم التي كانت في الدنيا إن كانت خيراً أدخلكم الجنة وإن كانت سوءاً أو شراً أدخلكم النار.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ وَآتَيْنَاهُمْ يَاسِينَ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا} ولقد أعطينا {بَنِي إِسْرَءِيلَ} وهم اليهود وهم ذرية يعقوب عليه السلام ويعقوب لأنه أتى هو وأخوه العيص توأماً فسبقه العيص ثم أتى يعقوب عليه السلام عقبه فسمي لذلك بيعقوب وفي لغة بني إسرائيل [إسرا] أي عبد و[إيل] أي الله أي [عبد الله] {الْكِتَابَ} وهو توراة موسى عليه السلام {وَالْحُكْمَ} أي الملك فسيدنا داود عليه السلام هو وابنه سليمان كانا ملكين يحكمان وكذلك جعل في بني إسرائيل الملك {وَالنُّبُوَّةَ} جعل رسل وأنبياء بني إسرائيل كثيرين وهم يوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام {وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} أي ورزقناهم من المن والسلوى {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} وفضلهم الله تعالى بالنبوة والرسالة لأنهم أصفياء أبناء أي أبناء رسل متوالين لا يفصل بينهم فاصل وهو إبراهيم نبي ورسول وإسحاق بن إبراهيم نبي ورسول ويعقوب بن إسحاق نبي ورسول ويوسف بن يعقوب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كلهم أنبياء ورسل إبراهيم عليه السلام ثم إسحاق عليه السلام ثم يعقوب عليه السلام ثم يوسف عليهم جميعاً الصلاة والسلام أي خالصة الخالصة وأصفياء أبناء أي الرسل المتوالين لا فاصل بينهم وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه السلام وهذا هو التفضيل على العالمين ولم يأت ولا رسول مثلهم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو من أبناء إسماعيل عليه السلام وبينه وبينهم عدة

أجيال وهذا هو التفضيل {وَأَتَيْنَهُمْ} وأعطيناهم وأنزلنا لهم {بَيَّنْتَ مِنَ الْأَمْرِ} توضيح كل شيء في كتبهم التوراة والزبور والإنجيل فالتوراة لموسى عليه السلام والزبور لداود عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام وفي كتبهم توضيح كل شيء وبيان لكل شيء وصفات محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم في التوراة والإنجيل {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} فما اختلفت اليهود والنصارى على تصديق محمد صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ورسول إلا من بعد ما علموا أن الرسالة لم تأت فيهم بل أتت على واحد من العرب ولم يكن من بني إسرائيل ولا من النصارى علماً أن اسمه في كتبهم كما قال عيسى عليه السلام: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" ٦ الصف. {بَغْيًا} حقداً وحسداً وعناداً {بَيْنَهُمْ} فيما بينهم وهم اليهود والنصارى لأن الرسالة لم تنزل عليهم فانتقلت النبوة والرسالة منهم إلى العرب في محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد يا رسول الله وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَقْضَى بَيْنَهُمْ} يحكم بينهم بين اليهود والنصارى {يَوْمَ الْقِيَمَةِ} يوم البعث ويوم النشور وهو يوم القيامة حيث يقوم الناس من قبورهم أحياء بعد موتهم للحساب والجزاء {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في الأمر الذي اختلفوا فيه في الدنيا واختلفت فيه أهواؤهم وأعمالهم.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

{ثُمَّ} بعد ذلك {جَعَلْنَاكَ} جعلناك يا محمد يا رسول الله {عَلَىٰ شَرِيعَةٍ} على طريقة ومنهاج ودين واضح وقويم وحق وصواب وهي شريعة ودين محمد صلى الله عليه وسلم وهو الدين الإسلامي {مِّنَ الْأَمْرِ} من أمر الله تعالى وبأمره وهو ما أوحاه إليك {فَاتَّبِعْهَا} اتبع طريقه دين الإسلام واتبع أوامره واجتنب نواهيه أنت ومن اتبعك من المؤمنين {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ} ولا تتبع أهواء وآراء وهوى وغى وضلال {الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} وهم الكفار الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ولا يعلمون أنهم ضلوا وأنهم أصحاب النار {إِنَّهُمْ} الكفار {لَن يَغْنَوْا عَنكَ} لن ينفعوك {مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا} من عذاب الله تعالى أي شيء {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ} وهم الكفار والذين أشركوا وهم ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر وأشركوا مع الله غيره كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: "إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. وظلموا أنفسهم لأنهم سيعذبون في نار جهنم يوم القيامة وظلموا غيرهم بالتجبر والبغي والظلم والحقد والحسد والكبر {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} هو رفقاء السوء بعضهم يتولى بعضاً ويتبعوا بعضهم البعض في الرذائل والمعاصي والفجور والمنكرات ويقتدي بعضهم ببعض ويدافع بعضهم عن بعض بالباطل والزور ومصيرهم واحد في نار جهنم يوم القيامة {وَاللَّهُ} والله تعالى رب الكون ورب العالمين وخالق الخلق أجمعين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَلِيُّ} هو ولي

وناصر وهادي {الْمُتَّقِينَ} الذين يخافون عذابه ويرجون رحمته وهم الطائعون الذين يخافون الله تعالى ويؤدون فرائضه وأوامره ويجتنبون نواهيه ومحارمه وهم المؤمنون {هَذَا} هذا القرآن وهذا النصح وهذا الإرشاد {بَصَيْرٌ لِلنَّاسِ} موعظة وهدى وتبيان وتوضيح وشرح وإنارة الطريق للناس عامة {وَهْدًى} وهداية لهم {وَرَحْمَةً} رحمة يرحمهم الله بها فيدخل من يصدق به ويتبعه الجنة {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} لقوم وناس يصدقون بالله وملائكته ويؤمنون برسله وكتبه واليوم الآخر. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ﴾ ١١ ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١٢ ﴿

{أَمْ} هل {حَسِبَ} ظن وافتكّر {الَّذِينَ} من الناس {اجْتَرَحُوا} عملوا {السَّيِّئَاتِ} المعاصي والذنوب والآثام وأعمال الشر والكفر {أَنْ نَجْعَلَهُمْ} أن نساويهم في الثواب والعقاب {كَالَّذِينَ ءَامَنُوا} كالمؤمنين الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وكذلك عملوا الأعمال الصالحات من صلاة وزكاة وصوم وحج وصدقات وذكر وطاعات وأعمال الخير {سَوَاءً مَحْيَاهُمْ} سواء في حياتهم الدنيا حيث تكون حياة المؤمنين طيبة وسعيدة وفيها خير وبركة واطمئنان أما الكفار وأهل السوء والمعاصي والشر تكون حياتهم كلها شر ومعاص وذنوب ومعيشتهم ضنكاً فيسلط عليهم الهموم والأحزان والأمراض المستعصية كالأيدز والسرطان وخلافه ولم يكونوا في استقرار في حياتهم العائلية ولا الاجتماعية فالولد لا يتعرف على أبيه ولا أمه وكل لا يهتمه إلا نفسه خلافاً

للمؤمنين وتراحمهم وتوادهم {وَمَمَّا تُهِمُّ} وكذلك في مماتهم حيث يكون المؤمنون من أهل الجنة والكفار من أهل النار {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} ساء وقبح وأخطأ ظنهم وما يحكمون به بأنهم سيكونون أي الكفار مثل المؤمنين في الآخرة فالكفار لهم عذاب جهنم والمؤمنون لهم الجنة ونعيمها {وَخَلَقَ اللَّهُ} وأوجد الله تعالى بقدرته وحكمته {السَّمَوَاتِ} السموات السبع {وَالْأَرْضِ} التي نحن عليها ونراها ونعلمها {بِالْحَقِّ} بالعدل والصدق لا لعباً ولا لهواً {وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} ولتحاسب وتعاقب أو تثاب كل نفس بما عملت فإن كان خيراً وطاعات وأعمالاً صالحة وتقوى وصلاً وأداء الفرائض واجتناب النواهي تُجْزَى وتُكَافَأ وتُثَاب بالجنة خالدين فيها وإن فرط في جنب الله تعالى بالكفر والشرك والمعاصي والذنوب وأعمال الشر فمصيره العذاب في نار جهنم يوم القيامة خالداً مخلداً فيها {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} فلا يظلم الله تعالى أحداً فمن أطاع وعمل صالحاً دخل الجنة بعمله ومن عصى وأشرك فجزاؤه النار خالداً فيها فكلُّ يحاسب على عمله خيراً أو شراً والله لا يظلم أحداً فهو الحق وهو أعدل الحاكمين.

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

{أَفَرَأَيْتَ} أفعلمت يا محمد يا رسول الله {مَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ} من جعل إلهه ومعبوده {هَوْنَهُ} حسب أهوائه وشهواته وملذاته {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ} وزاده الله ضلالاً وبعداً عن اتباع الحق {عَلَىٰ عِلْمٍ} وهو مَنْ اتخذ إلهه هواه وحسب رغبته وإشباع شهوته كان عالماً بما يفعل وعلى علم بأن هذا حق وهذا باطل ولكنه أصرّ على المعصية والكفر والفجور والعناد وهو يعلم الحق من الباطل والصواب من الخطأ وكذلك أضله الله على علم من الله فقد عِلِمَ الله تعالى في علمه الأزلي أنه ضال وسيستمر في ضلاله ولن يرتدع ولن يقبل الحق ولا الهدى فزاده الله تعالى ضلالاً وبعداً عن الحق لقوله تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. {وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ} أي أقفل الله سمعه على ذلك لأنه لا يستمع للنصيحة أبداً لأنه جاحد مكابر ومغرور ومتكبر {وَقَلْبِهِ} وكذلك أقفل على قلبه لأنه لا يستجيب للهدى ولا للحق ولا لطريق الرشاد وكما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. {وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً} وجعل الله تعالى كذلك على بصره غطاءً وظلمةً من الكفر والمعاصي والعناد والجحود حيث كان ينكر أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فطلسمه الله وأعماه عن رؤية الحق وكما قال تعالى: " بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ١٤ المطففين. {فَمَنْ} مَنْ هو الذي {يَهْدِيهِ} يرشده لطريق الخير ويهديه للصواب {مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} من بعد أن أرسل الله تعالى له كتاباً فيه الحلال والحرام والحق والباطل والهدى والضلال وميز بينهم وأمر بالطاعات والعبادات وأعمال الخير ونهى عن

الفواحش والكفر والفسوق والعصيان وعن الشر كل هذا بيّنه في القرآن الكريم فمن أحسن من الله قليلاً ومن أفضل من الله حديثاً حتى يهديه أي إذا لم يهتد بكتاب الله وبارشاداته من هو الذي يستطيع هدايته أو عنده أفضل نصحاً وإرشاداً من الله تعالى ومن أفضل من الله وآياته وقرآنه للهدى {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أفلا تتفكرون وتتعظون بذلك أيها الناس جميعاً.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّتُوا بِغَابِئِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾

{وَقَالُوا} المشركون والكفار {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا} لا توجد عيشة ولا حياة غير هذه الحياة في الدنيا فقط ولا توجد آخرة هذا قولهم {نَمُوتُ وَنَحْيَا} نموت في الدنيا بعد حياتنا هذه ولا حياة بعدها فمن يمت لا يحيا أبداً {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} وما يميّتنا إلا الزمن طال أو قصر أي ينكرون الخالق الله عز وجل ويدّعون أن كل ما في الكون من خلق خلقتهم الطبيعة وكيف تُميّز الطبيعة أن هذه شمس وهذا قمر وهذا بحر وهذا جبل وهذه نجوم وهذه أمطار ورياح وهذا إنسان وهذا حيوان وإنما الخالق حقيقة هو الله الذي خلق الكون والسموات والأرض وما فيهما من دابة {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} وليس عندهم على ذلك علم ولا دليل ولا حقيقة ولا برهان لأنهم لم يشاهدوا خلق السموات والأرض ولا الشمس ولا القمر ولا خلق أنفسهم فمن أين أتوا بتلك الأقوال والدّعاوى الباطلة والكاذبة بأن الدهر والطبيعة هي التي خلقتهم وهي التي تميّتهم {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} إن هم إلا يشكون ويعتقدون ويتوهمون ذلك {وَإِذَا تُتْلَىٰ} وإذا تُقرأ {عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} آيات القرآن

الكريم واضحات ومعجزات ودامغة بالحق والعدل والصدق {مَا كَانَ حُجَّتِهِمْ} ما كان برهانهم ودليلهم {إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتُوا بِعَابِثٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إلا أن قالوا للمؤمنين وللرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هاتوا لنا آباءنا وأجدادنا السابقين والذين ماتوا إن كنتم صادقين وتقولون صدقاً بأنه هناك يوم القيامة وحساب وجزاء وعقاب وما الرسل إلا مبشرين ومنذرين فقط والله تعالى وحده الذي يحيي ويميت فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟! .

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْخَسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢٢)

{قُلِ} يا محمد يا رسول الله للكفار {اللَّهُ يُحْيِيكُمْ} الله تعالى وحده يحييكم فهو الذي يخلقكم من العدم ومن قبله لم تكونوا شيئاً {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} أي بعد انقضاء آجالكم يميتكم الله تعالى {ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ} ثم يحييكم ويبعثكم ويجمعكم في المحشر جميعاً في يوم القيامة وعندما تقوم الساعة {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه ولا كذب ولا دجل ولا مرأى ولا وهم بل حقيقة ويقين وصدق وعدل {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أكثر الخلق وأكثر الناس وغالبيتهم والسواد الأعظم منهم {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون أنهم يُبعثون بعد موتهم وسيحاسبون على كل صغيرة وكبيرة وأن هذا اليوم كما قال فيه كعب الأحبار تقرب فيه جهنم لها زفير وشهيق حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة فلم يبق نبي ولا شهيد إلا جثا على ركبتيه ساقطاً يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد يا رب لا أسألك إلا نفسي من عظيم هوله وشدته. [تنبيه الغافلين ص ٢٠]. {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} والله تعالى

رب الكون وخالق الخلق وإله العالمين ورب الأرباب له وحده ملك وميراث وحكم وامتلاك السموات السبع والأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها وهو وحده خالق ومالك السموات السبع والأرض {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} يوم القيامة {يَوْمَئِذٍ} في ذلك الوقت والحين {تَحْسُرُ} تكون الخسارة عليهم ويخسرون أنفسهم في نار جهنم ويهلكون في العذاب المهين {الْمُبْطِلُونَ} المكذبون والمدّعون باطلاً وكذباً وبهتاناً بأنه لا هناك لا حشر ولا يوم القيامة ولا حساب ولا عقاب ولا عذاب في جهنم وعندما يرونها رأي اليقين ورأي العين المجردة هنالك لا فائدة ولا نجاة ولا فرار فهنالك يخسر ويهلك المكذبون وهم الكفار والمشركون.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

{وَتَرَى} وتشاهد يا محمد يا رسول الله {كُلُّ أُمَّةٍ} كل أمة من الأمم السابقة واللاحقة من آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى كل أمة لوحدها {جَائِيَةً} مجتمعة في صعيد واحد تنتظر الحساب ومن شدة هول يوم الحساب يجثو الناس ويقعون على ركبهم ويبركون على ركبهم من شدة الخوف والهلع {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} كل أمة لوحدها تُدعى باسم كتابها فاليهود يدعون بالتوراة والنصارى بالإنجيل وأمة محمد صلى الله عليه وسلم تُدعى بأمة القرآن وكل أمة حسب ما فرطت من كتاب الله أو تمسكت به تحاسب فمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وعبد الله تعالى وحده ولم يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن أشرك بالله غيره وعمل المعاصي والذنوب والآثام وارتكب المحرمات يدخل النار يوم القيامة {الْيَوْمَ} يوم القيامة {تُجْزَوْنَ} تحاسبون وتعاقبون وتكافؤون على

حسب أعمالكم إن كان خيراً فالجنة وإن كان شراً فالنار {مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ما عملتم فمن عمل الأعمال الصالحة وأعمال البر والخير والطاعات وعبادة الله تعالى وحده يدخل الجنة خالداً مخلداً فيها ومن أشرك وعمل السوء والفحشاء والمعاصي وانتهك المحرمات والأعراض وارتكب المحرمات دخل النار نار جهنم خالداً مخلداً فيها كل على حسب عمله في الدنيا {هَذَا كِتَابُنَا} هذا كتاب الملائكة البررة والكرام الكاتبين الذين يسجلون فيه الحسنات والسيئات فقد كان لكل واحد منهم في الدنيا ملكان رقيب يسجل الحسنات وهو على الكتف الأيمن وهو مسئول عن الملك الذي على الكتف الشمال واسمه عتيد وعتيد يسجل السيئات فيوم القيامة يقول الله تعالى للناس لكل واحد منهم هذا كتابنا الذي كتبته وسجلته عليك الملائكة الكرام الكاتبين {يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} يقول عليكم الصدق والحق والعدل فلا يزيد ولا ينقص شيئاً من عملك ويسجل بالصوت والصورة وبالألوان عليك جميع حركاتك وسكناتك وهمساتك {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} إنا كنا نأمر الملائكة أن تنسخ وتكتب وتسجل عليكم كل شيء تعملونه في الدنيا من خير أو شر كبيراً أو صغيراً كما قال تعالى: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" ٤٩ الكهف.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ
 قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾

{ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } وهم المؤمنون والصالحون وهم من آمنوا
 وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الأعمال الصالحات
 والطاعات والعبادات وأعمال الخير في مرضاة الله تعالى { فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي
 رَحْمَتِهِ } فيدخلهم الله تعالى ويجعلهم في رحمته وفي عباده الصالحين ومعهم
 يدخلون الجنة { ذَٰلِكَ } هذا { هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ } هذا هو الفوز والنجاح العظيم من
 فاز ودخل الجنة { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } وأما من كفر وجحد وأنكر بوجود الله وحده
 وأنكر البعث والجزاء والحساب وأنكر يوم القيامة { أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ }
 يقيم الله تعالى عليهم الحجة أفلم تكن تتلى عليكم آيات الله تعالى وهي آيات
 القرآن الكريم وكتب الله تعالى الأخرى وهذا سؤال تقريع وتوبيخ أليس كانت تتلى
 عليكم آياتي وقرآني { فَاسْتَكْبَرْتُمْ } تعاليتم وتكبرتم وتعاضمتم وعاندتم وجحدتم بها
 { وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ } وكنتم بذلك وحق عليكم العقاب لأنكم مجرمون في حق الله
 تعالى وحقيرون وأجرمتم بالمعاصي والذنوب والآثام التي ارتكبتموها وأجرمتم بالكفر
 والشرك فمصيركم نار جهنم والمجرم هو مرتكب الذنب والذي حق عليه العقاب
 والعذاب لذنب ارتكبه وهم الكفار والمشركون.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٧﴾﴾

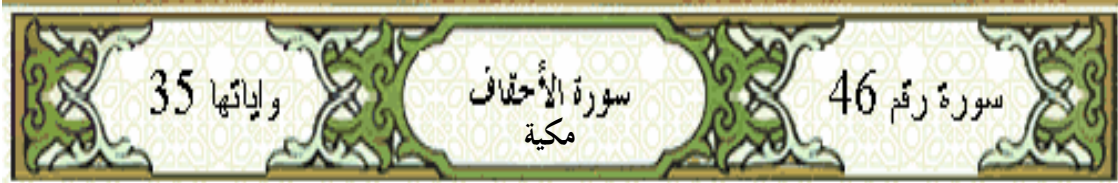
{وَإِذَا قِيلَ} وإذا قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للكفار {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} بأن وعده وهو يوم القيامة وهو يوم البعث من القبور أحياء للناس وللخلق جميعهم {وَالسَّاعَةُ} قيام القيامة {لَا رَيْبَ فِيهَا} لا شك ولا كذب ولا بهتان في قيامها وسيحاسب كلُّ على عمله خيراً أو شراً {قُلْتُمْ} قلتم أيها الكفار {مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ} ما نعرف ما هي الساعة وما شأنها {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} إن نشك إلا شكاً في حقيقتها أي غير واثقين منها {وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ} وما نحن بمتأكدين ولا متحققين ولا واثقين في قيامها أبداً {وَبَدَا لَهُمْ} ظهر لهم يوم القيامة {سَيِّئَاتُ} ذنب وسوء وقبح {مَا عَمِلُوا} ما عملوا في الدنيا من إشراك وكفر وفجور ومعاص وذنوب وطغيان {وَحَاقَ بِهِمْ} وأحاط بهم ونزل بهم وانقلب عليهم {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} ما كانوا به يكذبون ولا يصدقون ويستهزئون ويسخرون من البعث ومن يوم القيامة ومن الحساب والعقاب والعذاب في نار جهنم يوم القيامة.

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴾ ٢٤ ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُم أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ٢٥

{وَقِيلَ} يقول لهم الملائكة {الْيَوْمَ} يوم القيامة يوم الحساب والعقاب والجزاء والثواب {نَنسِفُكُمْ} نتناساكم من رحمة الله تعالى ومن عفوه ومن ثوابه {كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} كما نسيتم وتناسيتم لقاء ربكم في هذا اليوم يوم البعث يوم القيامة وتناسيتم وتجاهلتم هذا اليوم وهو يوم القيامة {وَمَاْوَاكُمُ النَّارُ} ومصيركم ومآلكم إلى نار جهنم {وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ} وليس لكم من ناصر ولا مساند ولا مدافع عنكم ولا حامي لكم ولا منقذ من عذاب الله تعالى ومن بطشه بكم ومن عذابه لكم في نار جهنم {ذَلِكُمْ بِأَنكُم} ذلك لأنكم {أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُواً} لأنكم اتخذتم آيات الله وقرآنه هزواً وسخرية ولم تصدقوا بها {وَوَغَرَّتْكُمْ} وألهتكم وخذعتكم {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} الدنيا بزينتها وزخرفها وملذاتها وشهواتها ونعيمها وترفها {فَالْيَوْمَ} يوم القيامة {لَا تُخْرَجُونَ مِنْهَا} أي لا يخرجون من نار جهنم ويخلدون فيها {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} ولا هم يعاتبون على شركهم وكفرهم حتى لا يخفف عنهم العذاب لأن العتاب بعده عفو ولكن الكفار لا يستعتبون أي لا يعاتبون على شركهم ولا على كفرهم ولا على أعمالهم القبيحة بل يعذبون في نار جهنم نكالاً لهم وعذاباً وتحقيراً لهم على كفرهم وعنادهم وغرورهم.

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٩﴾ ﴾

{فَلِلَّهِ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْحَمْدُ} الشكر والحمد والثناء
{رَبِّ السَّمَوَاتِ} إله السموات وخالقها وربها {وَرَبِّ الْأَرْضِ} وهو إله الأرض
وخالقها وربها {رَبِّ الْعَالَمِينَ} رب وخالق وإله العالمين ما في السموات وما في
الأرض ورب العالم كله قديمه وجديده وحديثه ورب جميع المخلوقات والكائنات
من ملائكة وإنس وجن وحيوانات وطيور وحشرات ونباتات وأشجار وبحار وحيثان
وأسمك ومكروبات وبكتيريا وجميع الخلق والبشر {وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ} له الكبرياء والعظمة والجلال والعزة والسلطان في السموات السبع وما
فيهن والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم
قدره وعز سلطانه {الْعَزِيزُ} العزيز والمنيع في ملكه وسلطانه {الْحَكِيمُ} وهي
مأخوذة من الحكمة ومن عمل الشيء على أحسن وأتقن وأفضل وجه والحكيم في
أوامره ونواهيه وفي أفعاله وأقواله وفي ملكه ومخلوقاته وفي تصرفاته وفي شئون الكون
والمخلوقات يدبر شئون كونه بالحكمة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

{حَم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" ٣ فصلت. وقوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ٢ يوسف. وقوله تعالى: "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تبارك وتعالى: " لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " ٧ يس. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} تنزيل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا ومن بيت العزة إلى قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {مِنْ اللَّهِ} تنزيل القرآن الكريم من عند الله تعالى رب الأرباب وخالق الكون وإله الأرض والسماء وتنزيل القرآن الكريم من قبله فهو الأمر بنزوله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزِ} العزيز والمنيع في كونه {الْحَكِيمِ} وهي مأخوذة من الحكمة ومن عمل الشيء على أحسن وأتقن وأفضل وجه والحكيم في أوامره ونواهيه وفي أفعاله وأقواله وفي ملكه ومخلوقاته وفي جميع تصرفاته وفي شئون الكون والمخلوقات يدبر شؤون كونه بالحكمة ولا يخطئ أبداً.

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾

{ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } ما خلق الله تعالى السموات السبع والأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها { وَمَا بَيْنَهُمَا } من شمس وقمر ونجوم وكواكب والرياح والسحاب والملائكة والجن والإنس والطير والحيوانات والمخلوقات التي تُرى أو لا تُرى كالميكروبات والبكتيريا وغيرهم من مخلوقات الله تعالى { إِلَّا بِالْحَقِّ } إلا بالحق والعدل والصدق لا لهواً ولا لعباً ولا عبثاً { وَأَجَلٍ مُّسَمًّى } وأجل محدد لعمر السموات والأرض والمخلوقات وهو إلى يوم القيامة ليحاسب الناس والمخلوقات على أعمالهم { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } والكفار وهم مَنْ كفر وجحد وأنكر وجود الله تعالى وحده لا شريك له وجحد وأنكر رسوله وأنكر يوم البعث والجزاء والحساب { عَمَّا أُنذِرُوا } بالذي أُنذروا وحُدِّثوا منه من الإشراك بالله تعالى ومن الحساب والعقاب يوم القيامة لمن كفر وعصى وعمل سوءاً { مُّعْرِضُونَ } تاركون خلف ظهورهم النصح والإرشاد والإنذار والتحذير الذي حذرهم منه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {مَا تَدْعُونَ} ما تعبدون وما تطلبون {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله من الأصنام والأوثان والأنداد {أَرُونِي} اجعلوني أنظر وأشاهد {مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} ماذا خلقوا وماذا صنعوا من الأرض وأوجدوا من العدم هل أوجدوا البحار والمحيطات وخلقوها هل خلقوا الجبال الرواسي أو خلقوا الحيوانات الكاسرة وغير الكاسرة أو خلقوا الأسماك والحيتان أو خلقوا الحشرات والهوام أم خلقوا الطيور والنسور أم خلقوا الأنهار والوديان أم خلقوا الأشجار والثمار {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ} أم هؤلاء الأصنام والأوثان والأنداد لهم شرك وشراكة في خلق السموات وهل خلقوا الشمس أو القمر أو النجوم أو الكواكب أو خلقوا الملائكة أو خلقوا السموات السبع ومن فيهن {أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا} أحضروا لي وهاتوا لي أي كتاب نزل قبل هذا القرآن يخبركم عن الأصنام والأوثان والأنداد أن لهم شركاً وشراكة في خلق السموات والأرض {أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ} أو آثار أو قليل من علم ومعرفة أو دليل أو برهان على صدق ما تدعون {إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في قولكم أنكم على علم وعندكم علم بذلك وأين لهم ذلك وهم يعلمون أن الله وحده هو خالق ملكوت السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب والحيوانات والطيور

والجن والإنس وجميع المخلوقات والملائكة وغيرهم من خلقه {وَمَنْ أَضَلُّ} ومن أكثر ضلالاً وأبعد عن الحق والهدى والصواب {مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ} ممن يعبد ويطلب من غير الله من الأصنام والأوثان والأنداد {مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ رَدٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ} من لا يلبي له طلباً أو يرد عليه إلى يوم القيامة إلى يوم البعث وحتى تقوم الساعة {وَهُمْ} الأصنام والأنداد والأوثان {عَنْ دُعَائِهِمْ} عن عبادتهم وعن مطلبهم وما يطلبوا منهم {غَفِلُونَ} غافلون لاهون لا يعلمون شيئاً لأنهم جمادات لا يسمعون ولا يعقلون ولا يفهمون {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ} وإذا بعث الناس يوم القيامة وحشروا في المحشر للحساب {كَانُوا} الأصنام والأوثان والأنداد {هُمْ} للكفار {أَعْدَاءُ} خصماء ويعادونهم ويخاصمونهم ويكذبونهم بأنهم عبدوهم حيث لم يطلبوا منهم أن يعبدوهم ويتركوا عبادة الله وحده حيث أنهم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يعقلون ولا يفهمون ولا يتحركون لأنهم جمادات لا تحس ولا تشعر ولا تسمع ولا تعقل {وَكَانُوا} الأصنام والأوثان والأنداد {بِعِبَادَتِهِمْ} بعبادة الكفار لهم أي للأصنام والأوثان {كُفَرِينَ} جاحدين ومنكرين ومكذبين حيث لا يعلمون ولا يفقهون ولا يسمعون ولا يعقلون.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} وإذا قرئت عليهم آيات كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم {بَيِّنَاتٍ} واضحات البيان وبالحجة الدامغة والدليل القاطع {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال الكفار وهم من جحدوا وأنكروا عبادة الله وحده وأنكروا وجحدوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا وكذبوا بالقرآن الكريم وبالיום الآخر {لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} للقرآن الكريم عندما أتاهاهم على لسان رسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {هَذَا} القرآن {سِحْرٌ مُّبِينٌ} سحر عظيم وكما قالوا لموسى ولجميع الأنبياء والرسل قبلهم {أَمْ يَقُولُونَ} أم يقول الكفار عن القرآن الكريم {افْتَرَاهُ} اختلقه وكذبه واخترعه وابتدعه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنِ افْتَرَيْتُهُ} إن كنت قد افتريته واختلقته وكذبتك {فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} فلا تستطيعون ولا تملكون حمايتي أو نجاتي من عذاب الله تعالى {هُوَ أَعْلَمُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أعلم وأخبر {بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ} بما تكثرُونَ فيه اللغو واللغو وتكثرُونَ فيه الحديث والكذب والادعاء والتحريض على معادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم {كَفَىٰ بِهِ} وكفى بالله تعالى {شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} شاهداً بيني وبينكم شاهداً على قراءتي للقرآن لكم وشاهداً عليكم بما كذبتكم به {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{الْغُفُورُ} لمن تاب وأناب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى {الرَّحِيمُ} والرحيم بمن صدق وآمن حيث يدخله الجنة يوم القيامة.

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٠١ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءَ فَقَا مَن وَاسْتَكْبَرْتُمْ ١٠٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠٣ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمكذبين برسالتك {مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ} ما كنت شاذاً عن الرسل ولا خارجاً على الرسل الذين أرسلوا من قبلي {وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} ولا أعلم ماذا يفعل الله بي ولا بكم لأن علم الغيب عنده وحده ولا أحد يتدخل في حكمه والأمر مفوض له إن شاء عذب وإن شاء عفا وإن شاء رحم فهو القاهر فوق عباده وهو القادر وهو المحيي والمميت فكل شيء بيده كما قال تعالى: " وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " ١٢٣ هود. {إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} أي لا أقول شيئاً من عند نفسي ولكن أقول ما يوحيه الله تعالى لي بواسطة جبريل عليه السلام وكما قال تعالى: " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ " ٥٠ الأنعام. {وَمَا أَنَا} وقل لهم يا محمد يا رسول الله وما أنا {إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} إلا محذر لكم واضح التحذير والتنبيه بَيِّنُ الدلالة والحجة الدامغة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ

بِهِ} إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَرْتُمْ بِهِ مَاذَا يَكُونُ مَصِيرُكُمْ فَطَبْعاً
النَّارُ وَلَا يَنْفَعُكُمْ النَّدَمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حُجَّةٌ بِالْغَةِ عَلَى مَنْ يَكْذِبُ
أَحَادِيثَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَقُولُ عَنْهَا أَحَادِيثَ ضَعِيفَةً أَوْ مَوْضُوعَةً
حَيْثُ لَا بَرَهَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ وَلَمْ يَخْبِرْهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ
وَلَا ضَعِيفَةٌ وَلَمْ يَأْتِ بِشَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ يَقُولَانِ لَهُ هَذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ وَرَأَيْنَا مَنْ
وَضَعَهُ بِأَمْرِ أَعَيْنَنَا اللَّهُ إِلَّا أَنْ عَقَلَهُ لَا يَسْتَسِيغُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَوْ
كَانَ بِالْقِيَاسِ لِمَسَحَتْ الْخُفَّ مِنْ أَسْفَلِهِ لِأَنَّ السَّنَةَ أَنْ يُمَسَّحَ الْخُفَّ مِنْ أَعْلَاهُ عِنْدَ
الْوُضُوءِ وَلَيْسَ مِنْ أَسْفَلِهِ كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَنْ بَلَغَهُ عَنْ إِسْرَاءِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ
الصَّالِحُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ قَرِيشٌ فَلَمْ يَقُلْ هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ أَوْ مَوْضُوعٌ لِأَنَّكُمْ كُفَّارٌ بَلْ
قَالَ وَاللَّهِ لَنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَّقَ وَلَيْسَ أَدْلُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ الشَّيْطَانَ الَّذِي كَانَ
يَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ مُوَكَّلَ عَلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَأَرَادَ أَخْذَهُ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ هَلْ أَعْلَمُكَ شَيْئاً تَقْرَأُهُ فِي لَيْلَتِكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ
مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ وَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِذَلِكَ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ) أَيَّ مَعَ أَنَّهُ كَاذِبٌ إِلَّا أَنْ
كَلَامَهُ صَدَقَ زِيَادَةً عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقُلْ هَذَا الْحَدِيثَ قَبْلَ
ذَلِكَ لِأَحَدٍ وَلَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَهُ لِأَنَّهُ حَقٌّ وَفِي الْحَدِيثِ: (الْحِكْمَةُ ضَالَةٌ
الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا). {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ
فَقَامَ} وَاعْتَرَفَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَشَهِدَ عَلَى صَحْتِهِ وَصَحَّةِ الرِّسَالَةِ فَقَالَ
بَعْضُ الْمُفْسِّرِينَ هُوَ الْحَبْرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ حَبْرُ الْيَهُودِ قَدْ أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ وَهَذَا
مُخَالَفٌ لِلْوَقَائِعِ حَيْثُ هَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ وَأَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِي الْمَدِينَةِ أَمَّا

الصواب هو صاحب يس وهو حبيب الذي قص الله تعالى قصته في سورة يس وهي
 مكية في قوله تبارك وتعالى: " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ
 اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {٢٠} اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ {٢١} وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ
 الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢٢} أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا
 تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ {٢٣} إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {٢٤} إِنِّي آمَنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ {٢٥} " ٢٥-٢٠ يس. وهو الذي شهد على مثل رسالة محمد صلى
 الله عليه وسلم وآمن بالله وبرسوله {وَأَسْتَكْبِرُتُمْ} أي تعاليتم وتعاظمتم وجحدتم
 وأنكرتم ولم تؤمنوا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} إن الله لا يهدي القوم
 الظالمين وهم الكفار والذين أشركوا الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر وأشركوا مع
 الله غيره كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى:
 " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وظلموا أنفسهم لأنهم سيعذبون في نار جهنم
 يوم القيامة وظلموا غيرهم بالتجبر والبغي والظلم والحقد والحسد والكبر وأطلقوا
 لأنفسهم العنان في المعاصي والكفر والفجور والغرور والفساد والشر والخصام والعناد
 فهؤلاء يزيدهم الله في طغيانهم يعمهون استدراجاً لهم ليزدادوا في المعاصي والكفر
 حتى يحاسبهم فيما ارتكبوه في جنب الله تعالى يوم القيامة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ
مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُذْشِرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال الكفار وهم الذين كفروا بما أنزل على سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم {لِلَّذِينَ آمَنُوا} للمؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه
ورسله {لَوْ كَانَ خَيْرًا} لو كان اتباع محمد خيراً وفيه خير {مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} ما
سبقنا المؤمنون إلى التصديق برسالته وبالقرآن أي يتوهمون أنهم على حق وعلى
صواب والمؤمنين على باطل هذا ظنهم وهذا تخيلهم وقد خاب ظنهم {وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا بِهِ} وهم حيث لم يهتدوا ولم يرشدوا إلى طريق الصواب بنزول القرآن
وضلوا {فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} فعندها نتيجة عدم اهتدائهم وتصديقهم
بالقرآن سوف يقول الكفار هذا إفك وتخريف وكذب وخرافة قديمة {وَمِنْ قَبْلِهِ}
وجاء قبله {كَتَبْتُ مُوسَىٰ} وهو التوراة {إِمَامًا} يؤتم ويقتدى به {وَرَحْمَةً} لبني
إسرائيل إذا اتبعوه حيث ينجو من اتبعه من النار يوم القيامة {وَهَذَا} القرآن
الكريم {كَتَبْتُ} كتاب الله وقرآنه {مُّصَدِّقٌ} مصدق بالكتب السماوية التي جاءت
قبله {لِّسَانًا عَرَبِيًّا} أي جاء بلسان لغة العرب وبالفصحى {لِّيُنذِرَ} ليحذر وليعظ
ولينبه {الَّذِينَ ظَلَمُوا} الكفار والمشركين وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر
وأشركوا مع الله غيره كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما
قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وظلموا أنفسهم لأنهم سيعذبون في
نار جهنم يوم القيامة وظلموا غيرهم بالتجبر والبغي والظلم والحقد والحسد والكبر

فَاللَّهُ يَزِيدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {وَدُشِّرَى} أَي يَبْشُرُ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ {لِلْمُحْسِنِينَ} الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُمْ الصَّالِحُونَ وَالْمُتَّقُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} وَهُمْ الَّذِينَ شَهِدُوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَشَهِدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودٌ سِوَاهُ {ثُمَّ اسْتَقَمُوا} ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى الطَّاعَةِ لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا خَشْيَةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ الْجَنَّةُ مُصِيرُهُمْ وَمَأْلَهُمْ {أُولَئِكَ} هَؤُلَاءِ هُمْ {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا {خَالِدِينَ فِيهَا} دَائِمِينَ فِيهَا وَفِي نَعِيمِهَا {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بِمَا عَمَلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ
 ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي
 فِي ذُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
 مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا
 يُوعَدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

{وَوَصَّيْنَا} أمرنا وأرشدنا ونصحنا {الْإِنْسَانَ} أي ابن آدم وسمي بالإنسان لأنه
 ينسى دائماً وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
 عَزْماً " ١١٥ طه. {بِوَالِدَيْهِ} بوالده ووالدته {إِحْسَانًا} لطفًا وجمالًا ومعاشرة
 حسنة وإنفاقًا عليهما وهنا معنى إحساناً أي إلزاماً بالإحسان وليس صدقة كما يظن
 البعض لأن عقوق الوالدين من الكبائر وكما قال تعالى: " فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا
 تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " ٢٣ الإسراء. والقول الكريم قول يليق بهما على
 رعايته وتربيته وهو صغير يبول على نفسه وعلى فراشه كما قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ
 ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " ٢٤ الإسراء. وكما قال تعالى: " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا
 حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ
 إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " ١٥١ الأنعام. {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ} أي في أشهر الحمل
 التسعة وهو في بطنها جنيناً {كُرْهًا} أي تعباً وضعفاً ومشقة وعناء والمأ أي وهي
 مكرهة على ذلك وغصباً عنها {وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} أي ولدته كذلك بتعب ومشقة وألم
 وهي مكرهة على ذلك وغصباً عنها وكما قال تعالى في آية أخرى: " وَوَصَّيْنَا
 الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ " ١٤ لقمان. {وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ} ثَلَاثُونَ

شَهْرًا} أي مدة الحمل وهو جنين في بطن أمه ورضاعته تستغرق ثلاثين شهراً أي عامين ونصف العام. قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضي الله سبحانه وتعالى فيّ ما شاء فلما أتى بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فأتاه فقال له ما تصنع؟ قال ولدت تماماً لستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول: " وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا " وقال: " حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ " فلم نجد له بقي إلا ستة أشهر قال فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا! عليّ بالمرأة فوجدوها قد فُرِغَ منها قال فقال معمر: فوالله ما الغراب بالغراب ولا الببيضة بالببيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ما زالت تأكله حتى مات. [رواه ابن أبي حاتم - ابن كثير ج ٤ ص ١٥٧]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى يقول: " وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا " وكما قال تعالى في آية أخرى: " وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ " ١٤ لقمان. {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} أي بلغت قوته أشدها وعظمتها وقوتها {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} أي بلغ ووصل عمره وسنه أربعين عاماً حيث الكمال

في القوة والعقل والجسم والحكمة في الأمور وعدم التسرع وفي الحديث ذكر المناطى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يميز الغلام لسبع سنين ويحتلم في أربع عشرة ويتم طوله لإحدى وعشرين ويتم عقله لثمان وعشرين ثم لا يزداد بعد ذلك عقلاً إلا بكثرة التجارب). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٨].

ويلاحظ أن الرسالة نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الأربعين {قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي} قال رب اجعلني وساعدني ووفقني {أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي} أن أشكر وأحمدك على نعمتك وفضلك وكرمك ومثلك من الصحة في الأهل والبدن والدين والأولاد والزوجة التي أنعمت عليّ وعلى والديّ من التقوى والصلاح والهداية لدين الحق ودين الإسلام {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} وأن أعمل صالحاً وطيباً وكراماً من الخير والطاعات ترضاه وتتقبله مني {وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} أصلح شأن ذريتي وأولادي في دينهم ودنياهم {إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ} إني ندمت ورجعت إليك في أن تقبل توبتي وندمي {وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} وإني رضيت أن أكون من المسلمين الذين أسلموا دينهم إليك واتبعوا دين الإسلام {أُولَئِكَ} هؤلاء هم {الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ} الذين نتقبل منهم {أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} أفضل ما عملوا من الخير والطاعات والعبادات {وَوَتَجَاوَزُ} ونعفو {عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ} عن ذنوبهم الذين اقترفوها {فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} ممن هم أصحاب الجنة ومن بين أصحاب الجنة {وَعَدَ الصِّدْقِ} وعد الحق لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد {الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} كانوا يوعدون بدخول الجنة لتوبتهم ولعملهم الصالح ودخولهم الإسلام.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهٗ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي
وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٨﴾﴾

{وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهٗ} أي كل من قال لوالديه {أُفٍّ لَّكُمَا} قبحاً لكما {أَتَعِدَانِي} أنتتوعداني {أَنْ أُخْرَجَ} أن أبعث حياً بعد موتي يوم القيامة أي ينكر البعث يوم القيامة {وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي} وقد مرت القرون الطويلة من قبلي ولم يحيا أحد ولم يصدقكم أحد أي يكذبهم بأن هناك بعث وحساب يوم القيامة {وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ} أي والوالدان يستغيثان الله أن يهديه لعبادة الله وحده {وَيْلَكَ ءَامِنْ} يا ويلك من الله ومن عذابه آمِن بالله تعالى وَصَدَّقَ {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} إن وعد الله بيوم القيامة وأن هناك حساب وثواب فالثواب للطائع والعقاب للعاصي والمشرِك والمكذب {فَيَقُولُ} فيرد على والديه قائلاً {مَا هَذَا} ما هذا القول الذي تقولانه {إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ} إلا كذب السابقين وتخريفهم وخرافاتهم {أُولَٰئِكَ} أي هؤلاء {الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} هم الذين حق ووجب عليهم العذاب {فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ} قد مضت ومرت وفاتت {مِنْ قَبْلِهِمْ} قد سبقتهم للموت والعذاب {مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ} من الثقليين وهم الجن أولاد إبليس من العصاة والانس أولاد آدم ممن عصى وكذب بيوم البعث {إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ} إنهم كانوا هم الخاسرين يوم القيامة ويفقدون أنفسهم وأهليهم في نار جهنم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَفْسُقُونَ ﴿١٠٠﴾

{وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ} أي لكل فئة وفريق ولكل شخص ولكل إنسان درجات ومنازل
وبحسب عمله تكون الدرجة والمنزلة {مِّمَّا عَمِلُوا} من أعمال الخير أو أعمال الشر
{وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ} وليجازيهم على أعمالهم إن كانت من أعمال البر والخير
والطاعات والعبادات يدخلون الجنة وإن كانت من أعمال الشر والمعاصي والآثام
والكفر يدخلون النار فكلُّ درجته على حسب عمله إن كان في الجنة فالجنة مراتب
وإن كان في النار ففي النار دركات {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وهم لا يُظلمون أعمالهم بل
يحاسبون عليها ولا ينقص من حسناتهم ولا من سيئاتهم مقدار نقيير أو قطمير.
والنقيير هو النقطة على نواة البلح والقطمير هو الغشاء الأبيض الرقيق الذي يحيط
بنواة البلح أو التمر {وَيَوْمَ} أي يوم الحساب والعقاب والجزاء وهو يوم البعث أي
يوم القيامة {يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} يوقفون للعرض على النار {أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} تقول لهم الملائكة للكفار وهم أصحاب النار عند
دخولهم فيها لقد أذهبتم حسناتكم في حياتكم الدنيا ولم تعملوا للآخرة {وَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِهَا} بدلاً من الأعمال الصالحات والطاعات استمتعتم بالشهوات والملذات
والمحرمات {فَالْيَوْمَ} أي في هذا اليوم وهو يوم القيامة {تُجْزَوْنَ} تستحقون الجزاء
على عملكم {عَذَابَ الْهُونِ} وهو عذاب الهوان والمذلة والإهانة {بِمَا كُنْتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ} بما كنتم تستكبرون في الأرض عن عبادة الله وحده
وتستكبرون عن الصلاة ولم تؤدوها وعن الزكاة ولم تخرجوها وعن الصوم فلم تصوموا
وعن الحج فلم تحجوا وتجبرتم على عباد الله وظلمتم {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بغير حق {وَبِمَا
كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} وبما كنتم تعملون من الفسق والفجور والمعاصي والذنوب والآثام
وتعصون الله في أرضه وتحت سمائه.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا
لِتَأْتِيَنَا عَنْ ءَاهِلِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ
اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾

{وَأَذْكُرْ} وتذكر يا محمد يا رسول الله {أَخَا عَادٍ} هود عليه السلام أرسل رسولا
إلى قومه قوم عاد {إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ} عندما أنذرهم يوم القيامة ويوم الحساب وعذاب
الله تعالى لمن كفر وعصى الله تعالى {بِالْأَحْقَافِ} بوادٍ بحضرموت باليمن يُدعى
برهوت تلقى فيه أرواح الكفار قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. [ابن كثير
ج ٤ ص ١٦٠]. أي أنذر قومه عاداً وهم يسكنون الأحقاف أي يسكنون بواد باليمن
بحضرموت {وَقَدْ خَلَّتِ} أي لا توجد هناك في تلك المدة {الْنُّذُرُ} الرسل الذين
ينذرون قومهم ويحذرونهم من عذاب يوم القيامة {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ} من قبله من مدة
طويلة {وَمِنْ خَلْفِهِ} ومن بعده لمدة طويلة {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} وكانت رسالته
أي هود عليه السلام هي أن تعبدوا الله وحده وتدعوا عبادة الأصنام والأوثان {إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ} أخشى أن يصيبكم {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} عذاب الله تعالى يوم

القيامة {قَالُوا} أي قال قوم عاد وهم قومه قالوا لنبيهم ورسولهم هود عليه السلام {أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا} لئلا تمنعنا وتصدنا وتبعدنا وتضلنا {عَنْ ءَاهِتِنَا} عن عبادة آلهتنا وهي الأصنام والأوثان {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} أي لم يصدقوه وطلبوا منه أن يأتيهم بما وعدهم وهو عذاب الله تعالى {إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ} إن كنت في ادّعاك صادقاً تقول أن هناك إلهاً غير آلهتهم وأنه سيعذبهم إن لم يؤمنوا {قَالَ} قال هود عليه السلام لقومه {إِنَّمَا أَلِئِمُّ عِنْدَ اللَّهِ} أي الله وحده هو الذي يعلم إن كنت صادقاً أم كاذباً عليكم {وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} وعملي هو أن أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم من الرسالة وهي عبادة الله تعالى وحده {وَلَيْكِنِّي أُرْكَمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} ولكن للأسف أرى أنكم قوم لا تعرفون الحقيقة وجهلاء بيوم القيامة وبعذاب الله تعالى.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

{فَلَمَّا} عندما {رَأَوْهُ} أي رأى قوم عاد ما طلبوه من نبيهم هود عليه السلام أن يأتيهم به من العذاب إن كان من الصادقين والهاء عائدة على ما طلبوه من العذاب في قولهم " فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا " {عَارِضًا} أي غيماً كثيفاً مستعرض السماء وقد ملأها وسد الأفق {مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ} متوجهاً إلى أوديتهم ومتجهاً نحوهم {قَالُوا} قالت عاد قوم هود عليه السلام {هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا} هذا سحب سيمطرنا ويسقي زرعنا {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} لا بل هو عذاب استعجلتموه وطلبتم من هود

عليه السلام أن يرسله عليكم {رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} ريح عاصفة وفي آية أخرى صرصر عاتية أي ريح عاصفة باردة شديدة البرودة وهي فيها عذاب أليم وموجع لهم {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ} تهلك وتقتل كل شيء من النبات والإنسان والحيوان {بِأَمْرِ رَبِّهَا} أي مرسله بأمر ربها وإذنه وحكمه {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ} فأصبحوا موتى ولم يبق من رؤية شيء لهم إلا مساكنهم خاوية من الحياة {كَذَلِكَ} وهكذا {نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} نجازي ونحاسب القوم المجرمين في حق الله تعالى وفي حق رسولهم عندما يكذبونه أي هكذا مصير كل من أجرم في حق الله تعالى بالمعصية والكفر والشرك والتكذيب.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ} ولقد أعطيناكم وملكاناهم {فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} في الذي مكناكم فيه وملكاناكم إياه من قوة ومال ومتاع وأزواج وأولاد وزراعة ومساكن وقصور وملابس وطعام وشراب وقوله سبحانه وتعالى " إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ " أي كل شيء بأمرنا فالله تعالى هو المعطي والرازق وهو المانع وليس بقوتكم ولا بشطارتكم وكل شيء بأمره وإرادته {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا} أي أذنان يسمعون بها {وَأَبْصَرًا} وأعينا يبصرون بها {وَأَفْئِدَةً} وقلوباً يعون بها الحق والصحيح من الباطل والقبيح {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ} فلم تغن ولم ينفعهم سمعهم وآذانهم حيث لم يسمعوا بها الحق ولا أبصارهم حتى يروا النور والهدى ولا أفئدتهم حتى يعقلوا الحق والصواب وعبادة الله وحده {مِنْ شَيْءٍ} لم تنفعهم شيئاً {إِذْ كَانُوا

تَجْحَدُونَ} لأنهم كانوا يجحدون وينكرون ويكذبون {بِغَايَةِ اللَّهِ} بمعجزاته وبآيات قرآنه {وَحَاقَ بِهِمْ} وأحاط بهم ورجع عليهم {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} ما كانوا به يستهزئون ويكذبون ويسخرون وهو عذاب الله تعالى في نار جهنم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَٰهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۖ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ} أي لقد كان أن أهلكنا وأمتنا وعذبنا من كان حولكم من القرى كقوم نوح أغرقوا وقوم لوط خسف الله بهم الأرض وجعل عاليها سافلها وقوم عاد أهلكهم الله هم وقوم ثمود وهكذا {وَصَرَّفْنَا} عملنا {الْآيَاتِ} المعجزات والدلالات الواضحات والبيّنات {لَعَلَّهُمْ} عسى وعلّ {يَرْجِعُونَ} يرجعون إلى رشدهم وإلى صوابهم وإلى الحق ولكنهم لم يرجعوا {فَلَوْلَا} أفلا {نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ} أفلا نصرهم ونجدهم وأغاثهم الذين أشركوهم مع الله وكفروا بالله واتخذوهم غير الله إلهاً وهم الأصنام {قُرْبَانًا ءِلَٰهَةً} اتخذوا الأصنام قريبي لهم كما قال تعالى: " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ " ٣ الزمر. {بَلْ} ولكن {ضَلُّوا عَنْهُمْ} ضاعوا عنهم وتاهوا ولم يجدوهم {وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ} وهذا كذبهم وتخريصهم واختلاقهم {وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} وما كانوا يكذبون ويختلقون عن الأصنام بأنها آلهة لهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا^ط فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَتُجْرَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ لَا يُحِب دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ^ج أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٩﴾﴾

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ} وإذ أرسلنا إليك يا محمد يا رسول الله {نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ} والنفر الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة وفي العامية يجوز أن يكون النفر شخصاً واحداً ويجوز أن يكون أكثر من شخص وذلك حسب السياق وكما في الإنس رجال ففي الجن رجال كما قال تعالى: " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " ٦ الجن. وكذلك لهم ذرية كالإنس كما قال تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " ٥٠ الكهف. فهم مثلنا تماماً في بعض الصفات في الأكل والشرب والزواج والخلفة من الذرية من الأولاد والموت فهم يموتون وهم يسمعون ويرون ويتحدثون ولكنهم يختلفون عنا في أمور كالأكل وكميته وفي القوة كما قال تعالى عن قوتهم في حمل عرش بلقيس التي كانت ملكة سبأ باليمن وأرادوا إحضار عرشها إلى فلسطين بالقدس لسيدنا سليمان: "قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" ٣٩ النمل. وكذلك أنهم كانوا يصعدون إلى السماء ويسترقون السمع وكذلك أنهم يتشكلون بأشكال وعلى صفات متعددة ويأتون على صفات الرجال أو الحيوانات

كالكلاب والقطط والثعابين وكذلك عدم رؤيتهم بالعين المجردة إلا إذا هم أظهروا أنفسهم لبعض الناس وكما قال تعالى: " إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ " ٢٧ الأعراف. وأنهم يستطيعون السيطرة على الإنسان في حالات حتى يصبح مجنوناً ويتلبسونه كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ " ٢٧٥ البقرة. وفي الحديث أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. وقصصهم في هذا كثيرة وكذلك بالسحر يفرقون بين المرء وزوجه ويُربط الرجل ويُمنع من جماع زوجته إلى آخر الأشياء التي يعلمها الناس جيداً ومن الجن مؤمنون ومسلمون ومنهم كفار ونصارى وغير ذلك كما قال تعالى: "وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا" ١١ الجن. وقيل أن عدد النفر من الجن الذين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة هم سبعة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ " كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسي وحسي ومنيثي وشاضر وماضر والأردنيان والأحقم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصيان وكانوا أكثر الجن عدداً وأشرفهم نسباً وهم كانوا عامة جنود إبليس. [ابن كثير ج ٤ ص ١٦٧]. وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنهم كانوا تسعة أحدهم زوبعة. [ابن كثير ج ٤ ص ١٦٧]. {يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} يسمعون وهو يُتلى من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو يصلي العشاء الآخرة وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم (قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً) وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ " وإنما أوحى إليه قول الجن. [رواه البخاري عن مسدد بنحوه - ابن كثير ج ٤ ص ١٦٣]. { فَلَمَّا حَضَرُوهُ } فلما حضرت الجن قراءة القرآن واستمعوا له قالوا لبعضهم { قَالُوا أَنْصِتُوا } أي استمعوا لقراءته { فَلَمَّا قُضِيَ } فلما انتهى صلى الله عليه وسلم من قراءته { وَلَوُوا إِلَى قَوْمِهِمْ } انصرفوا قافلين إلى قومهم { مُنْذِرِينَ } أي منذريهم من الشرك بالله ومن المعاصي وأن يؤمنوا بالله وحده { قَالُوا } قالت الجن أي من حضر منهم لتلاوة القرآن { يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى } إنا سمعنا القرآن وقد أنزل من بعد كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة { مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدِيهِ} أي هذا الكتاب وهو القرآن الكريم جاء مصداقاً ومؤيداً ما بين يديه أي ما قبله من الكتب السماوية {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} يهدي إلى الحق والعدل والصواب {وَالْإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} وإلى الطريق السليم {يَقُولُ أَفَرَأَادُ الْجَنِّ لِقَوْمِهِمْ وَقَبِيلَتَهُمْ يَا قَوْمُنَا وَيَا قَبِيلَتُنَا وَيَا أَهْلَنَا} {أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} استجيبوا ولَبَّوْا نداء الداعي إلى الله وحده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أي صدقوه وأطيعوه واتبعوه {وَأَمِنُوا بِهِ} آمنوا به وبرسالته الحق {يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ} يعفو ويسامح ويغفر ويتجاوز عن ذنوبكم التي ارتكبتموها {وَيُخْرِجْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} ويمنعكم ويحفظكم ويحميكم ويدرك عنكم عذاب جهنم وهو أليم موجه {وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ} ومن لم يستجب ولم يصدق ولم يؤمن بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه {فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} فليس بمعجز الله ولا مانعه من عذابه في الأرض {وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ} وليس لمن عصى الله ورسوله غير الله أولياء يتولونه ويمنعونه ويحفظونه من عذاب الله {أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} هؤلاء الذين لم يصدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يتبعوه ولم يؤمنوا به هم في ضلال وغي وابتعاد عن الحق مبين وواضح وبين. قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ فقال ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال: (إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم

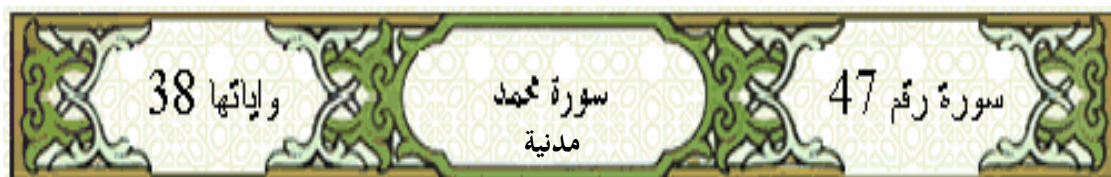
فقرأت عليهم) قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال قال الشعبي سألوه الزاد قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال: (كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بكرة أو روثة علف لدوابكم) قال: (فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن). [وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه - ابن كثير ج ٤ ص ١٦٤].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾

{أَوَلَمْ يَرَوْا} أولم ير الناس والكفار وينظروا ويشاهدوا {أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} أن الله تعالى رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن {وَلَمْ يَعْ} ولم يتعب {بِخَلْقِهِنَّ} بخلقهن من العدم وإيجادهن من لا شيء {بِقَدْرِ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} بقادر يوم القيامة على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم كأول مرة خلقهم {بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} بلى قادر لأنه على كل شيء قدير يقول للشيء كن فيكون {وَيَوْمَ} يوم القيامة {يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} يوقفون للعرض على جهنم {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ} أليس هذا العذاب في النار في يوم القيامة بالحق والصدق حيث رأيتموه بأم أعينكم {قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا} أقسموا بالله أنه حق وصحيح واعترفوا بذنبهم {قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} أي ذوقوا وأحسوا واشعروا بعذاب جهنم ونارها وويلها وثبورها بما كنتم تكذبون في الدنيا وتكفرون وتكذبون بالله وبرسوله وبيوم البعث ويوم القيامة.

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلُغٌ فَبَلَّغَ يَهُلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

{ فَاصْبِرْ } يا محمد يا رسول الله تحلى بالصبر { كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } أولو الصبر والجلد والشدة والعزم والقوة من الأنبياء المرسلين وهم (نوح) عليه السلام و(إبراهيم) و(موسى) و(عيسى) عليهم الصلاة والسلام { وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } ولا تطلب عاجل العذاب لهم لأنه آتيهم لا محالة وكما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل. { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ } كأنهم عندما يرون الساعة والقيامة والعذاب { لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ } وكأنهم لم يلبثوا ولم يعيشوا في هذه الدنيا إلا ساعة واحدة من نهار يوم الدنيا لقصر عمرها { بَلُغٌ } أي إعلان وإنذار وليبلغه الناس بعضهم لبعض { فَهَلْ يُهْلِكُ } فلا يهلك أحد { إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } إلا القوم العاصون الخارجون على حدود الله وأوامره.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ① وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ② ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ③﴾

{الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم من كفر بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن برسالته {وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} منعوا الناس من الإيمان {أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} أبعدوها عن الحق وأبطلها وأفسدها وأتلفها وسهل لهم طريق الضلال كما قال تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ " ٢٠ الشورى. {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدقوا بالرسالة {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا أعمال الخير والبر والتقوى والأعمال الصالحات والطاعات {وَوَدَّعَمُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} وآمنوا وصدقوا بالقرآن الكريم {وَهُوَ الْحَقُّ} الصدق والحق والعدل والصواب {مِنْ رَبِّهِمْ} وهو منزل حقاً من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} غفر وعفا ومحا ذنوبهم وآثامهم {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} طيب نفوسهم وأنزل عليهم السكينة والاطمئنان وأصلح من شأنهم ومن أمرهم ومن حالهم ومعيشتهم {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} وذلك أن الذين كفروا برسالة سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم {اتَّبِعُوا الْبَاطِلَ} اتبعوا الضلال والخطأ {وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} والذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون {اتَّبِعُوا الْحَقَّ} اتبعوا الصواب والرشاد {مِنْ رَبِّهِمْ} وهو مرسل من ربهم {كَذَلِكَ} وكذلك {يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ} يضرب الله أمثلة للناس على من يتبع الحق ومن يتبع الباطل. أخرج أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحة من حديث أبي موسى الأشعري قال: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله فيقول: (يهديكم الله ويصلح بالكم). [سبل السلام ج ٤ ص ١٥٠].

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَثًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ﴾

{فَإِذَا لَقِيتُمُ} فإذا تواجهتم أيها المؤمنون ولقيتم {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من كفر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقها {فَضَرْبَ الرِّقَابِ} فعليكم بالسيوف وقاتلوا الكفار واقتلوهم أي حاربوهم فوراً {حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمُوهُمْ} حتى إذا أتعبتموهم وأرهقتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراح {فَشُدُّوا الْوَتَاقَ} الوثاق وهو الحبل الذي تقيد به الدابة أي ضيقوا عليهم المنافذ والسبل وضيقوا عليهم الخناق وحاصروهم حتى لا يجدوا مكاناً للفرار وهذا أمر من الله تعالى بعدم التهاون في محاصرة العدو وتضييق الخناق عليه حتى يستسلم أو يقتل {فَإِمَّا مَثًّا بَعْدُ} فإذا استسلم العدو لكم فعندها إما العفو عنهم بإطلاق سراحهم كبنت حاتم الطائي عندما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فيما قالت كان أبي يقري الضيف ويطعم الطعام فقال لها لو

كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه وأطلق سراحها {وَأَمَّا فِدَاءٌ} وإما يدفعوا الفدية في مقابل فكهم من الأسر أو بعثت الأمة ويكون عتقها مهرها وصادقها فيكون فداؤها زواجها في مقابل عتقها كما أعتق صلى الله عليه وسلم زوجته صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي بعد أسرها أو يكون الفداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر بأن جعل كل من يعلم عشرة من المسلمين يفدي نفسه {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} أي ضرب الأعناق والقتال بالسيف وتضييق الخناق على العدو ومحاصرته حتى تقف وتنتهي المعركة بالنصر وتنتهي الحرب. وأوزارها أحمالها وأثقالها ومشاقها ومتاعبها وويلاتها وهمومها وأحزانها ومصائبها. وهذا مقصود به انتهاء وتوقف الحرب والمعركة القائمة في تلك المدة وليس معناه أن الحرب انتهت إلى ما شاء الله لا بل هذا لكل حرب ابتداء وانتهاء ثم تقدم حرب أخرى لها ابتداء وانتهاء وهكذا وليس انتهت الحرب بنزول هذه الآية إلى يوم القيامة بل هذه لكل حرب طارئة على موضوع معين أو أرض معينة أو حدود أو أموال أو تجارة أو انتهاك حقوق ولذلك نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحروب مستمرة من عهد قابيل وهابيل إلى يومنا هذا لا تنتهي كما قال تبارك وتعالى: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" ٣٦ البقرة. وفي الحديث قال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم ابن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال إن سلمة ابن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت: لا قتال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك

ألا إن عقد دار المؤمنين الشام والخيـل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).
 [وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبـير بن نـفـير عن سلمة ابن نفيل السـلوى به
 - ابن كثير ج ٤ ص ١٧٣]. وقال أبو القاسم البغوي: وقال أبو القاسم البغوي حدثنا
 داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبـير بن محمد بن مهاجر عن الوليد ابن عبد
 الرحمن الجرشي عن جبـير بن نـفـير عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال لما
 فُتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فقالوا يا رسول الله سيبت الخيل
 ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لا قتال قال صلى الله عليه وسلم:
 (كذبوا الآن جاء القتال لا يزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم
 حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وعقد دار المسلمين بالشام). [وهكذا رواه الحافظ
 أبو يعلى الموصلي عن داود بن رشيد به والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نفيل كما
 تقدم - ابن كثير ج ٤ ص ١٧٣]. {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ} ومع ذلك لو يشاء الله ويريد
 وهو القادر " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ " {لَا نَتَصَرَّ مِنْهُمْ} لانتقم منهم وهزمهم {وَلَكِنْ
 لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} أي ليسلط بعضهم على بعض ويبتلي بعضهم ببعض
 لحكمة يعلمها وهي من باب الامتحان أو باب ليحاسبكم على أعمالكم وخطاياكم
 كما قال تعالى: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
 وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " ١٤٢ آل عمران. {وَالَّذِينَ قُتِلُوا} وهم المقاتلون المؤمنون
 والمحاربون المسلمون الذين استشهدوا {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في سبيل الحق ورفع راية
 الإسلام والدين والحق والعدل في مرضاة الله تعالى ودفاعاً عن دينه وإعلاء لكلمته
 {فَلَنْ} للجزم والتأكيد {يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} فلن يذهبها هباءً منثوراً ولن يضيع ثواب
 أعمالهم ولن يذهبها أدراج الرياح ولن يذهبها سدى بل سيجازيهم بها ويثيبهم
 عليها ويدخلهم بها الجنة.

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾

{سَيَهْدِيهِمْ} سيهديهم إلى طريق الجنة يوم الحساب كما قال تعالى في حق الكفار: " احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {٢٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {٢٣} " ٢٣، ٢٢ الصافات. وفي صحيح البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا). {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} ويطمئنهم وينزل السكينة عليهم ويؤمن خوفهم من عذاب القبر وأهوال القيامة وتبعاتها. أخرج أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحة من حديث أبي موسى الأشعري قال: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله فيقول: (يهديكم الله ويصلح بالكم). [سبل السلام ج ٤ ص ١٥٠]. {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ} والذين آمنوا واتبعوا الحق أو ماتوا شهداء سيدخلهم الجنة يوم القيامة {عَرَفَهَا هُمْ} وصفها لهم بأن فيها نعيماً مقيماً وفيها أنهاراً وفيها حوراً عيناً وفيها من كل الثمرات ويحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون فيها حرير إلى غير ذلك كما قال تعالى: " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ " ٣٣ فاطر. وكما قال تعالى: " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ " ١٥ محمد. وكما قال تعالى: " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ {٥١} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٥٢} يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ {٥٣} كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ {٥٤} يَدْعُونَ

فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ {٥٥} " ٥١-٥٥ الدخان. إلى آخر ما ورد في وصف الجنة وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها [طينها] المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه). [وروي عن ابن عمر مرفوعاً نحوه - ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنْ} شرطية {تَنصُرُوا اللَّهَ} تدافعوا عن الدين والحقوق والواجبات بالحق والعدل واتباع الإسلام والعمل بالطاعات واجتناب المحرمات واجتناب نواهيه وتمنعوا الظلم وتشدوا على يد الظالم وتمنعوه من الظلم وتقولوا دائماً الحق والصواب ولا تأخذكم في الله لومة لائم ونصرته بإعلاء كلمته وإعلاء راية الإسلام ونصرته بأن تمنعوا انتهاك الأعراض والأموال والممتلكات {يَنصُرْكُمْ} يجعلكم دائماً الفائزين والمنتصرين على عدوكم وعلى الشيطان وعلى النفس الأمارة بالسوء {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} يجعلكم دائماً منصورين مؤيدين منه مطمئنين ثابتين على الحق لا تخشون في الله لومة لائم {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار وهم من كفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به {فَتَعَسَا لَهُمْ} فيا تعاستهم فخابوا وخسروا {وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} أبطلها وأفسدها وأبعدها عن الحق والرشاد

{ذَلِكَ} وذلك {بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ} كرهوا ولم يحبوا ما أنزل الله على رسوله ولم يؤمنوا به وهو القرآن الكريم {فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ} أذهبها وأهلكها وأبطلها وأفسدها وكأنها لم تكن وضيعها عليهم ولم يتقبلها منهم.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١﴾

{أَفَلَمْ} أي ألم وهو سؤال استنكار واستعجاب لأمر الكفار {يَسِيرُوا} يتفقدوا ويمشوا {فِي الْأَرْضِ} في الأرض التي هم عليها {فَيَنْظُرُوا} فينظروا بأعينهم ويشاهدوا {كَيْفَ كَانَ} كيف كان وآل وأصبح {عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} مصير الذين من قبلهم ومن سبقوهم من الأمم السابقة {دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} دمر الله وخرب وأهلك وقتل وسلط العذاب عليهم وعلى بيوتهم إما بالطوفان كقوم نوح أو بالخسف كقوم لوط أو بالصواعق أو الزلازل وغيرها {وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا} وللکفار الذين كذبوا بالقرآن وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أمثالها من العذاب ومثلها من الهلاك ومثلها من الدمار والموت {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ} وذلك لأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو {مَوْلَى} ناصر ومتولي أمر وشئون وحماية ونصرة {الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ} وأن الكفار {لَا مَوْلَى لَهُمْ} لا نصير لهم ولا معين ولا مغيث ولا حامي ولا حافظ لهم. ولما قال أبو سفيان (صخر بن حرب) رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله

عنهما فلم يجبه أحد فقال أما هؤلاء فقد هلكوا وأجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوؤك وإن الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر والحرب سجال أما إنكم ستجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني وذهب يرتجز ويقول ثم أعل هبل أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبوه؟) فقالوا يا رسول الله وما نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: (قولوا: الله أعلى وأجل) ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبوه؟) قالوا وما نقول يا رسول الله؟ قال قولوا: (الله مولانا ولا مولى لكم). [ابن كثير ج ٤ ص ١٧٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۖ﴾

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى رب العالمين ورب جميع المخلوقات والكونين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يدخل المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة من البر والخير والتقوى والطاعات والعبادات في مرضاة الله تعالى {جَنَّاتٍ} جمع جنة وعددها ثمانية وهي على الترتيب: أول الجنان دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض وثانيها دار السلام من ياقوت أحمر وثالثها جنة المأوى من زبرجد أخضر رابعها جنة الخلد من مرجان أصفر وخامسها جنة النعيم من فضة بيضاء وسادسها جنة الفردوس من ذهب أحمر وسابعها جنة عدن من در أبيض وثامنها دار القرار من المرجان. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧، ٢١٨]. وفي الصحيحين: (إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم) - قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال - بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله

وصدقوا المرسلين). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار في الجنة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار وهم من كفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه ولم يؤمنوا به {يَتَمَتَّعُونَ} يتمتعون وينعمون بالدنيا وزينتها وملذاتها وشهواتها {وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} ويأكلون كالبهائم لا هم لهم إلا الأكل ولا يعلمون ما مصيرهم كالخراف التي تأكل ثم تذبح {وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} ونهايتهم نار جهنم هي مصيرهم ومستقرهم ونهايتهم وقرارهم ومنزلهم وفيها خالدون.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

{وَكَايْنٍ} وكم {مِّنْ قَرْيَةٍ} من مدينة أو قرية {هِيَ أَشَدُّ} هي أعظم وأكثر {قُوَّةً} قوة ومنعة وشدة وفتكاً {مِّنْ قَرْيَتِكَ} من مدينتك مكة {الَّتِي أَخْرَجْتَكَ} التي أخرجك أهلها أبو جهل وأبو سفيان وأمثالهم {أَهْلَكْنَاهُمْ} أي أهلكنا وأمتنا أهل هذه القرى كقوم نوح وقوم لوط وإبراهيم عليه السلام وهم قوم النمرود بالعراق وقوم عاد وقوم ثمود أهلكناهم ودمرناهم وقتلناهم وأمتناهم {فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} فلم ينقذهم أحد ولم ينصرهم علينا ولم يساعدهم ولم يدافع عنهم {أَفَمَن} فهل من {كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ} على هدى ورشد وعلم من هدى ربه له {كَمَن زُيِّنَ لَهُ} زُخْرَفَ ورآه حسناً وزُيِّنَ وحُلِيَ له {سُوءُ عَمَلِهِ} قبح عمله وفساده {وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} اتبعوا شهواتهم وملذاتهم وهوى أنفسهم فأضلتهم عن الحق وعن الصواب وعن

الهدى وعن الطريق المستقيم فلم يؤمنوا بل ضلوا وعموا وصموا واتبعوا الباطل والغي والفساد والمعاصي والضلال.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

{مَثَلُ الْجَنَّةِ} صفة الجنة وكيف هي في يوم القيامة {الَّتِي وُعدَ} التي وُعد بها من الله تعالى في القرآن على لسان الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الْمُتَّقُونَ} وهم المؤمنون الطائعون والذين يخشون الله وعذابه ويتقون محارم الله وحدوده وهم الصالحون {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} فيها أنهار من ماء غير فاسد ولا منتن ولا خربان أي صالح للشرب {وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} ولبن الجنة هو الحليب الخالص الذي لم يخرج من ضرع ولم يتغير طعمه ولا مذاقه ولم يفسد {وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ} وأنهار من خمر غير مسكر وغير ضار للصحة وغير مخمر {لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} طعمه لذيذ ومذاقه لذيذ ونكهته لذيذة طيبة شهية {وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى} وأنهار من عسل لا شمع ولا كدر ولا رواسب فيه ولا عكر فيه ولم يخرج من بطون النحل {وَلَهُمْ} ولن دخل الجنة من المتقين والصالحين والمؤمنين {فِيهَا} في الجنة يوم القيامة {مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من كل الفواكه وما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين. وعن مسلمة بن جعفر البجلي قال سمعت أبا معاذ البصري يقول إن علياً رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون

بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلأل كل خطوة منها مد
البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل ما في
بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها
أبداً وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو - فيأتون باب الجنة فإذا حلقة من
ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة - فيسمع لها
طنين - يا علي فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا
رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول إرفع رأسك فإنما أنا قيمك
وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر
والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت
وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن
فيدخل بيتاً من رأسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر
وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبته في البيت سبعون سريراً على كل
سرير سبعون حشية [فرشة ووسادة] على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة
سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من
لياليكم هذه الأنهار من تحتهم تترد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر
فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضرع الماشية - وأنهار
من خمر لذة للشاربين - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل
مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل. يستجني الثمار فإن شاء قائماً وإن شاء
قاعداً وإن شاء متكئاً - ثم تلا " وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا "
فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض قال وربما قال أخضر - قال فترفع أجنحتها
فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول: سلام

عليكم أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون. ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في الأرض لأضاءت الشمس معها سواداً في نور. [ابن كثير ج ٤ ص ٦٨]. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله ابن الصفر السكري قالوا حدثنا إبراهيم بن المنذر الخرساني حدثنا عبد الرحمن ابن المغيرة حدثني عبد الرحمن بن عياش عن دلهم عن الأسود قال دلهم وحدثني أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال إن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (على أنهار غسل مصطفى وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة) قلت يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: (الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذوا بكم غير أن لا توالد). [ابن كثير ج ٤ ص ١٧٦]. {وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} أي يعفو ويغفر لهم خطاياهم ويتجاوز عن ذنوبهم وسيئاتهم ويسامحهم عليها رحمة منه {كَمَن} كمثل وكالذي {هُوَ} أي الكافر {خَلِدٌ فِي النَّارِ} مقيم ودائم ومخلد في نار جهنم يعذب {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا} وشربوا ماءً حميماً مغلياً شديد الحرارة والحماء {فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} قطع مصارينهم وأحشاءهم ومعدتهم وأمعاءهم من شدة غليانه ومن شدة حرارته عذاباً لهم على كفرهم وتكذيبهم ومعصيتهم.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٧﴾

{وَمِنْهُمْ} وهم المنافقون {مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} من يحضر مجلسك يا محمد ويستمع لما تقول من قرآن ومن عظة {حَتَّىٰ إِذَا} فإذا {خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ} خرجوا وذهبوا من عندك يا رسول الله {قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} قالوا للعلماء وللعارفين والعالمين بالدين الإسلامي وبالشرع والأحكام والأوامر والنواهي وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم {مَاذَا قَالَ} أي ماذا قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في درسه وفي موعظته وفي نصحه وفي كلامه وفي أوامره ونواهييه والعلم الشرعي الذي نطق به {آنِفًا} قبل قليل أي سابقاً قبل لحظات أي لم يفهموا شيئاً كالأنعام فهم صم بكم عمي لا يعقلون ولا يعلمون ولا يفهمون. وفي أسباب النزول الآية أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفا فنزلت: " وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ " الآية. [القرآن تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي ص ٤٣٨]. {أُولَٰئِكَ} هؤلاء هم {الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} هم المنافقون حيث طبع الله وختم على قلوبهم لأنهم لم يؤمنوا إطلاقاً لكبرهم ولبعدهم عن الحق والصواب والهدى فهم أحبوا العمى على الهدى {وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} اتبعوا أهواءهم ونفوسهم وملذاتهم وشهواتهم وهوى أنفسهم الأماراة بالسوء والفحشاء والمعاصي فضلوا عن السبيل وعن الحق والهدى والرشاد فلم يؤمنوا بل ضلوا وغووا فمصيبرهم نار جهنم {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا} والذين

اهتدوا وآمنوا واتبعوا الهدى والحق والصواب والرشاد والإيمان {زَادَهُمْ هُدًى} زادهم الله تعالى هدى زيادة على هداهم وإيماناً زيادة على إيمانهم وثواباً زيادة على ثوابهم {وَأَتَتْهُمْ تَقْوَاهُمْ} وأعطاهم صلاحهم وخشيتهم لله فلم يضلوا بل آتاهم الله تعالى إيماناً راسخاً ولم يزعج قلوبهم كما قال تعالى: " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " ٨ آل عمران.

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ ١٨ ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوْلَكُمْ ﴾ ١٩

{فَهَلْ} سؤال استنكار {يَنْظُرُونَ} ينتظرون حتى يشاهدوا وينظروا بأعينهم {إِلَّا السَّاعَةَ} وإذا بالساعة ويوم القيامة {أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} إذا هي تأتيهم وتحل بهم بغتة وفجأة حتى يصدقوا بها ويعلموا أنها الحق {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} فقد جاءت علاماتها ودلائلها وأماراتها كما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل. وروى الإمام أحمد قال: حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا). [وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعاً وقال الترمذي: حسن

صحيح ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. وقال مسلم بن الحجاج: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبه حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريباً). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. وقال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة ابن أسيد الغفاري أبي سريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الدابة فقال: (لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرقة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني - مكة - ثم تكمن زمناً طويلاً ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني (مكة)) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض (هرب) الناس عنها شتى ومعاً وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي وحتى الكافر ليقول يا مؤمن اقضني حقي). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. وقال أبو داود الطيالسي أيضاً: حدثنا حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلي وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر). ورواه الإمام أحمد عن بهز وعفان ويزيد ابن هارون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وقال: (فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر). [ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس ابن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به - ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. {فَأَنَّى لَهُمْ} فكيف لهم وماذا يفعلون {إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ} إذا تذكروا وتفكروا ذنوبهم ومعاصيهم وكفرهم وإشراكهم بالله تعالى وإذا الأرض أخبرت بما يحدث عليها كما قال تعالى: "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا" {ء} {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} {ه} {الزلزلة}. وكيف إذا الصحف نشرت وشهدت عليهم الملائكة والكتاب الذي يخرج لهم بكل صغيرة وكبيرة كما قال تعالى: "مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" ٤٩ الكهف. {فَاعْلَمْ} يا محمد يا رسول الله أنت ومن معك من المؤمنين {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} أي لا إله ولا معبود غيره فهو رب الأرباب وخالق العالمين وإله الكون كله وكل المخلوقات من ملائكة وإنس وجان وحيوان وطيور وحشرات وبحار وأنهار وجبال ووديان وأرض وسماء {وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ} إذا أذنبت واطلب العفو والمغفرة من الله تعالى كما عبس وتولى أن جاءه الأعمى عبد الله بن أم مكتوم يسأله وكبار قريش موجودون فأعرض عن عبد الله طمعاً في هداهم فعاتبه الله لأنهم لن يؤمنوا {وَاللَّمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات واطلب لهم العفو والمغفرة والسماح من الله تعالى

لأنك أرسلت رحمة للعالمين {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} والله مطلع ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو علام الغيوب {مُتَقَلِّبُكُمْ} جميع شأنكم وأعمالكم {وَمَثُوكُمْ} ومكانكم ونهايتكم ومسكنكم وبدايتكم ونهايتكم ومقركم ومصيركم في الدنيا وفي الآخرة وهو علام الغيوب.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

{وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يقول المؤمنون {لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ} ألا أنزلت سورة من القرآن أو لو أنزلت سورة أو فهلاً أنزلت سورة ولولا تعني: ألا - لو - فهلاً وكلها تؤدي إلى نفس المعنى وتأتي بالمقصود والمطلوب وهو لو أنزلت سورة من القرآن توضح عن الجهاد والقتال {فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} فإذا أنزل الله تعالى بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سورة من القرآن {مُحْكَمَةٌ} أي مؤكدة ومفصلة وواضحة وغير ناقصة المعنى ولا منسوخة {وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} وذكر فيها نص القتال والأمر به والحض عليه كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ " ٦٥ الأنفال. {رَأَيْتَ} رأيت ونظرت وشاهدت يا محمد يا رسول الله {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وهم الشاكون والمنافقون والدجالون والمداهنون والكذابون والمرض هو مرض الكذب والنفاق والغش والخديعة {يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} يتطلعون عليك {نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ} نظر المغمى عليه من شدة الخوف

والذعر والرعب {مِنَ الْمَوْتِ} خوفاً وهلعاً من الموت في الحرب وفي القتال {فَأُولَئِهِمْ} الأجر والأحسن والأفضل {طَاعَةٌ} طاعة لله ولرسوله ولأوامره {وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} قول مشجع ومطمئن وفيه حث على الجهاد وعلى القتال وعلى الحرب وقول معروف فيه اطمئنان ودعاء على التثبيت كما قال تعالى: " رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " ٢٥٠ البقرة. {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ} فإذا جد الجد وفرض القتال واشتد الأمر {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ} أخلصوا النية في الجهاد ومقارعة العدو ومقابلته كما قال سعد بن معاذ: فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله. وذلك في معركة بدر الكبرى وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (اللهم منزل الكتاب مجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦]. وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦]. {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} أفضل وأحسن ولنالوا الثواب أو إحدى الحسنين النصر أم الشهادة.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ ﴿٢٣﴾

{ فَهَلْ } سؤال استفهام استنكاري { عَسَيْتُمْ } أردتم ورغبتم { إِنْ تَوَلَّيْتُمْ } إن انصرفتم وذهبتم إلى عاداتكم ونواديكم { أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } أن يكون عملكم وشاغلکم الوحيد هو الإفساد في الأرض بأن تهلکوا الحرث والنسل بالزنى وشرب الخمر وانتهاك الأعراض والفجور وارتكاب المعاصي والفواحش والظلم والفساد وكما قال تعالى: " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا " ٥٦ الأعراف. { وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ } أي تقطعوا صلة الرحم من يتزوج امرأة ثانية على زوجته فيترك الأولى وأولاده وهم رحمه ويقطعهم طلباً لإرضاء تلك المرأة أو تمنعه من زيارة أهله أمه وأبيه وإخوته حتى تنفرد بالفارس الهمام فارس الحصان الخشبي يترك والديه وإخوانه إرضاء لفارسة أحلامه لزوجته أو يقاطع أقاربه إرضاء لها أو لمكيدة عملتها وهي توهمه بأنها مظلومة من والديه أو أقاربه فتعساً لذلك الرجل في الدنيا والآخرة وفي الحديث القدسي: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ } أي سخط وغضب عليهم وسيعذبهم في نار جهنم يوم القيامة على أعمالهم ومعاصيهم وذنوبهم { فَأَصَمَّهُمْ } أطرشهم عن استماع الحق والإنصات له أو اتباعه { وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ } عن طريق الهدى والرشاد واتباع الإسلام.

﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

{أَفَلَا} ألا {يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} يعلمون ويستنبطون ويفهمون ويستخرجون ما به من لؤلؤ ومرجان ويتفكرون في أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه فالعلماء بالتفكر في معانيه والاستنباط وتبيينه للناس والحكام والأمراء في التشريع واستنباط الأحكام الشرعية وتنفيذ الحدود والعامة باتباع أوامره واجتناب نواهيه والصيادون يستخرجون منه اللؤلؤ والمرجان والصالحون يعملون بأحسنه. والقرآن هو كلام الله وكتابه الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الكفر والشرك إلى الإسلام ومن المعاصي والذنوب والآثام إلى التوبة والندم والعمل بالطاعات والعبادات {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} أم تحجرت قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يفهمون ولا يعقلون أم زاغت القلوب والأبصار أم " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " فلا توضع الأقفال إلا إذا أغلقت القلوب عن الفهم والاستيعاب وأقفلت عن الحق والهدى والرشاد لأنهم لم يصدقوا بالبعث ولا بيوم القيامة ولا بالحساب ولا بالعقاب ولا بالجنة ولا بالنار ولا بالله ولا برسوله واستحبوا العمى على الهدى أو أقفلت لارتكابهم المعاصي والمحرمات فلم يعرفوا الحق من الباطل والصواب من الخطأ والهدى من الضلال والقوانين الأرضية من الأحكام الشرعية والحلال من الحرام فإن كان ذلك فهذا ذنبهم فعليهم بالتوبة والندم والاستغفار والرجوع إلى طاعة الله تعالى حتى تكون شاشة تلفازهم الربانية سليمة تلتقط الصور واضحة جلية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۖ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ} وهم المرتدون عن الإسلام وأصبحوا كفاراً أي رجعوا إلى سابق عهدهم إلى الكفر والشرك {مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ} من بعد أن أسلموا وعلموا الحق من الباطل والهدى من الضلال والصواب من الخطأ والحلال من الحرام {الشَّيْطَانُ} إبليس وجنوده {سَوَّلَ لَهُمْ} زين لهم الشر والكفر والمعاصي والذنوب وزخرفها وحلاها لهم {وَأَمْلَىٰ لَهُمْ} صور لهم وحدثهم وأمرهم بارتكاب المعاصي والذنوب والكفر والشرك بالله تعالى {ذَٰلِكَ} وذلك {بِأَنَّهُمْ قَالُوا} بأن المرتدين قالوا {لِلَّذِينَ كَرِهُوا} وهم الكفار والمشركون كرهوا وأبغضوا {مَا نَزَّلَ اللَّهُ} القرآن الكريم {سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ} سنطيعكم في معادة الرسول عليه الصلاة والسلام وفي معادة دينه دين الإسلام وما جاء به والكيد له {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} والله سبحانه وتعالى وعز وجل يعلم ويدري بخفياهم وبمكرهم وما يعملون في الخفاء.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾  ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ 

{فَكَيْفَ} فكيف يكون مصير الكفار {إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} إذا جاءت الملائكة
 لقبض أرواحهم وحضرهم الموت والوفاة {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ} والملائكة
 عند نزعهم روح الكفار يضربونهم بمقامع من حديد على وجوههم وأدبارهم وعلى
 ظهورهم فلذلك تسود وجوههم وأجسادهم عند الوفاة ولذلك سئلت يوماً عن مولود
 في لحظة وفاته اسود جسمه فجأة فسألني والده عن السبب فلم أجبه ولكنني عرفت
 لماذا اسود جسمه والآن أقول السبب هنا لأنه ابن زنى لأن الصغير لم يعمل ذنباً
 أو معاصي ولأنه لم يبلغ الحلم بعد ولذلك كان هذا المولود من الزنا {ذَلِكَ}
 وذلك {بِأَنَّهُمْ} الكفار {اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} عملوا المحرمات والمعاصي والشرك
 والكفر والفجور والفواحش وشرب الخمر والزنا وانتهاك الأعراض وسلب الأموال
 والرشوة والفساد {وَكْرَهُوا رِضْوَانَهُ} وكرهوا عمل الطاعات وما يرضي الله تعالى
 من العبادات والطاعات وأعمال الخير والبر والتقوى والصلاح وعمل الفرائض
 والجهاد والصدقات {فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ} أفسد وأبطل وضيع أعمالهم الصالحة
 وثوابها حتى يوم القيامة لا يجدوا حسنة واحدة عملوها في دنياهم.

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ تُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٦﴾

{أَمْ} هل {حَسِبَ} افتر وظن وتخيل {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} المنافقون
ومرضهم مرض النفاق والخداع والغش والخيانة {أَنْ لَنْ تُخْرِجَ اللَّهُ} أن لن يُبين الله
حالهم ونفاقهم وغدرهم ومكرهم وخيانتهم وخداعهم وكذبهم ومراوغتهم
{أَضْغَنْهُمْ} أحقادهم وكرههم وبغضهم ومكرهم وخداعهم {وَلَوْ نَشَاءُ} لو أراد الله
تعالى {لَأَرَيْنَاكُمْ} لرأيتهم عياناً {فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} وعرفتكم من وجوههم
ومنظرهم الكئيب {وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ} وعلى كل ستعرفهم يا محمد يا رسول الله ويا أيها
المؤمن {فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} من تلحينهم في الكلام وفي صيغة كلامهم وطريقته وفحواه
ومعناه إما بالإشارة أو الغمز أو اللمز أو الاستهزاء أو "المَقْرَضَةُ" أو التورية في الكلام
اللاذع {وَاللَّهُ} والله تعالى الذي خلقكم جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ
أَعْمَلَكُمْ} يعرف أعمالكم وأفعالكم ويعلم أسراركم إن كانت شراً أو خيراً فهو مطلع
على الأسرار وهو علام الغيوب يعلم السر وأخفى.

﴿وَلَتَبْلُونَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٢﴾

{وَلَتَبْلُونَكُمْ} ولنمتحنكم ونصيبكم بالمصائب والحروب {حَتَّىٰ نَعْلَمَ} الله تعالى يعلم علم اليقين من الأزل لكن المقصود هنا علم إظهار وإثبات فيثبت علمه الأزلي بعلم الواقع حتى يكون حجة على عملهم الحقيقي وحتى تظهر أعمالهم عياناً لتكون حجة عليهم يوم القيامة بأنهم عملوا حقيقة {الْمُجْهِدِينَ} المجاهدين والمحاربين في سبيل الله والمدافعين عن راية الإسلام وعن أرض المسلمين وأعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم وعن الدين وحماية أهله {مِنْكُمْ} أي نعلم المجاهدين منكم أيها المسلمون {وَالصَّابِرِينَ} على الجهاد والقتال والحرب الذين صبروا وصدقوا عند اللقاء ولم يهربوا ولم يولوا الأدبار يوم الزحف {وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ} حتى نمتحنكم ونسمع عن أخباركم الطيبة والحسنة وأنكم جاهدتم في الله حق جهاده ونسمع الأعداء عن بطولاتكم وشجاعتكم في قتال الأعداء {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من كفر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم {وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} منعوا الناس أن يدخلوا في دين الإسلام بالقوة {وَشَاقُّوا الرَّسُولَ} عادوه ومنعوه وأتعبوه صلى الله عليه وسلم وحاربوه {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ} من بعد ما عرفوا الحق ونزل القرآن عليهم {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} لن يضرروا الله ولن يؤذوه بشيء بل سيحاسبهم يوم القيامة أشد العذاب في نار جهنم {وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ} يذهبها ويبطلها

ويهلكها ولن يبارك فيها وضيع أعمالهم الصالحة وضيع ثوابهم حتى يوم القيامة لا يجدون حسنة واحدة عملوها في دنياهم يثابوا عليها.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣) إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون من آمنتم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

{أَطِيعُوا اللَّهَ} أطيعوا الله في أوامره واجتنبوا نواهيه واعملوا الطاعات واجتنبوا

المحرمات والمحذورات {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أطيعوا الرسول سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم فيما يأمركم به وفي الطاعات والعبادات والسنن وفي الجهاد {وَلَا تُبْطِلُوا

أَعْمَالَكُمْ} ولا تبطلوا ولا تفسدوا ولا تضيعوا ثواب أعمالكم الصالحات {إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا} إن الكفار وهم من كفروا ولم يؤمنوا ولم يصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم {وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ} منعوا الناس أن يدخلوا في دين الإسلام

بالقوة {ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ} ثم ماتوا وتوفوا وهم على الكفر {فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}

فلن أي يجزم الله تعالى بأنه لن يغفر لهم كفرهم وسيعذبهم في نار جهنم وكما قال

تعالى في آية أخرى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ "

٤٨ النساء.

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾

{فَلَا تَهِنُوا} هذه الآية تحض المسلمين على عدم الاستسلام أبداً بقوله "فَلَا تَهِنُوا" أي فلا تضعفوا ولا تستكينوا ولا تتخاذلوا ولا تستذلوا ولا تتهاونوا {وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ} وتدعوا إلى الاستسلام والمهادنة وإلى تثبيط الهمم. وذلك إذا فرضت الحرب فلا مناص من الجهاد ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في معركة بدر قد ذهب إلى أخذ القوافل والعيير خاصة قريش ولكنه لما فرض عليه القتال وحضر أبو جهل لمقاتلته عندها لا مناص من القتال والجهاد وكما فعل طارق بن زياد عندما أحرق سفن المسلمين وقال العدو أمامكم والبحر من خلفكم {وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ} أنتم الفائزون وأنتم المنتصرون فاصبروا وإن لكم إحدى الحسنين النصر أو الشهادة فأنتم الغالبون {وَاللَّهُ مَعَكُمْ} والله معكم ومؤيدكم وناصركم على عدوكم {وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلُكُمْ} ولن يبخسكم ولا يضيع عليكم ثواب أعمالكم فسيكافئكم عليها يوم القيامة بالجنة وفي الدنيا إما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا. وأما الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عمل صلحاً مع قريش فكانت للأسباب الآتية التي أزيلت بآيات الجهاد والقتال ونسخت وقوى الله الدين فالأسباب كانت في تلك المدة: (١) أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب معتمراً وليس غازياً (٢) لم تقوى شوكة المسلمين بعد وكانوا قلة ومستضعفين (٣) لم يأمر الله تعالى بعد بالقتال والجهاد حتى نزلت آيات القتال والجهاد أما بعد أن أعز الله الإسلام وقواه وفرض الجهاد والقتال فلا مهادنة والله أعلم حيث يأمر بذلك وكما قال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ " ٢١٦ البقرة.

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ

أَمْوَالَكُمْ ﴿٦٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيَحْفَظْكُمْ تَبَخَّلُوا وَخُجِرَ أَضْغَنْكُمْ ﴿٦٧﴾ ﴾

{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} الحياة الدنيا والمعيشة فيها {لَعِبٌّ وَلَهُوَ} وصدق الله كلها لعب انظر مثلاً إلى لاعبي الكرة في العالم على اختلاف أنواعها وعلى اختلاف أنواعهم وأشكالهم وألوانهم فهي تأخذ جُلَّ وقتهم وفراغهم وألهمتهم عن وقت الصلاة إن جاءت وقت الصلاة أو العبادة أو بعض الأعمال الهامة وإن جاءت في وقت متأخر من الليل كما يحدث أحياناً في المباراة الدولية لا ينامون طيلة الليل ينتظرونها وفي الصباح يذهب العامل إلى عمله كسولاً نعساناً نائماً ولا يمكن أن يتقنه وكذلك الطالب لا يستوعب الدرس في ذلك اليوم إلى آخر ذلك فبدلاً من أن يذاكر الطالب دروسه ويجد ويجتهد ويحصل العلم ويزيد من اجتهاده وتفوقه زيادة على اللازم يضيع وقته هباءً منثوراً وكذلك الموظف والعامل وكأن الأرض السليبية والمغتصبة قد أعيدت وكأن الحقوق قد رجعت إلى أصحابها وكأن الغزاة قد ارتدوا على أعقابهم خاسرين. وكيف لو خسر المباراة ذلك الفريق أو مؤيدوه يا حسرة على العباد ويا ويلهم ويا ثبورهم ويا مصيبتهم ويمكن من شدة الزعل والغضب والحسرة أن يقيموا الدنيا ولا يقعدوها على من خالطهم أو جاورهم أو احتك بهم فهذا هو اللعب وهذا هو اللهو. واللهو تضييع الوقت في غير منفعة {وَإِنْ تُؤْمِنُوا} وإن تؤمنوا وتصدقوا بالبعث وبيوم القيامة {وَتَتَّقُوا} وتتقوا الله وتطيعوه وتخشونه {يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ} يؤتكم ويعطيكم ثواب أعمالكم يوم القيامة وهو الجنة ونعيمها {وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} ولا يطلب منكم أن تدفعوا أموالكم في الصلاة أي تدفعوا رسوم الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين بل يريد منكم عبادة خالصة لوجه الله

تعالى {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا} وإذا طلب منكم أن تدفعوا أموالكم في الزكاة أو الصدقات {فِيَحْفَكُم تَبْخُلُوا} فحتى يمنعكم ويشير عليكم وينصحكم بأن لا تبخلوا أي فمن أجل أن يمنعكم من البخل وهو عدم الكرم وعدم التصدق وعدم الإنفاق والتوسع على الأهل والأقارب وعلى المسلمين {وَتُخْرِجُ أَضْغَنْكُم} وحتى بهذه الصدقات أو الزكاة يطهركم بها فتخرج الضغينة والشح والبخل وكره الناس من صدوركم ويجعلكم كرماء أفاضل محترمين بين الناس والضغينة هي الحقد والبخل والكره للناس والأنانية وعدم محبة الناس وكما قال تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا " ١٠٣ التوبة.

﴿ هَاتِئْنِمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾

{هَاتِئْنِمْ هَؤُلَاءِ} أنتم أولئك نفر المقصودين أي أنتم أيها المؤمنون {تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا} يطلب منكم النفقة والزكاة والصدقات {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في الجهاد وفي أعمال البر والخير وفي مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين {فَمِنْكُمْ} يوجد بعض منكم أي بعض أفراد منكم {مَنْ يَبْخُلُ} من يبخل منهم ويرفض إخراج الزكاة أو الصدقات أو المعونات أو النفقة أو المساعدات للمسلمين {وَمَنْ يَبْخُلْ} ومن يبخل ويمنع الصدقات ويرفضها ويمنع المساعدة {فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ} فإنما يكون بخله راجع عليه يوم القيامة حيث لا يجد له صدقات ولا حسنات مدخرة له في ذلك اليوم العصيب الذي يجعل الولدان شيباً {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه غني عنه وعن أمواله فهو لا يحتاج لها لأنه لا

يأكل ولا يشرب ولا يحتاج لمساعدة أحد بل الناس يحتاجونه ولكنه يريد أن
يمتحنكم ليرى ماذا تصنعون وماذا تفعلون وهل تبخلون على عباده أم لا عندما
أغناكم من فضله وكرمه {وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ} وأنتم الفقراء أيها الناس والمحتاجون له
في أرزاقكم فلو شاء فالتجارة يجعلها تكسد وتخسر والبستان يحل ولا يخصب
ويسلط عليه الحشرات ودواب الأرض تهلكه والأموال التي في البنوك يجعل البنوك
تخسر أموالها فتقفل وتذهب أموالهم حشرات عليهم والعمارات والبيوت يسقط
عليها الزلازل فتزيلها والأموال تُحرق أو تُسرق أو تذهب في الخمر والميسر والزنا
والتبذير فيهلكها الله تعالى كما فعل بقارون وأمواله ولهذا قال تعالى وأنتم الفقراء
أي فقراء ومحتاجون إلى الله تعالى بالرعاية والعناية والحفظ للأموال ولوضع البركة
فيها وعدم محققها {وَإِنْ تَوَلَّوْا} وإن تذهبوا وتعرضوا عن الطاعة والعبادة لله
وتبخلوا بأموالكم على المسلمين وعلى الضعفاء منهم والمحتاجين والفقراء والمساكين
فإذا توليتم وأعرضتم وأعطيتهم ظهوركم لذلك {يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} أي يُغَيِّرْكُمْ إما
بالموت أو العزل مثلاً من الوظيفة فإن كان ملكاً أو رئيساً أو أميراً أو وزيراً أو
صاحب منصب إما يميته أو يعزله من وظيفته ومن عمله ومن رئاسته فيستبدله
بآخر والقوم يميتهم ويأتي بآخرين أحفاداً لهم أكثر منهم كرماً وعطفاً {ثُمَّ لَا
يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} أي لا يكونوا بخلاء جامدين صعبين مثلكم بل يجعلهم أسهل
منكم في المعاملة وفي الإنفاق والعبادة والتقوى والصلاح والإيمان.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهي تقال للتعظيم والتبجيل لجلاله {فَتَحْنَا} أي فتحنا أبواباً {لَكَ} يا محمد يا رسول الله {فَتَحًا مُبِينًا} أي نصراً عظيماً واضحاً جلياً وبيناً. وفتح الأبواب يكون للخير والخير منه النصر والعز والجاه والغلبة ورفع الصيت والذكر وكان ذلك بعد صلح الحديبية مباشرة وقد اعتبر الصلح فتحاً بعد أن اغتم المسلمون برجوعهم ومنعهم من أداء العمرة ومنعتهم قريش وقد عملوا معهم صلح الحديبية على أن يعودوا من العام القابل وتُخلى قريش لهم الكعبة وينصرفوا أي قريش إلى الجبال المحيطة حتى يؤدي المسلمون شعائر العمرة فغضب المسلمون وخاصة عمر بن الخطاب فلما نحر صلى الله عليه وسلم نحره وأمر الصحابة أن يذبحوا نحرهم في ذلك المكان لأنهم أحصروا عن دخول مكة وكان ذلك سنة ست من الهجرة ورجع صلى الله عليه وسلم فتح الله تعالى له بدلاً من دخول مكة معتمراً فتح عليه حصون خيبر كلها واعتبر الصلح صلح الحديبية فتحاً ونصراً حيث لأول مرة تعترف به قريش وتعقد معه صلحاً ثم فتح الله تعالى عليه خيبر ومن بعد ذلك فتح عليه مكة. قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن ابن زيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه

وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباغر [جمع بغير وهو الجمل] فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ قالوا: أُوحي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فخرجنا مع الناس نوجف [نعدو سريعاً على ركائبنا] فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا " قال فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي رسول الله أُوْفَتْحُ هو؟ قال صلى الله عليه وسلم: (إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح). قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهماً وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً. [ابن كثير ج ٤ ص ١٨٣]. {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ} أي الله تعالى هو الذي يغفر الذنوب وهو الذي يعفو ويقبل التوبة وهو الذي بيده أن يغفر ويعفو ويسامح ويؤكد الله تعالى هنا بأنه قد غفر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ} ما فات وانقضى قبل نزول الوحي والقرآن عليك من عدم معرفتك كيفية العبادة الحقّة على أكمل وأحسن وجه {وَمَا تَأَخَّرَ} أي لم يأت بعد حتى موته وهذه مكافأة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث علم أنه سيقوم بالعبادة والرسالة على أكمل وجه وأحسنه لقوله تعالى: " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " ١٢٤ الأنعام. كيف لا وهو صاحب الشفاعة العظمى وهو سيد ولد آدم عليه السلام وهو الخاتم وهو الذي كرمه الله تعالى وخصه بالقرب ليلة الإسراء والمعراج حتى قاب قوسين أو أدنى من القرب تحت العرش وهذه الآية دليل واضح على أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول ومن أهل الجنة وهذا حجة على أهل

الكتاب وغيرهم فإنه رسول مرسل من رب العالمين ولم يؤت نبي أو رسول قط هذا الصك من العفو والمغفرة لذنبه ما تقدم وما تأخر قبل موته {وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بأن يكمل له الرسالة ويكمل له نزول القرآن كله ويتم له الدين الإسلامي ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون كما قال تعالى: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " ٣ المائدة. {وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} ويهديك دائماً الطريق المستقيم طريق الحق والعدل والهدى والرشاد والأمان وهو دين الإسلام وهو اتباعٌ لدين إبراهيم عليه السلام وكما قال تعالى: " وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا " ١٢٥ النساء.

{وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} ويتم لك فتح الأمصار وينشر دينه الإسلامي على بقاع الأرض كلها وقد نصره فعلاً حيث فتح الله عليه مكة بعد ذلك ونصره الله تعالى على قريش وعلى اليهود بأن أجلاهم عن شبه الجزيرة العربية كلها ونصره الله على فارس بأن أسلمت ونصره الله تعالى بأن نشر دينه في البلاد والأمصار وأتم عليه نعمة الإسلام. والنصر العزيز هو النصر بقوة وبدون تذلل نصراً مؤزراً عزيزاً على نفس كل مسلم بانتشار الإسلام في كل بقاع العالم حتى في الإتحاد السوفييتي والصين والهند وأمريكا وبريطانيا.. الخ. قال الإمام أحمد: حدثنا هارون ابن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن أبي قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً؟). [أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به - ابن كثير ج ٤ ص ١٨٣].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾

{هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ} السكينة الخشوع والخضوع والاطمئنان والأمان والهدوء {فِي قُلُوبِ} لأن القلب هو الذي ينشغل دائماً بالأمر {الْمُؤْمِنِينَ} الذين آمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا} لتزيدهم إيماناً وقوة وعزيمة {مَعَ إِيْمَانِهِمْ} مع تصديقهم وإيمانهم وتقواهم وتصميمهم {وَلِلَّهِ} لله تعالى رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه له {جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} جنود السموات وهم الملائكة الأعلى من الملائكة والأرض من الجن والإنس والحيوانات والوحوش والنحل والنمل والميكروبات والبكتيريا والفيروسات وجميع الخلق كلهم جنود لله تعالى يسلطهم على من يشاء أو يحرس ويحفظ بهم من يشاء كعاصم بن ثابت عندما حماه الله تعالى وهو ميت وحفظه من مشركي قريش بالدبر وكان عاصم قد قتل وأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فناخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهبت به وكان عاصماً قد أعطى الله عهداً لا يمسه مشرك ولا يمسن مشركاً أبداً. [سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٠]. {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى في الأزل ولا يزال {عَلِيمًا} عليماً بكونه ومخلوقاته {حَكِيمًا} في شأن

مخلوقاته وفي كونه {لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} أنزل الله تعالى السكينة في قلوب الرجال المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وفي قلوب النساء المؤمنات بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ليدخلهم في {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} الجنات التي تجري خلالها الأنهار يوم القيامة {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين فيها {وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} ويغفر لهم سيئاتهم وذنوبهم {وَكَانَ ذَلِكَ} وكان ذلك أي تكفير السيئات والذنوب ومغفرتها وإدخالهم الجنة {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يوم القيامة {فَوْزًا عَظِيمًا} هو فوز ونجاح عظيم وكبير. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" مرجعه من الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد أنزلت عليّ الليلة آية أحب إليّ مما على الأرض) ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئاً مريئاً يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم: "لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ - حتى بلغ - فَوْزًا عَظِيمًا". [أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به - ابن كثير ج ٤ ص ١٨٣].

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّهُ
السَّوْءُ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السَّوْءُ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ﴾

{وَيُعَذِّبُ} يعذب الله تعالى ويذقهم النكال والعذاب في جهنم {الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ} وهم الدجالون والدجالات والمداهنون والمداهونات والكذابون
والكذابات والخداعون والخداعات والغشاشون والغشاشات. والمنافقون هم من
يظهرون لك الود كذباً ويخفون الحقيقة عنك وهي العداوة والبغضاء والحقد والحسد
{وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} وهم من أشرك الله نداً أو شريكاً كالأصنام والأوثان.
والنصارى قالت عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أي الله إله وعيسى إله وأمه مريم
إله. واليهود قالوا العزيز ابن الله. وهم كل من جعل لله شريكاً أو نداً {الظَّالِمِينَ
بِاللَّهِ} المعتقدين في الله تعالى {ظُنُّهُ السَّوْءُ} كالنصارى يدعون أن الله تعالى زنا
في مريم وحملت بعيسى عليه السلام ومنهم من يظن أن الله تعالى عندما خلق
السموات والأرض تعب وجلس يستريح ومنهم من يعتقد بأن الله تعالى يجلس على
الكرسي وهكذا. ومنهم من يظن بالله تعالى أن له شريكاً وأن إله محمد صلى الله
عليه وسلم كذب. وظن السوء هو ما قبح وساء وفحش {عَلَيْهِمْ} على المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات {ذَايِرَةٌ السَّوْءُ} عليهم ستدور الدوائر وتقع عليهم
المصيبة والعذاب في الدنيا بالهزيمة والأسر ويوم القيامة العذاب في نار جهنم
{وَوَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} وسخط الله عليهم بعذابه الشديد {وَلَعَنَهُمْ} أي سخط عليهم
وطردهم من رحمته وعذبهم {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ} وحضر لهم نار جهنم يعذبون
فيها ومخلدين فيها {وَسَاءَتْ مَصِيرًا} وقبحت منزلاً ومقراً ونهاية سيئة وقبيحة

{وَلِلَّهِ} ولله تعالى وحده جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} من ملائكة وإنس وجن وحيوانات ووحوش وطيور وحشرات وكذلك مثل حوت يونس عندما التقمه عندما ذهب عن قومه مغاضباً وبدون إذن له سلط الله تعالى عليه حوت البحر فالتقمه ولولا أنه كان من المسبحين لمكث في بطنه إلى يوم يبعثون ولا أحد يعلم جنود الله تعالى غير الله تعالى وفي الحديث أن البيت المعمور في السماء السابعة مقابل الكعبة كل يوم يدخله سبعون ألف ملك من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة {وَكَانَ اللَّهُ} كان ولا يزال {عَزِيزًا} قوياً في ملكه {حَكِيمًا} في خلقه.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع للتبجيل والتعظيم لذاته العلية {أَرْسَلْنَاكَ} أي جعلناك يا محمد رسولاً إلى قومك قريش وإلى جميع الأمم وإلى الثقلين الإنس والجن {شَهِيدًا} وجعلناك شاهداً على تبليغ الرسالة لهم {وَمُبَشِّرًا} ومبشراً المؤمنين وكل من آمن بك رسولاً وبالله رباً وأدى الفرائض واجتنب النواهي أنه سيدخل الجنة يوم القيامة {وَنَذِيرًا} تنذر وتحذر وتخوف الناس والكفار من عذاب الله تعالى يوم القيامة لمن عصى وكفر وأشرك وطغى وبغى {لِّتُؤْمِنُوا} حتى ولكي تؤمنوا بالله وبرسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر

{بِاللَّهِ} بالله تعالى رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَرَسُولِهِ} وتؤمنوا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَتُعِزُّوهُ} وتعظموه وتنصروه {وَتُوقِّرُوهُ} وتبجلوه وتحترموه وتُقَدِّرُوهُ. وكلاهما التعظيم والتوقير لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَتُسَبِّحُوهُ} والتسبيح هو لله تعالى وهو التنزيه والتعظيم لله تعالى. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). متفق عليه. [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٥]. وأخرج الطبري في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله). والتسبيح يكون {بُكْرَةً وَأَصِيلًا} أي صباحاً ومساءً وكما قال تعالى: "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ" ١٣٠ طه. {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ} الذين يبايعونك يا محمد يا رسول الله على الجهاد والقتال وعلى نصرتك ومؤازرتك واتباعك في كل الأمور {إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ} إنما هم يبايعون الله ويعاهدونه على الطاعة لأنك رسوله ومرسل من قبله سبحانه وتعالى فكانك تبائعهم بدلاً منه سبحانه {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} أي يد الله وهي مباركته على مبايعتهم ورضاه عنهم تحل عليهم فهو يؤازرهم ويساعدهم ويساندهم وينصرهم ويوفقهم ويده هي بركته

ورحمته ونصرته وتأبيده تبارك وتؤيد وضع أيديهم في يدك لمبايعتك {فَمَنْ نَكَثَ} فمن خالف ونقض ونكث وأبطل وأفسد وألغى المبايعة ولم ينفذها {فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ} فنقضه ومخالفته وزرها يقع عليه وعلى نفسه هو فالوبال يقع عليه والعذاب يقع عليه لمخالفته البيعة ونقضه للعهد {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ} ومن وفى وبر بعده {فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} فسيؤتيه الله تعالى يوم القيامة أجراً عظيماً وهو الجنة ونعيمها وحورها وملذاتها والأجر العظيم هو الكبير والكثير.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾

{سَيَقُولُ لَكَ} أي عندما ترجع يا محمد يا رسول الله من الحديبية سيقول لك {الْمُخَلَّفُونَ} الذين تخلفوا عنك ولم يخرجوا معك وهم من بقي في المدينة ولم يخرج معك في الحديبية {مِنَ الْأَعْرَابِ} والأعراب هم البدو سكان البادية وأكثرهم مشهورون بالغلظة والخشونة والجلافة لطبيعة بيئتهم القاسية وبعدهم عن سماع دروس العلم والنصيحة {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} أي تخلفنا عن الخروج معك لكثرة مشاغلنا في جمع الأموال ومساعدة أهل بحيث لم يكن لدينا فراغ في ترك أشغالنا وأعمالنا {فَاسْتَغْفِرْ لَنَا} أي ادع الله لنا بالمغفرة وأن يعفو عنا ويغفر لنا ويسامحنا على تأخرنا عنك يا رسول الله {يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ} يقولون ذلك كذباً

ونفاقاً بالسنتهم أي ظاهراً لك {مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} غير الذي يكتُمونه في قلوبهم من الكذب والخداع والنفاق أي ليس صحيحاً طلبهم المغفرة بل كذباً وخداعاً وهم تأخروا متعمدين خوفاً من قريش {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً} مَنْ الذي يستطيع منع الضرر عنكم أو منفعتكم غير الله تعالى {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا} إن أراد الله أن يضركم بشر أو مصيبة {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا} أو أراد بكم خيراً ومنفعة. كما قال تبارك وتعالى: "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" ١٠٧ يونس. {بَلْ كَانَ اللَّهُ} بل كان الله تعالى ولا يزال {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون {خَبِيرًا} عليماً ومُحِيطاً ومُطَّلِعاً {بَلْ ظَنَنْتُمْ} بل اعتقدتم وافتكرتم {أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ} أن لن يعود ولن يرجع {الرَّسُولُ} الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالْمُؤْمِنُونَ} والمرافقون له من المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وهم الذين آمنوا معه {إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ} إلى أوطانهم وأرضهم وأهلهم وأسْرهم {أَبَدًا} قطعياً وإطلاقاً ونهائياً وعلى الدوام {وَزَيَّنَ} ذَلِكُ فِي قُلُوبِكُمْ وزخرف وتأكد لكم ذلك واطمأنت قلوبكم بأنهم لن يرجعوا إطلاقاً وسيموتون جميعهم {وَوَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ} ظننتم أنهم سيموتون عن آخرهم وظن السوء هو اعتقاد الشر لهم والموت والهلاك {وَوَكُنْتُمْ} أيها المخلفون من الأعراب وأيها المنافقون والخداعون والكذابون {قَوْمًا بُورًا} قوماً ضالين ومنحرفين فاسدين مجدبين قاحلين أو قاحطين وقوماً هالكين وقوماً لا فائدة ترجى منكم والأرض البور هي الأرض القاحلة والمجدبة والي لا زرع فيها.

﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١٤﴾
﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ومن لم يصدق ويؤمن بالله أنه واحد أحد فرد صمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأنه ليس له شريكاً أحد ولم يؤمن ويصدق
برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول ومرسل من الله تعالى ﴿ فَإِنَّا ﴾
الجمع للتبجيل لجلال الله تعالى ذي الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا
شأنه ﴿ أَعْتَدْنَا ﴾ حضرنا وأعدنا ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ لمن كفر برسالة سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم وكذب بها ولم يصدقها ﴿ سَعِيرًا ﴾ أي نار جهنم يُسعر ويحرق فيها
﴿ وَلِلَّهِ ﴾ والله تعالى رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ﴿ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ امتلاك وحكم وحياسة السموات السبع ومن فيهن والأرض وما عليها
كلها ملك لله تعالى وحده فهو الذي يملكها ويمتلكها ويحكمها ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
له كامل الإرادة في المغفرة لمن يشاء من عباده وهم المؤمنون والصالحون ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ ﴾ له كامل الإرادة في تعذيب من يشاء من عباده وهم الكفار ﴿ وَكَانَ اللَّهُ ﴾
وكان الله تعالى ومن الأزل ولا يزال ﴿ غَفُورًا ﴾ يغفر لمن تاب من عباده وندم ورجع
إليه بالتوبة ﴿ رَحِيمًا ﴾ ورحيماً بمن تاب من عباده ويدخله الجنة.

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِّتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾
يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ ۖ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ
الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِنْ تُطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

{سَيَقُولُ} سوف يقول لكم يا محمد يا رسول الله أنت ومن معك {الْمُخَلَّفُونَ} وهم من تخلف عنكم في الحديبية {إِذَا انْطَلَقْتُمْ} إذا ذهبتم {إِلَىٰ مَغَانِمَ لِّتَأْخُذُوهَا} إلى غنائم وهي المكاسب التي تؤخذ من الحرب إذا هُزم الأعداء فتؤخذ أموالهم وممتلكاتهم {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} دعونا نأتي معكم حتى يكون لهم نصيب في الغنائم {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ} وهو أن لا يخرج إلى خيبر كل من لم يحضر الحديبية لأنهم في الحديبية خافوا وجبنوا ورفضوا اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا بأنه سيقتل هو ومن معه أما الآن فعندما علموا أن هناك غنائم من خيبر ستكون كثيرة للمسلمين أرادوا الخروج لأخذ الغنائم وليس للحرب والقتال والله يعلم إسرارهم والله لا يريد أن يأخذوا شيئاً فهم بذلك يريدون مخالفة أحكام الله تعالى وما أخبر عنهم {قُل} قل لهم للمخلفين يا محمد يا رسول الله {لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} لن تتبعونا ولن تخرجوا معنا في هذه المعركة هكذا قال الله تعالى وأنزل في ذلك قرآناً من قبل أن تطلبوا الذهاب معنا كما قال تبارك وتعالى: " فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ " ٨٣ التوبة. {فَسَيَقُولُونَ} فسوف يقولون لكم يا رسول الله

{بَلْ تَحَسُدُونَنَا} بل تمنعوننا من الخروج معكم لأنكم تحسدونا ولا تريدون أن نأخذ مثلكم من الغنائم والأموال إذا انتصرتم {بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ} بل كانوا وهم المخلفون لا يفقهون ولا يفهمون لماذا المنع الذي هو لعدم خروجهم في أول مرة مع الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديبية ولكنهم لا يفقهون {إِلَّا قَلِيلًا} والقليل هو المكسب فقط والغنيمة ففهمهم محصور على المكسب والغنيمة وليس على الطاعة لله ولرسوله {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {لِّلْمُخَلَّفِينَ} للذين تخلفوا {مِّنَ الْأَعْرَابِ} وهم الطائفة المتخلفة من سكان البادية وأكثرهم مشهور بالغلظة والخشونة والجلافة لطبيعة بيئتهم القاسية وبعدهم عن سماع دروس العلم والنصيحة ولهذا فهم أكثر بعداً عن المدنية وعن الدين الإسلامي في أكثر الأحيان {سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ} سيطلب منكم الخروج وملاقاة قوم تحاربونهم {أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ} أولي قوة في الحرب وصبر وجلد وعزيمة {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ} إما تقاتلونهم وتحاربونهم أو يسلمون ويدخلون في دين الإسلام فيمنعوا أنفسهم ودماءهم وأموالهم من الحرب والقتال {فَإِنْ تُطِيعُوا} فإن تطيعوا الله ورسوله وتخرجوا لملاقاتهم وحربهم وقتالهم وتوافقوا على حربهم وقتالهم {يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا} يعطكم الله تعالى أجراً حسناً في الدنيا بالنصر والغنيمة وفي الآخرة في الجنة {وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ} وإن تتولوا وتعرضوا وترفضوا الخروج والحرب والقتال وتعرضوا كما توليتم وأعرضتم عن الخروج في عام الحديبية {يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} يعذبكم الله تعالى عذاباً أليماً في نار جهنم يوم القيامة يؤلمكم ويوجعكم ويكون قاسياً عليكم وموجعاً.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ} لا يقع الحرج على الأعمى أي ليس مطلوباً من الأعمى الحرب والجهاد والقتال والعمى هو الذي لا يبصر بعينه {وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ} ولا حرج كذلك على الأعرج وهو الذي يهوي على قدم دون الأخرى ولا يستطيع المشي السليم أو من كسرت رجله أو أصابها شلل أو مرض فلا يستطيع المشي أو السير عليها فلا حرج عليه وغير مطلوب منه الجهاد {وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ} وكذلك ليس على المريض حرج وهو من ينام في فراشه لمرض ألم به يقعه عن المشي والجهاد والحرب والمرض هنا هو ما يفطر الصائم بسببه {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ومن يطع الله تعالى ورسوله في أمر الجهاد ولا يعصي لهما أمراً {يُدْخِلْهُ} يدخل الله تعالى الطائع لله ولرسوله {جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} والجنات جمع جنة وهي ثماني جنات وهي على الترتيب: أول الجنان دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض وثانيها دار السلام من ياقوت أحمر وثالثها جنة المأوى من زبرجد أخضر رابعها جنة الخلد من مرجان أصفر وخامسها جنة النعيم من فضة بيضاء وسادسها جنة الفردوس من ذهب أحمر وسابعها جنة عدن من در أبيض وثامنها دار القرار من المرجان. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧، ٢١٨]. {وَمَنْ يَتَوَلَّ} ومن يُعرض ويرفض ويأبى الخروج للحرب والجهاد وملاقاة العدو {يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} يعذبه الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً وموجعاً وقاسياً في نار جهنم.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ۝ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝﴾

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ} رضي الله وقبل من المؤمنين صنيعهم في صلح الحديبية {إِذْ يُبَايِعُونَكَ} عندما بايعك يا رسول الله المؤمنون على ألا يفروا عند ملاقات العدو {تَحْتَ الشَّجَرَةِ} وهي شجرة سمرة بأرض الحديبية وكان عدد المسلمين ما بين ألف وثلاثمائة وألف وخمسمائة {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} فعلم الله تعالى ما في قلوب المؤمنين من الصدق والعزيمة على مواجهة مشركي قريش بعد أن أتى خبر عثمان بن عفان أنه قُتل في قريش من قبل مشركي قريش فبايعوا الرسول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على أن لا يفروا في ملاقات قريش أبداً {فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ} فأنزل الله تعالى الطمأنينة والثبات والقوة والجلد على المؤمنين {وَأَثَبَهُمْ} وكافأهم الله تعالى {فَتَحًّا قَرِيبًا} هو فتح خيبر وحصونها ثم فتح مكة {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً} من خيبر حصل المسلمون على مغانم وغنائم كثيرة {يَأْخُذُونَهَا} وقد أخذها المسلمون من خيبر {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى ولا يزال {عَزِيزًا} منيعاً قوياً في ملكه {حَكِيمًا} حكيماً في شأن مخلوقاته وفي معاملته لهم وحكيماً يعمل بالحكمة {وَعَدَكُمُ اللَّهُ} أخبركم الله تعالى ووعدكم {مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} أي غنائم وأموال تأخذونها من الأعداء {فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} أي عجل لكم حصون خيبر وأموالها وأخذها {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ} وأوقف ومنع أيدي قريش

عنكم بصلح الحديبية {وَلَتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} أي كفه تعالى لأيدي الناس عنكم ومنعهم من أذاكم وإعطاؤكم مكافأة خيبر وأموالها وممتلكاتها وحصونها جعلها الله تعالى لكم عبرة وعظة {وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} ويهديكم الله دائماً صراطاً مستقيماً طريقاً لا اعوجاج فيه ويدلكم على طريق الحق والرشاد والهدى والصلاح.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} وطائفة أخرى وهي قبيلة هوازن {قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} قد أحاط الله تعالى بها علمه ومنعها من محاربتك وهي كان بينها وبين خيبر عهد أن ينصر كل منها الآخر {وَكَانَ اللَّهُ} كان ولا يزال دائماً {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} يقدر الله تعالى على فعل كل شيء وأمره بين الكاف والنون أي قادر على منع هوازن وغيرها من محاربتكم يا محمد يا رسول الله {وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولو قاتلكم وحاربكم الذين كفروا بالله ولم يصدقوا بالله ولا برسوله {لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ} أي لفروا هاربين منهزمين ولأعطوكم ظهورهم {ثُمَّ لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا} ثم بعد فرارهم لن يجدوا لهم ولياً يتولاهم ويحميهم منكم {وَلَا نَصِيرًا} ولا نصيراً ولا معيناً ولا مساعداً ينصرهم عليكم {سُنَّةَ اللَّهِ} حكمة الله وقانونه السماوي ونظامه في كونه {الَّتِي قَدْ خَلَتْ} التي قد مضت ومرت على مر الزمان وعلى طول الزمان {مِنْ قَبْلُ} في العصور والأمم الماضية والسابقة {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} ولن تجد يا

محمد يا رسول الله لسنة الله وقانونه ونظامه في كونه أي تحويل أو مخالفة أو تبديل.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

{وَهُوَ الَّذِي} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي {كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} منع أيدي المشركين من قريش عنكم وعن محاربتكم {وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} وأيديكم أيها المؤمنون فقد منعكم من قتلهم {بِبَطْنِ مَكَّةَ} في الحديبية حيث أنها تابعة لمكة {مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} من بعد أن أخذتم منهم أسرى ووقعوا أسرى في أيديكم وجعلكم الله تعالى تظفرون بهم وساعدكم عليهم {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى ولا يزال وعلى الدوام {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون {بَصِيرًا} مطلعاً وناظراً على أفعالكم وأعمالكم يراها كلها. قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو عامر العقدي عبد الملك ابن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي عن إياس بن سلمة عن أبي سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويهما فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها يعني الركي فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا قال: ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى البيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم: (بايعني يا سلمة) قال قلت يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس قال صلى الله عليه وسلم: (وأيضاً) قال ورآني رسول الله

صلى الله عليه وسلم عزلاً فأعطاني حجة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال صلى الله عليه وسلم: (ألا تبائع يا سلمة؟) قال قلت يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم قال صلى الله عليه وسلم: (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟) قال قلت يا رسول الله لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (إنك كالذي قال الأول اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي) قال ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطلحنا قال وكنت خادماً لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقي فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا في بعض أتيت شجرة فكسحت شوكتها ثم اضطجعت في أصلها في ظلها فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبغضتهم وتحولت إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل دهم فاخترطت سيفي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثاً في يدي ثم قلت والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه) فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل: " وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ " الآية. [وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريباً منه - ابن كثير ج ٤ ص ١٨٧، ١٨٨].

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ ۚ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾

{هُمُ} كفار قريش بمكة {الَّذِينَ كَفَرُوا} الذين كفروا ولم يؤمنوا ولم يصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله تعالى إليهم {وَصَدُّوكُمْ} ومنعوكم {عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} عن دخول مكة وعن المسجد الحرام لتقوموا بالعمرة {وَالْهَدْيِ} الذبائح التي معكم وقيل عددها سبعون بدنة {مَعْكُوفًا} ممنوعاً ومحبوساً عن الوصول {أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ} أن يصل إلى محله ليذبحوه عند الحرم في عمرتهم وقد منعتهم قريش من العمرة وبذلك لم يتمكن المسلمون من ذبح أو نحر هديهم وذبائحهم هناك عند المسجد الحرام وذلك في الحديبية {وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ} ولولا أنه يوجد في مكة رجال ونساء مؤمنون ومؤمنات بالله وبرسوله {لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ} لم تعلموهم أنهم مؤمنون فتقتلوهم جهلاً لعدم معرفتكم لهم {فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ} فعندما تقتلونهم بغير علم منكم لأنكم لم تعرفوهم بأنهم آمنوا بالله وبرسوله تصيبكم عند ذلك {مَعَرَّةٌ} أي

يعايركم بهم الأعداء بأنكم قتلتم المؤمنين مثلكم فتتعايرون بها بين القبائل {بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي بغير علم منكم أنهم مؤمنون أي بغير معرفة {لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ} أي ليدخل المؤمنين في مكة في رحمته تعالى ويحفظهم من القتل والتنكيل {لَوْ تَزَيَّلُوا} لو خرج المؤمنون الموجودون في مكة والذين لا تعلمونهم خلفكم وعلى أثركم ولم يتخلفوا ولم يمكثوا في مكة. وتزيلوا نسبة إلى ذيل الدابة يكون خلفها دائماً والمعنى لو خرجوا خلفكم وتركوا مكة مثلكم {لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ} أي لعذبنا الكفار منهم أي من أهل مكة {عَذَابًا أَلِيمًا} عذاباً أليماً وموجعاً وقاسياً بالأسر والهزيمة والقتل والتنكيل {إِذْ جَعَلَ} جعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِينَ كَفَرُوا} كفار قريش وهم من كفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ} جعل الله العصبية في قلوب كفار قريش والحمية والهيجان وعزة النفس ليحموا عزتهم وقريتهم مكة {حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} أي ثوران الحماس والتعصب الجاهلي أي بغير حق وبدون فهم فينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً بالباطل وأما التعصب للحق فينبغي أن يكون كما جاء في الحديث: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: (تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه). {فَأَنْزَلَ اللَّهُ} فأنزل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} أي اطمئنانه وهدوئه ووقاره أنزلهم الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين معه وهم الذين رافقوه في الحديبية وهي الراحة النفسية {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} في الحديبية جعلهم الله تعالى يلتزمون بكلمة الحق وهو قول الحق

{وَكَاُنُوْا} وكان الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
 والمؤمنون {أَحَقُّ بِهَا} أولى بها من غيرهم من الكفار {وَأَهْلُهَا} وهم أهل لذلك ولقول
 الحق واتباعه {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا} وكان الله تعالى بكل شيء عليماً
 ومحيطاً وعنده علمه ولا يعزب عنه مثقال حبة في السموات أو في الأرض فهو علام
 الغيوب وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان
 حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: إن قريشاً صالحوا النبي صلى
 الله عليه وسلم وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ابن
 أبي طالب رضي الله عنه: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل لا ندري
 ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب: باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم:
 (اكتب من محمد رسول الله) قالوا: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب
 اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب من محمد بن عبد الله)
 واشتروطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن
 جاءكم منا رددموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم:
 (نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله). [رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة
 به - ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٠].

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝﴾

{لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّءْيَا بِالْحَقِّ} لقد صدق الله رؤية رسوله سيدنا محمد
وجعلها تتحقق وكان رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه
دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك ولما حصل في صلح الحديبية أنه
منع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه الألف والأربعمئة أو الألف والخمسائة قد
منعتهم قريش من أداء العمرة سنة ست هجرية وعقدت قريش معهم صلح الحديبية
على أن يعودوا في العام المقبل أو القادم ولمدة ثلاثة أيام وعلى أن يضعوا السيوف
في أغمادها ولا يحملون سلاحاً غيرها وكان المسلمون يظنون أن في عام الحديبية
تنفذ هذه الرؤيا للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تتحقق في ذلك العام
{لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} وفي العام التالي في ذي القعدة سنة سبع ذهب صلى
الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة لأداء عمرة القضاء أي بدلاً من عام صلح
الحديبية الذي نحر وذبح الهدي فيه في الحديبية وعمل صلح الحديبية ورجع إلى
المدينة ولم يعتمر وحبس هديه هناك فقضاها في هذا العام وطاف بالبيت هو ومن
معه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وتحققت رؤيا سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم حقيقة حيث دخلوا المسجد الحرام {إِنْ شَاءَ اللَّهُ} تأكيداً على أن ذلك
سيكون بمشيئة الله تعالى وتوفيقه {ءَامِنِينَ} أي لا يخافون على أنفسهم من
قريش للمعاهدة التي تمت بينهم وبين قريش في صلح الحديبية من العام الماضي

{مُخَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ} أي بعض الصحابة بعد أداء مناسك العمرة حلق رأسه وبعضهم قص شعره وقصره قليلاً {لَا تَخَافُونَ} لا تخافون الناس من قريش كما كنتم في السابق تخافونهم وأنتم بين أظهرهم {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا} أي علم الله تعالى كيف لا وهو علام الغيوب بأنكم ستطوفون بالبيت وتحلقوا وتقصروا شعركم وهذا العلم أخبره للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من عام قبل صلح الحديبية وأنتم لم تعلموا بذلك حتى تم بإرادة الله ومشيئته {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ} فجعل قبل ذلك {فَتْحًا قَرِيبًا} وهو فتح خيبر وحصونها من اليهود {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ} هو الله الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم للناس بالرسالة {بِالْهُدَى} يهديهم للإسلام {وَدِينِ الْحَقِّ} الدين الحق والعدل والصحيح الذي يفرق فيه بين الحق والباطل وبين الظلمات والنور والجهل والهدى وهو دين الإسلام {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أي أظهره الله تعالى وأعلاه على جميع الأديان بأن ألغاه جميعها ولم يقبل من أحد من اليهود أو النصارى غير الإسلام كما قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} وكفاية أن الله تعالى هو الشاهد على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
 سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ
 ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
 فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

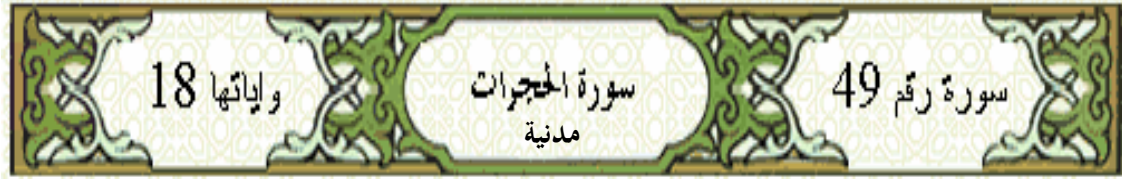
{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ } سيدنا محمد بن عبد الله هو رسول الله تعالى وهذه الآية حجة على من يتهم أن الرسالة نزلت بالخطأ على محمد صلى الله عليه وسلم فتاه جبريل عن علي بن أبي طالب ونزل بها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن هذه الآية الصريحة تكذب مزاعمهم وكما قال تعالى في آية أخرى: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ " ١٤٤ آل عمران. وكما قال تعالى أيضاً: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " ٤٠ الأحزاب. وكما قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " ٦ الصف. { وَالَّذِينَ مَعَهُ } وهم المؤمنون وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ } غلاظ شداد حازمين ويعاملونهم ويجاهدونهم بقوة وحزم وشدة وغلظة على الكفار وهم من كفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } يرحمون بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض فلا يتجبر كبيرهم على صغيرهم وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يُجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه). [عوارف المعارف ص ٤١٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

بالحمى والسهل). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٢]. {تَرٰهُمْ} أي إذا رأيتهم ونظرت إليهم تراهم {رُكْعًا سُجَّدًا} يصلون ليلاً ونهاراً لأن الصلاة عمود الدين من هدمها فقد هدم الدين {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ} يطلبون من الله فضله عليهم وهو الجنة {وَرِضْوَانًا} والرضوان هو الرضا عن أعمالهم وقيل الرضوان هو النظر إلى وجهه تعالى يوم القيامة كما قال تعالى: "وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ {٢٢} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ {٢٣}" ٢٢، ٢٣ القيامة. {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} سيماهم أي علاماتهم وملامحهم وإشارات في وجوه أصحابه صلى الله عليه وسلم وهي نوعان ظاهرة وباطنة أما الظاهرة فهي البقعة السوداء التي تظهر على جبهة المصلي من كثرة السجود وأما الباطنة وهي المهمة والمعول عليها وهي نور في الوجه ولمعان وإشراق يظهر في وجه كثير الصلاة وكأن وجهه مدهون بزبدة أو قشطة ولو نظرت لرجل من الأفارقة وكان صالحاً لرأيت وجهه يتلأأ وكأنه يلمع وكأنه مدهون بزيت وهذا النور يعرفه الصالحون ويرى في الصالحين وذلك أن نقاء سريره تظهر على وجهه فيتلأأ وجهه إشراقاً ولمعاناً {ذَٰلِكَ} ذلك المثال من كثرة الصلاة في الصحابة {مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ} أي ذكرتهم توراة موسى عليه السلام أي من اليهود {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} ومثلهم كذلك في الإنجيل صالحون كانوا يصلون فذكروا في إنجيل عيسى عليه السلام {كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ} أي كزرع أخرج ثمره {فَعَازَرُهُ} أي فحماه الله تعالى من الحشرات والآفات ومن الحيوانات أن تأكله ومن الرياح أن تكسره حتى يقوى {فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ} فقام الزرع واشتد وقوي وجمد وأصبح سميكاً وقوياً واستقام على سيقانه وقوي عوده ونضج ثمره {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ} أي هذه الثمار التي نضجت واستوت تعجب الزراع الذين زرعوها

{لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} يَكِيد وَيَغِيْظُ اللهُ تَعَالَى كِفَارَ قَرِيْشٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ وَيَجْعَلُ ذَلِكَ يَكِيدُهُمْ وَيَغِيْظُهُمْ {وَعَدَ اللهُ} تَعَاهِدُ اللهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ قَدْرُهُ وَعَلَا شَأْنُهُ {الَّذِينَ آمَنُوا} لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَلَأَتْكَ وَكَتَبَهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ {مِنْهُمْ} مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ هُمْ مِثْلُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ السَّابِقِينَ {مَغْفِرَةً} مَغْفِرَةً وَعَفْوًا وَتَجَاوُزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَيَعْفُو عَنْهُمْ {وَأَجْرًا عَظِيمًا} كَبِيرًا وَكَثِيرًا وَهُوَ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا وَحُورُهَا وَمِلْدَاتُهَا.

وهذه فائدة منقولة عن بعض العلماء المحققين أنه قال مما جرب لإذهاب الخوف والفزع والهم والغم أن يكتب بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين: الآية الأولى هي: " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ... (إلى قوله)... الصُّدُورِ " ١٥٤ آل عمران. والآية الثانية هي: " مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ " إلى آخر الآية من سورة الفتح ثم يحملان فمن حملها بآرك الله له في جميع أحواله ونصره على أعدائه وفرج الله عنه كل غم وهم وهما ينفعان للأمراض الباطنة وكل ألم يحدث في بدن الإنسان وكل آية منها تجمع حروف المعجم بأسرها من أراد ذلك فليكتبها في إناء نظيف ويمحوها بدهن ورد وزيت طيب أو زيت سمسم ويطلو بها الدمامل والطلوع والحزاز والثآليل والقروح فإنها تزول بإذن الله تعالى عاجلاً كما جرب مراراً والله على ما أقول شهيد جربتها كتابة بزيت وماء ورد فوالله إنها تشفي جميع الدمامل والطلوع والجروح وتوقف الدم مهما كان غزيراً فوراً والبواسير وهي منقولة من كتاب مجربات الديرابي الكبير ص ٣٨، ٣٩.

وفي كتاب البركة عن المسعودي: من قرأ سورة الفتح أول ليلة من رمضان حفظ في ذلك العام. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ} لا تقترفوا المعاصي ولا تعلنوا بها من الشرك
والكفر والجحود والإنكار والذنوب أمام الله تعالى فهو يراكم ويسمعكم {وَرَسُولِهِ} ولا
تكذبوا رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ولا تنكروا ما جاء به من
القرآن ومن الأوامر والنواهي {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واخلشوه ولا تعصوه وأطيعوه فيما
أمر {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يسمع كلامكم
وقولكم {عَلِيمٌ} يعلم ويعرف ومحيط بأقوالكم وأفعالكم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} والآية لها معنيان معنى ظاهري وهو
أن لا تجعلوا أصواتكم وكلامكم أعلى من صوت النبي سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم ومعنى باطني هو ألا ترفعوا أصواتكم بالمعاداة له فلا تضايقوه ولا تعادوه ولا
تُهيئوه ولا تُجرحوه ولا تتعالوا عليه ولا تغلبوه بصوتكم ولا تجادلوه ولا تحتدوا
عليه برفع صوتكم {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ} والمعنى الظاهري أيضاً لا ترفعوا
أصواتكم ولا كلامكم وأنتم تخاطبونه والمعنى الباطني لا ترفضوا له أمراً ولا تُظهروا
له الضجر أو عدم القبول ولا تجادلوه {كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} كقول أحدكم أو
كلامه مع زميله أو كأنه شخص عادي لا فرق بينكم وبينه أو كلامكم مع بعضكم
البعض من الناس أو كما يجهر بعضكم لبعض بالعداوة والبغضاء والمجادلة والحقْد
والحسد {أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ} أن تفسد وتبطل وتهلك وتضيع وتذهب أعمالكم هباءً
وسدى وتخسروها وتفقدوها {وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} وأنتم لا تحسون ولا تدرون ولا
تعلمون خطأكُم وذنبكم الذي اقترفتُموه بذلك {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ} الذين
لا يرفعون أصواتهم وكلامهم وقولهم ومحادثاتهم وجدالهم {عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ} عند
وبحضور وأمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

لِلتَّقْوَى} هم الذين امتحن واختبر الله قلوبهم وعلم ما فيها من تقوى وإيمان وصلاح وورع {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لهؤلاء مغفرة وعفو من الله تعالى لذنوبهم السابقة ولهم كذلك مكافأة {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} كثير وكبير وهو الجنة ونعيمها وملذاتها. قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الخباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس ابن شماس حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: " لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ " قال قعد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدي رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشي فشدي عليّ الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال وأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله فأخبره خبره فقال: (اذهب فادعه لي) فجاء عاصم رضي الله عنه إلى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجاً فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يبكيك يا ثابت؟) فقال رضي الله عنه أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في: " لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ " فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟) فقال رضيته ببشرى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أرفع صوتي أبداً على صوت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنزل الله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى " الآية. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٧]. وكما جاء في الصحيح: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ} إن الذين ينادون عليك ويطلبونك {مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ} من خلف البيوت وهي بيوت وحجرات نسائه أي حجراته للنوم وهي غرف النوم والراحة {أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} أغلبهم لا يفهمون ولا يعرفون أن للبيت حرمة فالبيوت أو حجرات النوم وغرف النوم هي للراحة فمن ينتهك أوقات الراحة أو النوم أو الهدوء أو الاستجمام فهو لا يعقل ولا يفهم ولا يدرك بأن ذلك إقلاق للراحة وانتهاك للحرمات حرمت البيوت وقد يكون الرجل نائماً مع زوجته في تلك الساعة. وهذا الأمر طبعاً في الأمور العادية وحيث لم تكن هناك عجلة أو طارئ هام كالجهاد أو هجوم العدو فعندئذ لا بأس ولكن الأمر الذي جاءوا بسببه ليس بالأمر الهام المستعجل الذي لا صبر فيه {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ} ولو أن هؤلاء النفر صبروا قليلاً حتى تخرج إليهم وبدون إزعاج أو إقلاق للراحة أو بعد قضاء بعض شؤونك الخاصة {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} أي كان خيراً وأفضل لهم حتى ينتهي رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض شؤونه الخاصة أو بعد انقضاء راحته حتى يخرج إليهم وهو غير مشغول البال وفي حالة نفسية طيبة وفي راحة تامة حتى يتفرغ لهم ولأسئلتهم ولمشاكلهم. وهذا الأدب الرباني ليس فقط اتجاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مع جميع البيوت حتى لا يكون هناك إزعاج وقلق للراحة وانتهاك لحرمات البيوت في وقت الراحة للناس بعضهم مع بعض والقرآن الكريم كله نزل أصلاً موجهاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه يطبق على المسلمين إلى يوم القيامة كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " و " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " و " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ " كله موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ويطبق على أمته إلى يوم القيامة وحتى يرث الأرض ومن عليها وهذا أدب رباني حتى نأخذه نحن المسلمين ونقتدي به {وَاللَّهُ غَفُورٌ} والله تعالى لا يريد أن يمسك أخطاء على خلقه بل يريد أن يعلمهم الأدب والأصول والواجب عليهم أن يتبعوه مع رسولهم ومع بعضهم البعض فالله غفور يغفر هذه الأخطاء ويتجاوز عنها ويعفو عنها كرمًا منه {رَحِيمٌ} فهو يرحم عباده ورحمته سبقت عذابه ولذلك يريد أن لا يضيق الناس بعضهم على بعض بجهلهم بل يريد أن يعلمهم وبهذا فهو يرحمهم من العنت ومن الذنوب ومن السلوك الخاطئ. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع ابن حابس رضي الله عنه أنه وهو من بني تميم أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال صلى الله عليه وسلم: (ذاك الله عز وجل). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٨].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ﴿٦﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ} إذا جاءكم واحد بخبر وهو فاسق والفاسق هو المعلن بالمعصية ولعاصي والكاذب {بِنَبَأٍ} بخبر وبمعلومة عن شخص {فَتَبَيَّنُوا} وفي قراءة ثانية فتثبتوا أي تحققوا من الخبر ومن المعلومات حتى لا تكون كاذبة أو قيلت عداوة وبغضاء وحقداً وحسداً {أَن تُصِيبُوا قَوْمًا} أي تنتقموا منهم وتعادوهم {بِجَهْلَةٍ} أي بجهل وعدم تأكد وافتراء وكذب {فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} فتندموا على فعلكم ومخاصمتكم معهم لأنها خطأ وكذب وغير صحيحة والمعلومات كاذبة عنهم ولا ينفع الندم بعدها كمن يقتل ابنته بتهمة الزنا وهي كذب. وسبب النزول كما قال مجاهد وقتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل الوليد ابن عقبة إلى بني المصطلق يتصدقهم [أي يطلب الزكاة منهم] فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية. قال قتادة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (التثبت من الله والعجلة من الشيطان). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٠]. ونورد هنا قصة فقد روى مجاهد عن ابن عباس أن امرأة حسناء في زمان

بنی اسرائیل راودھا عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عليها عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلباً لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها. فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكماً وتزياً أربعة منهم بزي أولئك وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلباً فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم. [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٧]. وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحببتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا إلى سليمان فأخبرته فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى). [سبل السلام ج ٤ ص ١١٩ ، البخاري ج ٤ ص ١٩٨].

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾

{وَأَعْلَمُوا} ولتعلموا يقيناً وليكن في علمكم {أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ} أنه يوجد بينكم رسول الله وهو فيكم ليس كأحد منكم بل عليكم أن تحترموه وتوقروه وتعظموه وتبجلوه ورسول الله هو سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم {لَوْ يُطِيعُكُمْ} لو يوافقكم ويطيعكم وينزل عند رغباتكم {فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ} في كثير من رغباتكم وفي أكثر وأغلب الأحكام والمشاكل والشئون {لَعَنِتُمْ} لاختلغتم وتفرقتم وضللتهم وهلكتم وابتعدتم عن الحق والصواب وكما قال تعالى: " وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ " ٧١ المؤمنون. {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ} ولكن الله تعالى رحمة بكم وبفضل منه ورحمة حبيب إليكم وجعله محبوباً ومقبولاً ورغبه إليكم {إِلَّا يَمُنَ} الإيمان والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} زينته وحلّه وجمّله وزخرفته في قلوبكم وأنفسكم وجعلكم تحبون الإيمان والتقوى وتريدونها وترغبون فيها {وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمْ} جعله مكروهاً مذموماً ومبغوضاً في قلوبكم وأنفسكم {الْكُفْرَ} هو الكفر وعدم التصديق بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالْفُسُوقَ} هو إعلان بالمعصية {وَالْعِصْيَانَ} عدم الطاعة وعدم الانقياد وعدم التوجه للطاعة {أُولَٰئِكَ} الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله والذين حبيب إليهم الإيمان والتقوى {هُمُ} الرَّاشِدُونَ هم المهتدون وهم من رشدوا واتبعوا الحق والهدى والصواب

{فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ} رحمة وكرماً وتفضلاً من الله تعالى على عباده بأن حُب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان {وَنِعْمَةً} ونعمة وفضلاً من الله تعالى على عباده {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله عليم بخلقه وما ينفعهم وما يضرهم {حَكِيمٌ} حكيم وذو حكمة بخلقه وما ينفعهم.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ} وإن حدث أن طائفتين وفئتين وقبيلتين ومجموعتين {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} من المسلمين ممن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. بعكس لو كانوا كفاراً فلا إصلاح بينهما حتى يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين لأنهم يحاربون الله ورسوله ومصيرهم إلى نار جهنم {اقْتَتَلُوا} تضاربوا وتحاربوا {فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا} أي سواوا الأمر بينهم بالصلح والمصالحة وحلوا الإشكال بينهم {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ} فإن تجبرت واحدة على الأخرى ظلماً وبهتاناً وغلطاً لأنها أقوى منها عدداً وعدةً وتعتدي على الأخرى لضعفها وهوانها {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} فعندها وجب عليكم إذا الصلح لا يجدي معهم فعندها قاتلوا هذه الفئة الباغية حتى ترجع إلى الحق والعدل وتعديل عن غيها وظلمها وبغيها وتجبرها وترجع وتقبل وترضى بحكم الله بينهم {فَإِنْ فَاءَتْ} فإن رجعت الفئة الباغية عن غيها وضلالها وتجبرها وعنادها وظلمها

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ} أي أصلحوا بينهما بالحكم والقضاء العادل الذي لا ظلم فيه ولابغي ولا فساد ولا إهدار حق لإحدهما {وَأَقْسِطُوا} اعدلوا واقضوا واحكموا بالحق والعدل {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} يحب العادلين في حكمهم وفي قضائهم وفي صلحهم لا جور ولا ظلم ولا بغي ولا سلب حقوق أو إهدارها أو إخفاءها تعمدًا. وعن محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا). [رواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به - ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} أي المؤمنون والمسلمون هم إخوة في الدين وفي الإسلام كإخوة الأبوين أو إخوة الرضاعة {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} فعليكم بالصلح بين أخويكم إذا تشاجرا أو تخاصما فما بالكم بإخوة الدين وإخوة الإسلام {وَاتَّقُوا اللَّهَ} واخشوه وخافوه في الصلح بالعدل والحق وعدم المحاباة أو الظلم أو عدم المصالحة فخافوا الله واتقوه واخشوه وأصلحوا بين المؤمنين {لَعَلَّكُمْ تُرحَمُونَ} حتى تُرحمون من الله تعالى ويدخلكم رحمته وعفوه وجنته.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِّ بِئْسَ الْأَاسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} النداء وتوجيه القول للمؤمنين الذين آمنوا بربهم وصدقوا رسولهم وآمنوا بالقرآن وما أنزل فيه وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ} يوجه الله تعالى المؤمنين إلى عدم السخرية والاستهزاء بعضهم ببعض فلا يسخر ولا يستهزئ أحد من أحد أو قوم من قوم أو قبيلة من قبيلة أو جماعة من جماعة لأن عادات الإسلام وعادات المؤمنين هي أرفع من السخرية والاستهزاء بل عليهم بالآداب وعليهم احترام بعضهم {عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} فيمكن أن تكون لمن تَسَخَّرَ منه منزلة عند الله أرفع وأسمى وأحسن وأفضل منك وخاصة لو كان من عباد الله الصالحين أو كان ولياً لله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: (أخفى الله ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً وغضبه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً وأخفى وليه في خلقه فلا تحقرن منهم أحداً). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٠]. وقال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة ابن زيد عن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (رُبَّ أشعث ذي طمرين يصفح عن أبواب الناس إذا أقسم على الله لأبره). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٧]. وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب [وفي رواية فقد آذنته بالحرب] وما

تقرب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩]. والسخرية تكون عادة من باب الكبر والعلو وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو مرفوعاً: (من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٩]. وكما قال تعالى: " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا " ٣٧ الإسراء. {وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ} وكذلك لا تسخر النساء من بعضهن {عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ} عسى التي يسخرن منها تكون أفضل منهن منزلة عند الله تعالى حيث تؤدي فرضها وتحفظ فرجها وترضي زوجها وربها {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} أي لا تهمسوا استهزاءً على غيركم وسماء القرآن أنفسكم لأنه إن حقرت أخاك المسلم كأنك تحقر نفسك والمثل العربي يقول: "التفلة تحت في اللحية وفوق في الشارب" أي أين ما ذهبَت تصيب صاحبها {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} أي تسموا بعضكم بأسماء وألقاب جارحة والتنابز في التنادي بتحقير الغير بما يكره من أسماء وألقاب صبيانية قيلت في البداية كمزاح ومداعبة للطفل وعندما يكبر لا يصح أن يقال أو تطلق عليه وخاصة بعد أن منعها الإسلام ونهى عنها {بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ} بئس أي ساء هذا الاسم الذي قائله يطلق عليه فاسق لأنه شذ عن الحكم والنهي عن الاسم القبيح {بَعْدَ الْإِيمَانِ} بعد أن آمن بالله وبما أمر الله فكيف لا ينتهي ولذلك يطلق على من

يتنازب بالألقاب المشينة والجارحة والكريهة لغيره بأن هذا اللقب فيه فسق ومعصية
علنية لقائله {وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ} ومن لم يرجع عن النداء بهذه الألقاب الجارحة
والذي يكرهها من تناديه بها {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فيكونوا بذلك ظالمين
لأنفسهم وعصوا الله تعالى وعليهم وزر ذلك والعذاب يقع عليهم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون الذين آمنوا بربهم وصدقوا رسوله وآمنوا بالقرآن
وما أنزل فيه وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اجْتَنِبُوا}
ابتعدوا وتجنبوا وتحاشوا {كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} كثيراً من الظن بدون بينة أو تثبت
{إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ} إن بعض هذا الظن {إِثْمٌ} إثم وذنب عليك خاصة لو اتهمت
امرأة عفيفة في عرضها وشرفها كذباً وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم: (بيننا امرأة تُرضع ابنها إذ مرَّ بها راكب وهي ترضعه فقالت اللهم
لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم رجع في الثدي
ومرَّ بامرأة ويُلعَب بها فقالت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقال اللهم اجعلني مثلها
فقال أما الراكب فإنه كافر وأما المرأة فإنهم يقولون تزني وتقول حسبي الله ويقولون
تسرق وتقول حسبي الله). [صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١١]. {وَلَا تَجَسَّسُوا}
التجسس على الناس كشف عوراتهم واتباع عوراتهم والتنصت عليهم ومراقبتهم في
خلواتهم وهذا منهي عنه شرعاً {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} والغيبة هي أن تذكر
أخاك بما يكره حقداً عليه وحسداً له وليس كنصيحة لأحد استشارك في تزويجه

ابنته مثلاً أو كشراكة في تجارة أو غيرها بل تذكره بدون سبب للتجريح فقط ولأنك تحقد عليه وتحسده لأنه أفضل منك جاهاً أو منزلة أو لم يعطك شيئاً أو غيره منه فهذا هو الحرام أما النصيحة كأحد أراد أن يعلم عنه شيئاً لزواج أو تجارة بينهما أو خلافه فلا بأس أن تخبره لأن الدين النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم: (أما معاوية فصعلوك وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. وقد ورد في النهي عن كل ما سبق أحاديث كثيرة منها: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً). [رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى ابن يحيى وأبو داود عن العبسي ثلاثتهم عن مالك به - ابن كثير ج ٤ ص ٢١٣]. (والتجسس) هو تتبع العورات بنفسه يراقب (والتحسس) هو الاستماع إلى أقوال الغير عنه (والتنافس) ليس في الدين أو الأعمال الصالحة أو التفوق في الدراسة بل التنافس في الحرام في الزنا أو شرب الخمر أو الربا (والتحاسد) والحسد نوعان نوع معه عداوة وحقد على المحسود وتمني زوال النعمة عنه وهذا لا يجوز لأن الله تعالى هو الذي أسبغ نعمته عليه وهو المنعم والمتفضل وكما قال تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ " ٥٤ النساء. والنوع الثاني وهو حسد الغبطة وهو أن يسر الحاسد ما يراه على المحسود دون ذكر الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأما لو ذكر الله فإنها لا تضر (والتباغض) هو العداوة بدون مبرر أو ذنب ارتكبه. قال الطبراني عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن) فقال رجل ما يذهبن

يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال صلى الله عليه وسلم: (إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٣]. وأما الغيبة فقد روى أبو داود عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (ذكر أخاك بما يكره) قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته). [ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح - ابن كثير ج ٤ ص ٢١٣]. ومعناه كما أسلفنا أن تذكر أخاك بما يكره حقاً عليه وحسداً له لا كنصيحة لأحد استشارك في زواج أو تجارة معه فهذا يجوز حيث الدين النصيحة. وفي الحديث الآخر عن أبي بردة البلوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته). [تفرد به أبو داود وقد روي من حديث البراء بن عازب - ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. {أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت ويكون جيفة ومتعفنًا وطبعاً هذا تتقرز وتتشعر منه النفوس وهكذا فغيبته من وراء ظهره كأنك تأكل لحمه وهو ميت ومعفن ورميم لحمه {فَكَرِهْتُمُوهُ} فاشمأزتم منه ومن نتنه. وروى الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون: حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن هاهنا امرأتين صامتا وإنهما كادت أن تموتان من العطش أراه قال بالهجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا نبي الله

إنهما والله قد ماتتا أو كادتتا تموتان فقال: (ادعهما) فجاءتا قال فجيء بقدرح أو عس فقال لإحدهما: (قيئي) فقأت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح ثم قال للأخرى: (قيئي) فقأت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً ودماً عبيطاً وغيره حتى ملأت القدح ثم قال: (إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٦]. وفي رواية: (إن نفراً من المنافقين اغتابوا أناساً من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح) وربما قال: (فلذلك هاجت هذه الريح). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٦]. {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واخشوه واجتنبوا نواهيه {إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} إن الله تعالى تواب لمن تاب وندم ورجع عن الغيبة ورحيم به يدخله جنته يوم القيامة إذا تاب ورجع وندم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس عموماً الأبيض والأشقر والأسود والأحمر الكبير والصغير {إِنَّا} يقول الله تعالى بالجمع لتفخيم الجلالة فهو ذو الجلال والإكرام {خَلَقْنَاهُمْ} أول الخلقة من آدم وحواء بدأ خلق الناس {مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ} من رجل وامرأة فالذكر هو آدم عليه السلام والأنثى هي حواء ثم خلق الذرية كذلك من ذكر وأنثى من أب وأم وهكذا إلى يوم القيامة يستمر النسل بالتزاوج من الذكر والأنثى {وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا} أي كثرناكم وأنتم من رجل وامرأة من آدم وحواء فكثرناكم حتى أصبحتم شعوباً والشعوب هي كل دولة مثل الشعب المصري أو السوداني أو العراقي أو الجزائري أو الشعب الليبي أو الشعب الأفغاني أو الشعب السوري أو الشعب الفلسطيني أو اللبناني أو الشعب الأمريكي أو الشعب الروسي وهكذا فالشعب هو مجموع الدولة {وَقَبَائِلَ} أما القبائل فهي أصغر من الشعوب حيث الشعب به عدة قبائل بل كل مدينة أو قرية بها عدة قبائل متفرقة {لِتَعَارَفُوا} أي لتتعارف الشعوب على بعضها كالشعوب العربية بعضها مع بعض وتتعارف مع باقي الشعوب على عاداتهم وتجارتهم وصناعاتهم وآلامهم وأحزانهم وهمومهم وآثارهم ومتاحفهم ومصانعهم وكذلك كل شعب مع الشعب الآخر وكذلك تتعارف القبائل بعضها مع بعض ويمكن أن تصير بينها المصاهرة والزواج وتختلط الأنساب ويتعارفوا على عاداتهم ويتزاوروا بينهم حتى تصير المحبة والألفة والتعاون والخبرة والمصلحة المشتركة والتعاون حتى لو حصلت حروب مع بلاد أخرى تكون بينهم صلة التراحم والتعارف والتآلف والمساعدة والنجدة والمعونة وهكذا {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ}

عِنْدَ اللَّهِ { إِنَّ أَفْضَلَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَأَكْثَرَ قَرَبًا مِنْهُ { أَتَقْنَكُمُ } هُوَ أَكْثَرُكُمْ تَقْوَى وَصَالِحًا وَهَدَى وَرَشَادًا وَإِيمَانًا وَعَمَلًا صَالِحًا وَخَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" ٤٦ الرحمن. { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ } إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَلَا شَأْنُهُ وَعَظُمَ قَدْرُهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ وَخَفَايَاهُمْ وَعَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ { خَبِيرٌ } عَلِيمٌ وَمَحِيطٌ وَمَطْلَعٌ عِنْدَهُ خَبِرَ وَمَعْرِفَةٌ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ. قَالَ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى الثَّقَفِيِّ عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُنْبِيعِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصْلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٧].

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

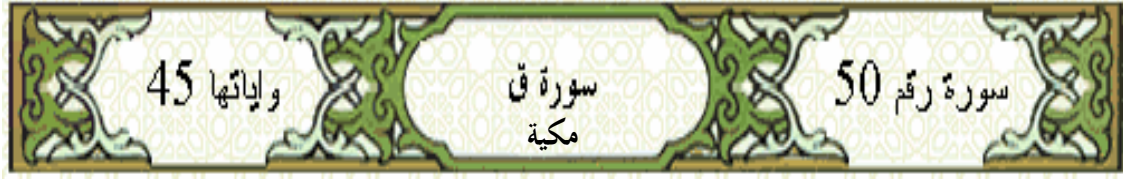
{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ } والأعراب هم أهل البادية قالوا { ءَامَنَّا } أي أصبحنا مؤمنين مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن الله تعالى رد عليهم { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { لَمْ تُؤْمِنُوا } لم تصلوا إلى رتبة الإيمان وهي أعلى مرتبة من الإسلام { وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } والإسلام هو أقل منزلة من الإيمان والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل فالإيمان عمل لما أخرج الشيرازي عن عائشة رضي الله عنها قالت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بالله الإقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان). [خزينة الأسرار ص ١٦٧]. والإسلام نطق بالشهادتين سواء عمل أم لم يعمل تكاسلاً مع عدم إنكار فرائض الإسلام وسننه {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} لم يصل بعد الإيمان إلى قلوبكم وإلا لعملتم وجاهدتم مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم تتخلفوا عنه وتقولوا إن بيوتنا عورة وما هي بعورة {وإن تُطِيعُوا اللَّهَ في فرائضه ومنها الجهاد وهو سنام الإسلام {وَرَسُولُهُ} وتطيعوا رسول الله في سنته وأوامره وفي الجهاد {لَا يَلْتَكُمُ} لا ينقصكم {مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} من أجور وثواب أعمالكم هذه شيئاً {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} إن الله تعالى يغفر ويعفو لمن تاب وندم {رَّحِيمٌ} ورحيم به يدخله الجنة إذا أخلص التوبة والندم {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} إنما درجة الإيمان وهم المؤمنون الصادقون {الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} الذين صدقوا بالله وأوامره ونواهيهم وبما جاءهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} ثم لم يشكوا ولم يظنوا ولم يختلفوا أي لم يتغيروا عن دينهم ولم يتركوه {وَجَاهَدُوا} وقاتلوا وحاربوا الأعداء {بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} بالأموال التي يملكونها ينفقونها في سبيل الله تعالى ويجاهدوا بأنفسهم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في سبيل الدفاع عن الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله تعالى {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} وهؤلاء هم الصادقون الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم {قُلْ} قل لهم يا محمد {أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} هل تعلمون وتعرفون الله بدرجة إيمانكم وبدِينكم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} يعرف {مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} غيب السموات السبع وما فيهن والأرض وما فيها

{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} واللّٰه تعالى بكل شيء عليم ومحيط وخبير ويعرفه ويعرف عدد القطر وأوراق النبات وذرات التراب ومكيال الأمطار وماء البحار والأنهار وحيثان البحر ووحوش الفلا وتسبيح النمل السارحات في الصخور الصم في الظلمات.

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

{يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} يتباهون ويتفاخرون ويعملون جميلة عليك أن أسلموا ودخلوا في دين الإسلام {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ} لا تتباهوا ولا تتفاخروا عليّ وتعملونها جميلة عليّ بإسلامكم وبدخولكم الإسلام {بَلِ} ولكن {اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} الله تعالى هو الذي هداكم للإسلام وإلا كنتم كفاراً تعبدون الأصنام والأوثان فالفضل يرجع لله تعالى عليكم حتى يرحمكم من عذاب النار يوم القيامة وكما قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ " ٤٣ الأعراف. {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في إيمانكم وداومت عليه والتزمت به {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إن الله تعالى هو علام الغيوب فيعلم غيب أي كل ما غاب عنا في السموات السبع والأرض في بحارها وسهولها وجبالها ووديانها وقفارها {وَاللَّهُ بَصِيرٌ} عليم يرى {بِمَا تَعْمَلُونَ} ما تفعلون من خير أو شر فالله تعالى يعلمه فهو يعلم السر وأخفى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ

هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾

{قَ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (ق) هو قوله تبارك وتعالى: " قَوْلُهُ الْحَقُّ " ٧٣ الأنعام. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ} أي يقسم الله وحق القرآن المجيد المعظم المبجل المجد والمشرف والعظيم {بَلْ عَجِبُوا} أي عجب واستغرب ودهش الكفار {أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} أي جاءهم رجل منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن جنسهم من جنس البشر ولم يكن ملكا {فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} فقال الكفار هذا الأمر وهذا الرسول وما يقوله عن القيامة والبعث هذا شيء عجيب وغريب ولا يصدق. وهذه السورة هي أول الحزب المفصل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب بها في كل جمعة على المنبر. قال أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي صلى الله عليه وسلم واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت " ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ " إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كل يوم

جمعة على المنبر إذا خطب الناس. [رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به - ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٠]. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد، عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت. [ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به - ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٠].

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكُمْ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۖ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝﴾

{أَإِذَا مِتْنَا} هل إذا متنا ومات الواحد منا {وَكُنَّا تُرَابًا} أي تحلل الجسد وبلي الجسد وصار تراباً واختلط به {ذَلِكُمْ} الموت والرميم والجسد البالي والرفات {رَجْعٌ بَعِيدٌ} أن يرجع حياً يوم القيامة ثانية بعد أن بلي وتحلل الجسد فذلك الرجوع حياً بعيد أي لا يحصل إطلاقاً وهذا يعني أنهم مكذبون بالبعث وبيوم القيامة ولم تقبله عقولهم ولم يصدقوا به وهذا الكفر بعينه والغرور والعناد وعدم التصديق للرسول محمد صلى الله عليه وسلم {قَدْ عَلِمْنَا} قد علم الله تعالى جل جلاله والجمع هنا للتعظيم والتفخيم للجلالة {مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} أي يعلم الله تعالى ويعرف ماذا تنقص الأرض منهم بالموت وكم يموتون كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة بل كل لحظة ويعرف حتى أجسادهم وهي تبلى وكيف تتناقص يوماً بعد يوم حتى تبلى وتندثر {وَعِنْدَنَا} عند الله تعالى {كِتَابٌ حَفِيفٌ} وهو اللوح المحفوظ فيه ذكر كل شيء خلق أولم يخلق ومحفوظ فيه كل شيء وكل كبيرة وصغيرة والرجل متى يولد وكم عمره ومتى يموت ومن ذريته وكم كل واحد

منهم يُعمر وفيه الآجال والأعمار والأرزاق والحياة والموت وما بعد الموت وكل شيء
 {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ} كذب الكفار بالرسول عليه الصلاة والسلام وهو حق وبالقُرآن
 كذبوا به وهو حق {لَمَّا جَاءَهُمْ} لما أتاهم على لسان الرسول محمد صلى الله عليه
 وسلم {فَهُمْ} الكفار {فِي أَمْرِ مَرِيحٍ} في أمر مختلط عليهم وهم في دوامة والأمر
 ملتبس عليهم والأمر شاغل بالهم وهم يتخبطون وهي مأخوذة من الهرج والمرج
 والأمر المريح هو الأمر شديد الاختلاف وشديد الاختلاط والالتباس.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾
 وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً
 وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ} أفلم ينظر الناس عموماً والكفار خصوصاً نظر اعتبار
 وتفكر إلى السماء الدنيا فوقهم وهي أول سماء من السموات السبع {فَوْقَهُمْ} وهي
 ترى فوقهم بالعين المجردة {كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} كيف الله تعالى بقدرته بناها عرضها
 خمسمائة عام وبعدها عن الأرض خمسمائة عام وسمكها خمسمائة عام {وَزَيَّنَّاهَا}
 زينها الله تعالى بلونها الأزرق الجميل الجذاب مثل لون البحر وزينها الله تعالى
 بالكواكب والنجوم التي تضيء السماء في الليل والتي رسمت برسم هندسي جذاب
 {وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} والسماء الدنيا التي فوقنا ونراها بأعيننا ليس فيها فروج ولا
 ثقب ولا شقوق أو فتحات مثقوبة أو متهدمة من عدم أو من غش البناء أو من قلة
 الإسمنت أو الحديد في البناء أو لعدم مطابقة المواصفات في مواد البناء. ألم ينظر
 الناس عامة والكفار خاصة ولو للحظة واحدة كيف خلق الله تعالى هذه السماء بدون
 أعمدة نراها وعرضها عرض الأرض فتبارك الله أحسن الخالقين الذي أتقن كل

شيء صنعاً {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} ومد الله تعالى الأرض وبسطها للناس وجعلها ممدودة طويلة تسع الناس والحيوانات والبحار والأنهار والقارات والمحيطات والمد هو الاتساع في المساحة {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} وألقى الله تعالى وجعل في الأرض أي على ظهرها جبلاً رواسي أي لا تتحرك مثل الوتد للخيمة أو الصخرة الكبيرة على البساط حتى لا يتحرك أو تحركه الرياح والرواسي هي الثقيلة لتثبيت الأرض من التحرك أو الانقلاب بمن عليها وهذه حكمة أخرى من الخالق سبحانه وتعالى لأنه عليم حكيم {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا} وأنبت الله تعالى في الأرض {مِنْ كُلِّ زَوْجٍ} من كل صنف زوج ذكر وأنثى من النباتات الذكر للتلقيح والأنثى للثمار وكذلك من كل زوج أبيض وأسود مثل التين الأسمر والتين الأبيض والعنب الأبيض والعنب الأسمر والبلح الأصفر والبلح الأحمر والتفاح الأخضر والتفاح الأحمر وهكذا من كل زوج أي اثنين {بَهِيحٍ} من البهجة وهو ما يدفع السرور إلى النفس ويدخل الفرح في القلب من منظره الحلو الجميل الجذاب وهو ما يبهج النفس والقلب ويجلب السرور من منظره ومن مأكله {تَبَصَّرَةٌ} أي عظة لمن يتعظ ولمن يبصر ويعرف الحقيقة أن الله تعالى هو الخالق وهو المحيي والمميت وهو الرازق وهو على كل شيء قدير وكما قال تبارك وتعالى: " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " ٤٦ الحج. {وَذِكْرَى} تذكرة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً وكما قال تعالى: " فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى " ٩ الأعلى. وكما قال تعالى: " وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " ٥٥ الذاريات. وكما قال تعالى: " فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ " ٤٥ ق. {لِكُلِّ عَبْدٍ} لكل عبد من عباد الله تعالى {مُنِيبٍ} يرجع إلى الله تعالى بالتوبة والندم والطاعة والعبادة ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث والنشور.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَرَّكَاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ
الْخُرُوجُ ﴿٣﴾ ﴾

{وَنَزَّلْنَا} نزل الله تعالى والجمع هنا للتبجيل لله تعالى لأنه ذو الجلال والإكرام
جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} أي المطر ينزل من السحاب
من جهة السماء {مُبَرَّكَاً} أي تكون فيه البركة والنماء للزرع وللناس وللحيوانات
وللطيور وهو ماء صافي ومكرر ونقي ولم تلمسه يد بشر تعكره أو تلوثه وليس به
شوائب ضارة وهو شفاء للناس وبركة للزرع وللخصب وليس به أملاح ضارة للأرض
ولا للنبات {فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ} فأنبت الله تعالى بهذا المطر النازل والساقط على
الأرض جنات من الحدائق والبساتين والأشجار والنباتات فتصير الأرض جنات من
الحدائق والبساتين والنباتات والأشجار {وَحَبَّ الْحَصِيدِ} وتثمر النباتات وتخرج
الحب الذي يحصده الناس ويجنونه من أرضهم وزروعهم ومثل الحب الذي يحصد
ويجنى القمح والشعير والعدس وغيرها {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} طوال شاهقات في
الطول أو باسقات مخرجات من أكمامها قنو البلح وعناقيد البلح وكما يقال بسق
الفجر أي طلع {لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} لها ثمر ناضج قد استوى ثمره على سوقه وجاهز
للأكل وجميل ومتراكم بعضه على بعض {رِزْقًا لِلْعِبَادِ} فهو رزق من الله تعالى
خلقه للعباد بقدرته حتى يتمتعوا بحلاوته ولذته وحتى يقتاتوا به وهذه نعمة من
نعمه سبحانه وتعالى للعباد لا يستطيعها أحد غيره كيف لا وإذا أمحل أو لم يخرج
النخل بلحه ماذا عساهم يفعلون {وَأَحْيَيْنَا بِهِ} وأحى الله تعالى بالمطر وبالماء
النازل من السماء {بَلْدَةً مَيِّتًا} أي بلداً كان شبه ميت لا زرع فيه ومات الضرع

بسبب عدم وجود النباتات والزرع فيحيي الله تعالى بهذا المطر أن يخرج النبات من الأرض فتدب الحياة في الحيوانات والناس والطيور بعد أن كانت الأرض قاحلة مجدبة أحيائها الله بخروج النبات للعباد والحيوانات {كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} وهكذا الله تعالى كما هو قادر على إحياء الأرض بالمطر فتدب فيها الحياة كذلك يحيي الله تعالى الموتى بقدرته ويخرجهم من قبورهم يوم القيامة أحياء للجزاء والعقاب.

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴿١٥﴾ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾

{كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ} كذبت قبل قريش {قَوْمُ نُوحٍ} عليه السلام وقد مكث في قومه يهديهم إلى عبادة الله تعالى وحده ألف سنة إلا خمسين عاماً ولم يصدقوه فأغرقهم الله تعالى واسمه شاكر ومن كثرة بكائه ونواحه لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه فأوحى الله إليه هذا خلقنا فاخلق أنت مثله فصار يبكي وينوح ولذلك سمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى {وَأَصْحَابُ الرَّسِّ} والرس اسم بئر قال ابن إسحاق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود) وذلك أن الله تعالى بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك العبد الأسود ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئراً فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاماً وشراباً ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلي إليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت قال فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ثم إنه ذهب يوماً يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد

سِنَّةً فَاظْطَجَعَ فَنَامَ فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ فَتَمَطَّى فَتَحَوَّلَ لَشَقِّهِ الْآخَرَ فَاظْطَجَعَ فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ سَبْعَ سِنِينَ أُخْرَى ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ وَاحْتَمَلَ حَزْمَتَهُ وَلَا يَحْسَبُ إِلَّا أَنَّهُ نَائِمٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَجَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ فَبَاعَ حَزْمَتَهُ ثُمَّ اشْتَرَى طَعَاماً وَشَرَاباً كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْحَفِيرَةِ مَوْضِعُهَا الَّذِي كَانَتْ فِيهِ فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ وَكَانَ قَدْ بَدَأَ لِقَوْمِهِ فِيهِ بَدَاءً فَاسْتَخْرَجُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ قَالَ فَكَانَ نَبِيُّهُمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ مَا فَعَلَ؟ فَيَقُولُونَ لَهُ لَا نَدْرِي حَتَّى قَبِضَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَهَبَّ الْأَسْوَدَ مِنْ نَوْمَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لِأَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ). [وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب - ابن كثير ج ٣ ص ٣١٩].

{وَتَمُودُ} هم قوم صالح عليه الصلاة والسلام وسميت القبيلة باسم بئر بأرض الحجر فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة في جبل ففعل ذلك فكذبوه وعقروا الناقة فأهلكهم الله بالصاعقة والزلزلة **{وَعَادُ}** هم قوم هود عليه الصلاة والسلام فكذبوه فأرسل الله تعالى عليهم الريح العقيم فأهلكتهم عن آخرهم **{وَفِرْعَوْنُ}** وهو الوليد بن مصعب كذب موسى عليه السلام ولم يصدقه فأغرقه الله وقومه في اليم **{وَإِخْوَانُ لُوطٍ}** وهم قوم لوط عليه السلام وهم أهل بلدة سدوم ومدائن لوط عليه السلام بالأغوار بالأردن قرب البحر الميت كانوا يلوطنون بالرجال ويتركون النساء ويأتون الرجال في أدبارهم فخسف الله بهم وجعل قريتهم عاليها سافلها وأهلكهم جميعاً وأهلك معهم زوجة لوط عليه السلام وهي التي كانت تخبر قومها عن ضيوف لوط عليه السلام حتى يلوطنوا بهم **{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}** وهم قوم شعيب عليه السلام (والأيكَة هي الشجر الملتف على بعضه لكثافته) كذبوا شعيباً فأهلكهم الله تعالى **{وَقَوْمُ تَبَعٍ}** وهم أهل اليمن وتبع هو ملك من ملوك اليمن وكل

ملك لليمن يسمى تبع واسمه أسعد الحميري وقد آمن بسيدنا محمد قبل أن يولد سيدنا محمد وهو أول من كسا الكعبة {كُلُّ كَذَبِ الرُّسُلِ} كل هؤلاء الأقوام كذبوا الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى قومهم {فَحَقَّ وَعِيدُ} فحق عليهم العذاب من قبل الله تعالى يوم القيامة بالعذاب في نار جهنم لأنهم كذبوا رسلهم ولم يصدقوهم ولم يتبعوهم ولم يؤمنوا بهم {أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ} يقول الله تعالى هل تعبنا من بداية الخلق سواء خلق الناس أو السموات والأرض طبعاً لا كما قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " ٣٨ ق. أي لم نتعب لأن الله تعالى فعله كلام يقول للشيء كن فيكون {بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ} في شك {مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} من خلق الله تعالى من جديد للناس وأن الله تعالى قادر على إعادة الخلق من جديد كما بدأه أول مرة.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَخُنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ ۚ أَلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} ولقد خلق الله تعالى الإنسان وسمي بالإنسان أولاً لأنه ينسى وثانياً لأنه يأنس إلى غيره ويستأنس بغيره {وَنَعَلْمُ} أي يعلم الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ} ما تحدثه نفسه في خاطره وخياله وما يجول بباله من الخواطر {وَخُنُّ} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل لجلاله سبحانه

وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} أي الله تعالى يعلم عن الإنسان ما يُسرّه فهو أقرب إليه من حبل الوريد العرق الذي بالرقبة إذا قطع مات الإنسان دلالة على قرب الله تعالى أي يعلم ما في نفس الإنسان وكما قال تعالى: "وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" ٢٨٤ البقرة. فالمحاسبة دليل على العلم والمعرفة فهو يعلم السر وأخفى أي ما لم يعرفه الإنسان من قبل ذلك أي يعرفه ويعلمه من الأزل وقبل أن يخلق الإنسان أو يولد ما هو عمله وماذا يفكر وكل شيء مكتوب عنده في اللوح المحفوظ {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ} إذ يستقبل الملكان الموكلان مع ابن آدم ما يقوم به من عمل فيسجلانه {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} قاعدان الملكان الموكلان مع الإنسان ومع كل واحد من بني آدم يوجد معه دائماً لياً ونهاراً ملكين واحد على الكتف اليمين يكتب له الحسنات وواحد على الشمال أي الكتف الشمال يكتب السيئات والذي على اليمين هو أمير الذي على الشمال {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ} ما ينطق بأية كلمة أو حرف أو همسة {إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} إلا معه ولديه الملكان وهما الذي يكتب الحسنات على اليمين واسمه رقيب والذي يكتب السيئات على اليسار واسمه عتيد. قال الإمام أبو جعفر ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ابن صالح القشيري حدثنا علي ابن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد ابن جعفر عن كنانة العدوي قال دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: (ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها؟ قال لا لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثاً قال أكتبها أراحنا

الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منّا يقول الله: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ١٨ ق. وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى: " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ١١ الرعد. وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظون عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤]. كيف لا وعثمان بن عفان الذي علم ذلك استحيا من الملائكة فلم تكشف له عورة حتى لو دخل الحمام يستحم استحم بملابسه ولذلك استحت منه ملائكة السماء وكما قال تعالى: " هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ٩ الزمر. وهذا الحديث أفضل حديث شرح وبوضوح كم عدد الملائكة مع ابن آدم وما عملهم وهل يداومون أو ينقطعون عنه وقال صلى الله عليه وسلم: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم). {وَجَاءَتْ} وحضرت وأتت {سَكْرَةُ الْمَوْتِ} النزاع عند الموت والموت له سكرات وإغماءات فيغمى عليه تارة ويصحو تارة وهي سكرات الموت فيغيب عن وعيه وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: (سبحان الله إن للموت لسكرات). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٥]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للموقف ألف هول أدناها الموت وإن للموت تسعة وتسعين جذبة لألف ضربة بالسيف أهون من جذبة منها فمن أراد أن يؤمنه الله من تلك الأهوال فعليه بعشر كلمات خلف كل صلاة وهي:

اللهم إني أعددت لكل هول لا إله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل أعجوبة سبحانه الله ولكل ذنب أستغفر الله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ولكل ضيق حسبي الله ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). [نزهة المجالس ج ١ ص ٥١]. {بِالْحَقِّ} بالصدق لا كذب فيها ولا مزاح بل بالجد ليس بالهزل {ذَلِكَ} أي الموت {مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} ما كنت تتحاشاه وتخشاه وتخاف وتبتعد عنه وتحاول أن تنساه أو تتناساه ولا تريد أحداً أن يذكرك به أو يفكرك به أو يتحدث أمامك عنه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} والنفخ هو حقيقي وليس خيالاً والذي ينفخ فيه هو إسرافيل عليه السلام {ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} أي هذا اليوم وهذا النفخ هو يوم القيامة وهي النفخة الثالثة نفخة البعث. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن من نور) قلت يا رسول الله كيف هو؟ قال: (عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبياً لعظم دارته كعرض السماء والأرض ينفخ فيه ثلاث نفحات نفخة للفرع ونفخة للصق ونفخة للبعث فيأمر الله تعالى إسرافيل في النفخة الأولى فينفخ فيه فيفزع من في السموات ومن في الأرض وهو قوله تعالى " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " ٨٧ النمل. وتزلزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل

ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتصير الولدان شيباً وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة وتضرب وجوهها فترجع وهو قوله " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " ٢٠، ١ الحج. فيمكنون ما شاء الله [وقيل أن بين النفخة والنفخة أربعين سنة] ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماء وأهل الأرض يعني يموت أهل السماء والأرض إلا من شاء الله وهو قوله تعالى " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " ٦٨ الزمر. والاستثناء يعني أرواح الشهداء وقيل به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فيقول الله عز وجل لملك الموت: من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب أنت حي لا تموت بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وبقيت أنا فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم [وفي رواية محمد ابن كعب عن رجل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أن الله سبحانه وتعالى يقول: ليتمت جبريل وميكائيل وإسرافيل وليتمت حملة العرش] ثم يقول الله عز وجل: يا ملك الموت من بقي من خلقي؟ فيقول أنت الحي الذي لا تموت وبقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول يا ملك الموت ألم تسمع قلبي " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " وأنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت وفي خبر آخر أنه يأمره بقبض روح نفسه فيجيء إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه بنفسه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لما اتوا من صيحته ويقول لو كنت علمت أن النزع مثل هذه الشدة والمرارة لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشد شفقة ثم

يموت فلا يبقى أحد من الخلق فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية: أين الملوك وأين أبناء الملوك أين الجبابرة وأين أبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري ويعبدون غيري؟ ثم يقول الله تعالى " لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ " فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: " لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " ثم يأمر الله تعالى السماء تمطر فتمطر السماء كمنى الرجال أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت ثم يقول الله تعالى ليحيى إسرافيل وحملة العرش فيحيون بأمر الله تعالى. ويأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور ويضعه على فيه ثم يقول الله تعالى ليحيى جبريل وميكائيل فيحيان بأمر الله تعالى ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها فيجعلها في الصور ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم فتنشق الأرض عنهم) ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق عنه الأرض). [تنبيه الغافلين ص ١٧]. والآية القرآنية الآتية توضح ذلك في قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " ٦٨ الزمر. وفي الحديث: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنة جبهته وانتظر أن يؤذن له) فقالوا يا رسول الله كيف نقول؟ قال: (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٥]. {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} وجاءت وحضرت يوم القيامة كل نفس من الجن والإنس معها سائق يسوقها إلى المحشر ومعها آخر شهيد يشهد على ما فعلته في الدنيا من خير أو شر {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا} لقد كنت أيها الإنسان في

غفلة ونسيان وسهو من هذا الأمر وهو يوم الحساب يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} فكشف الله عنه غطاء السهو والنسيان وغطاء اللهو واللعب والتكذيب وغطاء الباطل {فَبَصَرُكَ} الْيَوْمَ حَدِيدٌ} فبصرك الآن يوم القيامة حديد وصاحي ولا يكذب وبانت الحقيقة ووضح الأمر وبان وأصبح يرى النار عين اليقين والحق والصدق وذلك يوم القيامة.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾

{وَقَالَ قَرِينُهُ} الملك الموكل بحفظ أعماله الصالحات وهو الشهيد على أعمال ابن آدم وهو "رقيب" وهو الأمير على الذي على الشمال [على السيئات] الملقب بـ "عتيد" وكما أسلفنا في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم: (ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها؟ قال لا لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثاً قال أكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ١٨ ق.). والحديث سبق في تفسير الآية ١٨ من هذه السورة مطولاً. وأيضاً القرين من الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٢

ص ٥٠٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق الحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان) ثم قرأ: " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ". [عوارف المعارف ص ٤٥٩]. {هَذَا} أي الكتاب المكتوب فيه كل شيء من قبل الملائكة كما قال تعالى: " مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا " ٤٩ الكهف. {مَا لَدَيَّ} ما عندي مكتوب فيه كل عمل عمله ابن آدم في حياته {عَتِيدٌ} يا عتيد أي يا ملك الموكل بالسيئات أي يا أيها الملك (يا عتيد) وهو اسم الملك الموكل بالسيئات الذي يكون على شمال ابن آدم دائماً {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ} اقدفوا وألقوا في نار جهنم {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} كل من كفر وهو عنيد في كفره ومتغطرس في عناده وفي شركه والعنيد هو المتكبر والمتجبر والمتغطرس في عناده وإصراره والمصر على كفره وطغيانه {مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ} يمنع الخير من نفسه على غيره ويمنع الخير من الآخرين على الناس {مُعْتَدٍ} متعدي وقد اعتدى على حرمة الله تعالى وعلى الناس {مُرِيبٍ} شاك وظان في الله ورسوله ويوم القيامة {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} الذي أشرك بالله غيره وجعل له أندادا وشركاء مثل الأوثان والأصنام وكما فعلت النصارى حيث قالوا عيسى ثالث ثلاثة أو هو الله أو هو ابن الله واليهود قالوا العزيز ابن الله ومن على شاكلتهم {فَأَلْقِيَاهُ} فألقوه واقدفوه وارموه {فِي أَلْعَذَابِ الشَّدِيدِ} في نار جهنم في عذاب شديد قوي أليم وموجع.

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا
لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ
﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾

{ قَالَ قَرِينُهُ } والآن هنا القرين هو الشيطان المقارن له دائماً والموكل بإغوائه
والذي هو على صفة ذلك الشخص حيث كل مولود يولد يولد معه شيطان وهو
قرينه وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به
قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي ولكن
الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٢
ص ٥٠٤]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا
حماد حدثنا ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: إن إبليس لعنه
الله تعالى قال يا رب إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا
بسلطانك قال: فأنت مسلط. قال يا رب زدني قال: لا يولد له ولد إلا وُلد لك
مثله. قال يا رب زدني قال: أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى
الدم. قال يا رب زدني قال: أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال
والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. فقال آدم عليه الصلاة والسلام يا
رب قد سلطته عليّ وإني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى: لا يولد لك ولد إلا
وكلت به من يحفظه من قرناء السوء. قال يا رب زدني قال: الحسنه عشر أو
أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها. قال يا رب زدني قال: باب التوبة مفتوح ما
كان الروح في الجسد. قال يا رب زدني قال: " يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٥٩، ٦٠]. { رَبَّنَا } يقول الشيطان وهو القرين لابن

آدم يوم القيامة ربنا وإلهنا {مَا أَطْعَيْتُهُ} أي ما أجبرته على الطغيان والكفر والمعاصي والذنوب {وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} ولكنه هو كان منغمساً في الضلال والذنوب والمعاصي لأذنيه ومتورطاً ومنغمساً في المحرمات والذنوب والمعاصي لأبعد الحدود فالشيطان عليه فقط التزيين والتشجيع والتسهيل في ارتكاب المعصية والزخرفة والتجميل وفي الحديث: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان) أي يزينها ويجميلها ويحليها له ويرغبه فيها ويرغبها فيه حتى تقع الفاحشة ويقعوا في الذنب وهذا هو عمل الشيطان وليس عمله بالإكراه وبالغضب عنهما {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} قال تعالى لا فائدة من الخصام الآن أمامي ولا ينفع الندم ولا الدفاع عن النفس {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} وقد قدمت إليكم في الدنيا وأرسلت إليكم الرسل منذرين ومحذرين من عذاب يوم القيامة وقلت: " مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " وقلت: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " {مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} لا تغيير في كلامي وهو " مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " وكذلك: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " فالיום للحساب والجزاء والعقاب وليس للمساءلة ولا للدفاع {وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ} وما الله تعالى يظلم أحداً حيث بعث الرسل منذرين ومحذرين وأنزل الكتب السماوية وأنزل القرآن الكريم ليتعظ الناس وكما يقال فقد أعذر من أنذر {يَوْمَ} يوم القيامة يوم الحساب والعقاب {نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ} يقول الله تعالى وهو أعلم لجهنم هل امتلأت من المذنبين والعصاة من الناس وهل بقي فيك سعة فتزد جهنم {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} أي لا يزال بها سعة وتقول هل من زيادة أخرى فلا يزال بها سعة للمجرمين. قال

البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام ابن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحتاج الجنة والنار فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً آخر). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة). [رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه - ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٧]. وهنا معنى قدم الله قال الحسن البصري: القدم هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لجهنم. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ۚ ۝٣٣ مِّنْ خَشْيِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۚ ۝٣٤ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۚ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ} وقربت الجنة وراها الناس وهم المؤمنون وتبينت لهم ووضحت وراها الناس {لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} للذين يتقون الله ويطيعونه ويخشون عذابه ويعبدونه حق عبادته فهي ليست بعيدة المنال عنهم فهي قريبة لهم فما أن يتم حسابهم حتى يدخلوها آمنين {هَذَا مَا تُوعَدُونَ} هذا اليوم وهذا الوعد بدخول الجنة {لِكُلِّ أَوَّابٍ} لكل عبد راجع إلى الله وتائب ونادم {حَفِيفٍ} حافظ لنفسه من الوقوع في الذنوب أو المعاصي وحافظ لحدود الله تعالى فلا يعتديها وحافظاً لجوارحه من الحرام والمعاصي والذنوب {مِّنْ خَشْيِ الرَّحْمَنِ} من خاف الله تعالى وهو الرحمن الذي يرحم عباده في الدنيا {بِالْغَيْبِ} يخشاه ويخافه في السر والعلن والغيب ما غاب واستتر عن الناس أي يخشى الله تعالى في خلوته {وَجَاءَ} وجاء يوم القيامة {بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} بقلب تائب طائع عابد {أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} ادخلوا أيها المتصفون بهذه الصفات من الإنابة والطاعة والعبادة ادخلوا الجنة بسلام أي بأمان واطمئنان {ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} ذلك اليوم وهو يوم القيامة ودخولهم الجنة هو يوم الخلود والدوام الأبدي {لَهُمْ} لمن يدخل الجنة من المؤمنين {مَا يَشَاءُونَ فِيهَا} مما تشتهي أنفسهم وما يطلبون من الحور العين والفواكه ولحم طير مما يشتهون {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ولدى الله تعالى في الجنة مزيد وقيل أفضل شيء رؤية الله تعالى في الجنة وفي الحديث: (إن السحابة لتتمر بالملا

من أهل الجنة وهم جلوس على شرابهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى إنّ منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أتراباً فيكون ذلك). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٦٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتیه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها: من أنت؟ فتقول أنا من المزد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى [شجرة طوبى] فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٩]. وفي الحديث الآخر: (يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيراً من النظر إليه - وهي الزيادة). [ابن كثير ج ٣ ص ١٧٠].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِصٍ﴾  إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ 

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ} وكم من أعداد أهلكتنا وأمتناها ودثرناها فهي مع الأموات قبلهم أي قبل كفار قريش من القرون والأزمان الماضية والفائتة {هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا} هم أولئك القرون الماضية من كان منهم أشد بطشاً وتجبراً وقوة {فَنَقَّبُوا} أي استخرجوا خيرات الأرض من معادن وزروع {فِي الْبِلَادِ} في بلادهم وأقطارهم ومدنهم وقراهم {هَلْ مِن مَّحِصٍ} فهل لهم من ملجأ أو هروب من الموت ومن عذاب الله تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الهلاك والموت لهم {لَذِكْرٍ} لعظة وموعظة {لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} لمن كان له قلب يفهم به ويتعظ ويعتبر {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ} أو استمع للنصيحة {وَهُوَ شَهِيدٌ} وهو حاضر القلب والعقل والوجدان.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ

لُغُوبٍ﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} لقد خلق الله تعالى السموات السبع والأرضين السبع {وَمَا بَيْنَهُمَا} من شمس وقمر ونجوم وكواكب ورياح {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} في ستة أيام من أيام الدنيا لكن كل يوم منها عند الله تعالى بألف سنة مما تعدون وكما قال تعالى: " يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ه السجدة. وقال تعالى: " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ٤٧ الحج. والسنة تعادل اثني عشر شهراً كما قال تعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ " ٣٦ التوبة. {وَمَا مَسَّنَا} وما أصاب الله تعالى {مِنْ لُغُوبٍ} من تعب أو إرهاق في خلقهن. قال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد: قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة " قُلْ أَتِنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ مِنْ يَوْمٍ) لمن سألته قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي

الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة) ثم قالت اليهود ثم ماذا يا خالد؟ قال: (ثم استوى على العرش) قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح. فغضب النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم غضباً شديداً فنزل: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ " . [ابن كثير ج ٤ ص ٩٤].

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾

{ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } اصبر يا محمد يا رسول الله على ما يقول لك الكفار من الإيذاء ومن التحريض على عدم طاعتك وعدم اتباعك وتكذيبهم لك. واصبر أي جالد نفسك وتحمل الأذى { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } أي قل سبحان الله وبحمده وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ص ٢١٥]. وأخرج الطبري في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥]. قال عبد الله ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال: إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرضين وما فيها لو وضعت

في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لكانت أرجح منها ولو أن السماوات والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء). [مكاشفة القلوب ص ١٥١]. ومعنى (سبح بحمد ربك) أي كل شيء يتم بحمد الله {قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ} أي بعد الفجر وقبل طلوع الشمس لأن ملائكة الليل تبدل عملها بملائكة النهار {وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} وكذلك في صلاة العصر تتبادل ملائكة النهار مع ملائكة الليل كما جاء في الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصلعون إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} وفي الليل وقيام الليل سبح الله تعالى {وَأَدْبَرَ السُّجُودِ} خلف الصلوات سبح الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين واحمد الله ثلاثاً وثلاثين.

﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿٥٤﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٥٥﴾﴾

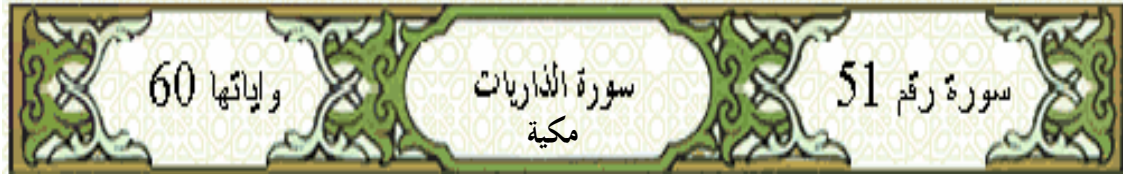
{وَأَسْتَمِعْ} يا محمد يا رسول الله اسمع {يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ} يوم القيامة ينادي ملكٌ بأمر الله تعالى على الناس ينادي ثلاث مرات يقول في الثالثة: يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٦١]. قال قتادة قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكاً ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٠]. {مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} من مكان قريب يسمعه جميع الناس وقيل المكان هو صخرة القدس الشريف {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ} يوم القيامة يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخ نفخة البعث وهي الثالثة والأخيرة وفي الحديث: ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها فيجعلها في صور ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الخياشيم فتنشق الأرض عنهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق الأرض عنه). [تنبيه الغافلين ص ١٧]. والصيحة هي النفخ في البوق أو الصور أو القرن كما دلت عليه الأحاديث النبوية {بِالْحَقِّ} بالصدق واليقين ولا كذب فيها {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} يخرج الناس من قبورهم حفاة عراة. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صفيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم تُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً) قالت عائشة رضي

الله عنها: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: (يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهتمهم ذاك). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥]. {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ} الله تعالى وهنا الجمع للتبجيل لجلال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فالله تعالى هو الذي يحيي الموتى من بعد موتهم وهو الذي خلقهم من قبل من العدم وأحياهم من لا شيء ثم يميتهم في أي طور من أطوار حياتهم نطفة أو علقة أو مضغة أو طفل أو شاب أو شيخ أو في أرذل العمر {وَالْيَا أَلَمَصِيرُ} وإلى الله تعالى يوم القيامة مصير جميع الخلق ونهايتهم وإلى الله مرجعهم فيحاسبهم على كل عمل عملوه من خير أو شر {يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ} يوم تنشق الأرض لتخرج منها الأموات ويحيون للحساب والجزاء وذلك يوم القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق الأرض عنه). [تنبيه الغافلين ص ١٧]. {سِرَاعًا} أي تتابعاً وبسرعة كما تخرج الفئران من جحورها {ذَلِكَ} ذلك العمل وهو إحياء الموتى وخروجهم من قبورهم للمحشر {حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} حشر الناس إلى المحشر سهل علينا وفي الحديث: (نار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا). [رواه مسلم من حديث مطول - ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥].

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ

وَعِيدٍ ﴾

{نَحْنُ} يقول الله تعالى نحن وهنا الجمع للتبجيل لجلال عظمتة سبحانه وتعالى وهو ذو الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْلَمُ} نعلم ونعرف ونحيط به علماً {بِمَا يَقُولُونَ} بما يقولون عنك يا محمد وبما يقولون بعضهم إلى بعض من التحريض عليك يا رسول الله وبتكذيبك ورسالتك {وَمَا أَنْتَ} ولست أنت يا محمد يا رسول الله {عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} ما أنت يا محمد يا رسول الله بجبار في إرغامهم على تنفيذ ما جئتهم به بالقوة وبالعرف وبالسيرة لأنه لا إكراه في الدين {فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ} فعظ وذكر الناس وفكرهم بمواعظ القرآن وأحكامه وإرشاداته وأوامره ونواهيه وأن من اتبع ما جاء به دخل الجنة ومن خالفه وعصاه دخل النار {مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ} ذكر الذين يخشون الله وعذابه يوم القيامة وهو المؤمنون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا ﴿١﴾ فَالْحُمِلَتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجُرَيْتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾

{وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا} وهي الرياح تذر التراب والغبار وتدفعه وتطيره في الهواء
{فَالْحُمِلَتِ وِقْرًا} وهي السحاب والغيوم الممتلئة بالماء وهي تمشي مثقلة وكأنها
تمشي بوقار وبسكينة لحملها الماء في السماء {فَالْجُرَيْتِ يُسْرًا} وهي السفن وهي
تجري في البحار والأنهار تمخر الماء وتشقه بسهولة ويسر {فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا}
وهي الملائكة تقسم الأرزاق على الناس وتوزع السحاب والماء على بقاع الأرض كل
بقدر وبما هو مكتوب له من الرزق كما قال تعالى: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ"
٢٢ الذاريات. {إِنَّمَا تُوعَدُونَ} إن ما توعدون به من يوم القيامة ومن بعث الناس
من قبورهم للحساب والجزاء والعقاب {لَصَادِقٌ} لصادق ذلك الوعد وليس كذباً ولا
افتراءً بل صحيح وحق وكما قال تعالى: "وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ
يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ" ٧ الحج. {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} وإن يوم الحساب والجزاء
والعقاب لواقع لا محالة وكما قال تعالى: "وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا" ٢١
الكهف. (وإن الدين لواقع) هو دين الإسلام لواقع وحقيقي وصحيح ولا كذب ولا
افتراء فيه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ {٧} إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ
 الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ
 عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ} والسماء الدنيا ذات {الْحُبُكِ} الصناعة الجيدة المتقنة المحبوكة
 والمصنوعة بإتقان فتبارك الله أحسن الخالقين وكما قال تعالى: " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
 سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ
 فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ {٤} " ٤، ٣
 الملك. وذات الحبك يمكن أن تكون ذات النجوم المزدحمة والمتكدسة والكثيرة
 والسماء المملوءة بالنجوم {إِنَّكُمْ} أيها الناس {لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} المؤمنون يؤمنون
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والكفار يكذبون بالبعث والنشور وبيوم
 القيامة ويكذبون الأنبياء والرسل ويكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم {يُؤَفِّكُ
 عَنْهُ} يصرف عنه ويبعد عن التصديق بيوم البعث ويوم القيامة {مَنَ أْفِكَ} من
 كذب وتولى وكفر {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} قتل وهلك الكذابون المرتابون في البعث {الَّذِينَ
 هُمْ فِي غَمْرَةٍ} في سكرة ولهو وسهو منغمسون {سَاهُونَ} لاهون ساهون لا يفكرون
 في مصيرهم يوم القيامة ونار جهنم تنتظرهم وأعدت لعذابهم لكفرهم وتكذيبهم
 بالبعث {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ} يسألون مستنكرين ومكذبين متى يوم القيامة
 {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} يوم القيامة هم على النار يعرضون ويعذبون {ذُوقُوا
 فَتَنَتَكُمْ} ذوقوا عذاب معصيتكم وتكذيبكم وكفركم {هَذَا} هذا العذاب في نار
 جهنم {الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} الذي كنتم به تطلبون العذاب عاجلاً وسريعاً
 فيها هو قد أتاكم الآن فذوقوا العذاب بما كنتم تكذبون.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ ﴾

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} إن المتقين الطائعين الخائفين من عذاب الله تعالى وهم المؤمنون. والتقوى هي حماية النفس ووقايتها من عذاب الله تعالى يوم القيامة {فِي جَنَّاتٍ} والجنات هي جمع جنة حيث أن عدد الجنان ثمانية دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار وكل على حسب منزلته ودرجته ومكانته وعبادته يدخل إحداها. وفي الصحيحين: (إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم) قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء؟ قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. {وَعُيُونٍ} وعيون من الماء الغير آسن ولم يتغير طعمه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأصفى من المرآة {ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ} آخذين بأوامر الله تعالى ونواهيه ويؤدون الفرائض ويجتنبون المحرمات ويؤدون الطاعات ويجتنبون النواهي {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ} إنهم كانوا زيادة على ذلك وكانوا قبل ذلك اليوم في الدنيا أي قبل يوم القيامة {مُحْسِنِينَ} محسنين أعمالهم الصالحات وأحسنوا العبادة والطاعة

لله تعالى {كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} كانوا يتهددون أغلب الليل وكانوا قليلاً من الليل ما ينامون يصلون ويذكرون الله ويسبحون ويهللون ويكبرون ويقرؤون القرآن ويستغفرون كما قال تعالى: " قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا {٢} نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا {٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا {٤} " ٢-٤ المزمّل. وقال تعالى: " إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ " ٢٠ المزمّل. {وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} والاستغفار والتوبة والندم تكون مع السحر حيث الناس ينامون وتكون ساعة التجلي وحيث ينزل ربنا إلى السماء الدنيا يقول هل من مستغفر فأغفر له وثبت في الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر). وفي الحديث الصحيح: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٤]. وسيد الاستغفار هو كما روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أدلك على سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وارحمني فإنك أنت الغفور الرحيم. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة). [أخرجه البخاري]. {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} وفي أموال المتقين حق وهو الزكاة {لِّلسَّائِلِ} للشحاذ الذي يشحذ أو المتسول الذي يطلب الصدقات. والحق نوعان فرض وهو الزكاة وصدقات وهي تبرع يخرجها المسلم زيادة على الزكاة يخرجها من أمواله.

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب ابن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للسائل حق وإن جاء على فرس). [ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً - ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٤]. {وَالْمَحْرُومُ} كل من ليس له أموال ولا أراض ولا عقارات ولا ممتلكات ولا ميراث فلا نصيب له ولا زرع ولا فلاح له فهو محروم من الميراث والأموال والعقارات ومحروم من أنواع الطعام فلا يجده. قال محمد ابن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال يقولون إنه لمحروم. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٤].

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۖ ﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ ٢١ ﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿ ٢٣ ﴾

{وَفِي الْأَرْضِ} الأرض التي نحن عليها {ءَايَاتٌ} دلائل واضحات وبيّنات مثل الجبال والوديان والسهول والقفار والبحار والأنهار والعيون والآبار والأشجار والحيوانات والطيور {لِّلْمُوقِنِينَ} للمصدقين وللمعتبرين {وَفِي أَنْفُسِكُمْ} من اختلاف الألوان والألسنة واللغات والعقول والفهم والإدراك والذكاء والقوة والشجاعة والجمال والقيح والطول والقصر وكذلك فائدة النظر والسمع والشم والذوق واللمس والأيدي والأرجل... الخ. {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} أفلا ترون وتتعضون وتهتدون {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} وهو المطر الذي ينزل على الأرض فينبت الزرع والحب والأشجار

والفواكه والنباتات وترعاه المواشي فتأتي لنا باللبن والحليب والجبن والسمن واللحم والأرض بالحب والثمار والفواكه وهذا كله رزق لنا من الله تعالى وذلك كله مما يجلب المال الذي هو عماد الحياة الدنيا وكل ذلك بسبب نزول المطر لقوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " ٣٠ الأنبياء. {وَمَا تُوْعَدُونَ} من كثرة ماء المطر وما يأتي به من خصب وبركة ونماء أو ما توعدون من قلة المطر وما يحدث بسببه من قحط وجفاف ومحل {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} يقسم الله تعالى بذاته العلية وبربوبيته وهو رب السماء والأرض جل جلاله وعظم سلطانه وعلا شأنه {إِنَّهُ لَحَقُّ} لصدق وصحيح ولا شك فيه {مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ} أنه قالوا قلوبنا غلف وإننا في شك مما تدعوننا إليه ويستعجلون بالعذاب فالله تعالى يقول لهم حق مثل ما تطلبون أي آتيكم بالعذاب كما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ٢٢ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٣ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ٢٤ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٥ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ٢٦ قَالُوا لَا تَخَفْ ٢٧ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٨ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠

{هَلْ أَتَاكَ} هل وصلك أو هل علمت أو هل أخبرت أو هل أنبأك أحد {حَدِيثُ} قصة ومحادثة {ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} ضيوف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ابن آزر الذي أتته الضيوف {الْمُكْرَمِينَ} وهم الملائكة المكرمين والمحترمين والمبجلين والموقرين وكما قال تعالى: " كِرَامًا كَاتِبِينَ " ١١ الإنفطار. وكما قال

تعالى: " يَا أَيُّدِي سَفَرَةٍ {١٥} كِرَامٍ بَرَرَةٍ {١٦} " ١٦، ١٥ عبس. {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ} دخلوا على إبراهيم عليه الصلاة والسلام في بيته {فَقَالُوا سَلَامًا} ردوا عليه السلام وهي التحية للزائر عند دخول البيت إذا لم يكن غائباً أو معتدياً {قَالَ} إبراهيم عليه الصلاة والسلام {سَلَامٌ} أي رد عليهم تحية السلام {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} أي قوم لم يعرفهم أي لم يعرفهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهكذا كانت تأتي الملائكة في صفة رجال للامتحان أو لأمر ما {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ} أي فراح وذهب إلى زوجته سارة وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام أي راح إلى أهله وذهب إلى أهله متسللاً وعمل لهم طعاماً كعادة العرب وأهل الكرم وهذه صفة الكرم من الصفات العربية الأصلية {فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ} أي أكرم الضيوف بعجل سمين وليس بهزيل وهذه من صفات الكرم ومشوي {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} أي وضعه أمامهم أمام الضيوف {قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} أي تفضلوا كلوا فلما لم يأكلوا {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} حدثته نفسه منهم خوفاً لماذا لم يأكلون هل يريدون شراً بإبراهيم عليه السلام ولكن الملائكة تعلم {قَالُوا لَا تَخَفْ} فطمأنوه وقالوا له لا تخف نحن ملائكة {وَنَشْرُوهُ} وأخبروه وبشروه {بِغُلْمٍ عَلِيمٍ} بإسحاق مولوداً جديداً يكون عليمًا ونبياً ورسولاً {فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ} فحضرت زوجته سارة رضي الله عنها {فِي صَرَقٍ} في دهشة وعجب من قولهم {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ} أي ضربت على وجهها لاطمة خدها بيدها متعجبة من قولهم وهي تكتم فرحتها في صدرها وقالت {عَجُوزٌ عَقِيمٌ} أي هي أصبحت امرأة عجوزاً كبيرة في السن وكانت عقيماً في شبابها لم تحمل ولم تخلف. والقصة أنه لما أمر الله تعالى جبريل أن يقلب مدائن قوم لوط عليه السلام قال للملائكة إن لله خليلاً فزوروه فدخلوا على إبراهيم ليلاً فقرب لهم عجلاً حنيذاً أي

مشوياً وكان العجل عزيزاً عند سارة رضي الله عنها لأنها ربتة ولم يكن لها ولد فنظر إليهم إبراهيم من شق الباب وهي قائمة فسألها عن ذلك فقالت أقوم في خدمة الضيفان فقال إنهم لم يروك قالت ربهم يراني فلما لم يأكلوا منه شيئاً بكت سارة فسألها إبراهيم عليه السلام عن ذلك فقالت لا العجل سَلِمَ ولا الأجر حصل؟! فقال جبريل عليه السلام يا إبراهيم بشر سارة بإسحاق ثم وضع يده على العجل فقام حياً بإذن الله تعالى وقال القادر على رد العجل قادر على الولد سبحانه {قَالُوا} قالت الملائكة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وزوجته سارة {كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ} هكذا قال الله تعالى بأنه سيرزقكما بولد اسمه إسحاق {إِنَّهُ} الله تعالى {هُوَ} الْحَكِيمُ له حكمة في ذلك وهو حكيم في خلقه وبخلقه {الْعَلِيمُ} الذي يعلم كل شيء والعليم بخلقه وكونه وما سيكون وكيف يكون.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢١﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٢٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٣﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ تَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٦﴾

{قَالَ} قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام {فَمَا خَطْبُكُمْ} لماذا جئتم وما عندكم وماذا تريدون {أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ} يا معشر الملائكة {قَالُوا} قالت الملائكة {إِنَّا أُرْسِلْنَا} إنا بُعثنا {إِلَى قَوْمٍ} إلى قوم لوط عليه السلام {مُجْرِمِينَ} أُجرموا وأذنبوا في حق الله تعالى وفي حق أنفسهم لأنه يلوط الرجال بعضهم ببعض والمجرمين أي المذنبين المستحقين العذاب {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ} لنبعث عليهم ونلقي عليهم {حِجَارَةً مِّن طِينٍ} أي قطع من الحجارة مصنوعة من الطين الصلب الجاف

{مُسَوِّمَةٌ} معلمة وجاهزة {عِنْدَ رَبِّكَ} جاهزة وحاضرة وموجودة عند الله تعالى دائماً {لِلْمُسْرِفِينَ} للمذنبين والذين أسرفوا وازدادوا في المعصية {فَأَخْرَجْنَا} فأمرنا بالخروج وترك تلك البلدة {مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الذين آمنوا مع لوط عليه السلام {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا} فلم نجد في القرية أحداً {غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} غير أهل بيت واحد فقط ممن أسلم لله تعالى مع لوط وهم لوط عليه الصلاة والسلام وأبناؤه ما عدا زوجته في آية أخرى {وَتَرَكْنَا فِيهَا} وتركنا في تلك القرية وهؤلاء القوم {ءَايَةً} بينة وعلامة واضحة ودليلاً قاطعاً ومعجزة بهلاكهم جميعاً حيث جعل الملائكة عاليها سافلها حتى أن جبريل عليه السلام رفع مدائن لوط على جناحه حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونهيق الحمير ولم ينتبه أحد ولم ينتبه لهم نائم ولم تنكسر لهم آنية فجعل عاليها سافلها ثم أرسل عليهم حجارة قبل رفع المدائن من سجيل من طين مشوي منضود جاف وشديد الصلابة مسومة أي عليها علامة بخط أحمر قال أبو صالح رأيت منها حجراً عند أم هانئ بنت أبي طالب. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٧]. {لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} للمتقين وللخاشعين وهم الذين يخافون الله تعالى وعذابه الأليم المروع القاسي والشديد في نار جهنم.

﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ وَفِي مُوسَى } وفي قصة موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام { إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ } إذ أرسله الله تعالى إلى فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب { بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ } ببينة واضحة جلية وبرهان ساطع ومعجزة كبرى واضحة وهي عصاه التي
قُلِّبَتْ إلى حية وبلعت حبال وعصي وسحر آل فرعون جميعاً { فَتَوَلَّى } أعرض
فرعون مصر { بُرْكَانَهُ } بقوته وبكبره وبعناده وصلفه وغروره مع قومه وجنوده
{ وَقَالَ سَاحِرٌ } أي قال فرعون عن موسى عليه السلام هو ساحر لما رأى عصاه
تنقلب إلى حية تسعى { أَوْ مَجْنُونٌ } أو الجن الذين معه ويركبونه وهو مجنون هم
الذين يعملون ذلك وكما تقول العامة الأسياد الذين عليه هم الذين يفعلون ذلك أي
الجني الذي يركبه هو الذي يعمل ذلك ويقلب العصا إلى حية تسعى { فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ } أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر أي أخذه بالعذاب { فَنَبَذْنَاهُمْ } أي
أغرقناهم وتركناهم { فِي الْيَمِّ } في البحر يغرقون ويهلكون { وَهُوَ مُلِيمٌ } وفرعون يلوم
نفسه لأنه لم يؤمن لموسى عليه السلام.

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾

{ وَفِي عَادٍ } وفي قصة عاد { إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ } إذ سلط الله تعالى وأرسل عليهم { الرِّيحَ الْعَقِيمَ } الريح المهلكة والمرأة العقيم هي التي لا تلد وليس لها ذرية وهكذا كما قال تعالى: " عَجُوزٌ عَقِيمٌ " ٢٩ الذاريات. والريح العقيم هي التي لا حياة فيها وهي المميتة والمهلكة { مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ } ما تترك أي شيء { أَتَتْ عَلَيْهِ } مرت عليه { إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ } إلا جعلته هالكا رميمًا بالياً.

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا أَصْطَبَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

{ وَفِي ثَمُودَ } وفي قصة قوم ثمود وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام { إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا } قال لهم نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام تمتعوا بالحياة الدنيا { حَتَّىٰ حِينٍ } حتى انتهاء آجالكم وحتى يأتاكم الموت { فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ } أعرضوا وتكبروا وامتنعوا وعصوا أمر ربهم وكذبوا رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام وعقروا الناقة وكانوا قد سألوه أن يُخرج لهم ناقة من صخرة في جبل ففعل فكذبوه وعقروا الناقة وعقرها أشقى القوم واسمه قدار بن سالف { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } فأرسل الله تعالى عليهم الصاعقة فصعقتهم وأهلكتهم وأماتتهم جميعاً { فَمَا أَصْطَبَعُوا مِنْ قِيَامٍ } لم يستطيعوا النهوض والقيام بل ماتوا ولم يحيي منهم أحد { وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ } ولم ينتصروا بعقر الناقة وتكذيبهم لرسولهم صالح عليه الصلاة والسلام بل هم الخاسرون والهالكون.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴾ (٤٦)

{وَقَوْمَ نُوحٍ} عليه الصلاة والسلام {مِّن قَبْلُ} كان قومه قبل عاد وشمود {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا} إن قوم نوح عليه الصلاة والسلام كانوا {فَسِقِينَ} كافرين عاصين مذنبين والفسوق هو الإعلان بالمعصية.

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ (٤٨)

وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)

{وَالسَّمَاءَ} السماء الدنيا التي نراها فوقنا والتي بها الكواكب والنجوم والشمس والقمر {بَنَيْنَاهَا} أي جعلناها مبنية فوقكم ومرفوعة كما ترونها بأعينكم {بِأَيْدٍ} بأيدي القدرة والعظمة والمشينة والإرادة والخلق والأمر والإبداع والتكوين {وَإِنَّا} الله تعالى هو الخالق جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَمُوسِعُونَ} جعلناها واسعة عريضة كبيرة على قدر ووسع الدنيا وهي وسع الأرض بما فيها من بحار ومحيطات وقفار وبراري وسهول وجبال وخلق الله تعالى سبع سموات طباقاً فوق بعضها البعض وفي الحديث الذي صححه الترمذي وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام. [ابن كثير ج ٣ ص ١٤٢]. {وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا} أي جعلناها لكم سكناً وملجأً كالفرش يجلس ويستريح عليه من يقعد عليه وكذلك الأرض وكأنها فرشاة أو وسادة كبيرة فرشها الله وبسطها لجميع الخلق بمساحتها الكبيرة التي تسع البحار والمحيطات والجبال والسهول والوديان {فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ} فنعم الخالقون ونعم الفارشون ونعم المهدون للأرض ومسووها منبسطة ليسكن الناس والخلق عليها. والماهدون المسوون الأرض منبسطة واسعة سهلة للسكن والحياة {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}

خلق الله تعالى من كل شيء اثنين من الإنسان ذكراً وأنثى ومن الحيوانات ذكراً وأنثى ومن الأشجار ذكراً للتلقيح مثل النخل والكوسى وأنثى لحمل الثمار مثل النخل وهكذا {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لعلكم تتفكرون وتتعظون بأن الله تعالى هو الخالق ولا شريك له في ملكه.

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٨﴾

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} إلهؤوا إليه والتجئوا إليه وكما قال تعالى: " لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ " ١١٨ التوبة. واحتتموا به وتوكلوا عليه في جميع أموركم أي فروا واهربوا من معصية الله تعالى إلى طاعة الله تعالى وإلى رضوانه {إِنِّي لَكُمْ} يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لكم أيها الناس جميعاً {مِنْهُ} من الله تعالى مرسل لكم {نَذِيرٌ مُبِينٌ} أنذركم بوضوح وبيان وحجة وبرهان {وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} ولا تجعلوا لله شركاء كما قالت النصارى عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله وكما قالت اليهود عزير ابن الله وكما عبد الكفار والمشركون الأصنام والأوثان والنيران وغيرها {إِنِّي} أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَكُمْ} للناس جميعاً {مِنْهُ} من الله تعالى مرسل لكم {نَذِيرٌ} منذر ومحذر بعذاب الله يوم القيامة في نار جهنم {مُبِينٌ} واضح جلي.

﴿كَذَٰلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

{كَذَٰلِكَ} وهكذا وكذلك {مَا آتَى} ما جاء {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من قبلهم من الأمم السابقة {مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ} ما جاءهم رسول ولا نبي من الله تعالى إلا قال الكفار هذا الرسول إما ساحر أو مجنون أي معتوه وبه مس من الجن {أَتَوَاصَوْا} هل هم جعلوا أوصياء أو قِيَمِينَ {بِهِ} بالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يقرؤا أنه مجنون أو مسلوب الإرادة فهل جعلوا أوصياء أو قِيَمِينَ عليه عليه الصلاة والسلام {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} بل هؤلاء الكفار هم قوم وناس طاغون وظالمون ومعتدون.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} أعرض عنهم واهجرهم هجراً جميلاً ودعهم وشأنهم {فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} فلا لوم عليك يا محمد يا رسول الله وما أنت بمسؤول بعد أن أنذرتهم وحذرتهم عذاب الله تعالى يوم القيامة لمن أشرك بالله تعالى {وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ} تذكر وعظ وأرشد الناس فإن الذكرى والعظة تنفع الناس المؤمنين بالله وحده ويوم البعث وبأنك رسول الله حقاً وصدقاً.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } وما خلق الله تعالى الجن والإنس والجن هم أولاد إبليس والإنس هم أولاد آدم عليه السلام سبب خلقهم وعملهم الأساس هو العبادة لله وحده لا شريك له فهو الخالق وهو المنعم والمتفضل عليهم { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ } لا أريد منهم أن يجلبوا لله تعالى رزقاً فهو لا يحتاج إليه بل يريد منهم العبادة { وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا } ولا يريد الله تعالى من أحد أن يطعمه فهو لا يحتاج لا إلى أكل ولا شرب { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { هُوَ الرَّزَّاقُ } هو الذي يرزق جميع المخلوقات من جن وإنس وحيوانات وطيور ومخلوقات { ذُو الْقُوَّةِ } ذو القدرة { الْمَتِينُ } القوي المنيع.

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

{ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } للذين كفروا وأشركوا بالله تعالى { ذُنُوبًا } عذاباً { مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ } مثل عذاب أصحابهم من الأمم السابقة الذين كفروا وأشركوا بالله تعالى { فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ } فلا يستعجلون بالعذاب فإنه آتيهم لا محالة كما قال تبارك وتعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل. { فَوَيْلٌ } يا ويلهم ويا عذابهم { لِلَّذِينَ كَفَرُوا } الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه وكذبوه { مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ } وهو يوم القيامة يوم البعث يوم الجزاء والحساب يوم يعذبون في نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴿وَالطُّورِ﴾ هو جبل الطور الذي فيه ناجى موسى عليه الصلاة والسلام ربه وهو في سيناء. ويقسم الله تعالى بمخلوقاته وكأنه يقسم بنفسه لأنه هو الخالق {وَكِتَابٍ} وهو القرآن الكريم {مَّسْطُورٍ} أي مكتوب في اللوح المحفوظ. (وكتاب مسطور) أي مكتوب في أسطر ومفصل كما قال تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. {فِي رَقٍّ} في ورق {مَّنْشُورٍ} أي منشور للناس ومعلن والكل يطلع عليه لا هو سري ولا هو ممنوع من أن يطلع عليه أحد بل هو منشور للجميع ولكل من أراد أن يطلع عليه ويقرأه فهو للجميع {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} وهو بيت الله تعالى جعله في السماء السابعة تحج إليه الملائكة وهو فوق وموازٍ للكعبة المشرفة وكما جاء في حديث الإسراء والمعراج أنه لما عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة وجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويشبهه نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من زبرجد أخضر في السماء السابعة وقد أسند ظهره إلى البيت المعمور. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١١]. وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الإسراء والمعراج بعد مجاوزته إلى السماء السابعة ثم رفع إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه آخر ما عليهم. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٩]. {وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} وهو السماء وكما

قال تعالى: " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ " ٣٢ الأنبياء.

{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} هو البحر المرصود والبحر الملجم والمنوع والموقوف والثابت لا يحول ولا يزول بأمر الله والبحر المسجور هو تحت العرش. قال الربيع بن أنس وكان عرشه على الماء فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء نصفين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وروى أبو داود: ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: (ما تسمون هذه؟) قالوا السحاب قال: (والمزن؟) قالوا والمزن قال: (والعنان؟) قالوا والعنان قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيداً قال: (هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض؟) قالوا لا ندري قال: (بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك) حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر [وهو البحر المسجور] ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك). [ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذي: حسن غريب - ابن كثير ج ٤ ص ٧٢]. {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ} إن عذاب الله تعالى يوم القيامة {لَوْ قَعُ} على الكفار والعصاة وهو نار جهنم يعذبون فيها {مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} ما له من مانع أو ممسك أو راد لعذاب الله تعالى.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۚ﴾ ﴿١﴾ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۚ﴾
 الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿٣﴾ هَذِهِ النَّارُ
 الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أَصَلَوْهَا
 فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} تتحرك السماء وتزول كما قال الله تعالى:
 "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " ٤٨ إبراهيم.
 {وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} أي تسير الجبال فتكون تراباً كما قال تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ
 عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا {١٠٥} فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا {١٠٦} لَا تَبْقَىٰ فِيهَا
 عِوَجًا وَلَا أَمْتًا {١٠٧} " ١٠٥-١٠٧ طه. {فَوَيْلٌ} يا ويلهم ويا عذابهم ويا مصيرهم
 {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِلْمُكَذِّبِينَ} للكفار الذين يكذبون برسالة سيدنا محمد صلى
 الله عليه وسلم ويكذبون بيوم القيامة وبالبعث {الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ} في لهو وعبثٍ
 {يَلْعَبُونَ} يتسلون ويتلهون عن العبادة باللعب {يَوْمَ} يوم القيامة {يُدْعَوْنَ} يُدْعَوْنَ
 يُدْعَوْنَ وَيُرْمُونَ وَيُلْقُونَ {إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ} يُدْعَوْنَ وَيُقَذَّفُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ وَعَذَابُهَا
 {دَعَا} دفعاً تحقيقاً لهم وذلاً لهم وعذاباً لهم {هَذِهِ النَّارُ} هذه نار جهنم
 تدخلونها يوم القيامة {الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} التي كنتم تكذبون بها ولم تصدقوها
 وحدثتم بها في الدنيا {أَفَسِحْرُ هَذَا} هل هذا اليوم ودخولكم نار جهنم وهو يوم
 القيامة هل هو سحر كما كنتم تدعون أن محمداً ساحر {أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} أو
 هل أنتم عمي فلا تبصرون ولا ترون النار عين اليقين {أَصَلَوْهَا} انحرقوا فيها
 {فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا} فسواء صبرتم أم لا وسواء صبرتم أم جزعتم

{سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ} هي سواء مثل بعضها لا يزال العذاب عليكم مستمراً ودائماً ولا فائدة من الصبر أو عدمه {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} إنما تُحَاسِبُونَ وتُعَاقَبُونَ بما عملتم في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٤٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٤٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴿٥٠﴾ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥١﴾﴾

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} إن الطائعين الخائفين العابدين لله تعالى {فِي جَنَّاتٍ} في أحد الجنات الثمانية على قدر منزلته وعمله في الدنيا والجنات جمع جنة وهي: دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار وأفضلها جنة الفردوس وفي الصحيحين: (إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. {وَنَعِيمٍ} ينعم الرجل في الجنة نعيماً دائماً {فَكِهِينَ} مسرورين كما أن الفاكهة تسر الناظرين فهم مسرورين {بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ} بما أعطاهم في الجنة من قصور وحور عين وفواكه ولحم طير مما يشتهون {وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ} حماهم وسترهم وحفظهم وأبعد عنهم ربهم {عَذَابَ الْجَحِيمِ} وهو عذاب نار جهنم والجحيم هي النار المحرقة {كُلُوا وَاشْرَبُوا} كلوا في الجنة من

الفواكه ولحم طير مما يشتهون واشربوا من الأنهار الأربعة الماء والخمر واللبن والعسل وهذا دليل على بطلان من يقول لا أكل ولا شرب في الجنة {هَنِيئًا} أي بهناء وسرور لا مرض ولا تعب فيه {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما كنتم تعملون من الطاعات وأعمال الخير والصدقات والصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان والنوافل والذكر والتسبيح في الدنيا {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ} أي الرجل متكئاً على سريره قيل سبعين سنة وقيل أربعين سنة لا يمل ولا يتعب وفي الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم عن الهيثم بن مالك الطائي يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١]. {مَصْفُوفَةٍ} مرتبة في صفوف مقابل بعضهم البعض كما قال تعالى: " عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ " ١٥، ١٦ الواقعة. {وَزَوَّجْنَاهُمُ حُورٍ} ولهم زوجات في الجنة من الحوريات الجميلات وحور أي ذوات حور العينين جمع حوراء وهي شديدة بياض بياض العينين شديدة سواد سوادهما {عَيْنٍ} جمع عيناء وهي التي عيناها فيهما اتساع وحسن. وعدد الزوجات في الجنة اثنان وسبعون زوجة فقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من له السبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحيفة ولا أعلمه إلا قال من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة

وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض). [ابن كثير ج ٤ ص ١٣٤].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ} أي آمن الأبناء مثل الآباء وكانوا مسلمين مثلهم {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أدخلنا معهم أبناءهم في نفس منزلة ودرجة الآباء في الجنة كرامة للآباء {وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ} أي ولم ينقص من درجة الآباء ولا منزلتهم ولا ثوابهم شيء بل نعطي الأبناء فضل زيادة ونجعلهم في منزلة الآباء إذا كان الأبناء أقل منزلة ودرجة في الجنة من الآباء وفي الحديث الذي رواه الحافظ الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن غزوان حدثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فقال إنهم لم يبلغوا درجتك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به) وقرأ ابن عباس " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ " الآية. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٢]. ويلاحظ أن دعاء الأبناء للآباء يرفع أيضاً من منزلة الآباء ففي الحديث الذي رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٢]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع

عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٢]. {كُلُّ أَمْرٍ} كل شخص وكل واحد من بني آدم وبنات حواء {بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} أي يجازى على عمله إن كان خيراً فهو خير ويدخل الجنة وإن كان شراً فهو شر ويدخل النار.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

{وَأَمَدَدْنَاهُمْ} وأمددناهم وأعطيناهم وجئنا لهم وزودناهم {بِفِكَهَةٍ} بجميع أنواع الفواكه التي يشتهيها ويطلبها {وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} ومن جميع أنواع اللحوم سواء لحم طير أو خلافه مما يشتهي تحضر إليه جنب مشوي وجنب آخر مسلوق {يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا} يتخاطفون فيها الكؤوس المملوءة الشراب من بعضهم البعض ابتهاجاً وسروراً ومزاحاً وفرحاً ومحبة بين الأزواج في الجنة {كَأْسًا} كأساً مملوءة بالشراب والماء غير الآسن واللبن والخمر والعسل المصفى {لَا لَغْوٌ فِيهَا} لا لغو ولا مشاحنة ولا سباب ولا تهكم ولا كلام فيه إزعاج ولا مضايقة {وَلَا تَأْثِيمٌ} ولا حرام ولا يؤثم شاربها كخمر الدنيا مثلاً ولا أخذها وهي ليست حقه ولا اعتدى على حقوق أحد وليست باغتصاب بل هي له خالصة {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ} يدور عليهم في الجنة يخدمونهم {غِلْمَانٌ هُمْ} أي غلمان خدم لهم في الجنة {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}

أي من جمالهم وحسنهم كأنهم لؤلؤ مصون ومحفوظ في مكان لا يصل الغبار والتراب إليه. وقيل الغلمان هم الأطفال الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم سواء من المسلمين أو أولاد الكفار لأنه لم يكتب عليهم ذنب {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} أقبل الناس في الجنة بعضهم على بعض ويسألون بعضهم البعض عن الدنيا وكيف كانوا فيها {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ} قالوا لبعضهم إنا كنا قبل في الدنيا {فِي أَهْلِنَا} أي بين أهلنا أزواجنا وأبنائنا {مُشْفِقِينَ} خائفين على أنفسنا وعلى أهلنا وأبنائنا وأزواجنا من عذاب الله تعالى {فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} ففضل الله علينا وأكرمنا {وَوَقَدْنَا} ووقانا وحفظنا ومنع عنا {عَذَابَ السَّمُومِ} عذاب جهنم وسمومها ودخانها {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ} كنا ندعو الله تعالى في الدنيا أي يحفظنا من عذاب جهنم كقوله تعالى: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ٢٠١ البقرة. {إِنَّهُ هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو {الْكَبِيرُ} الكريم المتفضل المستجيب الدعاء والموفي بوعده للمؤمنين وكقوله تبارك وتعالى: " رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ " ١٩٤ آل عمران. {الرَّحِيمُ} رحيم الدنيا ورحيم الآخرة فهو يرحم المؤمنين ويدخلهم يوم القيامة في رحمته ويدخلهم الجنة.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ ٢١ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ

بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ ﴾ ٢٢ ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ ٢٣ ﴿

{فَذَكِّرْ} أي انصح وأرشد وعِظ الناس بأن يؤمنوا بالله وحده وبيوم القيامة وبالبعث {فَمَا أَنْتَ} فلا أنت يا محمد يا رسول الله {بِنِعْمَتِ رَبِّكَ} برسالة ربك وهي نعمة من الله تعالى أنعم عليك بها {بِكَاهِنٍ} الكاهن الذي ينبئ عن الغيب وتخبره به الشياطين حين يستمعون إلى الملاء الأعلى في السماء ويزيدون عليها مائة كذبة {وَلَا مَجْنُونٍ} وليس به جن أو مس من الجن فأصبح مجنوناً يهذي فهو بكامل قواه العقلية {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ} أم يقولون أن هذا القرآن الذي ينزل به هو شعر وهو شاعر يشعره ويقول له على الناس {نَتَرَبَّصُ بِهِ} ننتظر الفرصة المواتية والسانحة {رَبِّبَ الْمُتُونِ} مصائب الموت والهلاك {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {تَرَبَّصُوا} انتظروا الفرص وانتظروا المصائب حتى تلم به وتقع عليه {فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} فإنني معكم ومثلكم أنتظر من تأتية المصيبة والموت والهلاك أنا أم أنتم.

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ٢٣٣ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢٣٤ ﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ ٢٣٥ ﴾

{أَمْ} أو هل {تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ} تملي عليهم أحلامهم وخیالهم وأمنياتهم {بِهَذَا} التّكذيب به وبرسالته أي بمحمد صلى الله عليه وسلم {أَمْ هُمْ} أو هل هم {قَوْمٌ طَاغُونَ} قوم ظالمون ومتجبرون ومعتدون {أَمْ يَقُولُونَ} أو هل يقولون ويتحدثون عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون {تَقَوَّلَهُ} أي قاله كذباً واختلقه وافتراه واصطنعه {بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} لا ولكن هم لا يؤمنون ولا يعتقدون فيه ولا يصدقونه {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} فليأتوا بحديث وبقول مثل هذا القرآن الذي يكذبونه ولا يصدقونه ولا يؤمنون به {إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} إن كانوا صادقين في ادعائهم وتكذيبهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٢٣٦ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ

لَا يُوقِنُونَ ﴿ ٢٣٧ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿ ٢٣٨ ﴾ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ

يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴿ ٢٣٩ ﴾ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ ٢٤٠ ﴾

{أَمْ} أو هل {خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} خَلَقُوا أنفسهم من غير خالق ومن غير أحد يخلقهم {أَمْ} أو هل {هُمُ الْخَالِقُونَ} هم الذين خلقوا أنفسهم لوحدهم {أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} أو هل هم الذين خلقوا السموات السبع ونجومها وشمسها وقمرها والأرض وجبالها وبحارها وأنهارها ومحيطاتها {بَلْ} لا ولكن {لَا يُوقِنُونَ} وفوق كل ذلك فهم لا يوقنون ولا يصدقون برسالتك يا محمد يا رسول الله ولا بالبعث ولا بيوم القيامة {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ} أو هل عند الكفار والمكذبين

خزائن الله تعالى من رزق وأمطار ورياح وماء وثمار {أَمْ هُمْ} أو هل هم {الْمُصِيطِرُونَ} المتحكمون في الأرزاق والآجال والحياة والموت والمخلوقات وفي السموات والأرض والبحار والمحيطات والبراري والقفار والجبال والوديان {أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} أو هل لهم سلم يصعدون فيه إلى السماء ويستمعون القول من الله تعالى وأخبرهم بأن هذا النبي كذاب ورسالته كذب {فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ} فليحضر مستمعهم الذي يسمع إلى قول الله تعالى مباشرة والذي يكذب فيه الرسول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وليأت بحجة واضحة وبرهان ساطع حتى نراه وهذا القول كله يكذبهم الله تعالى حيث لا حجة لهم على الإجابة على ما جاء في هذه الآيات وكما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام للنمرود ملك العراق في ذلك الوقت عندما قال النمرود أنا أحيي وأميت فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " ٢٥٨ البقرة.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ ٤٣ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿ ٤٤ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿ ٤٥ ﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿ ٤٦ ﴾ أَمْ هُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ٤٧ ﴾

{أَمْ} أو هل {لَهُ} لله تعالى جل جلاله وعظم شأنه {الْبَنَاتُ} حيث ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله تعالى فتعالى الله عما يقولون فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أي فهل جعلتم لله تعالى الذرية بنات {وَلَكُمْ الْبَنُونَ} أي وأنتم لكم ذرية أولاد كيف يكون الله تعالى إلهاً وخالقاً ويعطيكم الأبناء ويأخذ هو البنات التي من يأتيه بنت يظل وجهه مسوداً وهو كظيم كما قال تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ

أَحَدَهُمْ بِالْأُنْتَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ " ٥٨ النحل. وكما قال تعالى: " وَإِذَا
بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ " ١٧ الزخرف.
{أَمْ} أو هل {تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا} هل تطلب منهم أجرة وعمولة على تبليغك إياهم
الرسالة {فَهُمْ} أي الكفار {مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} من دين وعبء ثقیل عليهم لا
يستطيعون دفع الأجرة لك على تبليغ الرسالة لأنهم مثقلون بالديون وهذا تقريع
لهم لأن تبليغ الرسالة بالمجان فلماذا لا يؤمنون {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ} أو هل عند
الكفار علم الغيب الرباني {فَهُمْ يَكْتُوبُونَ} قرآن مثل القرآن ورسالة مثل رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم وطبعاً ليس عندهم علم أبداً وهذا تقريع لهم وتوبيخ {أَمْ
يُرِيدُونَ كَيْدًا} وهنا بعد أن أورد سبحانه وتعالى الحجج الظاهرة والبيينة الواضحة
على تكذيبهم بعد أن وجه إليهم عدة أسئلة ظاهرها السؤال والاستفسار وباطنها
التقريع والتوبيخ للكفار بأنهم لم ولن يستطيعوا عمل كل ما وجه إليهم من أسئلة
تقريبية بدأ الآن يوضح لهم سبحانه وتعالى ما في نفوسهم وضمايرهم من الكيد
والحقد والحسد فقال (أم) أو هل (يريدون كيداً) يريدون كيداً ومكيدة للنبي محمد
صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم له وعدم تصديقهم لرسالته فهم يكيدون ويدسون
عليه ويصنعون له المكائد {فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ} ورد الله تعالى عليهم بأن
الكفار هم المكيدون وهم الواقع عليهم الكيد حيث أن الله تعالى هو الذي أرسله
ورسالته حق وأن الله تعالى مؤيده وناصره عليهم {أَمْ هُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ} وهنا بدأ الله
تعالى في الرد عليهم وسؤاله تقريع وتوبيخ لهم بقوله (أم) أو هل للكفار إله غير الله
تعالى يخلقهم ويرزقهم وينزل عليهم المطر ويصنع لهم كل شيء {سُبْحَانَ اللَّهِ} تنزه
الله تعالى وجل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عما يقولون ويشركون

معه غيره من الأصنام والأوثان وغيرها فالله تعالى هو الرازق وهو المحيي والمميت وهو الخالق وهو على كل شيء قدير.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ٤٤ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ٤٥ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٧

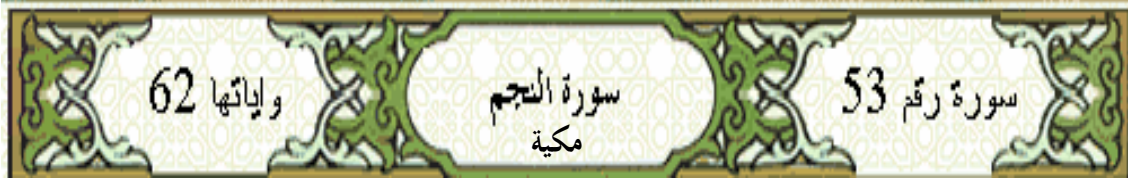
{وَإِنْ يَرَوْا} وإن يرى ويشاهد الكفار {كِسْفًا} عذاباً من السماء يكسفهم ويهلكهم وهي قطع من الثلج والبرد {مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} أي ينزل عليهم من السماء ويتساقط عليهم {يَقُولُوا} يقول الكفار {سَحَابٌ مَّرْكُومٌ} أي غيم وسحاب مملوء بالماء مركوم بعضه فوق بعض ولونه أسود معتم ولا يعلمون أنه عذاب نازل عليهم {فَذَرَهُمْ} دعهم وتركهم {حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ} حتى يلاقوا مصيرهم المحتوم ويومهم المقرر لانتهاء آجالهم {الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} الذي فيه يهلكون ويموتون {يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} في ذلك اليوم المحتوم لآجالهم وانتهائها لا يغني ولا ينفعهم كيدهم الذي كادوه للرسول عليه الصلاة والسلام من الخصومة والكيد والعداوة والتكذيب والمحاربة {وَلَا هُمْ} ولا هم وهم الكفار {يُنصَرُونَ} ولا ينصرون من أحد يوم القيامة ولا ينصرهم ولا يساعدهم أحد {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} وإن للذين أشركوا وظلموا أنفسهم بالمعصية والكفر والعناد والشرك كما قال تبارك وتعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} لهم عذاب غير ذلك زاده على الموت والهلاك يعذبون في نار جهنم يوم القيامة وفي الدنيا بالخزي والهزيمة والأسر

والأمراض والمصائب {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن أغلبهم وهم الكفار لا يعلمون كيف يكون العذاب في نار جهنم خالدين فيها ولا يخفف عنهم العذاب أبداً.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنْ أَلِيلٍ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرَ النُّجُومِ ۖ﴾

{وَأَصْبِرْ} واصبر يا محمد يا رسول الله وجالد وتحمل {لِحُكْمِ رَبِّكَ} لأمر ربك وحكمه وقدره واصبر على ما يحكم ربك {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} فإنك تحت أعيننا ورعايتنا وحفظنا وحمایتنا وحراستنا فعين الله ترعاك وتحرسك يا محمد يا رسول الله {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} وسبح الله تعالى ونزهه عن كل سوء وعن كل ما لا ينبغي ولا يليق {حِينَ تَقُومُ} حين تستيقظ من النوم. وفي صحيح مسلم: (من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر). وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تعار [أي استيقظ من النوم] فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لي - أو قال - ثم إذا دعا استجيب له فإن عزم فتواً ثم صلى قبلت صلاته). [وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به - ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٥]. {وَمِنْ أَلِيلٍ فَسَبِّحْهُ} وفي الليل بعد المغرب والعشاء وفي التهجد فسبحه. وفي الصحيحين: (من قال مرة واحدة سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة). {وَادْبَرَ النُّجُومِ} بعد غروب النجوم أي بعد صلاة الصبح وكما قال تعالى: "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ"

٣٩، ٤٠ ق. وكما قال تعالى: "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ" ١٣٠ طه. وأخرج الطبراني في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥]. وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال: (يا ابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم وركعتين بعد المغرب إدبار السجود). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٠].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝٧﴾

{وَالنَّجْمِ} وهو أحد نجوم السماء وهو شهاب ثاقب وهو الكوكب {إِذَا هَوَىٰ} إذا نزل ساقطاً في اتجاه الشيطان مسرعاً وكأنه صاروخ موجه تُرمى به الشياطين إذا أرادت أن تسترق السمع وتتنصت على أهل السماء فالنجوم جعلت حماية وحراسة للسماء وأهل السماء من الشياطين الذين يسترقون السمع وتهوي وتلقى عليهم وتحرقهم وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ " ه الملك. وقال تبارك وتعالى: " وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا {٨} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا {٩} " ٩، ٨ الجن. وقال تعالى: " إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {١٠} " ١٠-٦ الصافات. وقال تعالى: " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ {١٧} وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {١٧} إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ {١٨} " ١٨، ١٧ الحجر. وبعد أن عرفنا أن النجم هو زينة للسماء ورصد وحراسة للسماء وتهوي وتلقى وترمى بها الشياطين فتحرقها فإن الله تعالى

يقسم بقدرته وبخلقه الذين خلقهم لقهر عباده وخاصة مردة الشياطين وهم عصاة الجن وجباريها وكأنه يقسم بذاته الشريفة لأنه هو الخالق وهذه قدرته {مَا ضَلَّ} ما ابتعد ولا ضاع ولا تاه عن الحق {صَاحِبُكُمْ} وهو سيدنا ورسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا غَوَى} ولا ضل ولا فسد ولا انحرف ولم يتبع شهواته ولا ملذاته ولا رغباته ولا نزواته {وَمَا يَنْطِقُ} ولا يتكلم {عَنِ الْهَوَى} عن هوى نفسه وعن شهوة وغرض في نفسه وعن ميل عن الحق وضلال {إِنْ هُوَ} إن قوله كله ما هو {إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} لا يتكلم ولا يقول إلا عن وحي يوحى إليه من الله تعالى بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام {عَلَّمَهُ} عرّفه القرآن والرسالة {شَدِيدُ الْقُوَى} جبريل عليه الصلاة والسلام وهو قوي وخاصة أنه ملك من الملائكة {ذُو مِرْقٍ} ذو قوة عظيمة {فَاسْتَوَى} أي صار مستوياً أفقياً وقد رآه صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح ساداً بها الأفق ما بين السماء والأرض {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} وهو ما بين السماء والأرض سد بجناحيه المشرق والمغرب وسد ما بين السماء والأرض. قال مسروق: دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت لقد تكلمت بشيء وقف له شعري فقلت رويداً ثم قرأت: "لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" فقالت أين يذهب بك؟ إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ" فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سد الأفق. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠].

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾

{ثُمَّ دَنَا} ثم قرب صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج مكاناً تحت العرش ليكلمه الله تعالى منه {فَتَدَلَّى} فتدلى هبط ونزل ثانية بعد أن أوحى الله تعالى له ما أوحى فنزل إلى الأرض ثانية بعد أن عرج به إلى تحت العرش {فَكَانَ} فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج في القرب تحت العرش كان {قَابَ} قرب منزلة من الله تعالى {قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} أي مقدار قوسين أو ذراعين أو أقل وهذا تشبيهه في درجة القرب والمنزلة التي وصل إليها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكما قال تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" كناية عن تأييده لهم وليس هو حقيقة وضع يده فوق أيديهم لأن يده يد القدرة والقوة والمساعدة لأنه ليس كمثله شيء فلا تشبيه له سبحانه وتعالى {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} فأوحى الله تعالى له وحياً ومخاطبة من وراء حجاب بأن فرضت الصلاة عليه وعلى أمته في تلك الليلة خمسين صلاة وكان يتردد بين ربه وموسى عليه السلام ويقول له إن أمتك لا تطيق فاسأل الله التخفيف حتى صارت خمس صلوات في الليل والنهار أي في اليوم كله. وهذا النص القرآني فيه تبيان لأولي الألباب حيث قال الله تعالى صراحة "فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى" والوحي يكون إما من وراء حجاب أو بواسطة جبريل عليه السلام. قال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ربه بقلبه ولم يره ببصره). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن إسماعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل؟ قالت: سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدّثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت: " لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ " - " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ " ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ " الآية. ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب ثم قرأت: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥١]. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: (نور أنى أراه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠]. وروى ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: (لم أره بعيني ورأيت به فؤادي مرتين ثم تلا " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى "). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠]. وهذه الأحاديث تؤيد بعضها البعض بأنه صلى الله عليه وسلم لم ير الله تعالى في ليلة الإسراء والمعراج بعينه وأن الملائكة كذلك لا ترى الله تعالى في الدنيا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احتجب الله عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنه تعالى ما حلّ في شيء ولا غاب عن شيء وأن الملائكة يطلبون الله تعالى كما تطلبونه أنتم). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٧٧]. وفي حديث أبي هريرة: (بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور). وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

لجبريل عليه السلام: (هل ترى ربك؟) قال بيني وبينه سبعون حجاباً من نور. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٦]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: (رأيتُه بفؤادي مرتين). ثم قرأ " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ". [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠]. وفي حديث آخر عن أبي رزين لقيط بن عامر بن المتفق العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [رواه الترمذي - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان من شيء لكان محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " قال: من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر. وقال الشبلي رضي الله عنه: الرحمن لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى. [نزهة المجالس ج ١ ص ٦]. وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن ذلك فقال: (أثبت ذاته وانف مكانه ومهما تصور في نفسك فالله بخلافه). وعن عمران ابن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي. [وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وسئل إمام

الحرمين رحمه الله هل الحق سبحانه وتعالى في جهة فقال لا فقليل له من أين أخذت هذا قال من قوله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تفضلوني على يونس ابن متى) لما قال: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" وخاطب الله محمد صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات فسمع خطاب محمد كما سمع خطاب يونس على حد سواء فلو كان الحق جل وعلا في جهة لسمع أحد الخطابين أبلغ من الآخر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدره). [مكاشفة القلوب للغزالي ص ١٥٤]. وأنه تعالى منزّه عن فوق يرفعه وعن تحت يخفضه وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يظله وعن جهة تحده وعن مكان يقله. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سبحانه ربي لا يُدرَك بالحواس ولا يقاس بالناس فوق كل شيء وليس تحته شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. [البعث والجزاء ص ٣١]. وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أين ربنا؟ قال: الذي أوجد الأين لا يُسأل عنه بأين. قال كيف ربنا؟ قال: الذي كيف كيف لا يقال عنه كيف. قال متى كان ربنا؟ قال: ويحك ومتى لم يكن؟! [نزهة المجالس ج ١ ص ٨]. وبناءً على الأحاديث السابقة فالله تعالى لا تشبيه له بالمخلوقات كما قال تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ١١ الشورى. ويده هي يد القدرة والمشيئة والنصر والتأييد كما قال تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" ويمينه والله تعالى كله يمين وقدمه هو من خلقه يقدمهم إلى النار في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال جهنم يُلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وتقول قط قط) قال الحسن البصري: يعني القدم هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه

وأثبتهم لجهنم. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧]. ومثل الحجر الأسود قال صلى الله عليه وسلم: (الحجر الأسود يمين الله) أي من اليمن والبركة. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧]. وقال صلى الله عليه وسلم: (يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده) ويده عند العرب يعني القوة وقال تعالى: "وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ" ١٧ ص. أي ذا القوة. وفي قوله تعالى: "أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ" ٢٣٧ البقرة. أي الذي يملك عقدة النكاح أي ولي أمرها. والإسراء والمعراج كان بمكة ليلة السابع والعشرين من رجب بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر أي قبل الهجرة بستة عشر شهراً. وهذه الآيات تتحدث عن المعراج وهي في ليلة الإسراء والمعراج حيث أسري برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده وهو يقظان من مكة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس بفلسطين على البراق ثم كان المعراج من صخرة بيت المقدس إلى السموات العلى إلى تحت العرش وهي مذكورة كاملة في سورة الإسراء والمعراج والإسراء كان بجسده صلى الله عليه وسلم وليس مناماً بل يقظة قال تعالى: "سُبْحَانَ" وهذا للتعظيم والتعجب لذلك الأمر الجلل والعظيم "بِعَبْدِهِ" أي بروحه وجسده والإسراء هو المشي والسفر بالليل وكما قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ" ١ الفرقان. أي أنزل الله القرآن بالوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقظان وليس رؤية منام ثانياً لو كان بالرؤية في المنام لما اعترض كفار قريش وكذبوه. وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة واحدة كذا قال موسى بن عقبة عن الزهري وقال السدي بستة عشر شهراً. وقالت أم هانئ بنت أبي طالب: ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش. وفي صحيح البخاري كان أبو ذر

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه). وقال صلى الله عليه وسلم: (أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه). ثم قدم جبريل البراق على الصفا فنفر عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم لمس الصفا بيده وقال إن من يعبد هذا لشقي والصفا كان صنماً على صورة رجل والمروة كان صنماً على صورة امرأة فقال له جبريل يا براق أما تستحي من محمد صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ما علا ظهرك أفضل منه فقال البراق هذا النبي العربي؟ قال نعم قال هذا صاحب الحوض المورود؟ قال نعم قال هذا قائد الغر المحجلين؟ قال نعم قال هذا الشفيع في القيامة؟ قال نعم فعند ذلك خضع له وقال اركب يا سيد المرسلين ولكن لي إليك حاجة أن لا تنساني من شفاعتك يوم القيامة فلما أراد الركوب بكى صلى الله عليه وسلم فسأله جبريل عن ذلك؟ فقال تذكرت أمتي هل يركبون يوم القيامة؟ قال نعم يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً يعني ركبناً فعند ذلك اندفع الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقصة اختيار البراق هي أنه ذهب جبريل عليه السلام إلى الجنة فوجد فيها أربعين ألف براق مكتوب على جباههم لا إله إلا الله محمد رسول الله ورأى فيهم براقاً باكياً قد اعتزل وانفرد وحده وترك الأكل والشرب فسأله عن ذلك فقال سمعت باسم محمد منذ أربعين ألف سنة فمنعني الشوق إليه الأكل والشرب فأخذه جبريل وهو فوق الحمار ودون البغل ووجهه كوجه آدمي ضخم العينين بسواد رقيق الأذنين لونه كالطاووس وجبينه كالزهرة وبدنه من الياقوت الأحمر وأظلافه كأظلاف البقر من زمرد أخضر مرصع بالياقوت والمرجان ورأسه من المسك الأزفر [أي الذي لا خلط

فيه أي الخالص النقي] وعنقه من العنبر الأشهب وناصيته من اللؤلؤ الأبيض مزوم
بسلسلة من ذهب مكللة باللؤلؤ والجواهر عليه راحلة الديباج خطوه مد البصر
فأسرجه جبريل بسرج من ياقوت أحمر وأجمه بلجام من زبرجد. [نزهة المجالس
ص ٣٨١]. وقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل المركوب تُقطع به المسافات والدليل
يستدل به على الجهات والجهات إنما هي محل الحادثات وأنا حبيبي تقدر عن
الجهات ولا يُوصل إليه بالحركات فمن عرف المعاني وعلم ما أعاني عرف أن
قربي منه قاب قوسين كقربي منه وأنا في بيت أم هانئ فقال جبريل عليه السلام
إنما جيء بي إليك لأكون خادماً لدولتك وجنتك بالمركوب على عادة الملوك وآداب
أهل السلوك لإظهار كرامتك فلما ركب أخذ جبريل بزمام براقه وميكائيل بركابه
وإسرافيل يسوى أطراف ثيابه وعلا به البراق على جبال مكة ثم قال يا محمد انزل
فصل ففعل فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت بطيبة وإليها تهاجر إن شاء
الله ثم سار ثم قال انزل فصل فصلى فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت
بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم سار فقال انزل وصل فصلى فقال أتدري أين
صليت قال لا قال ببيت لحم حيث وُلد عيسى عليه الصلاة والسلام ثم سار حتى
أتى بيت المقدس فنزل وربط البراق في الحلقة التي على باب المسجد التي كانت
الأنبياء تربط بها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثم رأيت شاباً حسن الثياب
طيب الرائحة فقبلني بين عيني ثم غاب عني ساعة فسألت جبريل عنه فقال هذا
الدين أبشر فإن أمتك يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين ويدخلون الجنة آمنين ثم
أتيت بثلاثة أقداح قدح من ماء وقدح من لبن وقدح من خمر وقيل لي اشرب
فسمعت قائلاً يقول إن شرب محمد الماء غرق وغرقت أمته وإن شرب الخمر غوى
وغوت أمته وإن شرب اللبن هُدي وهديت أمته فأخذت اللبن وشربته فقال جبريل

أصببت الفطرة ولو شربت الماء غرقت أمتك أو الخمر سفهت أمتك فشربت بعض اللبن فقال جبريل لو شربت اللبن كله لما دخل أحد من أمتك النار فقلت رده قال هيهات جرى القلم بما حكم ثم أتيت بثياب بيض وخضر وصفر وسود فاخترت الأبيض فقال جبريل الثياب البيض ثياب أهل الإسلام والخضر ثياب أهل الجنة والثياب الصفرة ثياب أهل الكتاب نجت أمتك من اليهودية والنصرانية والسود ثياب أهل النار نجت أمتك من النار. ثم دخل المسجد حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفاً ننظر من يؤمننا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل. ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين على ملة إبراهيم عليه السلام أخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم إلى ناحية الصخرة ونادى يا إسماعيل أدل المعراج وإسماعيل ملك صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك فجاء به من الفردوس أحد شعبتيه من ياقوتة حمراء والأخرى من زبرجدة خضراء وهو منضود باللؤلؤ من أحسن شيء خلقه الله تعالى وما من مؤمن إلا ويراه عند موته ألا ترون أنه يشخص ببصره إلى السماء أصله على الصخرة ورأسه ملتصق بسماء الدنيا له مائة درجة من الذهب والفضة والزبرجد والياقوت والمسك والعنبر. وهنا بدأت رحلة المعراج إلى السموات العلى والأولى كانت الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قال صلى الله عليه وسلم: فلما صعدت على الدرجة الأولى رأيت ملائكة ألوانهم حمر وثيابهم حمر ثم صعدت الثانية فرأيت ملائكة ألوانهم صفر وثيابهم صفر ثم صعدت الدرجة الثالثة فرأيت ملائكة ألوانهم خضر وثيابهم خضر ثم صعدت الدرجة الرابعة ورسول يأتي بعد رسول ويقول يا جبريل

عجل بمحمد فرأيت ملائكة تبرق أجسامهم ووجوههم كما تبرق المرآة ثم صعدت الخامسة فإذا عليها ملائكة أكثر من الجن والإنس كلامهم لا إله إلا الله ثم صعدت السادسة فإذا ملك عظيم جالس على كرسي من ذهب معه ملائكة شاخصون بأبصارهم هيبة لله تعالى كلامهم ما شاء الله كان ثم صعدت السابعة فرأيت عليها ملائكة كاد نور بصري يذهب من نورهم فاستقبلوني بالتعظيم ورأيت على الثامنة ملائكة ساجدين لله تعالى ورأيت على التاسعة ملائكة قصر فهمي عن صفتهم. وقال صلى الله عليه وسلم: ثم لم أزل أصعد درجة بعد درجة وجبريل تحت البراق ورسول يأتي من بعد رسول ويقول يا جبريل عجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى كنت في أعلى درجة فسمعت الملائكة يهللون ويسبحون ويقدمون الله ففرع جبريل عليه السلام باباً من أبواب السماء وهو الباب الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم فأقبل إسماعيل على فرس من نور عليه رداء من نور بيده حرباً من نور عمل العباد بالنهار بيده اليمنى وعملهم بالليل بيده اليسرى ومعه ألف موكب من الملائكة فقال من هذا الذي معك يا جبريل قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث إليه وفي رواية أوقد أرسل إليه قال نعم. ففتح له فصعدت إلى (السماء الدنيا) وهي موج مكفوف حبسه الله تعالى في الهواء ثم قال لها كوني زمردة خضراء فكانت وتسبيح أهلها سبحان ذي الملك والملكوت من قالها كان له مثل ثوابهم وهم سجود إلى يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم: ثم نظرت وإذا أنا برجل وإذا برجل كهيئته يوم خلقه الله تعالى وهو تعرض عليه أرواح بني آدم فإذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة اجعلوا كتابه في عليين قال ابن عباس رضي الله عنهما أي في الجنة وإذا كانت روح كافر قال روح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين قال مجاهد سجين صخرة تحت الأرض السابعة في بئر برهوت بحضرموت باليمن.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فقلت يا جبريل مَن هذا قال أبوك آدم عليه الصلاة والسلام فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح وإذا عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك وعن يساره باب إذا نظر إليه بكى فقلت يا جبريل ما هذان البابان؟ قال الذي عن يمينه باب الجنة إذا نظر إليه ضحك سروراً بمن يدخله من ذريته والذي عن يساره باب جهنم إذا نظر إليه بكى شفقة على من يدخله من ذريته. ثم قال صلى الله عليه وسلم: ثم حثثنا في المسير خمسمائة عام في الهواء وإذا ليس في الهواء موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك يسبح الله تعالى حتى انتهينا إلى (السماة الثانية) وهي من حديد فقرع جبريل باباً من أبوابها فأقبل جرجائيل وقيل رقائقيل في ألف موكب من الملائكة ولهم ضجة أشد من ضجة أهل سماء الدنيا فقال من هذا؟ قال جبريل قال ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ففتح الباب فرأيت ملائكة وجوهم كوجوه البقر على خيل مسومة متقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب فقلت يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال هؤلاء ملائكة خلقهم الله تعالى لنصرتك على الأحزاب وتسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت من قالها كان له مثل ثوابهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثم نظرت إلى شابين حسنين جالسين على سرير من ياقوتة حمراء فقلت يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال ابنا الخالة يحيى وعيسى أحمر اللون كأنما خرجا من ديماس [أي حمام] ثم سار بي جبريل في الهواء خمسمائة عام حتى دنا من (السماة الثالثة) فسمعنا أصواتاً أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل فقرع جبريل الباب وهو من نحاس وقيل من فضة ففتح لنا ورأيت فيها ملكاً معه سبعون ألف ملك قد خرقت أقدامهم الأرض السابعة وتسبيحهم سبحان الحي القيوم الذي لا يموت من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها شاباً كالقمر فقلت من هذا؟ قال يوسف عليه

الصلاة والسلام فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي أحسن تحية ثم سرنا في الهواء خمسمائة عام حتى انتهينا إلى (السماء الرابعة) وهي من ذهب وتسبيح أهلها سبحانه الملك القدوس رب الملائكة والروح من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها ملك البحار العذبة في نقرة إبهامه اليمنى والبحار المالحة في نقرة إبهامه اليسرى ثم رأيت رجلاً مسند ظهره إلى دواوين الخلق فيها أمورهم فقلت من هذا يا جبريل؟ قال هذا إدريس عليه الصلاة والسلام فدنوت منه وسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية رأيت قبة من نور مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه قبة إدريس النبي عليه السلام فتأملت فإذا فيها رجل كهل فقلت يا جبريل من هذا؟ قال إدريس فصافته وسلمت عليه ثم قلت له يا أخي إن الله رفعك مكاناً علياً ودخلت الجنة قبلي ورأيت نعيمها فقال يا حبيب الله ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستاناً خارج الجنة ورأيت على بابها مكتوب هذا باب لا يدخله أحد قبل محمد وأمه ثم سرنا حتى علونا (السماء الخامسة) وهي ياقوتة وتسبيح أهلها سبحانه من جمع بين الثلج والنار من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها رجلاً كهلاً يقص على قومه فقلت من هذا يا جبريل؟ قال هارون فسلم عليّ ورحب بي ودعا لي بخير ثم علونا (السماء السادسة) وهي من جوهرة وتسبيح أهلها سبحانه القدوس رب كل شيء وخالق كل شيء من قالها كان له مثل ثوابهم وإذا فيها خلق كثير كل ملك ممتلئ ما بين رأسه ورجليه وجوهاً وأجنحة ونوراً رافعين أصواتهم بالبكاء من خشية الله تعالى فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الكروبيون وقال النسفي رضي الله عنه خلق الله تعالى ميكائيل بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلى قدميه وجوه وأجنحة من زعفران في كل ريشة ألف عين تبكي على المذنبين من أمة محمد صلى

الله عليه وسلم فيقطر من كل عين سبعون قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً فهم الكروبيون فأقبلت عليهم بالسلام فجعلوا يردون علي إيماء برؤوسهم لا يتكلمون من خشية الله تعالى ولا ينظرون إليّ فقال جبريل هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله من العرب وهو خاتم النبيين أفلا تنظرون إليه؟ فأقبلوا عليّ بالتحية والإكرام وإذا برجل آدم يعني أسمر اللون كثير الشعر لو كان عليه قميصان لخرج الشعر منهما فقال يزعم بنو إسرائيل إني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله مني فقلت من هذا يا جبريل؟ قال موسى ابن عمران فسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقليل ما يبكيك؟ فقال غلام بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي. قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم علونا (السماء السابعة) وهي نور وتسبيح أهلها سبحان خالق النور من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها خلقاً لم يؤذن لي أن أحدثكم عنهم ولولا أن الله تعالى قوى بصري لم أستطع النظر إليهم فسلمت عليهم فقالوا حياك الله من أخ وخليفة ونعم المجيء جنّت ورأيت فيها شيخاً يشبه صاحبكم يعني نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من زبرجد أخضر قد أسند ظهره إلى البيت المعمور قلت من هذا؟ قال أبوك إبراهيم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان [أي أرض واسعة مستوية] وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم سرنا وجبريل على أثرى حتى وصلنا إلى سدرة المنتهى فإذا هي شجرة عظيمة ثابتة على تل من مسك لها ألف ألف غصن يسير الراكب في ظل الغصن مائة عام في كل غصن ألف ألف ورقة كل ورقة لو استظل بها الجن والإنس

لأظلمتهم على كل ورقة ملك على لون القمر على رأسه تاج من نور بيده قضيب من نور مكتوب على جبهته نحن سكان سدرة المنتهى سبحان من ليس له انتهاء يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال البغوي قال مقاتل وتحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان. وأنها في السماء السابعة مما يلي الجنة وعروقتها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش ومقام جبريل في وسطها وقال العلائي في أصلها محراب جبريل. يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب على صور الجراد. وقال صلى الله عليه وسلم: ورأيت طيوراً خضراً على الشجرة وفيهما المحزون والمسرور وعندهم شيخ وعجوز فقلت يا جبريل من هذا الشيخ والعجوز؟ قال إبراهيم وسارة والطيور أرواح أطفال المؤمنين والمحزون من فارق أهله من قريب والمسرور من فارقهم من بعيد. وسميت سدرة المنتهى لأن علم الخلائق ممن تحتها لا يجاوزها وعلم من فوقها لا يجاوزها أي من تحتها لا يعلم ما فوقها وما فوقها لا يعلم من تحتها. وقال علي رضي الله عنه سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها من كان على سنة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل من انتهى إليها فقد انتهى في الكرامة. وقال صلى الله عليه وسلم: من قطع سدرة ضرب الله رأسه في النار. قال بعضهم يعني من قطعها في فلاة يستظل بها المسافر وغيره من غير ضرورة. وقيل أن جبريل عليه السلام وقف عند الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى وقال يا محمد تقدم فقلت له بل أنت تقدم قال يا محمد لا ينبغي لأحد أن يتجاوز هذا المكان وأنت أكرم على الله مني وفي رواية أنه قال وما منا إلا له مقام معلوم ولو تقدمت بخرم إبرة لاحتقرت بنور القدرة. وبهذا التفسير فإنه لا يحق لمن تحت سدرة المنتهى أن يتجاوزها إلى أعلى ولا يحق لمن هو أعلى من سدرة المنتهى أن

ينزل إلى تحتها إلا من أذن له الرحمن مثل محمد صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي تجاوزها بأمر من الله تعالى. وإذا برفرف أخضر يحمله أربعة من الملائكة يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري فأجلسني جبريل عليه ثم وقف فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله؟ فقال نعم إن جاوزته احترقت بالنور. وهنا تبدأ المرحلة الثالثة والأولى كانت الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والثانية المعراج من فوق صخرة المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى والآن المرحلة الثالثة وهي الرفرف إلى تحت العرش. فقلت له هل لك إلى الله من حاجة؟ قال نعم سل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت بارك الله فيك وإذا بالنداء يا جبريل زج محمداً في النور زجة فزجني فخرقت سبعين ألف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام ليس فيها حجاب يشبه حجاب ونادى مناد بلغة أبي بكر: قف فإن ربك يصلي. فتعجبت من لغة أبي بكر وقلت هل سبقني أبو بكر؟ وتعجبت من صلاة ربي وقال العلائي: رأيت عجائب عظيمة فظننت أن كل من في السموات والأرض قد ماتوا لأنني لم أسمع هناك يعني عند العرش شيئاً من أصوات الملائكة وانقطع عني حس كل شيء فلحقني عند ذلك استيحاش فناداني جبريل من خلفي يا محمد إن الله تعالى يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه سبحانه وتعالى فبدأت بالثناء على الله تعالى وقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فقال جبريل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وقال العلائي: قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم ألهمني ربي أن قلت: اللهم إنه لحقني استيحاش قبل قدومي عليك وقبل ندائك لي وإني سمعت منادياً ينادي بلغة أبي

بكر: قف إن ربك يصلي. فتعجبت من هاتين الكلمتين وقلت هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن الصلاة؟! فقال عز وجل: إني لغني عن الصلاة لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي. اقرأ يا محمد: "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" فصلاتي رحمة لك ولأمتك - وأما أمر صاحبك فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا له " وَمَا تَلَكَّ يَمِينُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى " فشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر فإنك خلقت وإياه من طينة واحدة وهو أنيسك في الدنيا والآخرة خلقنا ملكاً على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد بك لا إله إلا أنا جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة يا محمد ما أعظم شأني وأعز سلطاني يا محمد انظر أي موضع رفعتك وفي أي مكان كلمتك يا محمد أين حاجة جبريل؟ فقلت: اللهم أنت أعلم بما سأل يريد أن يمد جناحه على الصراط يوم القيامة لتمر أمتي. فقال: قد أجبتك فيما سأل ولكن في طائفة من أمتك. فقلت: اللهم لمن؟ قال: لمن أحبك وصحبك وفي رواية لمن أكثر من الصلاة والسلام عليك. وقال العلائي: قال صلى الله عليه وسلم: رأيت ربي بقلبي وكلمني بما شاء وافترض عليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت إلى ربي [أي الموضع الذي ناجاه فيه] فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عنا خمساً وفي رواية عشراً فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: فلم أزل أرجع بين

موسى وبين ربي حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة في رواية أمضيت فريضتي على عبادي لا يبدل القول لدي. قال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثم قال لي ربي: ارجع إلى قومك فبلغهم عني وإذا قد حال بيني وبينه حجاب من نار يلتهب التهاباً لا يعرف كثافته إلا الله تعالى ودلاني الرفرف الأخضر الذي كنت عليه. [وهذا معنى قوله تعالى " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى " أي دنا تحت العرش إلى منزلة كلمه الله تعالى عندها ثم تدلى أي هبط ونزل ثانياً قال وجعل الرفرف يخفضني ويرفعني فأهوى بي إلى جبريل وارتفع الرفرف حتى غاب عني فقال جبريل أبشر يا محمد فأنت خيرة الله من خلقه وصفوته من البشر ولقد قربك الرحمن إليه من قرب عرشه مكاناً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض فحمدت الله على ما اصطفاني به وأكرمني. { فأوحى إلى عبده ما أوحى } قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوني قبل أن تفقدوني عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل. فقال رجل يا أمير المؤمنين ما هذا العلم الذي لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل؟ قال علي بن أبي طالب: إن الله تعالى علم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج علوماً شتى فمنها علم أمره الله بكتمانه وعلم أمره الله بتبليغه وعلم خيره الله تعالى فيه فكان يُسر إلى أبي بكر وعمر وعثمان وإليّ مما خيره فيه فكان أسره إليّ أنه قال: كنت نوراً في وجه إبراهيم ودرّة في ظهره فلما عارضه جبريل وهو في كفة المنجنيق وقال يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا فعاد إليه وقال ألك حاجة إلى ربك؟ فقال جبريل: من شأن الخليل أن لا يفارق خليله. قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأنطقني الله تعالى أن قلت: إن بعثني الله واصطفاني بالرسالة لأجازين أخي جبريل فلما كان ليلة المعراج بعد أن بعثني الله تعالى أتاني جبريل وكان هو السفير

بي إلى أن انتهى معي في مقام ثم وقف. فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله؟ فقال نعم إن جاوزته احترقت بالنور فقلت له هل لك إلى الله من حاجة؟ قال نعم سل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت بارك الله فيك يا جبريل. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٧]. {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} رأى فؤاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربه أي بقلبه كما مرت الأحاديث السابقة ولم يره بعينه لأنه نور أنى يراه ورآه بقلبه رأى الله تعالى نوراً {أَفْتُمِرُونَهُ} أتكذبونه وتقولون أنها رؤية منام وهي رؤية حقيقية رأى من آيات ربه الكبرى {عَلَىٰ مَا يَرَىٰ} على كل ما رأى من ملائكة وسماوات والمعراج والرفرف والحجب ورؤية سدرة المنتهى ورؤية جبريل عليه السلام {وَلَقَدْ رَءَاهُ} رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية مرة في الأرض سد بجناحيه الأفق {نَزَلَهُ أُخْرَى} ورآه مرة أخرى وفي مكان آخر {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} رأى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى لأن محرابه في أصل سدرة المنتهى أو في وسطها. وسدرة المنتهى كما ذكرنا في بداية الحديث قال صلى الله عليه وسلم: فإذا هي شجرة عظيمة ثابتة على تل من مسك لها ألف ألف غصن يسير الراكب في ظل الغصن مائة عام في كل غصن ألف ألف ورقة كل ورقة لو استظل بها الجن والإنس لأظلتهم على كل ورقة ملك على لون القمر على رأسه تاج من نور بيده قضيب من نور مكتوب على جبهته نحن سكان سدرة المنتهى سبحان من ليس له انتهاء يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن [أي غير متغير] وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى. وقال البغوي قال مقاتل وتحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان. قال في العرائس أنها في السماء السابعة مما يلي

الجنة وعروقتها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش مقام جبريل في وسطها وفي أصلها محرابه يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب. وقال النسفي غشيها ملائكة من ذهب على صور الجراد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ورأيت طيوراً خضراً على الشجرة وفيهم المحزون والمسرور وعندهم شيخ وعجوز فقلت يا جبريل من هذا الشيخ والعجوز؟ قال إبراهيم وسارة والطيور أرواح أطفال المؤمنين والمحزون من فارق أهله من قريب والمسرور من فارقهم من بعيد. وسميت سدرة المنتهى لأن علم الخلائق ممن تحتها لا يجاوزها وعلم من فوقها لا يجاوزها أي من تحتها لا يعلم ما فوقها ومن فوقها لا يعلم من تحتها وعندها جنة المأوى. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٠، ١١١]. {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} أي جنة المأوى بجوار سدرة المنتهى أي تبدأ من عند سدرة المنتهى أي الجنان تكون بعد السماء السابعة مباشرة وتبدأ جنة المأوى من جوار ومن عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة وما بعدها {إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى} كما أسلفنا يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب ويغشاها ملائكة من ذهب على صور الجراد وتأوي إليها أرواح الشهداء وقيل جبريل عليه السلام حيث مقامه في وسطها وفي أصلها محرابه {مَا زَاغَ الْبَصَرُ} ما زغل البصر وما عمي ولم تصبه غشاوة بل رأى رؤية صحيحة واضحة عين اليقين في اليقظة رؤية واضحة جلية {وَمَا طَغَى} وما جاوز الحد وما خُيِّلَ إليه وما تزاوَل وما توهم {لَقَدْ رَأَى} لقد شاهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورأى رأى العين المجردة {مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ} من معجزات ربه ومن خلق ربه ومن دلائل عظمة ربه الله تعالى {الْكُبْرَى} العظمى والكبيرة والكثيرة ومنها على سبيل المثال أنه رأى البراق ورأى المعراج ورأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله

عليها ورأى الرفرف ورأى الحجب ورأى أنواع الملائكة ورأى السموات السبع وما فيهن وما بينهن ورأى سدرة المنتهى ورأى الأنبياء والرسل قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في ملكوت الله تعالى رجالاً على خيل بلق شاكين السلاح طول الرجل ألف عام وطول الفرس ألف عام يتبع بعضهم بعضاً لا يرى أولهم من آخرهم ولا آخرهم من أولهم فقال يا جبريل من هؤلاء؟ قال ألم تسمع قوله تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " فأننا أهبط وأصعد أراهم هكذا لا أدري من أين يجيئون ولا إلى أين يذهبون. [نزهة المجالس ص ٣٧٥]. وقال صلى الله عليه وسلم: (رأيت ملائكة على رأس كل ملك تاج تسعون ذراعاً بذراع جبريل في كل تاج أربعمائة لؤلؤة الواحدة تسع الدنيا والياقوتة يدخل فيها أهل الدنيا ورأيت ملكاً عن يمينه ألف ألف ملك وعن يساره ألف ألف ملك على رؤوسهم تيجان من نور وهم يقرؤون آية الكرسي قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء خُلِقُوا من قطرة من نور العرش فقلت يا جبريل ما أكثر عجائب ربي فقال ما رأيت من عجائب ربك إلا ساعة من الليل). [نزهة المجالس ص ٣٩٥].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾
 تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
 مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ
 ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

{أَفَرَأَيْتُمْ} هل علمتم أو شاهدتم {اللَّت} وهو اسم صنم وهو معظم عند أهل الطائف وهي مشتقة كلمة الله وهي مؤنثة {وَالْعُزَّى} اسم صنم وهي شجرة عليها بناء وهي بنخلة بين مكة والطائف وكانت تعظمها قريش {وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى} وهي اسم صنم كذلك وكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وتعظمها الأوس والخزرج وخزاعة ومناة هي ثلاثة الأصنام السابقة فهنا السؤال للتقريع والتوبيخ والاستنكار للكفار الذين يعبدون الأصنام فيقول الله تعالى أنا أسريت بعبدي وعرجت به فما فعلت أصنامكم اللات والعزى ومناة؟! وقال الكفار الملائكة بنات الله فقال تعالى {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى} يعني هو الخالق فهل يخلق هو وأنتم تأخذون لكم الذكور من الأبناء وهو له الأنثى يأخذها {تِلْكَ} هذه المقولة {إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى} فهي قسمة جائزة ومتحيزة وباطلة وغير منصفة وظالمة وغير عادلة لو كان ذلك صحيحاً فالله تعالى يحاججهم بالحجة وهو سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولكنه يرد عليهم وعلى قولهم بأن الملائكة بنات الله فكيف يخلق وأنتم تأخذون الأولاد لكم وتقولون أنه له البنات من الملائكة {إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا} أسماء الأصنام وهي اللات والعزى ومناة هي ليست آلهة بل أنتم سميتموها واختلقتموها من عند أنفسكم {أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ} أنتم وآباؤكم الذين

اختلقتموها كذباً وبهتاناً وباطلاً {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} ما قال الله بها وليس لكم دليل واحد ولا برهان على قولكم المنكر {إِنْ يَتَّبِعُونَ} إن يتبع هؤلاء الكفار في قولهم {إِلَّا الظَّنُّ} إلا الظن والشك والكذب والتخمين والاعتقاد الخاطئ {وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} وما تتمنى الأنفس باطلاً وما تتخيل وترغب وتود أن يكون {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى} جاءهم القرآن من ربهم فعليهم أن يهتدوا به {أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى} أم هل للإنسان ما طلب وتخيل وما تمناه على الله من الأماني التي لا فائدة منها ولم تتحقق لأنها مجرد أمنية وخيال فقط {فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ} لله تعالى الآخرة وهي النهاية وهي يوم القيامة وما فيها من عقاب وجزاء وجنة أو نار فالجنة للمتقين والنار للعاصيين والمشركين {وَالْأُولَى} والله تعالى الأولى وهي الحياة الدنيا فهو يعطيها من يشاء أو يسلبها ممن يشاء.

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ

يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾

{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ} وكم أي كثير من الملائكة من أهل السموات السبع {لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} أي لا تنفع شفاعتهم شيئاً لأحد من أهل الأرض ولو أنهم ملائكة مقربون عند الله {إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} إلا من يأذن له الله ويسمح له بالشفاعة ويرضى له أن يشفع كما قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ٢٥٥ البقرة. وكما قال تعالى: " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " ٣٨ النبأ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} أي الكفار وهم الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يصدقون بها وجحدوا بها والآخرة هي يوم القيامة يوم البعث يوم الجزاء والعقاب والحساب {لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ} فهم يسمعون الملائكة {تَسْمِيعَ الْأُنثَىٰ} أي يقولون هم بنات الله لأن جمعهم ملائكة فيظنون أنهم إناث ولكن مفردها ملك وهو مذكر كما يقال الأعمدة جمع عمود فليست الأعمدة مؤنث لأنها مفردها عمود مذكر وهكذا الملائكة جمع ومفردها ملك وهو مذكر ولذلك يسمون الملائكة تسمية الأنثى يقولون أنهم بنات الله وحاشى لله تعالى أن يكون له ولد {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ} وليس عندهم علم أكيد وصحيح {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} فهم يظنون ويشكون ويتوهمون {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} وإن الظن والتخمين والشك لا يجدي مع الحق شيئاً ولا فائدة من الظن إن كان الحق والصواب بخلاف ذلك وجاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٣].

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ٢١ ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى ﴾ ٢٢ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ٢٣ ﴿

{فَأَعْرِضْ} فدع واهجر واترك وابتعد {عَنْ مَنْ تَوَلَّى} عن من نأى بجانبه وتكبر ولم يقبل أن يهتدي بالإسلام وأعرض {عَنْ ذِكْرِنَا} عن ذكر الله تعالى ونسي ذكر الله تعالى ولم يخشهُ ولم يخفهُ ولم يتذكر الله تعالى في حياته وفي أعماله كما قال تعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " ١٢٤ طه. {وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ولم يرد ولم يرغب إلا في إشباع شهواته ورغباته من الحياة الدنيا ولا يريد إلا الدنيا وزينتها فلا يهتم إلا أن يعيش في حياته الدنيا ويريد العاجلة لا يهتم أكل الربا أو الزنا أو شرب الخمر أو الكفر أو ارتكاب المعاصي أو أخذ الرشوة يريد أن يعيش في الدنيا منعماً مرفهاً ولا يهتم كسبه من حرام أو حلال {ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ} هذا قدرهم من العلم وهذه معرفتهم ومستوى تفكيرهم وعلمهم وهذا ما لديهم من العلم والمعرفة وكما قال تعالى: " إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا " ٤٤ الفرقان. {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} إن ربك يا محمد يعلم من ضل وغوى وابتعد عن سبيل الله وابتعد عن الدين الإسلامي وعن الهدى والرشاد والحق والعدل {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى} وهو الله تعالى يعلم من اهتدى واتبع سبيل وطريق الهدى والرشاد والحق والعدل والصواب {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ولله تعالى ملك السموات والأرض وحده لا شريك له وكما قال تبارك وتعالى: " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " ٤

الفاتحة. يعني هو المالك ويرجع الملك والأمر له يوم القيامة {لِيَجْزِيَ} ليحاسب {الَّذِينَ أَسْتَوُوا} الذين كفروا وعصوا وعملوا السيئات {بِمَا عَمِلُوا} ليحاسبهم بما عملوا من معاصي أو شرك أو كفر ويعذبهم بذلك في نار جهنم يوم القيامة {وَيَجْزِيَ} ويجزي ويكافئ {الَّذِينَ أَحْسَنُوا} أحسنوا أعمالهم بالطاعات والعبادات وأعمال الخير {بِالْحُسْنَى} يكافئهم بأحسن من ذلك وهي الجنة يدخلونها منعمين مكرمين خالدين فيها ويغفر ذنوبهم.

﴿الَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

{الَّذِينَ} أولئك الذين أحسنوا وسيجزيهم الله تعالى بالحسنى هم كل من {تَجْتَنِبُونَ} يبتعدون ويتحاشون الوقوع في {كَبِيرَ الْإِثْمِ} أعظمها وأكبرها عند الله تعالى وهو الإشراك بالله تعالى وعقوق الوالدين والقتل وقول الزور وكما جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً) قالوا بلى قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً ثم قال - ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٤ ص ١٢٩].

{وَالْفَوَاحِشَ} ما فحش وعظم وما فيه حد مثل الزنا والسرقة {إِلَّا اللَّمَمَ} إلا الصغائر صغار الذنوب مثل القبلية والنظرة والغمز واللمز [شتم وسباب الناس] والضحك والاستهزاء بمن هو دونه فالوضوء والاستغفار يمحوها {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} إن الله رحمته وسعت كل شيء ومغفرته كذلك يغفر لمن تاب وكما قال تعالى: " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " ١١٤ هود. وكما قال تعالى: " وَيَعْفُو عَنْ "

كثير " ٣٠ الشورى. وروى الإمام أبو جعفر بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال: أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرًا فقلت إن في البيت تمرًا أجود من هذا فدخلت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً قال فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: (أخلفت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟) حتى ظننت أني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعته فأتى رسول الله ساعة فنزل جبريل فقال أبو اليسر فجئت فقرأت علي رسول الله: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " فقال إنسان يا رسول الله له خاصة أم للناس عامة؟ قال: (للناس عامة). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٣]. وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال: سألت أبا هريرة عن قول الله تعالى: " إِلَّا اللَّمَمَ " قال: القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة. فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٦]. {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ} يعلم ما في نفوسكم لأنه علام الغيوب ويعلم أنكم ستخطئون وتتوبون وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٧٩]. وقال الهمام بن الحارث وقال همام بن الحارث: سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة [أي يزني بها] ثم يتزوجها؟ قال: لا بأس به وقرأ: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" الآية. [رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم ابن

مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام فذكره - ابن كثير ج ٤ ص ١١٥]. {إِذْ أَنْشَأَكُمُ} حيث أنه هو الذي خلقكم من الأصل وهو خلقه أبينا آدم عليه السلام {مِّنَ الْأَرْضِ} من الطين وكما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. {وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ} وإذ بكم بعد أن خلقتكم من الطين قد صرتم وأصبحتم بقدره الله تعالى أجنة وهي جمع ومفردها جنين {فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} في بطون أمهاتكم أثناء الحمل وهي التسعة أشهر غالباً فإما أن تكونوا ذكوراً أو إناثاً سعداء أو أشقياء طوال الأجل أو قصاره {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى أي فلا داعي لأن تفتخروا وتمدحوا أنفسكم عند الناس كذباً كالذي يدعي أنه يصوم وهو لا يصوم حيث أن الله يعلم السر وأخفى ويعلم من يتقيه ويطيعه ويخافه ويخشاه بالغييب حيث أنه علام الغيوب فالمهم هو العمل وليس القول لقوله تعالى: " كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " ٣ الصف. ولا يضر الرجل أن يتهمه الناس بعدم الطاعة والعبادة كما قالت رابعة العدوية:

فليتك تحلو والحياة مريرة *** وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر *** وبينني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين *** وكل الذي فوق التراب تراب
أما أن يدافع الرجل عن نفسه صادقاً في مواضع الشبهات فلا بأس بذلك كيوسف عليه السلام عندما قال مدافعاً عن نفسه: " هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي " ٢٦ يوسف.
وكذلك من وجد في نفسه أنه كفاء وأهل لعمل يجيده فلا بأس أن يخبر بذلك كالبناء أو المهندس أو الصانع الماهر ولذلك قال يوسف عليه السلام: " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا " ٥٥ يوسف. أو كالذي يمدح نفسه صادقاً

متحدثاً بنعمة الله عليه كما قال سليمان عليه السلام في قوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ {١٥} وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ {١٦} " ١٥، ١٦ النمل. وكما قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: " قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {٦٧} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا {٦٨} " ٦٧، ٦٨ الكهف. وكما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٨]. ولا مانع أن يمدح الرجل نفسه ليقتردي به غيره كمن يقول أنا أقوم الليل وخلافه وذلك لقوله تعالى: " وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ " ١١ الضحى.

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٢٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٢٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٢٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٢٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٢٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٢٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٢٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٣٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٣١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٣٢﴾ ﴾

{أَفَرَأَيْتَ} هل شاهدت يا محمد وهل نظرت {الَّذِي تَوَلَّى} وهو الوليد بن المغيرة أعرض عن الإسلام واتباع الحق والهدى والرشاد {وَأَعْطَى قَلِيلًا} أعطى اهتمامه قليلاً لأن يتفكر في شأن دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَكْدَى} وأعرض وأدبر وتعب ولم يوفي الشوط إلى آخره أي لم يديم التفكير حتى يهتدي وكما قال تعالى: " إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠} ثُمَّ نَظَرَ {٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ {٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {٢٣} " ١٨-٢٣ المدثر. {أَعِنْدَهُ} أعند الوليد بن المغيرة {عِلْمُ الْغَيْبِ} أي اطلع على الغيب وعرف الحقيقة وعلم

الصحيح {فَهُوَ يَرَى} فهو يرى الحقيقة واضحة ويعلمها ويعلم الصدق والصحيح من الخطأ {أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} أم لم يُخبر ولم يعرف ما في صحف موسى بن عمران عليه السلام من التوراة من الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته واتباع رسله ولكنكم تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة {وِإِبْرَاهِيمَ} الخليل عليه السلام {الَّذِي وَفَّى} وفى وأتم ما أمره الله تعالى به وكما قال تعالى: " بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {١٦} وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى {١٧} إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى {١٨} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى {١٩} " ١٦-١٩ الأعلى. {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ} ألا تحمل نفس {وِزْرَ أُخْرَى} ذنب نفس أخرى {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} وأنه ليس للإنسان جزاء إلا ما عمل فإن كان عمله خيراً فجزاؤه خير وهو الجنة وإن عمل سوءاً وشرّاً فجزاؤه شر وهو عذاب جهنم فلا يمكن أن يعمل أحد خيراً ثم يلاقي شرّاً ويحاسب في نار جهنم وهكذا {وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى} وأن سعيه سوف يُعلم ويُعرف ولا يخفى منه شيء وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن عبداً اتقى الله في بيت في جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب عليه قفل من حديد لألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس به). [نزهة المجالس ج ١ ص ٧٩]. وجاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩]. {ثُمَّ تُجْزَى} ثم يحاسب عليه ويكافأ عليه {الْجَزَاءَ الْوَفَى} الجزاء الكامل غير المنقوص {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} وأن إلى ربك

النهاية والمآل والمرجع كما قال تعالى: " إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى " ٨ العلق. وكما قال تعالى: " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " ١٥٦ البقرة. أي النهاية والمآل والمرجع والمصير راجع إلى الله تعالى يوم القيامة وكما قال تعالى: " وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا " ٩٥ مريم. فيحاسب الناس على أعمالهم فالصلح والذي فعل الخير والطاعات ولم يشرك به أحد يدخله الجنة ومن كفر وأشرك وعصى وعمل السيئات أدخله النار وأنه لا ظلم في ذلك اليوم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ٤٤ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٤٥ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٤٦ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ ٤٧ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ٤٨ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّرَعَى﴾ ٤٩

{وَأَنَّهُ} الله تعالى رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ} هو الذي {أَضْحَكَ} أضحك الناس في سرورهم حيث وهبهم النعم والصحة والعافية والسرور فأضحكهم بنعمته وفضله ورحمته {وَأَبْكَى} أبكى الناس حيث سلب منهم النعم والسرور والأولاد والآباء والأمهات والأموال والصحة وابتلاهم بالهموم والأحزان والأمراض وسلب الأموال والممتلكات والأهل ولذلك أبكاهم عليهم وهذا كله بلاء كما قال تعالى: " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ " ١٥٥ البقرة. {وَأَنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ} هو الذي {أَمَاتَ} أَمَات الناس بالموت وأَمَات جميع المخلوقات من إنس وجان وحيوانات وطيور وأشجار وغيرهم فهو الذي بيده أرواحهم فكل من انقضى أجله وعمره أرسل الله له عزرائيل عليه السلام يقبض روحه فيموت وملك الموت وهو عزرائيل عليه السلام قد رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج قال

صلى الله عليه وسلم: رأيت ملكاً على كرسي والدنيا بين ركبتيه وبيده لوح ينظر إليه ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً. {وَأَحْيَا} فهو الذي يحيي الناس عند بداية حياتهم من مني يمني والأشجار من بذرها فهو الخالق من عدم وهو يحيي الأرض بعد موتها {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} وأنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الخالق للذكر وللأنثى وأصل الخلقة خلق آدم عليه السلام من الطين ثم خلق من ضلعه الأيسر زوجته حواء ثم من آدم وحواء خلق الأبناء الذكور والإناث {مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} من نطفة الرجل وشهوته عند جماع زوجته فيكون الحيوان المنوي قد نزل في فرج الزوجة وهناك يخترق بويضة الأنثى ويحصل بينهما التلقيح والتخصيب فيكون الطفل والجنين من ذلك المني الذي قذفه ذكر الرجل في فرج زوجته وهنا نورد حديث مسلم بن الحجاج في صحيحه حيث جاء خبر من أحبار يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيما قال: جننت أسألك عن الولد قال صلى الله عليه وسلم: (ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله تعالى [أي إذا سبقت شهوة الرجل شهوة المرأة عند الجماع يكون المولود ذكراً أي ولدًا] وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله تعالى [أي إذا سبقت شهوة المرأة شهوة الرجل ونزلت قبل شهوة الرجل جاء المولود أنثى أي بنتًا]) قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٣]. ووالذي نفسي بيده لقد حصلت قصة تؤيد صدق هذا الحديث وهو أنه ذات يوم جاءت امرأة وادّعت بأن طالباً كان يسكن في شقتها معها متأجراً له غرفة في شقتها وإذا هي حامل فلما وضعت بنتها بعد الأربعين حضرت تشتكي على ذلك الطالب بأنه عمل لها فنجان قهوة ووضع لها فيه منوماً وأسكرها ثم زنى بها فحملت منه وهي لا تعلم ولما طلب مدير الداخلية من المباحث القبض على ذلك

الطالب أخبروني بالقصة فقلت لهم ماذا ولدت تلك المرأة ولداً أم بنتاً؟ فقالوا بنتاً قلت لهم كذبت لم يسكرها بل برضاها لحديث أعلمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كان عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين ميلادية تقريباً فما كان منهم إلا أن استعادوا تلك المرأة مرة ثانية إلى مدير الداخلية الذي أخذ بقولي وسألها وأخبرها بأن شيخاً في الدين يقول إنك كاذبة وبرضاكي فقلت نعم لم يسكرني وبخاطري ولكن أريده أن يرجع لي ثانية حيث ترك البيت غاضباً مني وبذلك تركوا الطالب ولم يستدعوه إطلاقاً حيث قلت لهم لو كان أسكرها لما استلذت ولما أتت شهوتها قبل الطالب فلو صدقت لأتى المولود ذكراً حيث يكون الطالب قد أُمِنَ قبلها لأنها لا تعلم ولا تحس من المسكر أو المنوم ولكنها أُمِنَت قبله أي استلذت ولم تكن سكرانة وهذه قصة حقيقية والحمد لله رب العالمين استنتجتها من هذا الحديث وهذا دليل على صدقه وقد أوردت هذه القصة من أجل بعض المتشككين في أحاديث رسولنا الكريم وقد يقول قائل لماذا لم يستدعوا الطالب ويحاكموه وأقول لهم لأن تلك الدولة العربية لا تطبق الشريعة الإسلامية في إقامة الحد وعندهم مادام قد تم الأمر برضاها فلا شيء عليه {وَأَنَّ عَلَيْهِ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليه - لأنه هو الخالق وهو القادر - {النَّشْأَةُ الْآخِرَى} الحياة مرة ثانية للخلق حيث يبعثهم من قبورهم أحياء يوم القيامة وهذه مشيئته وحكمته وقدرته وعليه وحده وهو الذي يقدر أن يحيي الناس مرة ثانية من قبورهم للبعث والنشور والجزاء والحساب والعقاب يوم القيامة {وَأَنَّهُ} وأنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ أَغْنَى} هو الذي جعل الناس أغنياء وأثرياء {وَأَقْنَى} أفقر بعض الناس لحكمة يعلمها لأنه لو بسط الرزق لعباده لبغوا في الأرض وأقنى هنا بمعنى أفقر لأنه جاء بالكلمة وضدها أو

عكسها فقال أضحك وأبكى وأمات وأحيا وأغنى وأفقر {وَأَنَّهُ} وأنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى} قيل الشعرى اسم نجم يقال له مرزم الجوزاء كانت العرب تعبد في الجاهلية أي أن الله تعالى هو ربه وخالقه وإلهه وقد ذكر في هذه السورة اللات والعزى ومناة وهنا عاد لذكر هذا الكوكب وهذا النجم المسمى في الجاهلية بالشعري.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥١﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٣﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٤﴾ فَغَشَّهَا مَا غَشَّى ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٦﴾﴾

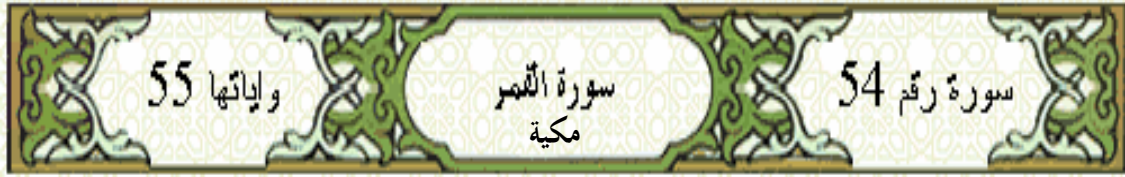
{وَأَنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَهْلَكَ} دمر وأمات وعذب {عَادًا الْأُولَى} وهم قوم هود عليه السلام {وَتَمُودًا} هم قوم صالح عليه السلام الذين عقروا الناقة وكذبوا صالحاً عليه السلام فأهلكهم الله تعالى بالصاعقة {فَمَا أَبْقَى} لم يبق منهم أحداً {وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ} وقوم نوح عليها لسلام أغرقهم الله تعالى لكفرهم {إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} إن قوم نوح كانوا أظلم وأكثر تجبراً وأكثر طغياناً وكفراً لأن نوح عليه السلام مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يهديهم فلم يهتدوا ولم يعتبروا فأغرقهم الله تعالى عن آخرهم بما فيهم كنعان ابن نوح عليه السلام هو وأمه أغرقا لكفرهما {وَالْمُؤْتَفِكَةَ} هم قوم لوط وسميت المؤتفكات المكذبات مثل أصحاب الإفك مكذبين لوطاً عليه السلام ويأتون الرجال في الأدبار من دون النساء {أَهْوَى} أي أطغى وأضل وأكثر ضلالاً وكما قال تعالى: " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " ٢٣ الجاثية.

{فَعَشَّهَا مَا غَشَّى} آتاها ما آتاها من العذاب يعني جاءها ما يكفيها من العذاب أي عذبت عذاباً شديداً حيث جعل الله عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ} فبأي نعماء ربك {تَتَمَارَى} تُكذب وتجحد أيها الإنسان كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ " ٦ الإنفطار.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ ٥٦ ﴿ أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴾ ٥٧ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ٥٨ ﴿ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ٦٠ ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾ ٦١ ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ٦٢ ﴿

{هَذَا} سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حياته والآن القرآن الكريم {نَذِيرٌ} نذير ينذر الناس ويعظهم ويحذرهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة للكفار ولمن أشرك بالله غيره وللعصاة والمذنبين ولمن يرتكب المحرمات والمحظورات وهو مثل المنذرين السابقين من الأمم السابقة عندما كان ينذرهم ويحذرهم رسلهم من عذاب الله تعالى لمن أشرك معه غيره {مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى} مثل النذر السابقين {أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ} قربت القيامة أي أشرفت على القيام كما قال تعالى: " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ " ١ القمر. {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} لا أحد يستطيع أن يكشف كربها وهما وغمها وعذابها إلا الله تعالى وحده ولا يستطيع أحد غير الله تعالى أن يكشف الغمة ولا يستطيع غير الله أحد أن يكشف عذابها {أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ} فهل من هذا الحديث وهذا القول عن قيام القيامة وأنه قَرُبَ وقتها وأشرفت على القيام {تَعَجَّبُونَ} تتعجبون وتندهشون {وَتَضْحَكُونَ} تضحكون استهزاءً وسخرية وعدم اكتراث {وَلَا تَبْكُونَ} ولا تبكون على ذنوبكم ولا على مصيركم حيث يمكن أن تكونوا من أهل النار وتعذبون في نار جهنم يوم القيامة {وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ} وأنتم

غافلون ساهون لاهون عن القيامة وعذابها {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ} أي صلوا لله تعالى قبل
فوات الأوان {وَأَعْبُدُوا} واعبدوا الله وحده حتى تنجون من عذاب الله تعالى
يوم القيامة وهنا آية سجدة ووجب السجود كما أسلفنا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ ﴿٥﴾ ﴾

{أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} أي أوشكت الساعة وهي يوم القيامة على الوقوع واقترب وahan وقرب وقتها وقرب قيام القيامة وسيحاسب الناس على أعمالهم إن كانت أعمال بر وخير وطاعة فسيدخلون الجنة وإن كانت أعمال شر ومعصية وكفر وشرك فسيدخلون النار خالدين فيها {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} وقد حدث انشقاق القمر بمكة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل الهجرة وهم بمنى ينظرون بأعينهم وهذه معجزة على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى قيام القيامة حقاً. قال ابن جرير: حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى ابن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن رجل عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا، اشهدوا). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٦٢]. وقال البخاري وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله: بمكة [أي وقع ذلك في مكة] وكان ذلك فوق جبل حراء. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٧٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (اشهدوا). [وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان ابن عيينة به - ابن كثير ج ٤ ص ٢٦٢]. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٦٢]. {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً} وإن يشاهد الكفار والملحدون آية وبينة ومعجزة وعلامة واضحة على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يُعْرِضُوا} يرفضوا {وَيَقُولُوا سِحْرٌ} ويقول الكفار هذه المعجزة وهذه الآية وهذه البينة الواضحة الجليلة هي سحر من سحر محمد {مُسْتَمِرٌّ} أي متواصل ومتواتر في تعليمه يتعلمه جيل بعد جيل فهم يأخذونه وراثته ويتعلمونه أي أنهم يظنون أن معجزاته صلى الله عليه وسلم هي من باب السحر والسحر معروف يتعلمه الناس وراثته بعضهم من بعض هكذا يظنون بقولهم سحر مستمر {وَكَذَّبُوا} وكذبوا ولم يصدقوا بكل ما جاءهم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} واتبع الكفار في الكفر والجحود أهواءهم وشهواتهم ورغباتهم وملذاتهم وإشباع رغباتهم وعملوا على هواهم وما يحقق رغباتهم وشهواتهم وملذاتهم {وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ} وكل أمر له نهاية وتعرف حقيقته وينكشف أمره وكل أمر يظهر ويبان {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ} ولقد أتاهم {مِّنَ الْأَنْبَاءِ} من أنباء وأخبار الأمم السابقة وما حلّ بهم من عذاب وهلاك لكفرهم ولتكذيبهم رسلهم {مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ} ما في الأخبار والأنباء للأمم السابقة ما فيه الكفاية وما فيه رادع وزاجر لهم {حِكْمَةٌ} ما حل بالأمم السابقة من العذاب

والهلاك والدمار والموت فيه حكمة وحجة ونصيحة {بَلِغَةٌ} واضحة وقيمة وصريحة وحكمة عظيمة وحكمة كبيرة وحكمة قوية وجليلة {فَمَا} فلا {تُغْنِ} تنفع {الْأَنْذُرُ} الإنذارات والتحذيرات والإرشادات والنصائح لا تنفع مَنْ لم يؤمن بها ولم يأخذ بها ولم يتبعها ولم يصدقها ولم يتعظ بها.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} أعرض عنهم وابتعد عنهم ودعهم وشأنهم {يَوْمَ} القيامة {يَدْعُ الدَّاعِ} ينادي داعي الله تعالى إلى الحساب {إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ} إلى شيء قد نُكِرَ وكذب ووجد وهو يوم البعث والنشور والحساب والعقاب والعذاب وهو يوم القيامة {خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ} باهتة شاخصة أعينهم لا تطرف من شدة الخوف {تَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ} يخرجون من قبورهم {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} كأنهم جراد انتشر في الأرض لكثرتهم ولاختلاطهم بعضهم ببعض {مُهْطِعِينَ} ذليلين مسرعين {إِلَى الدَّاعِ} إلى داع الله تعالى إلى المحشر وإلى الحساب يوم القيامة {يَقُولُ الْكَافِرُونَ} يقول الكفار عندها {هَذَا} أي يوم القيامة {يَوْمٌ عَسِرٌ} يوم قاس وصعب وشديد ورهيب وليس به فرج وكله ضيق وتعب وخوف وعذاب وعسر.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِرَ ﴿٥﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنِ كَانَ كُفْرَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٨﴾ ﴾

{كَذَّبَتْ} كذبت وجحدت ولم تصدق {قَبْلَهُمْ} قبل كفار مكة {قَوْمُ نُوحٍ} هم الذين كذبوا من قبل ونوح عليه السلام اسمه شاكِر وإنما سمي بنوح لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه فأوحى الله تعالى إليه : هذا خلقنا فاخلق أنت مثله فصار يبكي وينوح ولذلك سمي باسم نوح لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى وهو أول من نسخ شريعة نكاح الأخ لأخته لأنه كان مباحاً قبله وحُرِّم ذلك في عهده {فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا} كذبوا عبد الله ورسوله نوحاً عليه السلام وهو رسول من رب العالمين لهم {وَقَالُوا} قال قوم نوح عليه السلام {مَجْنُونٌ} أي كذبوه واتهموه بالجنون وهو مس الجن للإنسان فيفقد عقله ويهذي بكلام لا يفهمه أحد هكذا اتهمه قومه بالجنون {وَازْدُجِرَ} مُنِعَ وَزُجِرَ من قومه عن تبليغ رسالة ربه وغلب على أمره وقهر وأجبر على عدم تأدية رسالة ربه لهم {فَدَعَا رَبَّهُ} التجأ إلى ربه بالدعاء ودعا ربه {أَنِّي مَغْلُوبٌ} أني مغلوب على أمري وضعيف على مقاومتهم ومعاندتهم {فَانْتَصِرَ} فأنصرني عليهم وأنصرني بهلاكهم {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ} فاستجاب الله دعاء سيدنا نوح عليه السلام وهو نبي الله ورسوله ومن الأربعة أولي العزم بعد أن مكث يهدي قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فاستجاب الله له وفتح الله أبواب السماء بماء منهمر أي أنزل الله عليهم المطر وكأنه فتحت عليهم أبواب السماء

وانهال عليهم المطر وسقط عليهم بغزارة شديدة وبقوة وعنف و(منهم) أي متساقط
ونازل بغزارة شديدة وبقوة وعنف {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} وفجر الله ينابيع
الأرض من تحتهم فصار المطر ينزل من فوقهم والماء ينبع من تحتهم من الأرض
{فَالْتَقَى الْمَاءُ} فالتقى ماء المطر من السماء مع ماء ينابيع الأرض {عَلَى أَمْرٍ} بأمر
وعلى موعد {قَدْ قُدِرَ} قد قدره الله تعالى وهو قضاء مبرم ونافذ {وَحَمَلْنَاهُ} أي
حملنا نوحاً عليه السلام {عَلَى ذَاتِ الْوُحِّ} على السفينة وهي ذات ألواح ملتصقة
بعضها مع بعض وعلى بعض {وَدُسِّرَ} قيل مسامير والصحيح أعمدة قوية وهي
كالأحزمة للسفينة مثل الأعمدة الخرسانية التي تمسك البناء وتقويه وتربطه بقوة
{تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا} تحت أعيننا وإرادتنا وبمشيئتنا وتحت رقابتنا ورعايتنا وعنايتنا
وبأمرنا وإرادتنا وبعلمنا وتحت بصرنا {جَزَاءً} هذا الغرق كان عقاباً {لِّمَن كَانَ
كُفْرًا} لمن كفر {وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا} ولقد ترك الله مصيبة الغرق والهلاك لقوم نوح عليه
السلام كلهم جعلها الله تعالى {ءَايَةً} معجزة وبرهاناً لمن خلفهم من الأقسام اللاحقة
والتي تأتي بعدهم ممن يكفر ويعصي رسل الله تعالى أن مصيرهم الهلاك {فَهَلْ مِنْ
مُذَكِّرٍ} فهل من متعظ {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي} سؤال استفهام استنكاري وهو تهكم
على الكفار أي هل حلّ بهم عذابي أو كيف كان عذابي على الكفار؟! {وَنُذِرُ}
والنذر هي من الرسل والإنذارات والوعظ والإرشاد والتحذير وهم رسلي هل
نصرتهم؟! وهل وقع العذاب على الكفار؟! كيف لا وقد وقع عليهم وقد أغرقوا عن
آخرهم وقيل أن نوحاً عليه السلام صنع السفينة في مائة عام. وذكر محمد ابن
إسحاق عن التوراة أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها
ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار. وقيل كان

ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعاً ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للإنس والعليا للطيور. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٤ ، نزهة المجالس ج ١ ص ١٤٣].

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٤)

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا} لقد يسر الله تعالى وسهل {الْقُرْآنَ} القرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لِلذِّكْرِ} للعظة {فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} فهل من متعظ. والذكر هو ذكر الله وهو القرآن سهله الله تعالى في القراءة وفي الحفظ وفي الفهم ليتعظ به الناس ويستترشدوا به في أمور دنياهم وآخرتهم فهل من متعظ؟! .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾ (٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ

نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

وَنُذُرِي ﴿ ﴾ (٢١)

{كَذَّبَتْ عَادٌ} كذب قوم عاد نبيهم ورسولهم هوداً عليه السلام وما جاءهم به من الرسالة وهي عبادة الله تعالى وحده {فَكَيْفَ} سؤال للتأكيد بأن العذاب حلّ بهم ووقع عليهم {كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي} كيف كان مصير إنذاري لهم بواسطة الرسل التي أرسلتها لهم وكيف كانت النذر التي أنذرتهم بها بواسطة الرسل هل تحقق عذابي الآن وتأكد لكم وهل الإنذارات والتحذيرات كانت أيضاً صحيحة التي وجهتها لكم أيها الكفار بواسطة أنبيائي ورسلي؟! {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ} أرسل الله تعالى على قوم عاد {رِيحًا صَرْصَرًا} ريحاً شديدة البرودة {فِي يَوْمٍ نَحْسٍ} في يوم مشؤوم عليهم {مُسْتَمِرٍّ} متواصل ودائم {تَنْزِعُ النَّاسَ} تقتلع الناس من بيوتهم ومن أماكنهم {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ} أي جذوع نخل {مُنْقَعِرٍ} أي جذوع نخل جوفاء وخاوية من

الحياة وهي عبارة عن جذوع مستخرج ما في جوفها من اللب والجمار ومفرغة مما في داخلها ووسطها أي جوفاء فارغة وخاوية أي ليس بها حياة وميتة وهكذا كان قوم عاد حالهم بعد هبوب الرياح شديدة البرودة عليهم أصبحوا هلكى وأمواتاً بعد أن هبت عليهم فأهلكتهم عن آخرهم {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي} كيف كان مصير عذابي لهم وإنذاراتي وتحذيراتي لهم بواسطة رسلي هل تحقق العذاب وتأكد الآن بعد أن جاءهم وأهلكهم؟!

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} ولقد سهّل الله تعالى القرآن قراءةً وحفظاً وفهماً ودراسةً {فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ} فهل من متعظ يتعظ بما جاء فيه ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ أَؤَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ ﴿٢٦﴾

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ} كذبت قوم ثمود وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام {بِالنُّذْرِ} بالرسالة لصالح عليه الصلاة والسلام وكذبوا إنذاراته وتحذيراته لهم {فَقَالُوا} قال قوم صالح عليه الصلاة والسلام {أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا} هل بشر واحد منا وشخص عادي وواحد منا {نَّتَّبِعُهُ} نقتدي به ونتبع أوامره {إِنَّا} أي قوم صالح عليه الصلاة والسلام {إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ} لفي تيه وضياح وبعد عن الحقيقة والحق والصواب {وَسُعْرٍ} وفي جنون أي نكون مجانين ومسلوبي الإرادة وبنا مس من

الجن إذا اتبعناه ومعتوهين ومخبولين وفاقيدي الوعي والإدراك {أُءْلِقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا} أنزل عليه الذكر وهو كتاب صالح عليه الصلاة والسلام من دوننا واختير الوحيد من بين صفوفنا {بَلْ هُوَ كَذَّابٌ} لكن هو كذاب وكاذب فيما يقول ويدّعي أي صالح عليه الصلاة والسلام {أَشْرُ} شرير {سَيَعْمُونَ غَدًا} سيعرفون مستقبلاً أي فيما بعد سواءً في الدنيا أو يوم القيامة {مَنْ أَلْكَذَّابُ} من يكون الكذاب هل هم أي قوم صالح أم غيرهم والمقصود أنهم هم الكاذبون لأن صالحاً عليه الصلاة والسلام صادق ومرسل من الله تعالى لقومه {الْأَشْرُ} الشرير والشرير هو الذي فيه صفات المعصية كلها وفيه العدوانية والاعتداء على الغير.

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ ٢٧ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ٢٨ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَضِرٌ ٢٩ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ٣٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ٣١ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُخْتَطِرِ ٣٢ ﴾

{إِنَّا} أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهنا الجمع للتفخيم والتبجيل لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام {مُرْسِلُوا النَّاقَةِ} أي أرسلها الله تعالى إلى قوم ثمود وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام وكان قومه قد سألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة في جبل ففعل ذلك لهم {فِتْنَةً لَهُمْ} أي امتحاناً واختباراً وليرى هل يصدقوا نبيهم ورسولهم صالح عليه الصلاة والسلام {فَارْتَقِبْهُمْ} راقبهم ولا حظهم هل يؤمنوا أم لا {وَاصْطَبِرْ} اصبر على أذاهم لك وللناقة {وَنَبِّئُهُمْ} أخبرهم وأعلمهم {أَنَّ الْمَاءَ} أن الشرب من بئر الماء الذي في المدينة {قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ} أنه يقسم بين قومك وبين الناقة كل واحد له يوم يشرب فيه

{كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضِرٍ} وكل يوم تشرب فيه الناقة يحضرها القوم كلهم يأخذون منها لبناً لهم وكانت تكفي القوم كلهم لبناً {فَتَادَوْا صَاحِبَهُمْ} أي قوم صالح عليه الصلاة والسلام نادوا رجلاً منهم شقيماً وهو يقال له قدار بن سالف وهو أشقى القوم كما قال تعالى: "إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا" ١٢ الشمس. ووعده بالمال الوفير وقيل أن امرأة جميلة وعدته المال وأن تزوجه نفسها إذا عقر الناقة حيث كان لها مواش وأنعام كثيرة فأرادت سوءاً بالناقة {فَتَعَاطَى} أي أخذ المال الوفير منهم لعقر الناقة {فَعَقَسَ} أي عقر الناقة وقتلها {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي} أي كيف كان مصير هؤلاء القوم حيث أهلكهم الله تعالى بالصاعقة والزلزلة وهذا سؤال تهكم وتوكيد على هلاكهم جميعاً {وَنُذِرُ} أي كيف لما كذبوا نذري وتحذيراتي على يد رسولي صالح عليه الصلاة والسلام {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً} أرسل الله تعالى عليهم الصاعقة والزلزلة فأهلكهم جميعاً {فَكَانُوا} صاروا {كَهَشِيمٍ الْمُتَحَطِّرِ} أي صاروا مثل التبن وهو المعد للبهائم والمواشي للأكل بعد أن يُحصَد الزرع ويُدرَس ويُذَرَّ في الهواء حتى يخرج منه الحب والقمح ويبقى التبن علفاً للأكل للمواشي والدواب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} لقد سهلنا القرآن في الحفظ والقراءة والفهم {فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ} فهل من متعظ يتعظ به ويسترشد به في أمر دنياه وآخرته ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ حَظَيْنَاهُمْ ۚ
بِسَحَرٍ ۚ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۚ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا
فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ۚ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۚ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ
ۚ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۚ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۚ﴾

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ} كذب قوم لوط عليه الصلاة والسلام بالنذر والتحذيرات
والإنذارات التي حذرهم منها نبي الله ورسوله لوط عليه الصلاة والسلام بأنه من
عمل فاحشة اللواط وهو أن يلوط الرجال الذكور بالذكور ويزني الرجال بعضهم
ببعض في الأدبار {إِنَّا} الله تعالى والجمع للتفخيم والتبجيل لجلاله سبحانه وتعالى
ذو الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ} أرسل الله
تعالى على قوم لوط {حَاصِبًا} أي قذفتهم الملائكة بالحجارة من سجيل من طين
قوي شديد الصلابة {إِلَّا آلَ لُوطٍ} إلا أهل لوط عليه السلام وهم أهل بيته
لم يعذبوا باستثناء زوجته كما قال تعالى: " فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ " ٨٣ الأعراف. {نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} أي أمر الله تعالى بواسطة جبريل عليه
السلام أن يخرج لوط مع أهل بيته ليلاً مع السحور وهو الثلث الأخير من الليل
ويغادر مدينة لوط عليه الصلاة والسلام لنزول العذاب بقومه {نِعْمَةٌ} أي فضلاً
ورحمة {مِّنْ عِنْدِنَا} من الله تعالى وهي نجاة لوط عليه الصلاة والسلام هو وأهل
بيته {كَذَلِكَ} وهكذا {نَجْزِي مَنْ شَكَرَ} نكافئ بالنجاة من شكر الله وأطاعه ولم
يعصه وحمد الله تعالى على الطاعة كما قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ " ٤٣ الأعراف. {وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا} ولقد

أنذرهم وحذرهم عذابَ الله تعالى نبيُّهم ورسولهم لوط عليه الصلاة والسلام {فَتَمَارَوْا} كذبوا وتبجحوا ورفضوا النصيحة بصلف وغرور {بِالنُّذْرِ} بالإنذارات والتحذيرات التي خوفهم بها لوط عليه الصلاة والسلام وهو عذاب الله الشديد لهم إذا لم يتركوا فاحشة اللواط وهو زنا الرجال بالرجال في أدبارهم {وَلَقَدْ رَاوُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ} راود قوم لوط نبيهم ورسولهم لوطاً وطلبوا منه أن يسمح لهم في اللواط بضيوفه {فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} أعميناها وجعلناها لا تبصر ولا ترى شيئاً والقصة كما قاله العلائي في سورة هود عليه الصلاة والسلام أن جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام دخلوا على لوط عليه الصلاة والسلام في صورة حسنة فذهبت زوجته وأخبرت قومها فجاءوا يهرعون أي يسرعون فخاف على الملائكة لأنه لا يعرفهم أنهم ملائكة وضاق بهم ذرعاً أي ضاق صدره واضيقت عليه الدنيا وقد قال الله تعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط عليه الصلاة والسلام أربع شهادات فلما دخلوا عليه كالضيوف أي في صفة ضيوف قال لهم لوط أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا وما أمرها؟ أشهد بالله أنها شر قرية في الأرض عملاً قال ذلك أربع مرات وكل مرة يقول جبريل عليه السلام لمن معه من الملائكة اشهدوا فقالت له الملائكة إنا رسل ربك لا تخف ففتح الباب فوضع جبريل عليه السلام يده على أبصارهم فانطمست [أي فعميت ولم يروا شيئاً] وعلى أيديهم فيبست فرجعوا وهم يقولون يا لوط اصبر حتى يطلع الصبح {فَذُوقُوا عَذَابِي} ذوقوا ويل عذابي وشدته {وَنُذِرْ} ومعصيتكم وعدم طاعتكم للنذر والتحذيرات التي أرسلتها لكم على لسان رسولي ونبيي لوط عليه الصلاة والسلام {وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ} ولقد أتاهم عذاب الله تعالى في الصباح فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام برفع مدائن

لوط على جناحه حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونهيق الحمير فجعل الله عاليها سافلها أي قلبها رأساً على عقب. (عذاب مستقر) أي عذاب دائم وملازم لهم حتى أهلكهم عن آخرهم بما فيهم زوجة لوط عليه الصلاة والسلام لأنها هي التي أخبرت قومها عن وصول الملائكة وهم ضيوف لوط عليه الصلاة والسلام في صفة رجال حسان الوجوه {فَذُوقُوا عَذَابِي} خذوا وذوقوا وشاهدوا عذابي كيف يكون شديداً وقاسياً وأليماً {وَنُذِرْ} وكيف يكون مصير من كذب رسلي عندما يندروكم عذابي ولم تصدقوهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} لقد سهلنا القرآن في الحفظ والقراءة والتلاوة والفهم {فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} فهل من متعظ يتعظ به ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ

مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ} لقد أرسل الله تعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب ملك مصر في ذلك الزمان وأنذره وحذره بأن يعبد الله تعالى وحده ويدع بني إسرائيل تسافر مع موسى عليه السلام {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا} كذبوا بمعجزات موسى بن عمران نبي الله ورسوله جميعها وعلى رأسها العصا واليد. قال الرازي: قال القبط قوم فرعون لموسى عليه السلام مهما تأتينا به من آية فهي عندنا من باب السحر فلا نؤمن بك فدعا عليهم فأرسل الله عليهم (الطوفان) ليلاً و نهراً حتى أنهم لا يرون شمساً ولا قمراً فاستغاثوا إلى فرعون فاستغاث إلى موسى فاستغاث موسى إلى ربه فأمسك الله تعالى عنهم المطر وأرسل عليهم الرياح

فشقت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة فقالوا هذا الذي جزعنا منه كان خيراً لنا فكفروا فأرسل الله عليهم (الجراد) فأكل النبات واشتد عليهم الأمر حتى صار عند طيرانه يغطي الشمس فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله تعالى على الجراد ريحاً ألقته في البحر فقالوا ما بقي من زرعنا فهو يكفيننا فكفروا فأرسل الله عليهم (القمل) وهو القمل والبراغيث وصار على أبدانهم كالجدري فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأحرقتهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم (الضفادع) في الليل الدامس حتى دخلت في زرعهم وطعامهم وعلى فراشهم ذراعاً قال فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأماتها وأرسل عليهم مطراً فاحتملها إلى البحر فكفروا فأرسل الله تعالى عليهم (الدم) فجرت أنهارهم دماً وقيل سلط الله عليهم الرعاف فمكثوا سبعة أيام يشربون الدم فقالوا يا موسى لننكشف عنا الرجز لنؤمنن لك ثم أرسل الله تعالى عليهم (الطاعون) وقال وهب أنهم مكثوا في كل بلية أربعين يوماً. [نزهة المجالس ج ١ ص ١١]. {فَأَخَذْنَاهُمْ} أخذهم الله تعالى بعذابه وأغرقهم في اليم أي في البحر {أَخَذَ عَزِيزٌ} قوي الجانب {مُقْتَدِرٌ} قادر على كل شيء.

﴿ أَكْفَرُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ
 ﴿ ٤٤ ﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥ ﴿ ٤٦ ﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ
 وَأَمْرٌ ﴿ ٤٧ ﴾

{ أَكْفَرُكُمْ } هل كفاركم يا أهل قريش { خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ } مصيرهم خير من أولئك السابقين الذين عذبهم الله تعالى لكفرهم وتكذيبهم رسلهم { أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ } أم هل لكم براءة وهي شهادة من الله تعالى مكتوبة لكم بأنه لن يمسكم العذاب { فِي الزُّبُرِ } في الكتب السماوية السابقة وهي جمع زبور وهو الكتاب الذي أنزل على داود عليه الصلاة والسلام { أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ } أو هل يقول الكفار نحن الكفار { جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ } أي كلنا جماعة النصر لنا وهل النصر لهم؟! { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ } سيهزم جمع الكفار { وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } يهربون ويولون وقد كان ذلك وتحقق في معركة بدر { بَلِ } ولكن { السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ } الساعة هي موعدهم للعذاب في نار جهنم { وَالسَّاعَةُ } ويوم القيامة يكون { أَذَىٰ } أكثر ويلات وأشد عذاباً { وَأَمْرٌ } وأشد قسوة ومرارة من هزيمة الكفار في الدنيا في الحرب.

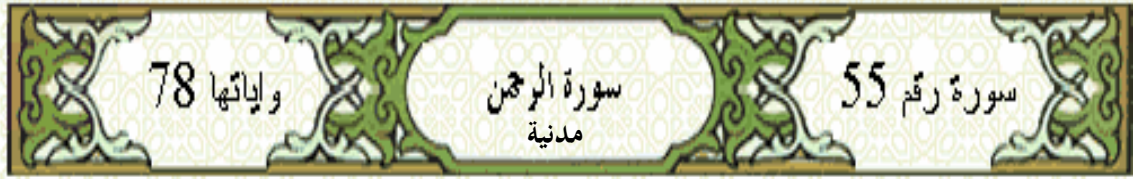
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا ﴿٤٨﴾ مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٩﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٠﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٣﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ} إن المجرمين وهم الكفار والعصاة {فِي ضَلَالٍ} في تيه وضياع وبُعد عن الحقيقة وعن الحق والصواب {وَسُعْرٍ} وجنون وطيش والسعر هو الإسراع والازدياد والانخراط والانغماس في الشرك والذنوب والمعاصي {يَوْمَ} يوم القيامة {يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ} يُلقون ويُرْمون في النار ويُجرون في النار على وجوههم {ذُقُوا} خذوا وذوقوا {مَسَّ} عذاب {سَقَرٍ} نار جهنم {إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع هنا للتفخيم والتبجيل لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام {كُلُّ شَيْءٍ} كل شيء من مخلوقات الله تعالى {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} خلقه الله تعالى بقدر وكمية محددة لا زيادة ولا نقصان لا في الكمية ولا في الوقت ولا في المكان ولا في الزمان كل شيء خلقه الله تعالى بقدر محدود ومعدود {وَمَا أَمْرُنَا} وما أمر الله تعالى بقيام الساعة وقيام القيامة {إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} إلا مثل واحدة من طرفات العين عندما تطرف أي قيام القيامة سريع جداً يأتي فجأة وبسرعة فائقة مثل رمش العين أو طرفة العين عندما تطرف {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا} ولقد أهلك الله تعالى من الأمم السابقة {أَشْيَاعَكُمْ} أقرانكم وأمثالكم ومن هم على شاكلتهم ومن هم على ملتهم من الكفر {فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} فهل من متعظ يتعظ بذلك ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ} وكل عمل عمله الكفار

من خير أو شر {فِي الزُّبُرِ} في الكتب والصحف التي لدى الملائكة الكرام الكاتبين الذين مع كل واحد من بني آدم يكتبون له الحسنات والسيئات {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ} وكل صغير وكل كبير من الخير والحسنات وأعمال الخير أو أعمال الشر والذنوب والمعاصي {مُسْتَطَرٌّ} أي مكتوب ومسطر عليهم وكما قال تعالى: "مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا" ٤٩ الكهف.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} إن الطائعين والعابدين والخائفين من عذاب الله تعالى {فِي جَنَّاتٍ} في جنات الله وهي ثمان جنات وكل على قدر وحسب عمله دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار {وَنَهَرٍ} أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل مصفى {فِي مَقْعَدٍ} في مكان آمن {صِدْقٍ} حق وعدل وحقيقة {عِنْدَ مَلِكٍ} عند ملك الملوك ورب الأرباب ورب العالمين {مُقْتَدِرٍ} قادر على كل شيء وعلى هذا النعيم المقيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾

{الرَّحْمَنُ} الله تعالى هو رحمان الدنيا والآخرة وفي الحديث القدسي : (أنا الرحمن خَلَقْتُ الرَّحْمَ وشققت له اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وهو ثاني اسم بعد اسم الله الأعظم وهو اسم الذات "الله" ويستجاب الداعي به قال تعالى: " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى " ١١٠ الإسراء. والرحمن اسم رقيق فيه الرحمة واللين والهدوء والاطمئنان والأمان والمودة والمحبة والعطف وهو أرحم من الوالدة على ولدها والدابة على وليدها والتي ترفع حافرها عن ولدها حتى لا تؤذي به حافرها. وافتتحت السورة باسم الرحمن دون غيره من الأسماء كالجبار والمنتقم لتتجلى رحمته وتكريمه للإنسان حيث خلقه في أحسن تقويم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً كما قال تعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " ٧٠ الإسراء. {عَلَّمَ الْقُرْآنَ} علم الله تعالى وعرف القرآن الكريم إلى لنبية ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علمه تلاوته وحفظه وتفسيره وتأويله ومن بعده أمته وعلماءها وفقهاؤها ومن تعلمه منهم {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} خلق آدم عليه الصلاة والسلام أبا الشر وخلق من ضلعه الأيسر زوجته حواء ثم زوجهما بعضهما وولدا ثم أتت الذرية من بعدهما من الزوج والزوجة أي من الأب والأم فهو

الخالق للإنسان وحده وهو المكون وخلق الإنسان في أحسن تقويم وأحسن صورة وأجملها {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} علمه النطق والكلام والتعبير وعلمه عن كل شيء وتفصيل كل شيء وكما قال تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" ٣١ البقرة. والبيان هو التعبير والتوضيح والتفسير وانظر إلى الشعراء في مدحهم وذمهم وهجائهم وغزلهم ووصفهم كيف يجيدون البيان والحكمة وكذلك أهل النثر واللغة أي الكتاب الموهوبين والخطباء والعلماء وأهل التفسير والفقهاء وأصحاب الرأي والحكمة وخاصة من كانت عنده من الله موهبة وعلم مما ذكر وغيرهم {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} خلق الله تعالى الشمس والقمر بحساب وبقدرة وبحكمة. ولولا الشمس لما طلع نهار ولما نت النباتات والأشجار وخاصة عملية التمثيل الضوئي التي تتم في أوراق النباتات وهي الغذاء للنبات ولصار شلل في الدنيا. وكذلك يعرف بالشمس النهار وخاصة في الصوم طلوع الشمس وغروبها. ويعلم بها هي والقمر عدد السنين والحساب. والقمر يعرف به أول الشهر العربي ومنتصفه عندما يكون بدرًا وآخره. وهو تركز عليه عملية المد والجزر في البحار والمحيطات ونضج الثمار. وقد وضعهما الله تعالى آيتان من آياته يعرف بهما الليل والنهار وعدد السنين والحساب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا علي استدبر الشمس ولا تستقبلها فإن في استقبالها داء واستدبارها شفاء). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٢٠].

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ﴿٦﴾

{وَالنَّجْمُ} هي نجوم السماء قال تعالى: " فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ " ٨ المرسلات. وقال تعالى: " النَّجْمُ الثَّاقِبُ " ٣ الطارق. وقال تعالى: " وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " ١٦ النحل. وقال تعالى: " وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ " ١٢ النحل. وقال تعالى: " وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ " ١ النجم. وكما قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ " ٩٧ الأنعام. وقال تعالى: " وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ " ٢ التكوير. {وَالشَّجَرُ} هو جميع الأشجار التي على وجه الأرض والنباتات كذلك لأنه يطلق الاسم دائماً على الأكثر أو الأكبر والنباتات هي من مجموع الأشجار {يَسْجُدَانِ} أي يصليان لله تعالى والسجود هو مثل الركوع وهما يطلقان على الصلاة كما قال تعالى: " يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ " ٤٣ آل عمران. وكما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ النور. وأما الصلاة فإن كل واحد منهم يعلم ما هي وكيف صلاته وكما تسبيح جميع الأشياء ولكن نحن لا نعلمها كما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وكما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ " ١٨ الحج.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

{وَالسَّمَاءَ} والسماء الدنيا التي نراها فوقنا {رَفَعَهَا} نصبها وجعلها فوق الأرض عالية والمسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة عام كما جاء في الحديث {وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} جعل الميزان في الأرض في البيع والشراء حتى يأخذ كلُّ حقه ولا يظلم أحد أحداً وميزان الله في الأرض عدله وميزان القاضي حكمه بالعدل وميزان التاجر أن لا يبخس الناس أشياءهم وكما قال تعالى: " وَيَلُ لِّلْمُطَفِّينَ {١} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {٢} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ {٣} " ١-٣ المطففين. وقد أرسل الله تعالى نبياً ورسولاً لقومه حتى أمرهم بالوفاء بالكيل والميزان وهو شعيب عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ " ٨٥ الأعراف. ولهذا يضع الله تعالى الميزان للحساب يوم القيامة كفة من نور على يمين العرش للحسنات وكفة من ظلمة على شمال العرش للسيئات وعن جابر بن عبد الله مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن ثقلت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار) قيل له فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: (أولئك أصحاب الأعراف). [سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٥]. {أَلَّا تَطْغَوْا} ألا تظلموا وألا تجوروا على الناس {فِي الْمِيزَانِ} عندما تزنون للناس في البيع والشراء وألا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا منها شيئاً

{وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ} أي زنوا بالعدل ولا تنقصوا شيئاً وكما قال تعالى: "وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" ٣٥ الإسراء. {وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} ولا تنقصوا منه شيئاً.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١﴾ فِيهَا فَكِكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو

الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾﴾

{وَالْأَرْضُ} هي التي نحن عليها أي الكرة الأرضية {وَضَعَهَا} خلقها وجعلها {لِلْأَنَامِ} للناس والخلق والمخلوقات جميعها من إنس وجان وحيوانات وطيور وحشرات وهي مأخوذة من النوم أي كل من ينام على وجه الأرض فهو من الأنام {فِيهَا فَكِكِهَةٌ} جعل الله تعالى في الأرض فواكه شتى من تفاح ورماني وعنب وتين وموز... وهكذا {وَالنَّخْلُ} شجر النخيل {ذَاتُ الْأَكْمَامِ} ذات الطلع طلع النخل عندما يخرج في البداية قبل أن تنفتح عن عنقود البلح يكون لونه أخضر ويسمى كوز النخل وهو كالكم يغطي شماريخ البلح ويغطي قنو البلح قبل أن تظهر عناقيد القنو وكما أن كم القميص طويل ويغطي اليد فكذلك الكوز للنخل يغطي ثمار البلح وقنو البلح قبل أن يلحق أو ينضج وكذلك لذكر النخل حتى ينشق وتظهر من خلاله حبوب اللقاح ذات اللون الأبيض التي يلحقها بها قنو البلح حتى لا تشيخ ولا تخرب ثمار البلح وإذا لم تلقح تكون حبوب البلح صغيرة وخالية من النواة ويكون طعمها غير مستساغ. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر ابن الخطاب أخبرك أن رسلي أتنني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تتشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر

فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تينع فتتضج فتكون كأطيب فالودج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر ابن الخطاب من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله فإن " مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٠]. {وَالْحَبُّ} هي حبوب وثمار الأشجار والنباتات والحب مثل حب القمح والشعير والذرة والعدس والفول والفاصوليا وغيرها {ذُوَالْعَصْفِ} ذو الرائحة العاصفة النفاذة والتي تُشم من بعيد مثل حب التفاح وحب الفلفل الأسود وحب الهان أو الهيل وحب الجوافة والخيار وغيرها وكلها لها رائحة عاصفة نفاذة تُشم من بعيد. ومن الحبوب ما يرمى بذره إلى مسافة طويلة للتكاثر وحفظ النوع {وَالرَّيْحَانُ} وهو شجر له رائحة طيبة ويضاف إلى بعض الأطعمة ليجعل الطعام ذا نكهة طيبة ورائحة زكية ومنه قوله تعالى: " فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٨٨} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ {٨٩} " ٨٨، ٨٩ الواقعة. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من نعمة ربك تكذبان أيها الثقلان الإنس والجن فهنا جاءت الآية تخاطب المثني أي الاثنين لأنها تخاطب الجن والإنس والكفار والمسلمين. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة "الرحمن" حتى ختمها ثم قال: (ما لي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ "

إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد). [ابن كثير ج ٤ ص ١٧٠].

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ } وهو آدم عليه الصلاة والسلام وهو أصل الذرية وهو أبو البشر { مِنْ صَلْصَلٍ } من طين صلصال له عرق كما للعجين من الدقيق القمح عندما يعجن أي يلتصق بعضه ببعض ويتشكل على جميع الأشكال ويكون له عرق كما للعجين من دقيق القمح حتى يعجن للخبز { كَالْفَخَّارِ } أي كما يصنع الفخار في الجرار ومفردها الجرة والإبريق فآدم عليه السلام جعل جسمه كما يصنع الفخار. وقصة خلق الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال: يا رب إنها عازت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعازت منه فأعازها فرجع فقال كما قال جبريل عليهما السلام فبعث ملك الموت [عزرائيل] عليه السلام فعازت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الأرض وخَلَطَ ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به. وكان آدم عليه السلام قد شكله الله تعالى على شكله وهو كقالب الفخار فبقي جسده ملقى على باب الجنة أربعين سنة ثم نُفِخت الروح في جسده فدخلت في دماغه ثم نزلت إلى عينيه فنظر إلى بدء خلقه وأصله حتى لا يعجب بنفسه إذا أكرمه الله تعالى ثم نزلت الروح إلى خياشيمه فعطس ونزلت إلى فيه فألهمه الله تعالى فقال "الحمد لله رب العالمين" وهو أول من جرى على لسانه فقال الله تعالى يرحمك الله يا آدم للرحمة خلقت فهو قوله رحمتي سبقت غضبي ثم انتشرت الروح إلى سائر جسده فصار لحمًا

ودمًا. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٠٢] ثم خلق الله تعالى حواء زوجته من ضلعه الأيسر وهو نائم فاستيقظ فرآها جنبه.

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

{وَخَلَقَ الْجَانَّ} وخلق الله تعالى الجن وأصلهم وأبوهم هو إبليس خلقه الله تعالى {مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ} من لهب النار الذي يكون في طرفها. وإن إبليس هو أبو الجن كما آدم أبو البشر لقوله تعالى على لسان إبليس اللعين: " خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ " ٧٦ ص. أي هما أصل الخلقة آدم أبو البشر من طين وإبليس أبو الجن من نار. ولما أراد الله أن يخلق لإبليس زوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية فخلق الله منها امرأته واسمها "رَسَلًا". [نزهة المجالس ج ٢ ص ٤١]. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من نعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس فهل خالق غير الله تعالى؟! وهذا سؤال استنكاري أي تأكيد على أن الله تعالى هو الخالق وهو القادر وقوله الحق.

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

{رَبُّ} إله وخالق {الْمَشْرِقَيْنِ} شروق الشمس والقمر {وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} غروب الشمس والقمر {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء أو نعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس فهل خالق غير الله تعالى؟!

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٦﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ﴾

{مَرَجَ} خلق وجعل {الْبَحْرَيْنِ} بحر الماء العذب وبحر الماء المالح {يَلْتَقِيَانِ} يتقابلان فيما بينهما تحت الأرض {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ} بينهما حاجز {لَا يَبْغِيَانِ} أي لا يختلطان ولا يمتزجان مع بعضهما وكما قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً " ٥٣ الفرقان. ويكون هناك ماء مالح أو مر وسطاً بينهما ولكن الله تعالى بفضله جعل الماء العذب عذباً كما هو لا يضره قرب ماء البحر المالح منه حيث لا يختلطان لمسافة بعيدة بل بضعة أمتار وهذه حكمة الله تعالى وقدرته وهذا له شبيهه في الإنسان فماء الأذنين مر وماء العينين مالح وماء الأنف منتن وماء الفم عذب {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء أو نعم ربكما تكذبان ولا تصدقان أيها الجن والإنس فهو الخالق وحده وهل من خالق غيره؟! .

﴿ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ

الْمُنَشَّآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ ﴾

{تَخْرُجُ مِنْهُمَا} يخرج من الماء المالح من ماء البحار ومن الماء العذب {اللُّؤْلُؤُ} وهي تخرج من داخل صدف في أعماق البحر تكون غالبية القيمة وتتنزين بها النساء وكما قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ١٤ النحل. وكما قال تعالى: " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ

مَوَاحِرٍ لِّتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ١٢ فاطر. {وَالْمَرْجَانُ} هو شجر يستخرج من قاع البحر تستعمل أغصانه عند نضجها واستواء عودها للزينة وفي أشياء عدة وهي ثمينة وتوجد بكثرة خاصة في بحر الخليج والبحر الأحمر {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ} فبأي شيء تكذبان أيها الجن والإنس فهل خالق غير الله تعالى؟! {وَلَهُ الْجَوَارِ} لله تعالى مُلك السفن والمراكب وهي التي تجري في البحر {الْمُنْشَأَتُ} المصنوعات والتي أنشأها وصنعها ابن آدم بتوفيق من الله تعالى حيث الأشجار وقطع الخشب التي تصنع منها من خلق الله تعالى ومسامير الحديد فالحديد من خلق الله تعالى ولكن الله تعالى علمه كيف يصنع وكيف يعمل في مُلك الله تعالى فالخشب من الأشجار والله تعالى هو الذي خلقها والحديد كذلك {فِي الْبَحْرِ} في الماء المالح والعذب على حد سواء {كَأَلَّا عِلْمٍ} ومفردها عِلْم وهو الذي يرفرف خفافاً فوق الدور والبنيات. ومن هذا سُمِّي العِلْم في جميع الدول وكما أخبر الله تعالى عن الذِّرَّة قبل أن تُعرف الذِّرَّة بقوله تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة. ولذلك القرآن سُمِّي السجل والقلم والمداد والغرف والحجرات والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنحاس (والأطباق الطائرة) كما قال تعالى: " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ " ١٩ الانشقاق. وإذا قال أحد أنه لم يُعرف العِلْم في ذلك الوقت نقول لهم أن الكلام والمتكلم هو الله تعالى وهو الذي عِلَّم آدم عليه السلام الأسماء كلها فكيف بالله تعالى والقرآن إلى يوم القيامة للأمة الإسلامية حتى يعلم الناس أنه منزل من عند الله تعالى وهذه معجزة القرآن الكريم أنه سُمِّي الأشياء بأسمائها فلو نظرت وتمعننت في القرآن لوجدت كل شيء مسمى باسمه في القرآن: نعجة - ماعز - خيل - جمل

- فيل - إبل - بغال - بقرة - جمل - حمار - ثعبان - حية - عنكبوت -
 نملة - هدهد - غراب - رمان - عنب - تين - رطب - ريحان - ذهب - فضة
 - لؤلؤ - مرجان - نحاس " يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ " -
 ٣٥ الرحمن. - حديد " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " ٢٥
 الحديد. - قلم - سجل - كتاب - صحف - مرقوم [أي مرقم] - مداد - غرف
 - حجرات - سقف - قواعد - أعمدة ومفردها عمود " فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ " ٩
 الهمزة. وكما قال تعالى: " وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ " ٥٣ القمر. {فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من النعم التي خلقها الله تعالى لكم تكذبان أيها
 الإنس والجان؟! وهذا سؤال استنكار وتأكيد على أن الله تعالى هو الخالق وقوله
 الحق.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ۚ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ ٢٨ ﴾

{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} كل شخص وكل واحد في السموات والأرضين من الإنس
 والجان والملائكة والحيوانات والطيور وجميع المخلوقات لا بد وأن يذوق الموت إن
 عاجلاً أو آجلاً {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ} أي لن يبق أحد على الدنيا حتى الملائكة
 وذلك عند نفخة الصعق إلا الله تعالى وحده وهو {ذُو الْجَلَلِ} ذو الجلال والهيبة
 والوقار والاحترام المنزه عن الضد والشريك والزوجة والولد {وَالْإِكْرَامِ} وهو صاحب
 الكرم والإكرام من خلقه له فيكرمونه ويحترمونه ويقدمونه سبحانه وتعالى. وفي
 حديث الصور ما نورد بعضه هنا للفائدة فقد جاء في الحديث: (ثم يأمر الله تعالى
 إسرافيل فينفخ نفخة الصعق [في الصور وهو البوق] فيصعق أهل السماء وأهل

الأرض يعني يموت أهل السماء والأرض إلا ما شاء الله وهو قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " والاستثناء يعني به أرواح الشهداء [لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون] وقيل يعني به جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين [وكذلك حملة العرش] فيقول الله عز وجل لملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب أنت حي لا تموت بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة عرشك وبقيت أنا فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم وفي رواية محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى يقول ليئت جبريل وميكائيل وإسرافيل وليئت حملة العرش ثم يقول الله عز وجل يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول أنت الحي الذي لا تموت وبقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول يا ملك الموت ألم تسمع قلبي " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " وأنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت. وروي في خبر آخر أنه سبحانه يأمره بأن يقبض روح نفسه فيجيء إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه بنفسه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماتوا من صيحته ويقول لو كنت علمت أن لنزع الروح مثل هذه الشدة والمرارة لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشد شفقة ثم يموت فلا يبقى أحد من الخلق فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية أين الملوك أين أبناء الملوك أين الجبابرة وأين أبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري ويعبدون غيري ثم يقول الله تعالى: "لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ". [تنبيه الغافلين ص ١٧]. وهذا مصداق لقوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " ٦٨ الزمر. وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (كيف

أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له) فقالوا يا رسول الله كيف نقول؟ قال: (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٥]. {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان فهل خالق غير الله فهو الخالق وحده وهو على كل شيء قدير.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} أي يدعونه ويطلبون منه قضاء حاجاتهم ومساعدتهم في جميع شئونهم حتى حملة العرش يطلبون مساعدته لهم في حمل العرش ويستغفرون للمؤمنين كما قال تعالى: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" ٧ غافر. وقيل أن العرش يثقل على حملة العرش فيعلمون ذلك فينادون "يا كريم العفو" حتى يخفف عنهم. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٤٣]. {وَالْأَرْضِ} وكذلك أهل الأرض يسألونه في السراء والضراء يسأله المريض حتى يشفى والمسافر حتى يعود والفقير يسأله الغنى وصاحب الحاجة يسأله أن يقضيها له والمديون يسأله قضاء الدين عنه والمأسور يسأله الخروج من السجن والمذنب يسأله المغفرة والمسلم يسأله الجنة ويعوذ به من النار والطالب يسأله النجاح والزارع يسأله الخصب في زراعته والصانع يسأله التوفيق في حرفته وهكذا {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} الله تعالى كل يوم هو في شأن في الدنيا في خلقه يحيي ويميت ويمرض ويشفي وينصر ويهزم ويجعل أوطاناً تُغتصب وتنتهك مقدساتها وأرضها وممتلكاتها وأعراضها وأوطاناً تسلب وأوطاناً تحرر وتُعز ويرفع

أقواماً ويخفف آخرين ويُغني قوماً ويُفقر آخرين ويغفر لقوم ويعذب آخرين وكما قال تعالى: "يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" ٣٩ الرعد. وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثني إبراهيم بن محمد ابن يوسف الفريابي حدثني عمرو بن بكر السكسكي حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: (أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٣]. وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض [أي خمسمائة عام كما جاء في حديث سابق] ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٣]. وتكلم ابن الجوزي في معنى قوله تعالى "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" عامين فأعجب بنفسه فوثب إليه رجل من المجلس فقال يا ابن الجوزي ما يصنع ربنا في هذه الساعة؟ فسكت وختم المجلس ثم قال في اليوم الثاني والثالث نفس السؤال فرأى في تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابن الجوزي أتدري من السائل؟ قلت لا يا نبي الله قال هو الخضر فإذا سألك فقل له: شؤون يُبديها ولا يبتديها. فلما أصبح قال ما يصنع ربنا في هذه الساعة؟ قال: شؤون يُبديها ولا يبتديها. فقال الخضر له: صلّ على من علمك في المنام. [نزهة المجالس ص ٥٠٨]. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} بأي شيء من آلاء

ونعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس فالله تعالى هو كل يوم في شأن يدبر الأمر ويفعل ما يشاء.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ ﴾

{سَنَفْرُغُ لَكُمْ} أي أن الله سيحاسبكم أيها الثقلان وهذا على سبيل التحذير والوعيد للعصاة وفي المسند مرفوعاً عن أبي ذر رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣]. {أَيُّهَ الثَّقَلَانِ} أي أمة الإنس والجن {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء الله ونعمه تكذبان يا معشر الجن والإنس فالله قادر وهو على كل شيء قدير والله سريع الحساب.

﴿ يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ ﴾

{يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ} يا قوم الجن من أولاد إبليس لعنه الله ويا أمة الإنس من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام {إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ} إن تمكنتم وقدرتم {أَنْ تَنْفُذُوا} أن تخرجوا {مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} من محيط ومن دائرة ومن فراغ السموات والأرض أي تخرجوا من الأرض وتدخلوا إلى داخل السموات {فَانْفُذُوا} أي اخرجوا من أقطار ومحيط الأرض إلى السماء الدنيا واخترقوها وادخلوا داخلها حتى السماء السابعة {لَا تَنْفُذُونَ} لا تدخلون إلى السموات {إِلَّا بِسُلْطَنِ} إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته وقدرته كما أُسري به صلى الله عليه وسلم إلى السماء الدنيا ثم

الثانية والثالثة حتى السابعة حتى تحت العرش فهذا كان بأمر الله تعالى وإرادته ومشيتته وقدرته وعلمه والسلطان سلطان القدرة والإرادة والمشيتة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء تكذبان يا معشر الجن والإنس فالله لا يغلبه غالب ولا ينجو منه هارب وكل شيء عنده بمقدار وكل شيء يتم بإرادته {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ} يُرْسَلُ عليكما أيها الجن والإنس الذين يحاولون اختراق مجال السماء والصعود والدخول إليها كما تفعل الشياطين الذين يصعدون إلى السماء ليسترقوا السمع إلى الملأ الأعلى يُقَذَّفُونَ وَيُرْجَمُونَ وَيُرْسِلُ اللهُ تعالى عليهم الشهب من نار تحرق الجنى ونحاس يخرقه ويذيبه. والشواظ هي القطع من النار والنحاس كشطايا القنابل للإنسان تقتله وهكذا للجنى تحرقه وتهلكه {فَلَا تَنْتَصِرَانِ} فلا تفوزان ولا تصلان لهدفكما أيها الجن والإنس وكما قال تعالى: " إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {١٠} " ٦-١٠ الصافات. أي شهاب حارق وثاقب أي يخرقه فيهلكه ويقتله ويحرقه {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس فالله تعالى جعل لكل واحد مقاماً لا يتعداه ولا يتجاوزُه إلا بإرادة الله تعالى.

﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
 ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
 {فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ} إذا كان يوم القيامة تشقق السماء أي يصير بها فتحات كما
 قال تعالى: " وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا " ١٩ النبأ. {فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}
 فيصير لون السماء حمراء مثل الوردة الحمراء في لونها كلون الدهان الذي يدهن به
 المنازل ولونه أحمر. وهذا التغير من اللون الطبيعي الأزرق الفاتح إلى اللون الأحمر
 القاتم هو من علامات الساعة ومن علامات يوم القيامة بأن هناك أمر جلل وأمر
 عظيم {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا
 معشر الجن والإنس فالله وحده الذي عنده علم الساعة وهو الذي يأمر بقيام القيامة
 وحده {فَيَوْمَئِذٍ} وذلك اليوم هو يوم القيامة {لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}
 أي لا يُسأل أي شخص عن ذنبه هل فعله أم لا كسؤال استفهام سواء من الإنس
 وهم بنو آدم أو من الجن وهم أولاد إبليس ولكن كل شيء مكتوب ومحصي عليهم
 ومسجل عليهم في صحفهم لكن يُسأل كل إنسان عن ذنبه كما قال تعالى: " أَلَمْ
 يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا " ؟ وذلك للتوبيخ
 والتقريع وليس سؤال استفهام أو تحقيق حيث كل شيء مسجل عليهم تسجله
 الملائكة الكرام الكاتبين كما قال تعالى: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ١٨ ق.
 وكما قال تعالى: " مَا لَ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
 وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا أمة الجن والإنس فالله تعالى
 يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

{يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ} تعرف الملائكة المجرمين والمذنبين {بِسِيمَاهُمْ} بمناظرهم وبعلامات تدل على إجرامهم فالناس يعرفون في الدنيا أن الرجل الصالح هو من كان وسيماً وكان وجهه واضحاً باسماء حسن الوجه وكأنه نور يخرج من وجهه أما الظالم والفاجر والعاصي والمجرم والمذنب فمنظره كأن الشر يخرج من وجهه ووجهه معبس هذا في الدنيا كما قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُنَوِّسِينَ " ٧٥ الحجر. فما بالك يوم القيامة وقد أعطى الله تعالى الملائكة معرفة لهم بسيماهم ومنظرهم القبيح وباسوداد وجوههم كما قال تعالى: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " ١٠٦ آل عمران. {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ} فتأخذهم الملائكة من مقدمة رؤوسهم وبأرجلهم يحملونهم كما تحمل الشرطة المجرم من رجليه ورأسه أو كالمصاب عندما يحمل على النقالة ولكنهم يحملون بقسوة وبقوة وبشدة وبغلظة ويلقى بهم إلى نار جهنم {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس فسيُدخل الله الكفار والعصاة والمذنبين وهم المجرمون الذين أجمعوا في حق الله تعالى فأكلوا خيرهم وعبدوا غيره يُدخلهم نار جهنم داخرين وصاغرِينَ وذليلين {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ} هذه جهنم يقال لهم يوم القيامة عندما يرونها بأعينهم رأي العين يقال لهم هذه جهنم التي كذبتُم بها وكذب أمثالكم بها من المجرمين الذين أجمعوا في حق الله تعالى

{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا} يدورون ويلفون ويأتى بهم بين جهنم {وَبَيْنَ حَمِيمٍ} أي بين نار جهنم وبين مائها المغلي وشديد الغليان {ءَانٍ} وقت طويل لا يعلمه إلا الله تعالى {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس كل من أذنب وعصى سيدخل نار جهنم يتقلب فيها بين شدة نارها وشدة حمّ وحرارة مائها.

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ وإلى كل من خاف مقام ربه يوم القيامة وخاف حسابه وعقابه وعمل لذلك فله {جَنَّاتٍ} والجنّتان هما إحداهما على اليمين والثانية عن الشمال وهذا مصداق قوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ " ١٥ سبأ. وهاتان الجنّتان من ذهب {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الجن والإنس فالؤمن والموحد بالله تعالى والذي يطيعه ويعبده يُدخله الله تعالى الجنة {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} ذوات أفنان ومفردها فناء وهو الساحة أو الردهة أو المر أي يكون لها فَسَحَات للجلوس فيها للنزهة والاستجمام والراحة فكما للدار فناء وروحة للمرور فكذلك يكون في الجنة فسحات وممرات وفناء يجلس فيه ولي الله تعالى ينظر إلى النعيم الذي أعده الله تعالى له. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جنّتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنّتان

من ذهب أنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٦]. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس ويا أمة الجن والإنس ويا خلق الجن والإنس فالله أعد لعباده جنات ذات أفنان واسعة مريحة جميلة فسيحة واسعة ولها ممرات تسر الناظرين {فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} أي في كل جنة عين تجري ودائمة ومستمرة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الخلق من الجن والإنس والله أعد لكم جنة وفيها عيون تجري فهذا من فضله وكرمه وهي لمن اتقى {فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ أَكْثَرُ زَوْجَانِ} في الجنتين فيهما من كل نوع وصنف زوجان من الفاكهة العنب أسود وأبيض والتين أسود وأبيض والبلح أحمر وأصفر وهكذا {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان فيوم القيامة يدخل من اتقى وأطاع الله تعالى جنة عرضها السموات والأرض وفيها من كل الفواكه والثمار ما هو مختلف لونه ولذيذ طعمه.

﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾﴾

{مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ} يتكى عباد الله المؤمنون في الجنة قسم على سرر [ومفردها سرير] وقسم أقل منزلة يتكى ويضع على جنبه على فرش [ومفردها فرشاة] {بَطَآئِنُهَا} كسوتها أي مبطنة ومكسية أي كسوتها والتي تحيط بالفراش {مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} من حرير خالص يبرق ويلمع من شدة نقائه ونعومته أي يرتاح في الجلوس والالتكاء عليها {وَجَنَى} وقطف ثمار {الْجَنَّتَيْنِ} الجنتين التين هما للعبد المؤمن في الجنة {دَانٍ} قريب المنال يطال باليد وهو جالس ولا صعوبة في جني ثمارها فليست طويلة ولا بعيدة بل في متناول اليد وهو منتهى القرب والدنو {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الخلق يا معشر الجن والإنس فمن وعده الله تعالى بالجنة ودخلها ففيها ثمار شتى ودانية قطوفها وكما قال تعالى: " وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا " ١٤ الإنسان.

﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ الْأَطْرَفُ لَمِ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦١﴾

{فِيهِنَّ} أي في الجننتين التي وعد الله بهما عباده المؤمنين الذين يخشونه ويطيعونه فيهن {قَصِرَتْ الْأَطْرَفُ} أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن في الجنة أي عفيفات شريفات حافظات لفروجهن ولودهن لأزواجهن {لَمْ يَطْمِئِنَّ} لم ينكحهن ولم يجامعهن ولم يفض بكارتهن {إِنْسٌ قَبْلَهُمْ} لا إنس أي أحد من أولاد آدم عليه السلام {وَلَا جَانٌّ} ولا من الجن أي ولا أحد من أبناء إبليس سواء الكفار أم المؤمنين منهم قبل أزواجهن وطبعاً ولا بعدهم طبعاً وبالتأكيد حيث هن قاصرات الطرف عن غير أزواجهن {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الإنس أو الجن ففي الجنة نعيم مقيم وحوار عین لم يمسهن قبلهم أحد لا جن ولا إنس {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} أي في جمالهن وحسنهن فهن كقطعة الياقوت أو المرجان تلمع وتضيء ولها بهجة ولها ضياء كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يُرى مخها). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٨]. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الملأ من الجن والإنس ففي الجنة حوريات مثل الياقوت والمرجان للمؤمنين وللطائعين وللعابدين لله تعالى وحده {هَلْ جَزَاءُ} هل جزاء ومكافأة {الْإِحْسَنِ} عمل الخير والطاعات والمعروف

{إِلَّا إِلَّا حَسَنُ} إلا إحسان وفضل ومكافأة أكبر منه وأحسن وأفضل وهو الجنة يدخلها يوم القيامة. قال البغوي: حدثنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن منجويه حدثنا ابن شيبه حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكنى حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " وقال: (هل تدرون ما قال ربكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٨]. {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الثقلان الإنس والجن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وهذه الدرجة للمقربين وللسابقين وللأولياء وللصالحين.

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّحَتَانِ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ ﴾

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} وأدنى منزلة من جنتي الذهب جنتان أخريان من فضة {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس فالجنة أعدت للمتقين وعلى قدر منازل أهلها تكون الجنان {مُدْهَامَّتَانِ} ممتلئتان بالأشجار الكثيفة ومزدحمتان بالأشجار ولا يوجد بها أفنان ولا فراغات ولا مساحات ولا ممرات واسعة لكثافة أشجارهما {فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الإنس والجن

{فِيهِمَا عَيْنَانِ} في الجنة في الجنتين اللتين هما أدنى منزلة من الجنتين الأوليين (اللتين بهما عينان تجريان مستمرتان في الجريان) فيهما عينان {نَضَّاخَتَانِ} أي ينبع فيهما الماء عند الطلب أي مثل زمزم لا تجري وكلما أخذ منها نبع غيره بخلاف الجنتين الأوليين فعيناهما دائمة الجريان {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان أيها الملأ من الجن والإنس فالماء في الجنة وفير والعيون نضاخة وينبع الماء فيها عند الطلب {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} في الجنتين اللتين هما أدنى منزلة من الجنتين الأوليين (حيث في الأولى من كل فاكهة زوجان أسمر وأبيض مثل التين والعنب والبلح منه الأحمر والأصفر) ففيهما فاكهة من لون واحد ونخل من لون واحد ورمان من لون واحد بخلاف الأوليين ففيهما زوجان من كل صنف {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعمة ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس فكل واحد تكون منزلته على حسب عمله ودرجته في الجنة {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ} النساء خيرات الأخلاق ونعم لا تعد ولا تحصى {حِسَانٌ} طيبة وجميلة وحسنة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم بكمَا تكذبان يا أمة الجن والإنس فخيرات الله في جنته كثيرة وحسنة وطيبة وجميلة المنظر والمأكَل والمشرب.

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٧٥﴾

{حُورٌ} في الجنة حور جمع حورية وهي المرأة الحوراء وهي شديدة بياض بياض العينين شديدة سواد سوادهما من الحُسن والجمال {مَّقْصُورَاتٌ} محجوزات وملازمات ومقيمات وباقيات دائماً {فِي الْخِيَامِ} في بيوتهن وفي خيامهن وهن أقل درجة من قاصرات الطرف اللواتي لا ينظرن لأحد غير أزواجهن بدون أن يكن محجوزات في الخيام {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس فالحوريات في الجنة كثيرات لأصحاب اليمين {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ} لم ينكحهن ولم يجامعن ولم يعاشرهن {إِنْسٌ قَبْلَهُمْ} قبلهم لا إنس من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام {وَلَا جَانٌّ} ولا من الجن من أبناء إبليس. وهنا تكرر قوله تعالى "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" تأكيداً على واقعة الجان في الدنيا لنساء الإنس وبالعكس وهناك تشابه بين الإنس والجن لقوله تعالى: "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ" ٦ الجن. أي أنهما مشتركان في صفة الرجولة والذكورة وحيث أن للجان والشیاطين ذرية كما قال تعالى: "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي" ٥٠ الكهف. وهذا شذوذ بين الجن والإنس كما هو واقع بين رجال الإنس وبعض البهائم المختلفة عنهم في النوع وكذلك بعض النساء مَن يتخذن الكلاب في صفة الأزواج لهن وهن يخالفن الكلاب في الخلقة مع ملاحظة أن هناك نوع من الجان مَن يتشكل على صفة كلاب وبعضهم مَن يأتي على صورة بني آدم مثل القرين وهذا ما يقوم به بعض المحضرين للأرواح باستدعاء قرين بني آدم في مسألة ما كالمنادى مثلاً ويأتي القرين على صفة ذلك الرجل أو

تلك المرأة وهذه حقيقة وهناك مَنْ يدّعي بأن ذلك القرين هو نفس روح بني آدم وهو ما يُسمى تحضير الأرواح وهذا خطأ فالذي يحضر ليس روح بني آدم بل قرين بني آدم وكما قال تعالى: "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" ٣٦ الزخرف. وجاء في الحديث أنه أثناء جماع الرجل لزوجته ولم يسم الله تعالى ولم يذكر الله تعالى فإن الشيطان يلف ذكره على ذكره ويجامع معه كما جاء في الحديث: ما من أحد يقصد دخول البيت إلا ويتبعه الشيطان فإن دخل البيت فقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا مدخل لي في هذا البيت وإن قُدِّمَ إليه الطعام فقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا طعام لي ههنا وإذا قُدِّمَ الشراب وقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا شراب لي ههنا وإذا اضطجع وقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا مضجع لي ههنا. وإذا ترك التسمية عند الدخول دخل معه الشيطان وإذا تركها عند الأكل يأكل معه الشيطان وإذا شرب يضع الشيطان فمه أولاً على الكوز. وإذا أراد أن يجامع ولم يسم جامع الشيطان معه ويكون بعض المولود بسبب اختلاط مائه زنيماً وبعضه أعمى وبعضه أعور وبعضه أعرج وبعضه فاسق وبعضه كافر وغير ذلك ففي مثل هذا قال تعالى: "وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ" الآية. [خزينة الأسرار ص ٨٣]. ويؤيده ما جاء عن مجاهد أن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه. [سبل السلام ج ٣ ص ١٤٣]. {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس فالحوريات أعدت للمؤمنين ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

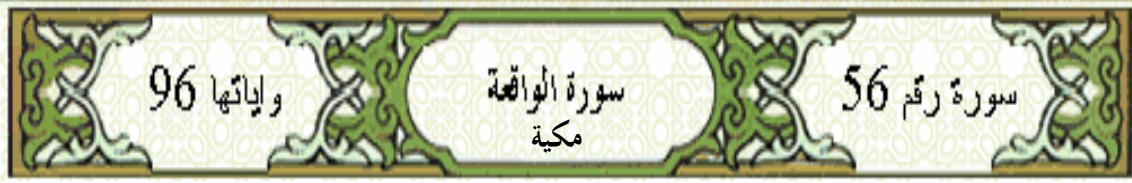
﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

{مُتَكِّينَ} متكئين ومضجعين على جنوبهم {عَلَى رَفْرَفٍ} على بُسْط [ومفردها بساط] {خُضْرٍ} لونها أخضر {وَعَبْقَرِيٍّ} عظيم وثمرين {حِسَانٍ} حسنة وطيبة وجميلة. وفي الجنتين الأوليين متكئين على فرش بطائنها وكسوتها من حرير يبرق ويلمع وناعم جداً {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبأي شيء من آلاء ونعمه ربكما تكذبان وتجددان أيها الإنس عموماً والجن عموماً فالجنة طيبة حسنة لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وترك الشهوات والملذات وعمل بالطاعات والعبادات فعلى قدر عمله تكون منزلته ودرجته في الجنة {تَبَرَّكَ} حَسُنَتْ وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه وتعالى وجلّ وعلا وعَظُمَ {اسْمُ رَبِّكَ} الله تعالى وهو اسم ربك الأعظم فالله تعالى له الأسماء الحسنی واسم الذات هو اسم الجلالة وهو "الله" جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ذِي الْجَلَلِ} ذي وصاحب العظمة والجلال والهيبة والوقار {وَالْإِكْرَامِ} مَنْ يَجِبُ لَهُ الْإِكْرَامُ مِنْ خَلْقِهِ بَأَن يَكْرَمُوهُ وَيَحْتَرِمُوهُ وَيُجِلُّوهُ وَيَعْظُمُوهُ وَيَكْبُرُوهُ حَتَّى يَتَكْرَمَ عَلَيْهِمْ وَيَكْرَمُهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَبِفَضْلِهِ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم ابن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسي عن ربيعة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لظوا بذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). [رواه النسائي - ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١].

ويرتفع القرآن في الجنة ما عدا سورة طه ويس وأول من يقرأ داود عليه السلام يقول تعالى: أحبابي ما تحبون مني؟ فيقولون صوت داود فيقول الله تعالى: يا داود اتل

على أوليائي كلامي فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين. فيطربون وفي رواية يطيطرون مائة عام ثم يقول الله تعالى: أتحبون كلامي مني؟ فيقولون نعم فيقول جل جلاله: أنا الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن فيتيهون في الملكوت ألف عام وسورة الرحمن هي عروس القرآن وفي مرة أخرى يقرأ داود الزبور بصوت حسن ثم محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ طه ويس بصوت أحسن من داود سبعين ضعفاً ويتكلم سبحانه سورة الأنعام فيطرب القوم وتتمايل الأشجار والقصور ويهتز العرش ويكشف الحجاب عن وجهه فيقول يا عبادي من أنا؟ فيقولون أنت ربنا فيقول أنا السلام وأنتم المسلمون يا ملائكتي قدموا لهم النجائب فيقدمون لهم نجائب غير التي قدموا عليها فيركب الرجال على خيل بلق أجنحتها خضر والنساء على نجائب أقتابها من ذهب ثم يدخلون سوق المعرفة فيسأل بعضهم أين أنت يا فلان فيقول أسكن الفردوس ويقول الآخر في جنة عدن ويقول الآخر في جنة الخلد والآخر في جنة المأوى على اختلاف درجاتهم. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧]. وذكر النيسابوري في سورة اقرأ لما نزلت سورة الرحمن قال النبي صلى الله عليه وسلم من يقرأها على رؤساء قريش فقال ابن مسعود أنا يا رسول الله أقرأها عليهم فلما قرأها عليهم ابن مسعود صكه أبو جهل لعنه الله فشق أذنه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر فوجد جبريل يضحك فقال ما يضحكك؟ قال ستعلم يوم بدر فلما كان يوم بدر لم يحضر ابن مسعود إلا بعد فراغ القتال فقال يا رسول الله فاتني فضل الجهاد؟ فقال التمس من به حياة فاقتله ذلك أجر شهيد فالتمس فوجد أبا جهل فقال أخبر صاحبك محمد إنه أبغض الخلق إليّ في الحياة وفي الممات فقطع رأسه ابن مسعود وأراد حمله فلم يستطع فشق أذنه وجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجبريل يضحك فقال جبريل يا رسول الله أذن بأذن والرأس زيادة فأخبر النبي بما قاله أبو جهل فقال النبي فرعوني أشد من فرعون موسى لأنه قال عند موته آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وهذا ازداد عتواً عند موته وإنما لم يقدر ابن مسعود على حمل رأسه لأنه كلب والكلب يقاد ولا يحمل. [خزينة الأسرار ص ٣٤٦].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَدُسَّتِ الْجِبَالُ دَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت [أي قد شبت أنت يا رسول الله] قال صلى الله عليه وسلم: (شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). [رواه الترمذي - ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١]. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١]. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عشرة تمنع عشرة سورة الفاتحة تمنع غضب الرب وسورة يس تمنع عطش القيامة وسورة الدخان تمنع أهوال القيامة وسورة الواقعة تمنع الفقر والفاقة وسورة الملك تمنع عذاب القبر وسورة الكوثر تمنع خصومات الخصماء وسورة الكافرون تمنع الكفر عند الموت وسورة الإخلاص تمنع النفاق وسورة الفلق تمنع حسد الحاسدين وسورة الناس تمنع الوسواس). [كذا في روضة المتقين ومشكاة المصابيح - خزينة الأسرار ص ١٠٥].

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ إذا جاءت القيامة ووقعت فعلاً وحقيقة وجاء أمرها وقيامها وتوقيتها ووقعت فعلاً وبقيناً وحقيقةً {لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ} أي بعد وقوعها لا أحد

يستطيع أن يكذب بها لأنها أصبحت حقيقة واقعة ومرئية ولا مجال للشك أو الكذب بها لأنها وقعت حقيقةً وحقاً وصدقاً وعدلاً {خَافِضَةٌ} خافضة ومُذلة للكافرين والمشركين حيث يدخلون النار داخرين وصاغرين وذليلين وحقيرين وبعد أن كانوا أسياداً أعزاء رافهين منعمين في الدنيا جعلتهم أسفل سافلين {رَّافِعَةٌ} رافعة شأن المؤمنين فيدخلون الجنة معززين مكرمين بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض وبعد أن كانوا عبيداً فقراء مساكين ضعفاء أصبحوا في الجنة أسياداً مكرمين منعمين يطوف عليهم خدمهم وهم الولدان المخلدون كما قال تعالى: " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ {١٨} " ١٧، ١٨ الواقعة. وزُوجوا بالهور العين وذلك جزاءً بما كانوا يعملون في الدنيا من الطاعات والعبادات واجتناب المحرمات {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا} إذا تحركت الأرض ورجت وزلزلت وخُضت كما يُخض اللبن في الصَّعْن [وهو وعاء خض اللبن لفصل الزبد والسمن عن اللبن] وذلك هو يوم القيامة تسبقها رجة الأرض واهتزازها وزلزلتها {وُئِسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} وهُدمت الجبال وفُتتت الجبال فتكون تراباً {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} أي غباراً تفرّق في الجو تُفرّقه الريح وتزيله ولا تُبقي له أثراً. وفي حديث الصور أورد الإمام أبو جعفر بن جرير من رواية إسماعيل ابن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن) قال: فكيف هو؟ قال: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله

إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى: " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " فتسير الجبال فتكون ترابا وترج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله تعالى: " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ " فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى: " يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُولُونِ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين قال: " فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " قال: (أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "). وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد

مطولاً جداً والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أي من أشراتها وعلاماتها وقبلها مباشرة. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤].

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾

{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا} وكنتم أزواجا أي ذكراً وأنثى أي اثنين واحداً من الرجال وواحدةً من الإناث أي من ذكر وأنثى كما قال تعالى: " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ " ١٩٥ آل عمران. وكما قال تعالى: " وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٤٩ الذاريات. {ثَلَاثَةً} ثلاثة أقسام أو ثلاثة فئات أو ثلاثة مجموعات {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} فالقسم الأول هم أصحاب اليمين {مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} ما هم أصحاب اليمين؟ سؤال لتعلموا جوابه فيما بعد عندما يأتي تفسيره بالآيات {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} والقسم الثاني أصحاب الشمال وهم أصحاب المشأمة والشؤم والعذاب والويل {مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} سؤال من هم سيأتي جوابه في حينه عندما تفسره الآيات {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} وهم القسم الثالث وهم الأوائل والممتازون والحاصلون على درجة الشرف الأولى والمرتبة الأولى في التقدير. والسابقون هم الذين بأعمالهم وطاعتهم وعبادتهم سبقوا وفازوا بالسباق وهي مأخوذة من سباق الخيل فالتى تفوز تأخذ الجائزة فهم سابقون إلى طاعة الله تعالى ورضوانه ففازوا بالسبق وبالجائزة وبرضوان الله تعالى وبالقرب {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} أي مقربون من الله تعالى يوم القيامة فهم أولياء الله تعالى وخاصته وهم عباد الله الصالحون. وجاء في صحيح البخاري عن

أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عتابه. أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة ويمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٨]. وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليُصلح بصلاح الرجل المسلم ولدَه وولد وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٣]. وقال ابن جرير: حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٣]. وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأبدال في أمتي ثلاثون بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون) قال قتادة: إني لأرجو أن يكون الحسن منهم. [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٣]. قال في الزهر الفاتح كان لعمر بن الخطاب جارية تسمى زائدة فخرجت يوماً لتأتي بالحطب للعجين فرأت فارساً لم تر أحسن منه فقال الفارس

لها يا زائدة إذا رأيت محمداً فقول له رضوان خازن الجنان يقرئك السلام وقولي له إن الله قسم الجنة أثلاثاً لأمتك ثلث يدخلون بغير حساب وثلث يحاسبون حساباً يسيراً وثلث يشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم). [نزهة المجالس ص ٥٠٢]. وقالت ماوية مولاة حُجير بن أبي إهاب وكانت قد أسلمت قالت: (كان حُبَيْب عندي حُبْس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل). [سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨١]. وفي قصة أويس القرني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل). وفي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم). [رواه مسلم - منهاج الصالحين ص ٢٢٣]. {فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ} منزلتهم العالية جعلتهم من المقربين وعباد الله المخلصين في جنات النعيم يوم القيامة في أيها شاءوا وأرادوا والجنان هي ثمانية: (دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة لنعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار) {ثَلَاثَةٌ} مجموعة كبيرة وجماعة كثيرة وأعداد كثيرة {مِّنَ الْأَوَّلِينَ} من السابقين من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن التابعين {وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ} وقليل من الأعداد ومن الأشخاص في المتأخرين من المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين ثم يكون قوم يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤتمنون وينذرون ولا

يوفون ويظهر فيهم السمن). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٢٦]. والدليل الثاني على أنهم من هذه الأمة قوله تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ " ١١٠ آل عمران. وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ " قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هما جميعاً من أمتي). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٤].

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ۚ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۚ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۚ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۚ وَفَنِكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۚ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۚ وَحُورٌ عِينٌ ۚ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ ۚ أَلَمْ كُنُونَ ۚ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۚ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۚ ﴾

{عَلَى سُرُرٍ} سرر مفردا سرير الذي يُنام عليه وهو للراحة {مَّوْضُونَةٍ} موضوعة ومصفوفة ومرفوعة كما قال تعالى: " مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ " ٢٠ الطور. وكما قال تعالى: " فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ " ١٣ الغاشية. {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا} متكئين ومستندين ومضجعين على السرر في الجنة {مُتَقَبِّلِينَ} أي وجوههم متقابلة إلى بعضها البعض ينظرون إلى بعضهم البعض دليل المودة والألفة والمحبة وعكسها الإعراض وإعطاء الظهر للآخرين أما في الجنة فمتقابلين بعضهم إلى بعض ووجوههم بعضها إلى بعض {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ} أي يمر عليهم أولاد وهم ولدان للخدمة ويخدمونهم في الجنة وجعلوا أولاداً حتى لا يتضايق أولياء الله ويخافوا على زوجاتهم منهم لو كانوا رجالاً أما الأولاد فلا خشية منهم ولا خوف

وثانياً يكونوا أقرب للطاعة وعدم الإحراج في تلبية الطلبات وما يطلب منهم من خدمة. قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال: (هم خدم أهل الجنة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٠]. {مُحَلَّدُونَ} أي دائمون لا يموتون أبداً ولا يكبرون {بِأَكْوَابٍ} جمع كوب وهي غالباً تكون فارغة فإذا طلب ولي الله ماءً صب له في الكوب فوراً {وَأَبَارِيقٍ} مفردا إبريق وفي الدنيا يُصنع من الفخار ويملاً ماءً للشرب وللوضوء وفي الجنة يكون من ذهب ومن فضة {وَكَاْسٍ} وهو الكوب المملوء بالماء أو الشراب فيسمى كأساً والفارغ منه يسمى الكوب {مِّن مَّعِينٍ} من خمر لا يُسكر ولا يُذهب العقل {لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} لا يُمنعون عنها ولا يصيبهم صداع الرأس {وَلَا يُزْفُونَ} ولا ينقصون ولا يخلصون الشراب بل يبقى كما هو كما زمزم كلما نزع وأخذ منها بقيت كما هي ملآنة وكذلك في الجنة لا تنقص إلا كما ينقص المخيط من البحر {وَفَلَكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} والفواكه والثمار تأتيهم بناء على طلبهم وتخيرهم وإرادتهم وبناء على اختيارهم هم أنفسهم من مختلف الفواكه والألوان ومما يشتهون ويطلبون {وَلَحْمِ طَيْرٍ} وكذلك هناك في الجنة يطلب ولي الله تعالى أي نوع من الطيور فيأتيه الطير ويقع بين يديه جنباً مشوياً وجنباً مقلباً وبعد أن ينتهي يعود ثانياً ما كان طيراً من جديد {مِّمَّا يَشْتَهُونَ} مما يحبون. قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال: (نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى

من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر) فقال عمر بن الخطاب: إنها لناعمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آكلها أنعم منها). [وكذا رواه الترمذي عن عبيد بن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه عن أنس وقال: حسن - ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٧]. وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث إسماعيل بن علي الحفطي عن أحمد ابن علي الخيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال ذُكِرَتْ عند النبي صلى الله عليه وسلم طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟) قال الله ورسوله أعلم قال: (طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً ورقها الحل يقع عليها الطير كأمثال البخت) فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك لطيراً ناعماً؟ قال: (أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٧]. وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف ابن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتيه فيخر بين يديك مشوياً). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٧]. {وَحُورٌ} أي بيض جميلات عيونهن كالغزلان بها حَوَرٌ أي شدة بياض العينين مع شدة سواد سوادهما {عَيْنٌ} ضخام العيون جمع عيناء وهي التي عيناها فيهما اتساع وحُسن. ويتزوج المرء في الجنة اثنتين وسبعين حورية غير زوجاته في الدنيا. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر ابن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من له السبع درجات وهو على السادسة وفوقه

السابعة وإن له ثلاثمائة خادم ويُغدى عليه ويُراح كل يوم بثلاثمائة صحيفة ولا أعلمه إلا قال من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يُلذ آخره ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يُلذ آخره وإنه ليقول يا رب، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض). [ابن كثير ج ٤ ص ١٣٤].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله بن الصفر السكري قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الخرساني حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الأسود قال دلهم وحدثنيه أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (على أنهار غسل مصفى وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة) قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلمات؟ قال: (الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذوا بكم غير أن لا توالد). [ابن كثير ج ٣ ص ١٧٦]. {كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ} مثل حبات اللؤلؤ في لمعانها وبياضها {الْمَكُونِ} المصون عن الغبار والأتربة والرطوبة وحرارة الجو أي تكون في بياضها وصفاء لونها {جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي مكافأة لهم على عملهم بالطاعات في الدنيا {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا} لا يسمعون في الجنة لغواً أو لغطاً أو كلاماً فارغاً ولا مشاحنة ولا مشاجرة ولا ضوضاء ولا إزعاج ولا شوشرة ولا ضجة ولا صخب

{وَلَا تَأْتِيَمًا} ولا كلاماً فيه إثم أو ذنب {إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا} أي كل كلامهم

سلام وتحية وقول حسن فهي دار السلام والأمان والاطمئنان والفرح والسرور.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾

وِظَلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ غُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾

لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} القسم الثاني من الجماعة الذين يأخذون كتبهم يوم القيامة

بيمينهم هم أصحاب وأهل اليمين وهم المؤمنون {مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} من هم

أصحاب اليمين وما شأنهم {فِي سِدْرٍ} أي هم في الجنة مكانهم في حدائق وبساتين

سدر أي شجر سدر وفي بعض الدول يسمى شجر السدر بشجر النبق وفي

الصحيحين في ذكر سدر المنتهى: (فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال

هجر). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٠]. {مَخْضُودٍ} لا شوك فيه ولا نواة {وَطَلْحٍ} وثمر

وهو الموز {مَّنْضُودٍ} أي مستو وطازج وطري ولذيذ الطعم والمأكول ومتراكم بعضه

على بعض {وِظَلٍّ} وهو فيء الشيء وظله {مَّمْدُودٍ} أي منشور وممدود باستمرار

أي دائماً يكونون في ظل لأنه لا شمس هناك ولا زمهريراً كما قال تعالى: " لَا يَرَوْنَ

فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا " ١٣ الإنسان. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله

حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا

إن شئتم: " وَظِلٌّ مَّمْدُودٌ "). ورواه مسلم من حديث الأعرج به - ابن كثير ج ٤

ص ٢٨٩]. {وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ} ماء يسيل على الدوام بدون أكواب وأباريق تطوف

عليهم كالسابقين المقربين {وَفَلَكُمُهَا كَثِيرٌ} فاكهة وثمار الأشجار كثيرة ولكنها ليست من كل زوج اثنين كما للمقربين {لَا مَقْطُوعَةٍ} أي لا تنقطع أبداً في أي وقت من الأوقات {وَلَا مَمْنُوعَةٍ} ولا تُمنع عنهم لأي سبب من الأسباب أو لمرض كمن به مرض السكر في الدنيا أو بعض الأمراض التي يُمنع بسببها المريض من أكلها فهذا في الدنيا فقط أما في الجنة فهي غير ممنوعة ولا بأي شكل من الأشكال ولا بسبب من الأسباب {وَفُرْشٍ} جمع فراش وهو الفراش الذي يُجلس عليه {مَرْفُوعَةٍ} أي عالية ومرتفعة حتى تكون سميكة مثل السرير الهزاز حتى يرتاح عليها عند الاستلقاء عليها أو النوم عليها والنوم هنا ليس غلق العيون والنوم الحقيقي حيث لا نوم لأن النوم كالموت ولا موت في الجنة بل نوم استلقاء للراحة والمتعة والسرور والنعيم المقيم حتى يرتاح عليها ولي الله في الجنة {إِنَّا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً} نساء الجنة خلقناهن في أحسن تقويم وفي أحسن صورة وفي أحسن خِلقة وخلقناهن بصفة خاصة لأهل الجنة في منتهى الحسن والجمال والمنظر والبهجة. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من الميزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب). [ابن كثير ج ٤

ص ٢٢٨، ٢٢٩]. {فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا} أي جعلت أزواجهن في الجنة أبكاراً لم يطمثن قبلهم إنس ولا جان وكذلك كلما جامعها وعاد إليها وجدها بكراً. وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدمشقي الواسطي حدثنا علي بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكاراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله ابن الصفر السكري قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الخراساني حدثنا عبد الرحمن ابن المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الأسود قال دلهم وحدثنيه أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (على أنهار غسل مصفى وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة) قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلاحات؟ قال: (الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذوا بكم غير أن لا توالد). [ابن كثير ج ٣ ص ١٧٦]. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له: أنطأ في الجنة؟ قال: (نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. {عُرُبًا} متعشقات وعربيات أي لغتهم تكون عربية ويتكلمون العربية وهي لغة أهل الجنة. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن سهل ابن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عُرْبًا" قال: (كلامهن عربي). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. {أَتَرَابًا} كثيرات مثل التراب أي كثيرات العدد ومتساويات في السن والعمر. وفي حديث الصور المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله وثنيتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفئها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قسبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تملها ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إليّ منك). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدميّاطي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: "حُورٌ عِينٌ" قال: (حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر) قلت أخبرني عن قوله تعالى: "كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ" قال: (صفأوهن صفاء الدر الذي في الأصداف

الذي لم تمسه الأيدي) قلت أخبرني عن قوله: " فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ " قال: (خَيْرَاتُ الأخلاق حِسان الوجوه) قلت أخبرني عن قوله: " كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ " قال: (رقتهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى) قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله: " عُرْبًا أَتْرَابًا " قال: (هن اللواتي قُبِضْنَ في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عُرْبًا متعشقات محبات أتراباً على ميلاد واحد) قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: (بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة) قلت يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: (بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا) قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: (يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة).

[ابن كثير ج ٤ ص ٢٩١، ٢٩٢]. {لَا صَحْبَ الْيَمِينِ} لأهل اليمين وهم المؤمنون من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ثُلَّةٌ} جماعة كثيرة {مِّنَ الْأَوَّلِينَ} أي من السابقين وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً {وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ} وجماعة كثيرة وخلق كثير من المتأخرين من المسلمين إلى يوم القيامة حيث أن السابقين وهم الأولياء كثيرون في الأولين وهم الصحابة وقليل في الآخرين في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أما أصحاب اليمين وهم المؤمنون والمسلمون الذين يؤدون

فرضهم فقط فهم كثيرون في الأولين وفي الآخرين أي كثيرون أيام الصحابة والتابعين وكثيرون في المسلمين في عصرنا الحاضر وإلى يوم القيامة. قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ " قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هما جميعاً من أمتي). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٤].

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} والقسم الثالث هم أصحاب الشمال وهم الذين يأخذون يوم القيامة كتبهم بشمالهم وهم الكفار والعصاة والمذنبون والمنافقون {مِمَّا أَصْحَبُ الشِّمَالِ} من هم وما شأنهم وما حالهم يوم القيامة {فِي سَمُومٍ} سيكونون في يوم القيامة في سموم وهي ريح شديدة الحرارة وشديدة الدخان فهي تهب على أهل جهنم شديدة الحرارة محملة بالدخان الكثيف تسم أجسامهم {وَحَمِيمٍ} وهو الماء المغلي يحمم أجسامهم حتى يخرج اللحم عن العظم {وِظِلٍّ} وفيء وظل يستظلون به ويظلهم دائماً {مِّنْ تَحْمُومٍ} من لهب النار شديدة الحرارة ودخان كما قال تعالى: " لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ " ٤١ الأعراف. وكما قال تعالى: " انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ {٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ {٣١} " ٣٠، ٣١ المرسلات. {لَا بَارِدٍ} لا جو بارد ولا لطيف {وَلَا كَرِيمٍ} ولا كريم المنزل والإقامة لأنه في سجن جهنم وعذابها ولا طيب المعيشة لأنه

لظى نزاعة للشوى {إِنَّهُمْ} الكفار والعصاة والمذنبون والمشركون {كَانُوا} كانوا في الدنيا {قَبْلَ ذَلِكَ} قبل يوم القيامة {مُتْرَفِينَ} منعمين في شهواتهم وملذاتهم من حرام {وَكَانُوا} الكفار والمشركون {يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ} يؤكدون ويعاندون ويستمرون على كفرهم وعنادهم والحنث هو الذنب {الْعَظِيمُ} وهو الشرك بالله تعالى وهو عظيم وشديد وكبير {وَكَانُوا} وهم الكفار والمشركون {يَقُولُونَ} أَيْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا هل إذا ماتوا وكانوا تراباً أي تحللت أجسادهم وأصبحوا تراباً {وَعِظْمًا} أي عظاماً بالية وأجساداً رميمًا ومفتتة وأكلتها الأرض وهلكت وماتت {أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} هل سيحيون من جديد بعد موتهم ويُبْعَثُونَ من قبورهم من جديد للحساب والعقاب وهو سؤال استنكار وتكذيب بالبعث {أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} وهل كذلك يحيى آباؤنا وأجدادنا الأولون والسابقون والذين ماتوا من مئات وألوف السنين وهو تعجب واستنكار وتكذيب وجحود بالحياة بعد الموت وبالبعث.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٦١﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ ﴿٦٢﴾ فَمَا لُكُونَ مِّنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٦٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ أَلْهِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿٥٦﴾﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ الْأَوَّلِينَ} السابقين من الأمم السابقة والماضية {وَالْآخِرِينَ} المتأخرين إلى يوم القيامة {لَمَجْمُوعُونَ} لمحيون ومبعوثون من قبورهم ومجموعون ومحشورون في المحشر {إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} إلى يوم معين ومحدد وهو يوم القيامة وهو معلوم ومعروف عند الله تعالى {ثُمَّ إِنَّكُمْ} ثم بعد

ذلك إنكم {أَيُّهَا الضَّالُّونَ} عن الهدى والرشاد والضالون التائهون والمنحرفون عن الهدى والرشاد والصراط المستقيم طريق الله تعالى وعن الإسلام {الْمُكَذِّبُونَ} الجاحدون والمكذبون بيوم البعث وبيوم القيامة وبالرسل {لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ} لآكلون طعامكم يوم القيامة في نار جهنم من شجر الزقوم وهي شجر شديد الحرارة والمرارة وهي تخرج في وسط جهنم وفي أصل الجحيم وطلعها وثمرها كأنه رؤوس الشياطين وهي طعام المذنبين والكفار وكما قال تعالى: " إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ {٤٣} طَعَامُ الْأَثِيمِ {٤٤} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ {٤٥} كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ {٤٦} " ٤٦-٤٣ الدخان. وكما قال تعالى: " ذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ {٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ {٦٣} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ {٦٥} " ٦٥-٦٢ الصافات. {فَمَا لُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} فيأكلون من شجر الزقوم حتى تمتلئ بطونهم ويشبعوا {فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ} فيشربون على أثر أكلهم شجرة الزقوم {مِنَ الْحَمِيمِ} ماء يغلي ظناً منهم أن هذا الماء يُطفئ لهيب وحر نار الطعام الذي أكلوه من شجرة الزقوم {فَشَرِبُونَ شُرْبَ أَهْلِيمٍ} فيشربون بسرعة شرب الإبل عطشاً حتى يطفئ لهيب طعام شجرة الزقوم وهو ماء يغلي يصهر أمعاءهم {هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} هذا منزلهم ومكانهم في نار جهنم وهذا مصيرهم نكالا لهم وعذاباً.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

{نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ} الله تعالى هو الخالق والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَلَوْلَا} فلو أو فهل {تُصَدِّقُونَ} تصدقون ذلك وتؤمنون بأن الله تعالى هو خالقكم {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} هل شاهدتم المني الذي تُمنونه عند الجماع وهو الذي يتكون منه الولد بإذن الله تعالى وإرادته وقدرته ومشيبته {ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} هل أنتم الذين خلقت هذا المني أم الله تعالى هو الذي خلقكم وخلقته؟ طبعاً الله تعالى هو الخالق وهذا سؤال استفهام للتأكيد أن الله تعالى هو الخالق وحده {نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ} الله تعالى قدر عليكم الموت وجعل الموت عليكم وقدره حتى تعلموا ضعفكم وقوة الله تعالى وقدرته وأنه هو الخالق والمحيي والمميت وسبحانه وتعالى قهر العباد بالموت لا ينجو منه هارب {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} وما الله تعالى بقاصر ولا أحد يستطيع الهرب منه ومن الموت ولا أحد يستطيع أن يهرب ويسبق الموت ولو كانوا في بروج مشيدة {عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ} على أن الله تعالى هو الذي يبدل المخلوقات والكائنات والناس فيحيي قوماً ويميت آخرين وهكذا سنة الله في خلقه التبديل والتغيير والحياة بالمواليد والموت لمن انتهى أجله {وَنُنْشِئَكُمْ} ونحييكم ونخلقكم {فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} لا تعلمون أين يوم القيامة تكونون ولا تعلمون كيف خلقكم وأحياكم من جديد يوم القيامة وأين وكيف ومتى

وفي أي الأماكن وبأي شيء كله في علم الله تعالى وبعلمه وبقدرته وحكمته ومشيتته
 {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى} علمتم الحياة الأولى التي كنتم فيها وكيف كنتم نطفة
 ثم علقة ثم مضغة ثم أجنة ثم تولدون أطفالاً ثم شباباً ثم كهولاً ثم شيوخاً ثم
 تموتون {فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} فهل تذكرون وتتعضون بذلك.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٣ {أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ} أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
 حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

{أَفَرَأَيْتُمْ} أفشاهدتم {مَا تَحْرُثُونَ} أي هل شاهدتم وأنتم تحرثون الأرض للزراعة
 والفلاحة وتمهدونها للزراعة {أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ} هل أنتم تزرعونه أي هل أنتم
 خلقتم البذرة وأنتم تنبتونها في الأرض {أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} أم الله تعالى هو الذي
 خلق البذرة وهو الذي ينبتها فهو الزارع وما نحن إلا آلة تتحرك مثل المحراث
 وخلافه فليس لنا قوة وقدرة على أن نحیی البذور الميتة من جديد وليس بأيدينا
 الخصب للنبات أو المحصول ولكن الله تعالى بيده كل شيء فلو شاء لأمات البذرة
 أو سلط دودة تأكل الزرع أو سوساً ينخر الحَبَّ وينخر الشجر ويهلكه أو يرسل
 عليه جنوده كالجراد أو الحر أو البرد الشديد أو المطر الغزير وهذا معنى قوله أن
 الزراعة بيده وحده فإن شاء أحيها وإن شاء أماتها وإن شاء أخصبها وإن شاء
 أمحلها {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا} لو شاء الله لجعل الزرع حطاماً وحصيداً وهالكاً
 وجافاً وممحلاً ويحرقه بالريح والحر أو البرد الشديد أو المطر الغزير {فَظَلْتُمْ
 تَفَكَّهُونَ} تطلبون الفاكهة حيث هلك المحصول أي تتحسرون وأصبحتم
 معدمين ولا وجود للفاكهة لأنها هلكت وماتت أي تطلبون العوض من الله تعالى
 {إِنَّا لَمَغْرُمُونَ} أي أصبح الزرع هالكاً وغرموا ثمن البذور وثمرن الفلاحة والحرث

والعمل في البستان بأجرة وبغير أجرة {بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ} ويكون الزراع محرومين من الناتج والمحصول حيث هلك كله فلا يملكون شيئاً منه وفقدوه وحُرموا محصوله وناتجه وثماره فلم يبق منه شيء وهلك.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ} هل شاهدتم الماء الذي تشربونه والجواب طبعاً حيث أن كل إنسان يراه لأنه يشربه دائماً ولكن السؤال وراءه جواب لهم على قدرته سبحانه وتعالى وهو {ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ} هل أنتم بقوتكم أو بعملكم أنزلتم الماء وهو ماء المطر {مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} من الغيم ومن السماء بإرادتكم أم بإرادة الله تعالى؟! ويسمى السحاب المزن والغيم والعنان فقد روى أبو داود قال: حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله ابن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة فنظر إليها فقال: (ما تسمون هذه؟) قالوا السحاب قال: (والمزن) قالوا والمزن قال: (والعنان) قالوا والعنان قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيداً قال: (أتدرون بُعد ما بين السماء والأرض؟) قالوا لا ندري قال: (بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك). [ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به - ابن كثير ج ٤ ص ٧١، ٧٢].

{لَوْ نَشَاءُ} لو نريد {جَعَلْنَاهُ أَجَاكًا} جعلناه وعملناه مالحاً ومراً {فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} أفلا تشكرون الله تعالى وتحمدونه على نعمة الماء العذب الذي سخره لكم أنتم وأرضكم ومواشيكم وطيوركم وزرعكم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا شرب الماء قال: (الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٦].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} هل شاهدتم النار التي بها تضيئون وتسرجون وتشعلون {ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ} هل أنتم خلقتهم وعملتم {شَجَرَتَهَا} أصل ومصدر تولد النار سواء في الحديد أو الأشجار أو الحجارة التي عندما تُحك مع بعضها يخرج شرر النار من بينها بالاحتكاك فمثلاً يوجد من الحجارة ما إذا ضُربت مع بعضها مثل حجارة الصوان يخرج الشرر منها نتيجة لضربها أو احتكاكها مع بعضها وكذلك أغصان شجر (المرخ) وأغصان شجر (العفار) إذا احتك العودان الأخضران مع بعضهما ينتج عنه شرر النار وكذلك الحديد بعضه ببعض أو الحديد والحجارة وكانوا يأخذون الزناد وهو قطعة مثلثة الشكل من الحديد يُضرب أو يُحك بقطعة من حجر الصوان [لونه أحمر وداكن وأقرب للسواد والحمرة] فإذا ضُرب به الزناد خرج الشرر منه وتُشعل به النار بشرط وضع بينهما قطعة من قماش الشاش الرقيق المغموسة في رماد الكانون وماء ثم تنشف في الشمس وعندما تنشف تكون جاهزة للاشتعال عندما يُضرب الزناد بقطعة حجر الصوان ثم يوضع عليها ورق أو نشارة من الورق الرقيق ويُنفخ عليها أو تُعرّض للهواء فتشتعل النار التي تستعمل في الطبخ

أو الإضاءة أو التدفئة أو خلافه وحديثاً أصبحت هناك عيدان الثقاب أو الولاعات الحديثة {أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} أم هل الله تعالى هو الخالق والمنشئ وجاعل النار كامنة فيما ذكر من الحديد عند ضربه ببعضه أو الحديد في الحجارة (حجارة الصوان) أو الأغصان الخضراء لشجر المرخ والعفار عند حك بعضها ببعض؟ وطبعاً الجواب معروف وهو أن الله تعالى بقدرته وحكمته وضع النار الكامنة في ذلك رحمة بنا {نَحْنُ} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جَعَلْنَاهَا} جعلنا النار كامنة فيما ذكر {تَذَكُّرَةً} عظة على قدرة الله تعالى وعلى رحمته بنا وأنه هو الخالق وحده وهو الذي يستحق الطاعة والعبادة ونخشى عذابه يوم القيامة وناره التي جعلت نارنا في الدنيا جزءاً من سبعين جزءاً من نار يوم القيامة فقد روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها من منفعة لأحد). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٧]. {وَمَتَّعْنَا لِلْمُقْوِينَ} للطابخين والمسافرين والمحتاجين إليها من طبّاخين وخبازين وحدادين وسباكين وصانعين وربّات البيوت في الإضاءة والطهي والغسيل وغيرها سواءً في السفر أو الحضر. روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشرعي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلاء والماء). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٧]. {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} أي سبح الله تعالى واحمده واشكره ونزهه عما لا يليق فهو العظيم والكبير.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ٧٥ ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ٧٦ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ٧٧ ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ٧٨ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ٧٩ ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٨٠ ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ ٨١ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ٨٢ ﴿

{فَلَا أُقْسِمُ} أي لا أقسم ولا داعي للقسم كما يُقال صدقني بدون يمين وبدون قسم لأن قوله الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. {بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} أي بمكانها وترتيبها في الأفق مثلاً نجم الجدي دائماً يكون على هيئة نجم خافت يقع بين الشمال والغرب لا يتغير أبداً يعرفه المسافرون ويهتدون به في الليل على الجهات قبل أن تُعرف البوصلة حديثاً والدب القطبي عبارة عن سبعة نجوم تكون دائماً في السماء في جهة الشمال الغربي فتُعرف بها الجهات وكذلك نجمة الثريا والزهراء والميزان فالله تعالى وضعهم بعلمه وحكمته ورفعهم في السماء بقدرته وجعلهم أيضاً ليهتدي الناس بها في الليل كما قال تعالى: " وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " ١٦ النحل. وكذلك زين الله تعالى السماء بالنجوم وحفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع للملأ الأعلى كما قال تعالى: " وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " ١٢ فصلت. ومواقع النجوم زيادة على فائدتها من الزينة للسماء والإضاءة وليهتدي بها المسافر في سفره وحفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع للملأ الأعلى فهي حجة ومعجزة من خلال رفعها إلى مكانها في السماء وكل نجم في موقعه وموضعه ولا يستطيع ذلك أحد من البشر أو الخلق وهذا يدل على أن الله تعالى هو الخالق للكون وحده {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ} وإنه ليمين وقسم وحتى لو لم يقسم الله تعالى به {لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} أي هذا القسم بمواقع النجوم عظيم وقدرة الله تعالى أعظم وأكبر حيث تدل هذه النجوم بمواقعها على قدرة الله

تعالى في رفعه للنجوم إلى السماء فلا أحد من الخلق يستطيع ذلك ويستطيع أن يصل إلى النجوم ليرفعها ويضعها في مكانها غير الله تعالى وهذا هو سر عظمة القسم بمواقع النجوم {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} فالذي رفع النجوم إلى السماء ووضعها في مكانها ومدارها هو الذي أنزل القرآن الكريم والعظيم والعزيز والجليل والثمين حيث يدعو إلى مكارم الأخلاق وأفضلها وأحسنها ويدعو الناس للجنة ونعيمها ويحذر من النار وعذابها هو الذي أنزل هذا القرآن الكريم على رسولنا الكريم ذي الخلق العظيم {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} أصله في اللوح المحفوظ محفوظ ومكنون كما قال تعالى: " بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ {٢١} فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {٢٢} " ٢٢، ٢١ البروج. وفي كتاب مكنون كذلك أي القرآن محفوظ في كتابه كما قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر. {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} القرآن نزل بواسطة جبريل عليه السلام مقروءاً وليس مكتوباً ولا محمولاً كما قال تبارك وتعالى: " لَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانُكَ لِنَتَّعَجَلَ بِهِ {١٦} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {١٨} " ١٨-١٦ القيامة. وكما قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً " ٣٢ الفرقان. وكذلك لم ينزل القرآن للملائكة بل نزل للثقلين للعمل به لقوله تبارك وتعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " ٥٦ الذاريات. وقال تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ " ٢٩ الأحقاف. وقال تعالى: " قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا {٢} " ٢، ١ الجن. ولم يُرسل القرآن للملائكة لأن الملائكة خُلِقوا للعبادة ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزاوجون

ولا يتناسلون ولا ينامون ولا يموتون إلى يوم القيامة فالقرآن موجه للمسلمين بعبادة الله وحده لا شريك له واتباع أوامره واجتناب نواهيه وهم المقصودون بهذه الآية " لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " للأسباب الآتية: أولاً أن القرآن هو كلام الله تعالى ويجب تكريمه واحترامه وتصديقه وثانياً أن سلاح المؤمن وضوؤه حتى لا يقرب الشيطان كاتبه أو قارئه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويحفظه الله تعالى من النقص والزيادة والتبديل والتغيير والنسيان من الشيطان الرجيم وثالثاً حتى يدل أن القرآن هو حق وصدق وللتأكيد على حقيقته لأن الله تعالى قد أمر وطلب منا ذلك وهو كلام الله تعالى وليس بقول شاعر ولا كاهن ولا ساحر كما قال تعالى: " وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ " ١٠٥ الإسراء. ورابعاً أن هذا هو السبب في منع الحائض والجنب من الصلاة لأن الصلاة لا تتم إلا بقراءة القرآن والله تعالى أمر بأن لا يمسه ولا يقرؤه الحائض أو الجنب وهذا هو سبب منع الحائض من القيام بالصلاة. وعليه فعلى من يمسه أن يكون مطهراً من الحدث الأصغر والأكبر وذلك تكريماً للقرآن وتعظيماً لشأنه فهو كتاب مبارك لقوله تعالى: " وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ١٥٥ الأنعام. إلا لعذر شرعي كمن هو في دار التعليم فللضرورة لا بأس من مسه وحمله بواسطة شيء كالقمماش ونحوه للمحدث الحدث الأصغر وليس الحدث الأكبر لقوله تعالى: " ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " ٣٢ الحج. ويجوز للجنب والحائض أن تقرأ البسملة فقط لبركتها وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (لا يقرأ القرآن حائض ولا جنب ولا تسافروا بالقرآن إلى بلد العدو). [خزينة الأسرار ص ٤٩، ص ٥٣]. وفي قصة إسلام عمر ما يدل على أنه لا يمسه إلا المطهرون وذلك في طلب فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر في قصة إسلامه أن يغتسل لأنه لا يمسه إلا المطهرون قال ابن

إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر؟ فقال أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال وأي أهل بيتي؟ قال حَتُّكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتْنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها " طه " يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له ما سمعت شيئاً قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بخَتْنه سعيد

ابن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ف ضربها فشجّها فلما فعل ذلك قالت له أخته وحْتَنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بالهتة ليردنها إذا قرأها إليها فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها " طه " فقرأها فلما قرأ منها صدراً قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له يا عمر والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب. فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ف ضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر ابن الخطاب متوشحاً بالسيف فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ حُجْزته أو بمجمع رداءه ثم جبذه به جبذةً شديدةً وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعةً فقال

عمر يا رسول الله جئتكَ لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عَزَّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٧-٣٧١]. {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} نزل القرآن الكريم والعظيم من الله تعالى رب العالمين كلهم ورب الأرباب ورب الخلق ورب العوالم كلها رب الدنيا والآخرة ورب أي خالق العوالم كلها وخالق الكون كله وما فيه من عوالم الجن والإنس والملائكة والحيوانات والطيور والحيتان وغيرها {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ} فهل بهذا الحديث وبهذا القول وبهذا الكلام الذي يتحدث الله تعالى به إليكم في كتابه الكريم وفي قرآنه {أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ} أنتم مكذبون ولا تصدقون وتنافقون {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} أي رأس مالكم وهمكم ولم تُرزقوا من ذلك كله إلا {أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ} تكذيبكم للقرآن وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ جُحُوداً وَكِبَرًا وَعِنَاداً وَتَكْذِيباً وَلَا تصدقون به.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَحَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ} فلو إذا بلغت الروح عند النزاع إلى الحلقوم أي الغرغرة وهو سكرات الموت أي حتى إذا بلغت الروح حلقوم الإنسان أي منتصف رقبتة وهو حلق بني آدم وتسمى تفاحة آدم أي إلى حنجرتة وهي التي يخرج منها الصوت عند الكلام وهذا يعني أنه في النزاع الأخير في آخر لحظة من حياته وهي الغرغرة وهي آخر سكرات الموت والغيوبة التامة والكاملة والموت المحقق {وَأَنْتُمْ} أنتم جميعاً أيها الناس {حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ} وأنتم في تلك الساعة وتلك اللحظة تنظرون إلى الشخص الذي يموت وهو في آخر نفس وآخر رمق وفي سكرات الموت وأنتم تنظرونه وتشاهدونه وهو يموت {وَحَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ} يكون الله تعالى وملائكته ملائكة الموت أقرب إليه حيث الملائكة تعالج الروح وتسلمها من الجسم بأمر الله تعالى وتكون أقرب إليه منكم أيها الناس جميعاً {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} ولكن لا تبصرون ولا ترون ولا تشاهدون الملائكة وهم يقبضون روحه ويعالجونها وإن كانت صالحة سلوها كما تُسل الشعرة من العجين برفق وإن كان من المغضوب عليهم والعصاة والكفار نزعوها بدون رحمة كما ينزعون السفود من القطن أو من الصوف المبلول {فَلَوْلَا} أفلا {إِنْ كُنْتُمْ} إن كنتم تزعمون أنكم {غَيْرَ مَدِينِينَ} غير محاسبين كما قال تبارك وتعالى: " أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ " ٥٣ الصافات. {تَرْجِعُونَهَا} فأرجعوا الروح إلى الجسد بعد الموت ثانية وهي كما قال إبراهيم عليه السلام للنمرود: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ

الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " لأنه لا يستطيع ذلك وهكذا يقول الله تعالى إن كنتم غير مصدقين بالبعث والحساب وتنكرون خلق الله تعالى لكم وأنكم لا تحتاجون له فأعيدوا الروح ثانية للجسد بعد موتها وهيئات حتى يلج الجمل في سم الخياط وحتى يعود اللبن في الضرع وهذا تكذيب لهم وتقريع وتوبيخ لهم لكذبهم وعدم تصديقهم بالله تعالى وأنه هو الخالق وأنه هو المحيي والمميت وسيحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في عدم تصديقكم بأن الله تعالى هو الخالق وأنه المحيي والمميت وأنه سيحاسبكم على أعمالكم يوم القيامة.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿

{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} فأما إن كان الميت من المقربين إلى الله تعالى أي من أولياء الله تعالى وقد ذكرهم الله تعالى بآيات مفصلة كما قال تبارك وتعالى: " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٢} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {٦٣} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {٦٤} " ٦٢-٦٤ يونس. والقرآن الكريم يؤيد بعضه بعضاً وقال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ {٣٠} نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ {٣١} " ٣٠، ٣١ فصلت. والمقربون هم المقربون إلى الله تعالى بأداء الفرائض من صلاة وزكاة وصوم وحج وترك المحرمات من زنى وسرقة وقتل وعقوق للوالدين والعمل بالطاعات وصلة الأرحام والازدياد من الطاعة والنوافل والذكر والتسبيح والصدقات حتى كانوا من أولياء الله تعالى ومن المقربين وكما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل [وهو القطب] فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل مكانه من العامة). وقال الياضي رحمه الله عن بعضهم لم يذكر قلب النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى لم يخلق أشرف من قلبه وهو كالشمس عند الكواكب. [نزهة المجالس ص ٧٥]. ولهذا فإن الله تعالى برحمته لم يترك الأرض بدونهم لأنهم مصابيح في الأرض ولأنهم رحمة للناس يرحم الله تعالى بهم خلقه قال صلى الله عليه وسلم: (لولا صبيان رضع وبهائم رتع وعباد ركع لصب عليكم العذاب صباً). [خزينة الأسرار ص ١٢٩]. وعن قتادة عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأبدال في أمتي ثلاثون بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون) وقال قتادة إنني لأرجو أن يكون

الحسن منهم. [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٣]. {فَرَوْحٌ} بهجة وهناء وسرور وراحة نفس وهي النفس المطمئنة {وَرَسْحَانٌ} تأتي له الملائكة بالرياحين من الجنة يشم عطر ريحها حتى يسعد ويفرح بقاء ربه عند موته {وَجَنَّتْ نَعِيمٍ} أي يبشر بالجنة ونعيمها الدائم ويعرف نفسه أنه من أهلها. قال أبو الدرداء سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية " لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " فقال: (ما سألتني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له واعلم أن المرء لا يموت حتى يعلم إلى أين مصيره). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٩ في الهامش]. {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أما إن كان هذا الميت من أصحاب اليمين أي من المؤمنين الذين هم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وهم كثيرون وهم الذين يؤدون الفرائض ويجتنبون المحرمات ومكانتهم في الجنة على قدر أعمالهم منها {فَسَلِّمُوا لَهُمْ} تحية لك والعاقبة لك أن تكون مثلهم {مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} فهم يهدون لك التحية والسلام ويا ليت مصيرك مثلهم فهم يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة. وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليُصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٣]. قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم البكري حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الحبطي وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل لملك الموت انطلق إلى وليي فأنتني به فإني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب انتني به فلأريحنه. فينطلق

إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة فإن نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبي أهله إذا بكى وإن أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشاً قال وتبرز الروح قال البرساني يريد أن تخرج من العجل إلى ما تحب قال ويقول ملك الموت اخرجي يا أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال ولملك الموت أشدّ به لطفاً من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه فهو يلتمس بلطفه تحبباً لديه رضاء للرب عنه فتسلّ روحه كما تسلّ الشعرة من العجين قال وقال الله عز وجل: " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ " وقال " فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ " قال روح من جهة الموت وريحان يُتلقى به وجنة نعيم تقابله قال فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عني خيراً فقد كنت سريعاً بي إلى طاعة الله بطيئاً بي عن معصية الله فقد نجيت وأنجيت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فإذا قبض ملك الموت روحه أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بني آدم وحنوط قبل حنوط بني آدم ويقوم من بين باب بيته إلى قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع

منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون إن هذا كان عبداً معصوماً قال فإذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة كل يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فإذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش خرّ الروح ساجداً قال يقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال فإذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجله وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فيبعث الله عز وجل عنقاً من العذاب قال فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة وراءك والله ما زال دائماً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجله فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد مساعاً إلا وجد ولي الله قد أخذ جنته [أي وقايته] قال فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الأعمال أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أنني نظرت ما عندكم فإن عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذ أجزتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان قال ويبث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصيافي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فيجلس فيستوي جالساً قال وتقع أكفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال قالوا يا رسول الله ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت

تصف من المَلَكِينَ ما تصف؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ " قال فيقول ربي الله وحده لا شريك له وديني الإسلام الذي دانت به الملائكة ونبيي محمد خاتم النبيين قال فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعاً وعن يمينه أربعين ذراعاً وعن شماله أربعين ذراعاً ومن خلفه أربعين ذراعاً ومن عند رأسه أربعين ذراعاً ومن عند رجله أربعين ذراعاً قال فيوسعان له مائتي ذراع قال البرساني فأحسبه وأربعين ذراعاً تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له ولي الله هذا منزلك إذ أطعت الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان ولي الله نجوت آخر ما عليك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً قال فقالت عائشة يفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله عز وجل. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٣٦].

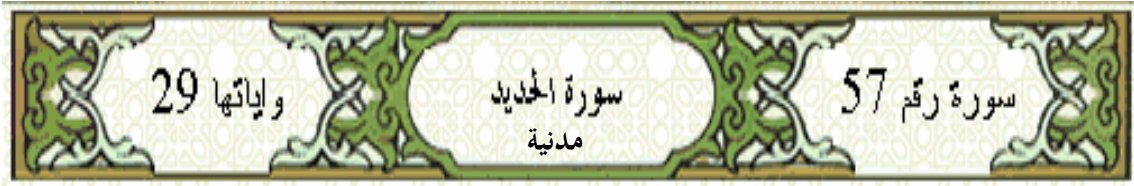
﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةً حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ} وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث والنشور وبيوم القيامة وبالرسل وبالقرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه ومن الضالين الذين ضلوا عن الهدى وتاهوا عن طريق الرشاد والإيمان وابتعدوا عن الإسلام بغيهم وضلالهم وكفرهم وشركهم وغيهم وعنادهم {فَنُزِّلُ} فمَنْزِلٌ حيث ينزلون منزلاً {مِنْ حَمِيمٍ} يصب على رؤوسهم الحميم وهو الماء المغلي {وَتَصْلِيَةً} والحرق {حَمِيمٍ} في نار جهنم وجحيمها وعذابها وويلها وثبورها {إِنَّ هَذَا} إن هذا العذاب يوم القيامة {هُوَ حَقُّ} لهو حق وصواب وصدق {الْيَقِينِ} التأكد من الحقيقة عياناً وهو الحق والصدق ولا مربة ولا كذب ولا غموض فيه بل حقيقة ظاهرة ومؤكدة. وتكملة لحديث ملك الموت والمقربين نكمل هنا باقي الحديث فبالإسناد المتقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ويقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى عدوي فأنتني به فإنني قد بسطت له رزقي ويسرت له نعمتي فأبى إلا معصيتي فأنتني به لأنتقم منه قال فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط له اثنا عشر عيناً ومعه سفود من النار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعهم سياط من نار لينها لين الشياطين وهي نار تأجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق وظفر قال ثم يلويه لياً شديداً قال فينزع روحه من أظفار قدميه قال فيلقاها في عقبه قال فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال وتضرب الملائكة وجهه ودُّبْرَهُ بتلك السياط قال فيشده ملك الموت شدة فينزع روحه من

عقبه فيلقيا في ركبتيه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك الشياطين قال فيشده ملك الموت شدة فينزع روحه من ركبتيه فيلقيا في حقويه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك الشياطين قال كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم حتى ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرجي أيتها الروح اللعينة إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم قال فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد جزاك الله عني شراً فقد كنت سريعاً بي إلى معصية الله بطيئاً بي عن طاعة الله فقد هلكت وأهلك قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها وتنطلق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبداً من ولد آدم النار قال فإذا وُضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حتى تدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى قال ويبعث الله إليه أفاعي دهماً كأعناق الإبل يأخذن بأذنيه وإبهامي قدميه فيقرضنه حتى يلتقين في وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنبياهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبتي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس فيستوي جالساً وتقع أكفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول لا أدري فيقولان لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطاير شررها في قبره ثم يعودان قال فيقولان انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان عدو الله هذا منزلك لو أطعت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي

بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا تترد أبداً قال ويقولان له انظر تحتك فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار فيقولان عدو الله هذا منزلك إذ عصيت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا تترد أبداً قال وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٣٧]. وهذا الحديث من أعظم الأحاديث وأوضحها شرحاً وبياناً وجمع فيه ما خفي وهذا من الفوائد ما يجب أن يُعلم للناس وطلاب المدارس لفهمه ومعرفته كملاً للمنفعة ومعرفة حقيقة ما بعد الموت وما في البرزخ. {فَسَبِّحْ} نزه الله تعالى عن كل سوء وما لا ينبغي له ولا يليق {بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} سبح الله تعالى وهو ربك العظيم والكبير والجليل. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقي حدثني إياس ابن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ " قال: (اجعلوها في ركوعكم) ولما نزلت: " سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم). [وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى ابن أيوب به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٥]. وأخرج الطبراني في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا

أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٩]. وقال سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - الكلم الطيب ص ٥]. وعن أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا صليتني الصبح فقولني ثلاثاً سبحان الله العظيم وبحمده تعافي من العمى والجذام والغالج). [رواه الإمام أحمد - نزهة المجالس ج ١ ص ٩٦].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي
الَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

{سَبَّحَ لِلَّهِ} نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ قَبْحٍ وَسُوءٍ وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ.
والتسبيح هنا كلمة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم قال البخاري في آخر
كتابه: حدثنا أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع
عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم). [ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل
بإسناده مثله - ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١]. وقال روح بن عباد: حدثنا حجاج
الصواف عن أبي الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة). [ابن
كثير ج ٤ ص ٣٠١]. وفي الصحيحين: (من قال مرة واحدة سبحان الله وبحمده

غرست له نخلة في الجنة). وفي صحيح مسلم: (من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر). وأخرج الطبراني في الأوسط والخراطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان آخر يومه عتيق الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٩]. وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا صليت الصبح فقلولي ثلاثاً سبحان الله العظيم وبحمده تعافى من العمى والجذام والفالج) رواه الإمام أحمد. [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٦]. وقال سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - الكلم الطيب ص ٥]. {مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهذا التسبيح يسبح الله تعالى به ما في السموات من ملائكة وما في الأرض من إنس وجان وحيوان وشجر وحجر ومدر وكما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وقال أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصي فسبح في يده حتى سمعنا التسبيح. [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٥ في الهامش]. وعن ابن مسعود قال: كنا نأكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيحه. [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٥ في الهامش]. {وَهُوَ الْعَزِيزُ} منيع الجانب والقوي في ملكه {الْحَكِيمُ} حكيم في ملكه وفي خلقه ومدبر الكون بحكمته وقدرته ومشيتته وتدبيره سبحانه علم كل شيء بدون تعلم وشؤونه يبيديها ولا يبتديها فهو مدبر الكون ولا يشغله شأن عن شأن ولا تأخذه سنة ولا نوم وسبحانه أتقن كل شيء

صنعاً ولا يخطئ أبداً {لَهُ} لله تعالى وحده {مُلْكُ} ملكية وحكم وتصريف
{السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ملك وحكم السموات وما فيهن من الملائكة والأرض وما فيها
وما بينهما كما قال تعالى: " إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ
عَبْدًا " ٩٣ مريم. {تُحْيِـ} أي يخلق من العدم حياة جديدة فهو يحييه أولاً من
العدم ثم بعد موته يحييه ثانياً بعد أن كان رميماً وعظاماً نخرة {وَيُمِيتُ} يميت
الأحياء من المخلوقات بعد أن دبَّت فيها الحياة فلا يبقى أحد مخلداً في الدنيا
حتى الملائكة يوم القيامة يموتون {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
شأنه هو {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قادر على كل شيء من خلق وإحياء وموت إنما
أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره
وعلا شأنه {الْأَوَّلُ} ليس قبله شيء سبحانه الواحد الذي ليس غيره إله سبحانه
القديم الذي لا بادئ له {وَالْآخِرُ} وهو الدائم الذي ليس بعده شيء سبحانه الدائم
الذي لا نفاذ له {وَالظَّاهِرُ} ليس فوقه شيء والظاهر بأفعاله وبمخلوقاته وبكونه
الذي يُرى من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وبحار وأنهار وأشجار وحيوانات
وطيور وإنس وجن وحيتان وبراري ووديان وقفار وجبال وسحاب وأمطار ورياح
{وَالْبَاطِنُ} ليس دونه شيء والباطن بأسراره وعلمه وبمخلوقاته وجنته وناره يرى
السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. والذي لا يعلم حقيقته إلا هو
جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فهو علام الغيوب ويعلم
السر وأخفى سبحانه الذي علم كل شيء بغير تعلم ويعلم غيب السموات والأرض
ومتى تقوم الساعة وكما قال تعالى كذلك: "الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" ١-٤ الرحمن. قال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً

والباطن على كل شيء علماً. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٢]. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك: " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلاكما) قالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم) وأنزل الله فيما سأله عنه من ذلك قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ " الآية. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥١]. وروى مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر). [وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٢]. {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ} خلق الله تعالى السموات السبع وما فيهن والأرضين وما فيهن في ستة أيام من أيام الدنيا لكن كل يوم منها عند الله تعالى بألف سنة مما تعدون وكما قال تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" ه السجدة. وقال تعالى: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" ٤٧ الحج. والسنة تعادل اثني

عشر شهراً كما قال تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ" ٣٦ التوبة. قال النسائي: حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي فقال: (إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقها من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها ومن أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٧]. وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد ابن حميد وغير واحد حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون ما هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم قال: (هذا العنان هذه زوايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه) ثم قال: (هل تدرون ما فوقكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنما الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف). ثم قال: (هل تدرون كم بينكم وبينها) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (بينكم وبينها خمسمائة سنة) ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن فوق ذلك سماء بُعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض) ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بُعد ما بين

السماءين) ثم قال: (هل تدرون ما الذي تحتكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنها الأرض) ثم قال: (هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة) ثم قال: (والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلي لهبط على الله تعالى) ثم قرأ: "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣]. قال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد: قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة " قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيُسَائِلِينَ " لمن سألته قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة) ثم قالت اليهود ثم ماذا يا خالد؟ قال: (ثم استوى على العرش) قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح. فغضب النبي صلى الله عليه وآله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم غضباً شديداً فنزل: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٩٤]. {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ} يعلم الله تعالى ويعرف وقد أحاط

بكل شيء علماً بكل شيء يدخل في الأرض من نبات ومن حب ومن شجر ومن ماء
ومن قطرات المطر ومن الحيوانات والزواحف والحشرات وما يسكن بها من جن
وإنس ومن جميع المخلوقات فهو يعلم ويدري ويعرف بكل ما يدخل فيها وما يلج
فيها وما ينزل فيها وما يعيش عليها وما يلتجئ إليها وما بها من معادن وبتترول
وأحجار وصخور ورمال {وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا} وما يخرج منها من نبات ومحصول
وحبوب وثمار وفواكه ونباتات وأشجار ومعادن وبتترول وفحم وما يخرج منها من
صناعات وما يخرج من باطنها من ماء عيون أو أنهار أو بحار أو حيتان أو جن أو
إنسان وما يخرج منها من زلازل وبراكين وما يخرج منها من مخلوقات لا يعلمها
إلا الله تعالى {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من مطر وملائكة ومن كتب سماوية وأوامر
ونواهي وخلافه {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} وما يصعد إليها ويدخلها من ملائكة ومن أرواح
الشهداء والصالحين والأنبياء والكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والدعوات
الصالحات التي ليس بينها وبين الله حجاب وخاصة دعوة المظلوم {وَهُوَ مَعَكُمْ}
الله تعالى دائماً حاضر معكم يراكم ويسمعكم ويشاهدكم {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} أين ما كنتم
وأينما حللتم في بر أو بحر أو جو في سفر وحضر أو في خلوة فهو يشاهدكم ويسمعكم
ويسمع سرهم ونجواهم {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} والله بما تعملون في الدنيا من
أعمال سواء خيراً أو شراً سواء طاعة أو معصية فالله بها بصير يراها ويعلمها
ومطلع عليها ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء {لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ} فالله تعالى له وحده ملك وملكية وحكم وميراث السموات والأرض ومن
فيهن وما بينهما فهو الخالق وحده وهو المالك لهما وحده وهو الحاكم وحده وهو
المحيي والمميت فيها وحده وهو على كل شيء قدير وحده {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُورُ} والأمر كله راجع لله وحده ولتصرفه في كونه وحده فهو المحيي والمميت والرازق والمقدر والخالق والبارئ والمصور والشافي والممرض وهو وحده بيده مقاليد وحكم السموات والأرض وتسخير الرياح والأمطار والزلازل وغير ذلك بحكمته ومشيئته وإرادته وقدرته وقوته {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} يربط ما بينهما ويتعاقبان الليل والنهار فتارة يولج الليل في النهار أي يدخل الليل في النهار مترابطين ومتعاقبين ويدوران خلف بعضهما {وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} أي يدخل النهار في الليل مترابطين ومتعاقبين ويدوران خلف بعضهما وهذا الدوران والتعاقب هو بقدرة الله تعالى وحده وبإرادته ومشيئته وبعلمه وبحكمته {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وهو الله تعالى عليم ومحيط ويدري ويعرف ويعلم ما بداخل الصدور وأسرارها وخفائها وما يدور في خلجها من خير أو شر من إيمان وكفر من تقوى وصلاح ومن غي وفجور فهو يعلم السر وما يخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أحسن ما خصك به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما ظننت أن أحداً يسألني عن هذا - ثم قال إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقراً من أول سورة الحديد ست آيات وهي: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" إلى قوله تعالى: "بِذَاتِ الصُّدُورِ" وآخر سورة الحشر: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ" إلى قوله تعالى: "الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" ثم يقول: اللهم يا من هو واحد أحد ولا يزال بذلك ولا يكون كذلك أحد غيره افعَلْ بي كذا وكذا فإنه يكون ذلك والله على كل شيء قدير. وهذا الدعاء الذي رد بصر جدة الحسن ابن سالم رحمه الله قال كانت لي جدة وأتاها آت وقال أتريدين أن يرجع بصرك لك؟ قالت نعم قال لها ارفعي يدك إلى السماء وادعي بهذا الدعاء وامسحي على رأسك ففعلت فرجع بصرها أقوى ما كان.

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾

{ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} آمنوا وصدقوا واعتقدوا بالله أنه وحده لا شريك له وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت وآمنوا وصدقوا بما جاءكم به رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن بأن الله حق والجنة حق والنار حق والموت حق والبعث حق والجزاء والحساب يوم القيامة حق {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} أنفقوا وتصدقوا فيما جعلكم الله ورثة له من مال وزروع وثمار حيث كان لغيركم وورثكم إياه وسيكون ميراثاً لغيركم فاعتبروا وأنفقوا منه وتصدقوا قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال {فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ} فالذين اعتبروا وصدقوا وآمنوا بالله وصدقوا بأن الله وحده لا شريك له وآمنوا وصدقوا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما جاءهم به هو الحق والصدق من عند ربهم {وَأَنْفِقُوا} وتصدقوا من خير وأفضل ما عندهم من ثمار ومال {لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} لهم عند الله يوم القيامة ثواب وأجر على عملهم كبير وعظيم يوم القيامة وهو الجنة. ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. {وَمَا لَكُمْ} ولماذا {لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} لا تؤمنون وتصدقون بالله أنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {وَالرَّسُولُ}

والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَدْعُوكُمْ} يطلب منكم {لِتُؤْمِنُوا
بِرَبِّكُمْ} لتؤمنوا بربكم وتصدقوا به وتعبدوه حق عبادته ولا تولوا مدبرين مكذبين
{وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} أخذ العهود منكم وأنتم ذر في ظهر أبيكم آدم وقال لكم
ألست بربكم قلتم بلى {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مصدقين بالله أنه ربكم وخالقكم
وأنه هو الرازق والمحيي والمميت {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
شأنه {الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ} الذي ينزل على عبده سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم {ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ} القرآن الكريم وفيه آيات بينات تبين الحق من الضلال
والهدى والرشاد من الباطل والغي والكفر والشرك وتبين وتوضح الحكم الشرعي
الواضح البين الجلي وتبين البراهين والحجج الواضحات على أن الله حق والرسول
عليه الصلاة والسلام حق ويوم القيامة حق والبعث والجزاء والحساب حق والجنة
والنار حق {لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} ليخرجكم وينقذكم من ظلمات
الجهل والكفر والشرك إلى نور الحق والهدى والرشاد والإيمان والإسلام {وَإِنَّ اللَّهَ
بِكُمْ لَرءُوفٌ} وإن الله تعالى بكم أيها الناس جميعاً رؤوف يرأف بكم ولا يريد لكم
العذاب فاعبدوه وأطيعوه {رَحِيمٌ} أي يرحم يوم القيامة من آمن به وصدق برسوله
وبما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى والحق.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ مِّنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ ﴿٢﴾

{وَمَا لَكُمْ} ولماذا {أَلَّا تُنْفِقُوا} أي لا تتصدقون من أموالكم ولا تنفقون وتصرفون أموالكم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في سبيل نصر الله تعالى في الجهاد وفي جميع أعمال الخير والبر من بناء مساجد ومدارس ودور علم ومستشفيات وغيرها مما هو في سبيل الله أي في الطريق الذي يرضي الله تعالى سواء الجهاد أو أعمال الخير وأعمال البر ودور العلم والمساجد {وَلِلَّهِ} والله تعالى وحده {مِيرَاثُ} ملك وحكم {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السموات والأرض وما فيهن وما بينهن لأنه هو الخالق وهو المدبر وهو المالك لهما {لَا يَسْتَوِي} لا يتساوى ولا يتعادل ولا يتكافأ {مِنْكُمْ} أيها المسلمون {مَنْ أَنْفَقَ} من أنفق أمواله وتصدق بها في سبيل الله {مِن قَبْلِ الْفَتْحِ} من قبل الفتح على المسلمين بالنصر والعز والجاه والمنعة والسؤدد وهو فتح مكة حيث أصبح كل أهل قريش مسلمين ودخلوا في الإسلام بعد فتح مكة {وَقَتْلَ} وجاهد وقاتل الأعداء والكفار والمشركين {أَوْلِيَّكَ} الذين دخلوا الإسلام قبل فتح مكة وقبل نصرته رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وظهوره على كفار قريش {أَعْظَمُ} أكبر {دَرَجَةً} منزلة عند الله تعالى {مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا} من الذين أنفقوا أموالهم وتصدقوا بها في سبيل الله تعالى {مِن بَعْدُ} من بعد الفتح والنصر على كفار قريش وفتح مكة للمسلمين {وَقَتَلُوا} وجاهدوا الكفار بعد فتح مكة فالذين أسلموا

وجاهدوا قبل فتح مكة للمسلمين هم أعظم وأكبر درجة ومنزلة عند الله تعالى من الذين أسلموا بعدها وقاتلوا بعدها وجاهدوا {وَكُلًّا} وكلا الطرفين الذين أسلموا قبل فتح مكة وجاهدوا الأعداء والذين أسلموا بعد فتح مكة وقاتلوا الأعداء {وَعَدَ اللَّهُ} وعدهم الله جميعاً {الْحُسْنَى} وهي الجنة وهي أحسن وأفضل من أعمالهم حيث هي جزاء وثواب ونعيم مقيم ودائم {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} والله بما تعملون وتفعلون وتصنعون {خَبِيرٌ} خبير وعليم ومطلع على أعمالهم وجميع شؤونهم ولا يغيب عنه شيء من أحوالهم {مَنْ ذَا} من يكون {الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ} الذي يقدم قرضاً لعباد الله تعالى وكأنه يقرض الله تعالى حيث الناس عيال الله تعالى {قَرْضًا حَسَنًا} أي يقرض الناس المال وحسناً أي طيباً وهو أن يصبر عليهم للأجل وبعده لا يضايقهم ولا يأخذ على ذلك جزاءً بل لوجه الله تعالى ولمرضاته {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} أي يزيد له الثواب أضعافاً مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد لمن يشاء {وَلَهُ} وللمقرض القرض الحسن والصبر الطيب على مدة انقضاء الأجل وبعده فزيادة له من الله تعالى {أَجْرٌ} ثواب {كَرِيمٌ} طيب وهو الجنة يوم القيامة خالداً مخلداً فيها ونعيم مقيم ودائم بها ونعم أجر العاملين. قال ابن جرير: حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد ابن أسلم عن أبي سعيد التمار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم) قلنا من هم يا رسول الله؟ قريش؟ قال: (هم أرق أفئدة وألين قلوباً) وأشار بيده إلى اليمن فقال: (هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية) فقلنا يا رسول الله هم خير منا؟ قال: (والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مدّاً أحدكم ولا

نصيفه) ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال: (ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس " لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٦].

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالْمُتَنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٥)

{يَوْمَ} يوم القيامة {تَرَى} تنظر بعينك وتشاهد {الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} وهم من آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وبالיום الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الرجال والنساء {يَسْعَى نُورُهُمْ} يسير ويمشي أمامهم ويضيء لهم الطريق وهو نور من الله تعالى يعطيه المؤمنين يوم القيامة مكافأة لهم على طاعتهم لله تعالى وعلى صبرهم عن محارم الله تعالى {بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أمامهم يسر ويضيء على الصراط يوم القيامة حيث يكون الصراط مظلم لا يرى الرجل أصبعه عليه من شدة الظلمة {وَبِأَيْمَانِهِمْ} أي ونورهم يكون كذلك عن ميمنتهم والنور الذي أمامهم يضيء لهم الطريق على الصراط المستقيم الذي هو أرق من الشعرة وأحد من السيف لأنه يكون

على الصراط ظلمة لا يُرى منها شيء ولذلك هذا النور يجعله الله تعالى للمؤمن حتى يرى الطريق ولا يقع لأن تحته جهنم وأما النور الذي على اليمين هو نور يضيء لهم حيث توجد كتبهم بأيديهم اليمنى فتضيء لهم حتى يطمئن المؤمن وهو على الصراط فيرى كتابه بيمينه فيسر ويطمئن ويذهب همه وغمه وخوفه وذلك كرامة وبشرى للمؤمن وهو على الصراط. قال ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد ابن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم) فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: (أعرفهم مُحجّلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يُؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٨]. {بُشِّرْكُمْ} تبشرهم الملائكة {الْيَوْمَ} في يوم القيامة {جَنَّاتٍ} تبشرهم بالجنة وقال جنات لأن الجنان ثمانية وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار وكل على حسب عمله تكون منزلته في الجنة. وفي الصحيحين: (إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم) قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء؟ قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة ما بين

كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠].

{تَجْرَى} أي تسير وتمشي باستمرار وعلى الدوام {مِنْ تَحْتِهَا} من خلالها ومن تحت قصورها {الْأَنْهَارُ} جمع نهر وهي أربعة كما قال تعالى: " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى " ١٥ محمد. {خَالِدِينَ فِيهَا} أي دائمين مخلدين في الجنة {ذَلِكَ} هذا {هُوَ الْفَوْزُ} هو الفوز والنجاح والأمل والمطلب ونيل المطلوب وهو الجنة لأنه نالها وحصل عليها كمن يفوز بالجائزة {الْعَظِيمُ} الكبير {يَوْمَ} يوم القيامة {يَقُولُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ} يقول المنافقون من الرجال والمنافقات من النساء وهم من يظهرون كذباً بأنهم مؤمنون ويخفون كفرهم ونفاقهم وكذبهم وخداعهم عن المسلمين وهم يكذبون بالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم يُظهرون ما لا يبطنون وظاهرهم الإيمان وباطنهم التكذيب بالرسالة والكفر {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} يقولون للمؤمنين يوم القيامة وهم على الصراط المستقيم {أَنْظُرُونَا} انتظرونا وأعطونا {نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ} نأخذ منه ونقتدي به ونسير على ضوء نوركم حيث يسلبهم الله تعالى نورهم لنفاقهم وكفرهم وتكذيبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإعانتهم الكفار على المسلمين ظناً منهم أن الغلبة للكفار على المسلمين {قِيلَ} قال لهم المؤمنون {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} ارجعوا خلفكم ووراءكم ففتشوا وابحثوا عن النور لأنه يوزع هناك على الناس قبل الصراط. قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن عرفة وابن علوية العطار حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن

جريح عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً فإذا استنوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: " انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ " وقال المؤمنون: " رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا " فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً).

[ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٩]. {فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ} جعل بينهم وحجز بينهم {بِسُورٍ} بسد وحائط وسور أي يدور عليهم ومقفل {لَهُ بَابٌ} له باب لا يدخل منه إلى باطنه (داخله) إلا المؤمنون فقط ولا يسمح للمنافقين بدخوله {بَاطِنُهُ} داخله الموجود به المؤمنون وهو منطقة عازلة خارج الجنة تابعة للجنة وفي محيطها {فِيهِ الرَّحْمَةُ} فيه ملائكة الرحمة والهدوء والاطمئنان والأمان وبر السلامة لأن بعدها دخول الجنة {وَوَظَاهِرُهُ} وظاهر وخارج السور والسد والحائط والحاجز منطقة عازلة خارج جهنم وفي محيطها وفي الطريق إليها وهي منطقة تابعة لجهنم {مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} من قبله ملائكة العذاب وهي بداية منطقة العذاب لأن بعدها دخول جهنم {يُنَادُونَهُمْ} ينادي المنافقون على المؤمنين {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} ألم نكن قبل قليل معكم أي ألم نكن مع بعض قبل قليل فلماذا أصبح بيننا حاجز وسور وحائط وهم كأصحاب موسى عندما دخلوا البحر وانفلق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام ثم أقفل على فرعون وجنده وأغرقهم وهكذا السور الذي ضرب بين المؤمنين والمنافقين فقالوا لهم قبل قليل كنا معكم أليس كنا مع بعض {قَالُوا} قال لهم المؤمنون {بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ} نعم كنا مع بعض ولكن صار هذا السور بيننا وبينكم الآن لأنكم {فَتَنَتَّمُ أَنْفُسُكُمْ} أي غويتم أنفسكم بالنفاق والكفر وتكذيب الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم ونافقتم وكفرتم {وَتَرَبَّصْتُمُ} كنتم تتحينون الفرص وتنتظرون أن تدور دائرة السوء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه {وَأَرْتَبْتُمْ} وشككتكم وكذبتكم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشككتكم في الدين الإسلامي {وَعَرَّيْتُكُمْ} وخذلتكم {الْأَمَانِي} الأحلام {حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} حتى جاءكم الموت وجاءكم الحساب والعقاب {وَعَرَّيْتُكُمْ} وأغواكم {بِاللَّهِ} بمعصية الله تعالى والكفر به {الْغُرُورُ} كل مغرر بكم وكل من يغريكم سواء الشيطان من الجن أو شياطين الإنس {فَالْيَوْمَ} هذا اليوم وهو يوم القيامة {لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ} لا أحد يأخذ منكم فداء عن أنفسكم كما في الدنيا {وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولا من الكفار {مَأْوَانُكُمْ} مصيركم {النَّارُ} نار جهنم {هِيَ مَوْلَانُكُمْ} هي مصيركم {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} وساء وقبح منزلاً ومصيراً ومآلاً ونهاية.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

{أَلَمْ يَأْنِ} ألم يئن الأوان ولم يأتي الوقت بعد ولم يحن الزمن بعد؟! {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم المؤمنون بالله تعالى {أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ} تتوب وتتقي الله وتخافه وتتعظ وتهتدي وترجع عن الضلال والغي والفجور والمنكرات والمعاصي والذنوب والآثام وتعتبر وتتوب وتتعظ {لِلذِّكْرِ} لله {لَتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ} والذكر والتسبيح {وَمَا نَزَلَ} وما نزل من القرآن الكريم

{مِنَ الْحَقِّ} من الله تعالى من الحق والعدل والصدق والهدى والرشاد وهو الإيمان بالله تعالى واتباع دين الإسلام الذي هو حق ويهدي للحق والهدى والرشاد {وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ} ولا يكونوا مثل وشبيهه الذين {أُوتُوا الْكِتَابَ} وهم اليهود والنصارى وهم أصحاب الكتب السابقة فاليهود نزلت عليهم التوراة وكذبوها وغيروها والنصارى نزل عليهم الإنجيل فغيروه وبدلوه {مِن قَبْلُ} من قبلكم نزلت عليهم كتبهم {فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ} طال عليهم الزمن وطال عليهم الوقت وطال عمرهم فملّوا العبادة {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} ملّوا العبادة وقست قلوبهم وتحجرت وفسدت وضلت وعميت قلوبهم عن الحق فلا تقبل حقاً ولا تحبه ولا تهواه ولا تميل إليه ولا تستمع له فقلوبهم للحق قاسية متحجرة للحق كارهة وللباطل هاوية وملبية ومتجاوبة ومسرعة حيث قلوبهم قست وتحجرت وعميت وأقفلت فلا تسمع لنصيحة ولا تقبل موعظة {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ} وكثير من الناس ومن أهل الكتاب {فَسِيقُوتٌ} عاصون مذنبون والفسوق هو الإعلان عن المعصية {أَعْلَمُوا} تأكدوا علم اليقين أيها الناس عموماً {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى رب العالمين وخالق الكون كله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تُحْيِي الْأَرْضَ} يحييها بالنباتات والأشجار والحبوب والفواكه والثمار والحشائش بنزول المطر عليها {بَعْدَ مَوْتِهَا} بعد قحطها وجذبها لعدم نزول المطر وعدم وجود الماء لقوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " ٣٠ الأنبياء. {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ} وهكذا يحيي الله تعالى الموتى يوم القيامة وهكذا قد بينا ووضحنا لكم {الْآيَاتِ} البينات والدلالات الواضحات على ذلك

بإحياء الأرض بعد موتها {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لعلكم تعقلون ذلك وتفهمونه وتتعضون به.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

{إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ} إن الذين يبذلون أموالهم وينفقونها في سبيل الله وللفقراء والمحتاجين {وَأَقْرَضُوا اللَّهَ} أي تصدقوا بأموالهم في سبيل الله تعالى ومرضاة الله تعالى وطلباً لرضاه {قَرْضًا حَسَنًا} طيباً لا يريدون ممن تصدقوا عليهم لا جزاءً ولا شكوراً بل خالصاً لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته تعالى وإن كانت في السر فهي أفضل وأحسن. والقرض لله تعالى هو الإنفاق والتصدق بالمال ليدخره له يوم القيامة ويجده عند الله تعالى وحتى يثاب عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم {يُضَعْفُ لَهُمْ} أي يضاعف ويزيد فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد الله لمن يشاء {وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} ولهم أجر وثواب كريم وطيب وهو الجنة يوم القيامة وكريم لأنه يكرم المتصدق به فيدخل الجنة بسلام. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب

ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۖ وَالشُّهَدَآءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ﴾

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ} المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا به أنه هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ويبعثهم يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب ويدخل المؤمنون الجنة ويدخل العاصين والكفار النار {وَرُسُلِهِ} وآمنوا بجميع الرسل السابقين من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام ولا فرق بينهم فكلهم رسل الله تعالى وأنبيأؤه كما قال تعالى: " لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ " ٢٨٥ البقرة. وهذا الفرق بين المؤمنين وبين أهل الكتاب فنحن المؤمنين نؤمن بجميع الرسل ونحبهم ونصدقهم ورسول الله كلهم إخوة ونعلم أن موسى ابن عمران عليه السلام هو نبي الله ورسوله أرسله الله تعالى إلى اليهود بني إسرائيل وعيسى بن مريم عليه السلام هو نبي الله ورسوله أرسله إلى النصارى ولكنهم هم لا يصدقون ولا يؤمنون برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي الله ورسوله ولذلك قال تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ " أي الذين صدقوا بالله رباً وبرسوله جميعهم وهم أنبياء الله أرسلهم إلى أقوامهم بالرسالة منه سبحانه وتعالى {أُولَٰئِكَ هُمُ} هؤلاء هم {الصَّٰدِقُونَ} أي هم بمنزلة الصديقين وبمنزلة الشهداء لما لهم عند الله تعالى من منزلة حيث الصديقون هم أعلى المنازل بعد الأنبياء مثل مريم عليها السلام كانت صديقة وهي مرتبة الإيمان الكامل والتقوى والعمل الصالح {وَالشُّهَدَآءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ يوم القيامة يدخلون الجنة بدون حساب ويشفع الشهيد في سبعين من

أهل بيته وكذلك في الدنيا هم أحياء عند ربهم يرزقون وكما جاء في الصحيحين: (إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تريدون؟ فقالوا: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قُتِلنا أول مرة فقال إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون). [ابن كثير ج ٤ ص ٣١٢]. والرسول عليه الصلاة والسلام أكد هذه الآية بأن المؤمنين هم شهداء كما قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مؤمنو أمتي شهداء) قال ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ". [ابن كثير ج ٤ ص ٣١٢]. {لَهُمْ أَجْرُهُمْ} لهم ثوابهم وهو الجنة ويشفع الصديق في كثير والشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته {وَنُورُهُمْ} أي نورهم على الصراط ونورهم في الجنة يكون كبيراً. قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم [عرقهم] المسك ومجامرهم [بخورهم] الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء). [ابن كثير ج ٤ ص ٦٦]. {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الذين لم يؤمنوا بالله ولا برسوله وجحدوا بهم {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} كذبوا بالقرآن الكريم وبحجج الله تعالى ومعجزات رسله ولم يصدقوا

رسولهم {أُولَئِكَ} هؤلاء {أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} هم أهل نار جهنم والجحيم أي شديدة النار والالتهاب وشديدة العذاب والألم وهي نار جهنم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾﴾

{اعْلَمُوا} أيها الناس كافة أحيطوا أنفسكم علماً ومعرفة وتأكدوا واعلموا علم اليقين {أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} أن هذه الحياة الدنيا التي تعيشون فيها {لَعِبٌ} تلعبون فيها صغاراً وكباراً صغاراً بألعاب الورق والسيارات الصغيرة التي لعباً بالزنبرك [الزمبلك] أو البطاريات وتلعبون بطائرات الورق التي تطير مع الريح أو بالجري أو القفز وهكذا وكباراً بلعب كرة القدم والكرة الطائرة وكرة السلة والشطرنج والقفز والجري وكل ما هو لعب {وَهَوٌّ} واللهو هو أن يتلهى بالوقت فيذهب بدون فائدة ويريد أن يضيع وقته فيما يلهو ويمرر الوقت بسرعة بدون أن يدري {وَزِينَةٌ} كل شيء يتزين به أو يملكه فالسيارة زينة والبيت زينة والتلفزيون أو الشاشة المرئية وحتى الدواب والخيول والملابس كلها زينة والحلي زينة {وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ} هو التباهي بما عندكم {وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ} وجمع الكثير من الأموال والعقارات والتجارات والممتلكات {وَالْأَوْلَادِ} وكثرة وزيادة في الأولاد وعددهم كما قال تعالى: "أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا" ٣٤ الكهف. {كَمَثَلِ غَيْثٍ} مثل المطر عند نزوله بغزارة {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} يسر الكفار بمحصوله وكثرة النبات والزرع والثمار

والفواكه والحبوب أي يخصب في ذلك العام {ثُمَّ يَمْحُجُ} أي يزداد خضرة ونضارة وخصباً {فَتَرْنَهُ} بعدها {مُصْفَرًّا} أي يصفر لونه ويدبل {ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا} ثم يصير جافاً يابساً حطاماً أي يصبح تبناً تأكله المواشي أو يصير حطباً توقد النار به فبعد أن كان أخضراً حلواً زاهياً أصبح حطاماً مفتتاً ومكسراً وناشفاً وجافاً ويابساً وتبناً تأكله المواشي والحيوانات وهكذا الدنيا مثل النبات الأخضر في إقبالها ونعيمها وترفها ولهوها ولعبها وزينتها وشهواتها وملذاتها ثم تنتهي بالموت كما ينتهي النبات فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ولا ينفع الندم {وَفِي الْأَخِرَةِ} وفي يوم القيامة {عَذَابٌ شَدِيدٌ} عذاب شديد وأليم وعذاب في نار جهنم للكافر حيث عمل المعاصي والذنوب وكفر بالله ورسله وجحد الرسالات وكذب بالأنبياء والرسل وبكتبهم فله عذاب شديد وأليم وموجع في نار جهنم {وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ} ومغفرة لمن تاب من الناس فيتوب الله تعالى عليه {وَرِضْوَانٌ} ويرضى عنه ويدخله الجنة من آمن وعمل صالحاً وتاب ثم اهتدى {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وما هذه الحياة الدنيا - وسميت بالدنيا لدناءتها وحقارتها فإنها بالنسبة للآخرة لا تساوي شيئاً ولا جناح بعوضة {إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ} هذه الدنيا وملذاتها ونعيمها ما هي إلا متاع الغرور وتمتع المغرور الذي غرر به والمصدق بزخرفها ولعانها وبريقها وملذاتها وشهواتها وبطول بقائها وهي زائلة لا محالة والموت بعدها والجنة أو النار في انتظاره حسب ما قدم فيها.

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢١﴾

{سَابِقُوا} أي استعجلوا وقدموا بسرعة وتسابقوا {إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} إلى التوبة وتوبوا إلى الله تعالى ربكم وتوبوا إليه واستغفروه على ما قدمتم من ذنوب ومعصية وما قدمتم من زلات أي سارعوا إلى التوبة والندم لله تعالى على ما فرطتم في جنب الله تعالى من المعاصي والذنوب في حياتكم {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} وسابقوا وتسابقوا إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض إذا وصلت مع بعضهما البعض هذا عرضها فكيف بطولها {أُعِدَّتْ} حُضِرَتْ وَجُهِّزَتْ {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} للذين آمنوا وصدقوا بالله تعالى رباً وآمنوا برسول الله تعالى جميعهم ولا فرق عندهم بين أحد منهم فكلهم أنبياء وكلهم رسل الله تعالى وكلهم أرسلهم الله تعالى برسالاته وكتبه إلى أقوامهم {ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} ذلك فضل دخول الجنة يؤتيه الله تعالى لمن يشاء من عباده وهم المؤمنون بالله ورسوله {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الله هو المتفضل على الناس بالصحة والعافية والإيمان والإسلام وإدخال المؤمنين الجنة فهو فضل وكرم من الله تعالى لعباده المؤمنين.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ ﴾

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ} ما من مصيبة تصيب الإنسان وتحل به {فِي الْأَرْضِ} في أي مكان من الأرض من القحط والجذب أو الزلازل والبراكين أو الحروب والقتال أو الأمراض {وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ} من الأمراض أو الهموم أو الأحزان أو القتل أو الموت {إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} إلا مكتوبة ومسجلة على الناس من قبل أن تصيبهم أو تحل بهم أو تقع عليهم فهي مسجلة في اللوح المحفوظ من الأزل وقبل أن يخلق الخلق {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} إن علمها وتسجيلها وإخراجها في وقتها فتصيب من يشاء الله له ذلك كل هذا على الله تعالى يسير وسهل {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ} وذلك سجل عليكم من الأزل حتى لا تزعلوا ولا تحزنوا على ما فاتكم وما مضى لكم من موت أب أو أم أو قريب أو صديق أو عزيز لأن ذلك مقدر من الأزل ولهذا في الحديث أن من أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} لأنه قد يكون المال نقمة وليس نعمة كقارون خسف الله به وبداره الأرض ويؤتي الله الكفار الدنيا ليعزيهم بها يوم القيامة. والحزن على الميت لا شيء فيه ولكن الحزن الذي فيه سخط وعدم رضا بالمكتوب هذا هو المنهي عنه وكذلك الفرح بالحلال لا شيء فيه كمن يفرح بمولود أو ثوب أو مال طيب ومن كسب حلال لا شيء فيه ولكن المال الحرام لا يُفرح به والشراب الحرام لا يُفرح به من خمر وغيرها والطعام الحرام من سحت أو رشوة أو اغتصاب أو سلب أو نهب أو لحم خنزير فلا يُفرح به فالفرح في الحلال

وبالحلال لا شيء فيه بل الكل يفرح ولا شيء فيه {وَاللَّهُ} واللّه تعالى رب العالمين وخالق الكون كله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا تُحِبُّ} لا يحب ويبغض {كُلِّ مُحْتَالٍ فَخُورٍ} كل متكبر فخور على خلق الله تعالى فالقوي يجب أن تكون قوته في سبيل الله وفي الجهاد وفي إرجاع الحق إلى أصحابه والذود عن الأعراض والممتلكات لا يغتصب الحرائر وينتهك الحرمات ومختال بكبره وبنفسه بالباطل فخور على غيره بتجبره وعظمته وسلطانه وجبروته بالظلم والفساد.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ﴾

{الَّذِينَ يَبْخُلُونَ} أي يشحون ولا ينفقون ولا يتصدقون من أموالهم {وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} وينصحون الناس بعدم الإنفاق والتصدق على أنفسهم وعلى أهلهم وذويهم وأقاربهم وعلى المسلمين وعلى الجهاد وفي سبيل الله وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٧٥]. {وَمَنْ يَتَوَلَّ} ومن يعرض عن الإنفاق والصدقات {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الغني عنه ولا يحتاج إلى أمواله فالله تعالى هو الذي وهبها له {الْحَمِيدُ} يحمده خلقه على نعمه وهو يحمد عباده أمام ملائكته ويباهي بهم ملائكته عند إنفاقهم وصدقاتهم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا} لقد أرسل الله تعالى رسله {بِالْبَيِّنَاتِ} بالحجج الواضحات والدلالات البينات وبالمعجزات الباهرات. فنوح عليه السلام أمره الله تعالى أن يصنع السفينة وأغرق قومه والأرض ومن عليها. وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تحرقه نار النمرود ملك العراق. وموسى عليه الصلاة والسلام أرسل معه عصاه تتحول إلى حية وثعبان تبتلع حبال وعصي وسحر السحرة الذين أحضرهم فرعون لمبارزة موسى عليه الصلاة والسلام. وعيسى عليه الصلاة والسلام كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص. ومحمد صلى الله عليه وسلم معجزاته لا تعد ولا تحصى {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ} أي كل رسول أرسل معه كتاب كصحف شيث ولد آدم عليه السلام وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام والتوراة لموسى عليه الصلاة والسلام والزبور لداود عليه الصلاة والسلام والإنجيل لعيسى عليه الصلاة والسلام والقرآن العظيم والكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالْمِيزَانَ} ميزان الحق والعدل والمساواة وميزان التجارة عندما يزنوا تجارتهم {لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} بالعدل وبالحق ويزنوا بالقسطاس المستقيم لا جور ولا غبن ولا ظلم {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} وخلق الله تعالى الحديد وأنزله ووضعه في الأرض {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} أي الرماح والسيوف والمدافع والصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية والدبابات والطائرات الحربية والتي تصنع من الحديد فيها قوة وهلاك للناس شديد وعظيم فهي مدمرة مهلكة قاتلة تमित أعداداً كبيرة في لحظات

{وَمَنْفَعُ النَّاسِ} في أعمال البناء والبيوت والثلاجات وأبابيب الغاز وأجهزة الراديو [المذياع] والتلفاز [الشاشة المرئية] والهواتف وفي الطائرات والسيارات والبواخر والسفن والغواصات حتى السكاكين في ذبح الماشية وخلافها وفي الطعام {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ} وحتى يعلم الله والله يعلم ولكن حتى يشهد على المرء عمله {مَنْ يَنْصُرُهُ} من ينصره في الحق وفي الجهاد وفي نشر الإسلام وفي الحق {وَرُسُلُهُ} ومن ينصر رسله بالجهاد معهم ويتبع أوامرهم ويطيعهم بعبادة الله تعالى وحده {بِالْغَيْبِ} أي في سره وعلنه في بره وبحره في علانيته وفي خلوته يصوم ويصلي ويزكي ويحج ويجاهد في سبيل الله تعالى حق جهاده {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} إن الله تعالى قوي لا يحتاج إلى قوة أحد عزيز ومنيع في ملكه وسلطانه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ} لقد أرسل الله تعالى رسلاً وجعل نوحاً عليه الصلاة والسلام رسولاً إلى قومه وكان يعظهم وينصحهم بعبادة الله تعالى وحده ألف سنة إلا خمسين عاماً وكذبوه فأغرقهم الله تعالى وأرسل كذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث بعد آدم أبونا الثاني نوح عليه السلام وأبونا الثالث إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: "مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" ٧٨ الحج. أرسل الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام رسولاً إلى قومه فكذبوه {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ}

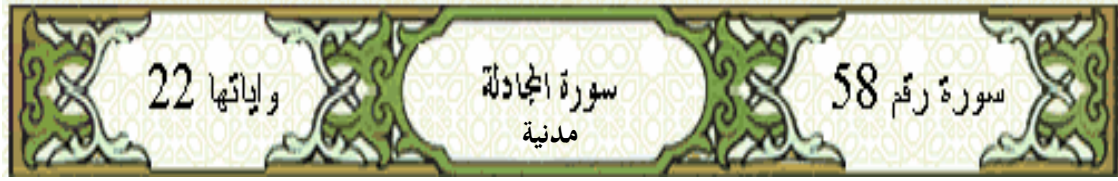
أي جعل الله تعالى النبوة والرسالة في ذرية نوح عليه الصلاة والسلام وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم من إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذرية أبناؤه فخرج من إبراهيم عليه الصلاة والسلام إسماعيل ابنه وهو نبي ورسول ومن سلالته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خرج إسحاق عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً ثم ابنه يعقوب نبياً ورسولاً ثم يوسف عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً ثم تابعت الرسل من ذريته موسى عليه الصلاة والسلام وأخوه هارون وداود وابنه سليمان وزكريا ويحيى ابنه عليهما الصلاة والسلام ثم عيسى عليه الصلاة والسلام كلهم رسل وأنبياء وكلهم من سلالة وذرية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومن ذرية نوح عليه الصلاة والسلام قبل ذلك حتى آدم عليه الصلاة والسلام أبي البشر جميعاً {وَالْكِتَابَ} أي كل رسول منهم له كتاب والكتب المشهورة: صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن الكريم لسيدنا محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم {فَمِنْهُمْ} من ذريتهما {مُتَّهِدٍ} من اتبع رضوان الله {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} أي وكثير من الذرية فاسقون من اليهود والنصارى ومن أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا} ثم أرسلنا بعدهم وعلى أثرهم برسلنا كما ذكرناهم سابقاً {وَقَفَّيْنَا} ثم أتبعناهم {بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} وهو عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم بنت عمران عليها السلام {وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ} وكان كتابه هو كتاب الإنجيل للنصارى {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} وجعل الله تعالى في قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه الصلاة والسلام من النصارى والحواريين {رَأْفَةً} أي يرأفون على بعضهم البعض وعلى الناس {وَرَحْمَةً} يرحمونهم {وَرَهْبَانِيَّةً} والرهبة هي عدم الزواج

للرهبان وتحريمه على أنفسهم أي ينذر الراهب نفسه للعبادة فقط في صومعته {أَبْتَدَعُوهَا} أي اختلقوها واتخذوها وجعلوها لهم منهجاً ومسلكاً. والبدعة هي نوعان بدعة حسنة وهذه لا بأس بها وبدعة سيئة وهي بدعة الضلالة وهي في النار وهي التغيير في الأركان والفرائض وفي القوانين والسنن الكونية كعدم الزواج عند الرهبان لما فيها من مخالفة لشرع الله تعالى والخلافة في الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ). [رواه مسلم - ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٥]. {مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} لم يفرضها الله تعالى عليهم لأن الله تعالى خلقهم لخلافة الأرض وعمارتها مع عدم نسيان العبادة. والرهبنة في الإسلام غير مطلوبة لأن العمل وعمارة الأرض هي من العبادة وكما جاء في الحديث: (قدمتم من الجهاد الأصغر [وهو الحرب والقتال] إلى الجهاد الأكبر [وهو العمل والسعي على النفس والعيال مع أداء الفرائض المكتوبة]) ولو فعل الجميع الرهبنة وعدم الزواج لانقرضت هذه الأمة فلم يفرضها محافظة على النوع والجنس وكما قال تبارك وتعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" ٧٧ القصص. {إِلَّا ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} وما ابتدعوها وعملوها وأخذوا بها إلا ظناً منهم أنها في مرضاة الله تعالى {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} أي لم يأخذوا بها كما يجب بل منعوا أنفسهم من الزواج وبدلاً من الزواج زنوا وعملوا الفاحشة سراً {فَعَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ} أعطى الله تعالى المؤمنين منهم والعابدين حقاً {أَجْرَهُمْ} وثوابهم وهو الجنة {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} وأغلبهم فاسقون عاصون يزنون ويعملون المنكرات من سكر وخلافه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ لَعَلَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وصدقتم به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واحشوه وأطيعوه واعبدوه أي أطيعوا أوامر الله تعالى واجتنبوا نواهيه واعبدوه حق عبادته {وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ} وصدقوا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته وبما جاء به من الأوامر والنواهي {يُؤْتِكُمْ} يعطيكم ويمنحكم {كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} نصيبين ففي الدنيا كفل وكفالة العيش الطيب والهني والرغد والحسن والكفل الثاني هو ما يكفله لكم من رحمته في الآخرة وهي الجنة ونعيمها المقيم والدائم وكما في قوله تعالى: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ٢٠١ البقرة. {وَجَعَلَ لَكُم نُورًا} ويجعل كذلك لكم نوراً وهدايةً ومعرفةً وعلماً {تَمْشُونَ بِهِ} تمشون به في الناس وتعظون به الناس وتهتدون به في الخلاص من شرور ومكر الناس وكيفية معاملتهم حتى تأمنوا شرهم {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} يتوب الله تعالى عليكم ويقبل توبتكم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} والله تعالى من صفاته المغفرة وقبول التوبة فهو غفور لمن تاب رحيم به ويدخله الجنة رحمة منه سبحانه وتعالى {لَعَلَّ} حتى {يَعْلَمَ} يعرف ويدري {أَهْلُ الْكِتَابِ} من اليهود والنصارى {أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ} لا يستطيعون إدخال أنفسهم ولا غيرهم الجنة {وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ} لأن

الفضل وهو الرحمة والمغفرة ودخول الجنة هو بيد الله تعالى وحده {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} يؤتيه ويعطيه لمن يشاء من عباده وهم الذين يتقونه ويؤمنون برسله {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} والله تعالى صاحب الفضل العظيم وهو الإيمان به وبرسله وعلى دين الإسلام ودخول الجنة وكما قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ " ٤٣ الأعراف.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ} إن الله تعالى سميع بصير يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وهو يسمع السر وأخفى ولكن ليس سمعه كسمعنا ولا بصره كبصرنا كما قال تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ١١ الشورى. فسمع الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قَوْلٌ} كلام وحديث {الَّتِي} وهي المرأة التي تسمى "خولة بنت ثعلبة" {تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} أي تناقشك وتحاورك وتبرهن لك على حقها في زوجها وأنها لم تطلق منه واسمه "أوس ابن الصامت" حيث طلبها للجماع فأبت فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي أي أنت محرمة عليّ مثل أمي فصارت زوجته خولة تناقش الرسول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في أنها لم تطلق وأن زوجها قال ذلك في حالة غضب والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لها أنت محرمة عليه وصارت تقول كلاماً منه على سبيل المثال: إن لي منه صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا فقال لها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (حرمت عليه) {وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} ترفع شكواها وهمّها وحزنها ومصيرها إلى الله تعالى متضرعة بأن يردها زوجها بعد أن حرمت عليه فسمع الله تعالى مجادلتها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وسمع شكواها له سبحانه وتعالى وقال الله تعالى {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} أي يسمع

مناقشتكما أنت يا رسول الله وخولة بنت ثعلبة وهي تدافع عن نفسها وحققها في زوجها وحق أولادها وأنت تقول لها قد حرمت عليه {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} إن الله تعالى سميع وسع سمعه جميع الخلائق بصير يرى خلقه وكونه كله في لحظة واحدة فتبارك الله رب العالمين. روى ابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك. قالت فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا " قالت وزوجها أوس بن الصامت. [ابن كثير ج ٤ ص ٣١٨].

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ} الذين يقولون لنسائهم أنت عليّ كظهر أمي أي محرمة عليّ مثل أمي {مِنْكُمْ} أيها المسلمون {مَنْ نَسَاهُمْ} من أزواجهم {مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ} ليس أزواجهم أمهاتهم ولم يكونوا أبداً أمهاتهم {إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ} إن أمهاتهم الحقيقيات هن اللاتي ولدنهم وأنجبنهم فقط {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ} وإن من يقول لزوجته أنت عليّ محرمة كظهر أمي ومثل أمي قولهم هذا منكر وظلم وفيه زور وهو شاذ وغريب {وَزُورًا} أي ويقولون كذباً وبهتاناً من القول من وصف زوجته بأمه. روى أبو داود أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختي فقال: (أختك هي؟! [أي أنكر عليه ذلك]). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٢١]. {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ} والله تعالى يعفو عن من تاب {غَفُورٌ} لمن ندم ورجع.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ} والذين يظاهرون ويقولون لأزواجهم أنت محرمة عليّ مثل أمي لأن الأم يحرم جماعها هي والعمة والخالة والابنة وبنت الأخ وبنت الأخت وأم الزوجة فهن أرحام ومحرمون دائماً {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} أي يتوبون ويندمون ويراجعون أنفسهم بالتوبة والندم {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} أي عليه كفارة أولاً قبل أن يعيدها إلى عصمته وقبل الجماع فكفارة ظهاره هذا أن يعتق رقبة مسلمة سواء ذكراً أو أنثى على السواء وذلك منفعة أولاً لتحرير رقبة رقيق المسلمين وثانياً حتى يكون الرقيق سنداً للمسلمين وتحرير الرقيق هو في الأصل لمنفعة المسلمين قبل جماعها لأن جماعها في تلك المدة محرم شرعاً بنص هذه الآية لقوله تعالى {ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ} ذلك تؤمرون به أمراً من الله تعالى والوعظ دائماً يكون بمعنى النصيحة ولكن هنا معناه الأمر أي تؤمرون بذلك أمراً وهو الكفارة بعق رقبة مسلمة قبل أن يتماسا أي قبل أن يجامعها {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} والله سبحانه وتعالى مطلع عليكم ويعلم كل شيء عنكم وعن أعمالكم وأفعالكم {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} فمن لم يجد أو لم يستطع تحرير وعق رقبة مسلمة

والوجود هنا إما عدم وجود الرقيق أو عدم وجود المال ليشتري به الرقيق ليحرره فهما بنفس المعنى فعليه بعدها {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} فعليه أن ينتقل إلى الكفارة الثانية والرخصة الثانية التي بعد الأولى عند عدم وجود أو عدم استطاعة الأولى فعليه بالثانية وهي أن يصوم شهرين كاملين ومتتابعين ومتتاليين ولو أفطر آخر يوم عليه الإعادة من جديد ولا يفصل بينهما بيوم واحد {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا} من قبل الجماع بينهما أي من قبل أن يجامعها {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ} ومن لم يستطع ولم يقدر على هذا الصيام {فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا} أي يطعم كل يوم مسكيناً من أوسط طعامه أكلتين مشبعتين لكل واحد منهم {ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} وهذا حتى تؤمنوا بشرع الله تعالى وبحكم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا زجر لكم وتعذيب وإيلاء لكم حتى تعلموا أن الله تعالى ينهاكم عن الظهار وعن الاقتراب منه مرة أخرى {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} وهذا الحكم وكفارته في الظهار هو من حدود الله تعالى ومن شرعه فيجب أن يأخذ بها من اقترف ذنب الظهار {وَاللَّكَافِرِينَ} وللعاصين والمعاندين والمكذبين والجاحدين وللمعرضين عن تنفيذ الكفارات فهم في حكم الكافرين لقوله تعالى: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ٨٥ البقرة. وكما قال تعالى أيضاً: " مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ " ٤ غافر. وكما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ " ٤١ فصلت. {عَذَابٌ أَلِيمٌ} عذاب موجه قاس شديد وكما قال تعالى: " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ " ٧ الشورى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ} إن الذين يعصون ويخاصمون ويعاندون ويتحدون {اللَّهُ وَرَسُولُهُ} يجحدون ويكذبون الله في كتابه وهو القرآن الكريم وفي رسوله يكذبونه ولا يطيعونه ولا يصدقون بما جاءهم به {كُتِبُوا} قُهِرُوا وَغُلِبُوا وَانْهَزَمُوا وَخَسِرُوا وَغُذِبُوا {كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} كما قُهِرَ وَهُزِمَ وَغُلِبَ وَانْهَزِمَ وَغُذِبَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ عِنْدَمَا عَصَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَجَحَدُوا وَكَذَبُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَكَتَبَهُمْ وَرَسَلَهُمْ كَمَا أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ عِنْدَ تَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِمْ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَوْمَ لُوطٍ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَرِيْبَتَهُمْ عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعَهُمْ وَقَوْمَ صَالِحٍ وَقَوْمَ هُودٍ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ وَالرَّيْحَ فَأَهْلَكَهُمْ وَكَذَلِكَ هَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى جَالُوتَ وَقَتْلَهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: " فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " ٢٥١ البقرة. وهزم الله أبرهة ملك الحبشة عندما أراد محاربة الله تعالى بهدم بيته المحرم وهدم الكعبة " وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ {٣} تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ {٤} فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ {٥} " ٣-٥ الفيل. وكما هزم الله المشركين في بدر وقتل كبيرهم أبا جهل عمرو بن هشام في معركة بدر الكبرى ونصر الله رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وهكذا مصير من يحادد ويخاصم ويعاند ويعصي الله ورسوله مصيره القهر والغلبة والهزيمة والعذاب والخزي في الدنيا ويوم القيامة عذاب شديد

{وَقَدْ أَنْزَلْنَا} أنزلنا القرآن الكريم {ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ} آيات بينات وواضحات المعنى والحكم وواضحات الدلالة وتبين الحكم الشرعي بجلال ووضوح وسهولة ويسر في توضيحها {وَلِلْكَافِرِينَ} وللعاصين والمعاندين والجاحدين والمعرضين عن حكم الله تعالى وتنفيذ أحكامه وهم في حكم الكافرين لقوله تعالى: " مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ " ٤ غافر. {عَذَابٌ مُهِينٌ} عذاب شديد مؤلم قاس مذل {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} يوم القيامة عندما يبعث الله الناس من قبورهم أحياء ويوم يحييهم ويبعثهم وينشرهم {جَمِيعًا} كلهم صغيرهم وكبيرهم حرهم وعبيدهم ذكرهم وأنثاهم حتى الحيوانات كلها والمخلوقات كلها {فَيُنَبِّئُهُمُ} فيخبرهم ويعلمهم {بِمَا عَمِلُوا} بما فعلوا في الدنيا من خير وشر {أَحْصَاهُ اللَّهُ} أي عدّه عليهم وسجله عليهم الحفظة والكتبة الملائكة الكرام والأبرار {وَنَسُوهُ} نستنه عقولهم وظنوا أنهم لن يحاسبوا عليه وكما قال تعالى: " وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} والله على كل عمل عملوه وفعلوه أو قالوه في الدنيا فالله تعالى عليه شهيد أي شهده ويشهد عليه يوم القيامة بأنه فعلاً قد حدث لأنه شهده وراّه وسمعه فهو شاهد له وشاهد عليه.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تعلم يا محمد يا رسول الله { أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ } يعلم ويعرف ويدري { مَا فِي السَّمَوَاتِ } ما في السموات السبع وما فيهن من ملائكة وما يحدث فيهن { وَمَا فِي الْأَرْضِ } ويعلم ويدري ويعرف ما يصير في الأرض من موت أو حياة أو زلازل أو براكين أو حروب أو أمراض أو فتن أو خير أو شر { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى } ما يصير من حديث أو كلام أو اتفاق { ثَلَاثَةٍ } ثلاثة أشخاص أو أفراد أو رجال أو نساء أو أطفال أو صبيان { إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } إلا الله تعالى يكون بعلمه ومعرفته وإحاطته ودرايته إلا ويكون رابعهم ويسمع حديثهم وكلامهم واتفاقهم { وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } وكذلك لا يجتمع خمسة أشخاص من البشر أو الجن إلا الله تعالى يكون سادسهم في العدد يسمع سرهم ونجواهم وحديثهم وكلامهم واتفاقهم { وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ } ولا أقل في العدد من الثلاثة أو أكثر من الخمسة في العدد مهما كثروا { إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ } إلا والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه معهم ومحيط علمه بهم ويراهم ويسمعهم { أَيْنَ مَا كَانُوا } في أي مكان كانوا فيه في بر أو بحر أو جو فهو معهم يراهم ويسمعهم ويشاهدهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون { ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ } ثم يعلمهم ويخبرهم { بِمَا عَمِلُوا } بما عملوا وبما فعلوا { يَوْمَ الْقِيَمَةِ } يوم القيامة يوم البعث والنشر في اليوم الآخر عندما يخرج الناس من قبورهم أحياء للحساب والعقاب والجزاء والثواب كلٌ حسب عمله فمن عمل صالحاً

دخل الجنة ومن أساء دخل النار {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} إن الله تعالى بكل شيء يحدث في الدنيا في الأرض أو في السماء فهو به عليم ومحيط ويعرفه ويديره سبحانه وتعالى وهو السميع البصير وهو ليس كمثله شيء تبارك الله رب العالمين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤَوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُؤَوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله {إِلَى الَّذِينَ هُؤَوا عَنِ النَّجْوَى} إلى هؤلاء النفر من الذين هُؤَوا عن النجوى من اليهود وخلافهم عندما نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عقد الاجتماعات والندوات لمعاداته والمسلمين وعن القيام بالفتن وحبك الدسائس وكانوا يريدون الفرقة بين قريش والمسلمين في البداية {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُؤَوا عَنْهُ} ثم يعودون يتناجون ويختلون ويجتمعون لحبك الدسائس والفتن بين الأوس والخزرج {وَيَتَنَجَّوْنَ} أي يختلون ويجمعون ويتحدثون {بِالْإِثْمِ} بالذنوب والمعصية {وَالْعُدْوَانِ} الحرب والمكائد {وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ} بالكفر والمعصية ومخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم والانسلاخ من الدين الإسلامي {وَإِذَا جَاءُوكَ} وإذا أتوا وحضروا إليك {حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} تحية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وأصبحت سنة بين المسلمين بعضهم لبعض وهي تحية الإسلام (السلام عليكم) ولكن اليهود وأهل الكتاب غيروها وبدلوها وبدلاً من قولهم السلام عليك قالوا السام عليك والسام هو الموت أي بدلاً من طرح السلام والأمان طرحوا السام والموت والعداوة وما تخفي صدورهم أكبر. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد

الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة وعليكم السام قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش) قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوما سمعت أقول وعليكم؟) فأنزل الله تعالى: " وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٣]. {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ} يقول الكفار وأهل الكتاب والمنافقون في سرهم بينهم وبين أنفسهم {لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} أفلا يعذبنا الله بما نقول لرسوله لو كان رسولا حقا لعذبنا الله ولكنه ليس برسول {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ} فيرد الله تعالى عليهم بأنه كفاية لهم عذاب جهنم يوم القيامة {يَصَلُّونَهَا} يُعَذَّبُونَ وَيُحْرَقُونَ فيها {فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} فبئس وساء وقبح المصير والمقر والمرجع والنهاية والمآل وهو نار جهنم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا تَنَجَّيْتُمْ} إذا اجتمعتم وتحدثتم مع بعضكم البعض سواء في نواديكم أو دواوينكم أو مكان تجمعكم {فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ} أي لا تجتمعوا لارتكاب الإثم والذنوب والمعصية سواء شرب الخمر أو الزنا أو السرقة وخلافها من المحرمات {وَالْعُدْوَانِ} أي ولا تجتمعوا حتى تعتدوا على أعراض وممتلكات

وحرمت الناس {وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} ولا لعصيان أوامر ونواهي النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا في حياته ولا بعد مماته {وَتَتَجَوَّأُ} واجتمعوا وتحدثوا {بِالْبِرِّ} وتحدثوا في المفيد وأعمال البر والخير {وَالْتَّقَوْا} الصلاح والدين والطاعة لله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي خافوه واحشوه واعبدوه وأطيعوه {الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} لأنكم ستحشرون يوم القيامة إليه ولا ينفعكم إلا أعمالكم أعمال البر والخير والطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له {إِنَّمَا النَّجْوَى} أي الاجتماعات والمؤتمرات ومنها المظاهرات الهدامة والدسائس والفتن {مِنَ الشَّيْطَانِ} هي من عمل الشيطان ومكائده {لِيَحْزُنَ} ليغضب ويحزن ويزعل ويألم ويستاء {الَّذِينَ ءَامَنُوا} أي ليحزن ويغضب المؤمنون حيث المكائد والفتن تؤثر عليهم وتربكهم في حياتهم {وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} وليس الضرر الذي حصل لهم أو يحصل لهم من جراء تلك الفتن والاجتماعات والمكائد التي تصيبهم إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته وإلا لما حصلت لو لم يأذن الله بها ولكن قانون الله السماوي جعل الخير يُفرح ابن آدم والشر يزعله ويغضبه ويحزنه وكله بإرادته وإذنه ومشيئته وكما قال تعالى: " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " ٢٢ الحديد. وكما قال تعالى: " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ " ١٥٥ البقرة. {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} فليعتمد المؤمنون على الله فالخير والشر كله من الله تعالى وهو ما يسمى القدر فهو خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى وما أصابك لا يخطئك وما أخطأك ما كان ليصيبك وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب [تعب] ولا وصب [مرض] ولا هم ولا حزن ولا غم حتى

الشوكة يشاكها إلا كفر الله خطاياهم). [رواه البخاري - نزهة المجالس ج ١ ص ٥٥].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا قِيلَ لَكُمْ} إذا قيل لكم من قبل أحد من الناس وقال لكم أحد وطلب منكم أن {تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} أن تتوسعوا وتسمحوا لغيركم بالجلوس معكم {فَافْسَحُوا} فاعملوا ذلك وتوسعوا ووسعوا له مكاناً يجلس فيه وهذه صفة من التعاون والاحترام وكما قال تعالى: " وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " ٢٣٧ البقرة. {يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} يوسع الله عليكم في الدنيا بالعيش الحسن والسعيد والمحبة والمودة وفي الآخرة يفسح لكم ويدخلكم الجنة {وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا} وإذا قيل لكم قفوا فقفوا واتركوا مكانكم لغيركم كما قال تعالى: " وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا " ٢٨ النور. قال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فردّ النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يُفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله

من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: (قم يا فلان وأنت يا فلان) فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون: أستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رحم الله رجلاً يفسح لأخيه) فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. [رواه ابن أبي حاتم - ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٥]. وقال في الزهر الفاتح: كان النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فجاء علي فتزحزح له أبو بكر عن مكانه وقال ههنا يا أبا الحسن ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: (أهل الفضل أولى بالفضل ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل). ودخل رجل فتزحزح له النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن في المكان سعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له). وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً تفسح لأخيه). ذكرهما نجم الدين النسفي. [نزهة المجالس ص ٤٥٥]. {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} يرفع الله المؤمنين وأصحاب العلم والدراية درجات ومنازل في الدنيا بالسمعة الحسنة والسيرة العطرة ويرفع منازلهم في الآخرة في الجنة ويجب احترامهم وإفساح المجالس لهم وكما جاء في الحديث: (أنزلوا الناس منازلهم) {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} والله يعلم ويعرف ويدري بكل عمل تعملونه وتفعلونه خيراً كان أو شراً صغيراً أو كبيراً فهو علام الغيوب ومطلع على السرائر فهو يعلم السر وأخفى.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٥٨ ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ} إذا خاطبتم الرسول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أو تكلمتم معه أو تحدثتم معه أو سألتموه سؤالاً أو فتوى أو عن أي شيء والمناجاة هي المخاطبة والمحادثة والمناقشة والتكلم مع الغير فإذا فعلتم ذلك أو أردتم التحدث مع النبي صلى الله عليه وسلم {فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ} أي قبل أن تتحدثوا للنبي صلى الله عليه وسلم بأي شيء أو لأي سؤال تريدونه أو تستفسرون عنه عليكم بدفع صدقة من أموالكم مقدماً وهي كالرسوم أو كالدعوى التي يُطلب أن تقدم على الطلب في الدوائر الحكومية في عصرنا الحاضر {ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ} وهذه الصدقة التي تدفعونها هي خير لكم حتى من يدفعها إذا قيل له جواب مسألته فهمه فوراً وذلك لأنه قد خسر ودفع من ماله صدقة فلذلك يفتح قلبه وأذنه لجواب مسألته فيعقلها ويعلمها جيداً ولا ينساها ولا يسأل بعدها أبداً عنها لأنه فهمها جيداً {وَأَطْهَرُ} وذلك كفارة لكم عن بعض الأسئلة المحرجة أو اللغو والخطأ أثناء السؤال أو المناقشة أو الاستفسار أو تعلية الصوت أو عدم معرفة آداب الكلام وخلافه فهي تطهركم من إثم ذلك وهي كفارة لذلك {فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا} فإن كنتم فقراء وليس معكم صدقة لذلك {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} فإن الله تعالى سبحانه غفور لكم ويغفر لكم ذلك لفقركم {رَّحِيمٌ} ورحيم

بكم فلا يريد أن يشق عليكم ولا يعذبكم بها {ءَأَشْفَقْتُمْ} وهو سؤال تعجب ورحمة هل خفتم وامتنعتم وأبيتم ورفضتم وبخلتم {أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ} صَدَقْتِ أَنْ تَقْدِمُوا وتدفخوا صدقات قبل نجواكم وسؤالكم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم {فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا} وحيث لم تفعلوا ولم تدفعوا الصدقات ووجلتم وخفتم من دفعها {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} فتاب الله عليكم ولم يعذبكم لعدم تقديم صدقات وعدم التقدم بأسئلة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم نتيجة لغرامة الصدقة فالله تاب عليكم ولغاها لكم وقد نسخها عنكم رحمة بكم وكما قال تعالى: " مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسيها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ١٠٦ البقرة. ورحمة بالمسلمين نسخ الله هذه الصدقة وألغاها عن المؤمنين ولكنه سبحانه وتعالى يريد أن يذكر بأن فضله على الناس كبير بإلغائها وكان من الممكن أن يفرضها عليهم ولا ينسخها كفرض الزكاة بحيث لا يستطيع أحد أن يسأل عالماً إلا بدفع الصدقة مقدماً عن طلب فتوى أو جواب سؤال أو استفسار ولشق ذلك على المؤمنين ولكن الله تعالى رحمته سبقت عذابه فنسخها وألغاها حتى يتذكر المؤمنون هذه النعمة والرحمة والفضل من الله تعالى على المؤمنين {فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ} أي أدوا الفرائض فرض الصلاة وهي الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء. والصبح ركعتان فرض وقبله ركعتان سنة والظهر أربع ركعات فرض وقبله أربع ركعات سنة وبعده ركعتان سنة ويندب أن يضم إليهما ركعتين فتصير أربعاً والعصر أربع ركعات فرض وليس قبله ولا بعده سنة والمغرب ثلاث ركعات فرض وركعتان سنة بعده والعشاء أربع ركعات فرض وبعده ركعتان سنة ثم الوتر وعند الإمام أبي حنيفة الوتر ثلاث ركعات مثل صلاة المغرب بتسليمة واحدة ويقرأ في الركعة الأخيرة (بعد أن يقعد للتشهد في الثانية ويقوم للثالثة) يقرأ بعد الفاتحة

سورة صغيرة ثم يرفع يديه حذاء أذنيه ويكبر ثم يقرأ دعاء القنوت وهو واقف قبل ركوعه وهو: اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله نشكر ولا نكفر ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم يركع ويكمل صلاته {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} أي أدوا فريضة الزكاة ومقدارها في الأموال اثنان ونصف في المائة أي لكل مائة قرش قرشان ونصف زكاة المال وذلك بعد أن يكون قد بلغ النصاب معه وحال عليه الحال وحساب الزكاة بأن يكون في أول العام يكون معه النصاب ثم آخر العام يكون معه النصاب عندها يدفع زكاة ماله ٢,٥٪ على جميع أمواله كلها والتجارة كذلك ولا عبء بعد بلوغ النصاب في منتصف العام وليكن المال والنصاب من شهر رمضان حتى يتذكر ولأن فيه زكاة الفطر فعندها يعلم أن عليه زكاة ماله وصدقات الغنم والبقر والإبل وغيرها من أنواع الزكاة معروفة في باب الزكاة في كتب الفقه {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} طاعة الله بأداء الفرائض والرسول صلى الله عليه وسلم بالنوافل والسنن وطاعته كذلك في الجهاد وفي كل ما يطلب منكم {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} والله عليم وخبير ومطلع ويدري ويعرف كل ما تعملونه أو تفعلونه من الطاعة والمعصية ومن الخير والشر فهو علام الغيوب.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَحَلَفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٤٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله {إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا} إلى الذين والوا وحابوا وصادقوا وحالفوا واتبعوا وساعدوا وساندوا وعاونوا {قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} وهم الكفار واليهود وهم من غضب الله عليهم لعدم إيمانهم ولمعاندتهم وعصيانهم وكفرهم {مَا هُمْ مِنْكُمْ} هؤلاء القوم الذين حالفوا الكفار واليهود ليسوا منكم أيها المؤمنون {وَلَا مِنْهُمْ} ولا من الكفار واليهود أي هم المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار وقال تعالى محذراً في آية أخرى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " ٥١ المائدة. {وَيَحْلِفُونَ} يحلفون لكم {عَلَى الْكَذِبِ} على الباطل ليجعلونه حقاً أي يحلفون كذباً وهم يعلمون أن ما يحلفون عليه هو كذب وباطل وغير صحيح فهم يحلفون على الباطل {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم يعلمون أن ذلك باطل وليس حقاً وأن حلفهم هذا كذب وشهادة زور وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً) قالوا بلى قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) وجلس وكان متكئاً ثم قال: (ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٤ ص ١٣٠]. {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ} أعد الله تعالى وحضر لهم

{عَذَابًا شَدِيدًا} عذاباً قوياً وقاسياً وأليماً في نار جهنم يوم القيامة {إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} إنهم ساء وقبح ما عملوا وما فعلوا {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} اتخذوا حلفهم الأيمان وسيلة ووقاية وحماية وستراً لكذبهم {فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} فتاهوا وابتعدوا عن الطاعة وعن مرضاة الله تعالى واتبعوا المعصية والكفر {فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} فلهم عذاب مؤلم وقاس ومذل يوم القيامة في نار جهنم {لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ} لن تنفعهم أموالهم ولا كثرتها ولا أولادهم وعزوتها {مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} عند الله شيئاً {أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ} هؤلاء هم أهل النار نار جهنم يوم القيامة {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} هم في نار جهنم خالدون ودائمون إلى ما شاء الله.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ^ط وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ^ع إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَاَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ^ع أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ^ع إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} يوم القيامة عندما يبعث الله تعالى وينشر الناس من قبورهم أحياء {جَمِيعًا} كلهم {فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ} يقسمون ويحلفون لله أيماناً مغلظة فكما كانوا في الدنيا يكذبون عليكم ويحلفون لكم كذباً يحلفون أمام الله تعالى يوم القيامة كذباً كما قال تعالى: " ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " ٢٣ الأنعام. {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ} ويحسبون بحلفهم وقسمهم هذا أنهم على شيء من الحق أو أنه سينفعهم حلفهم وقسمهم يوم القيامة أمام الله تعالى أمام من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء أمام علام الغيوب أمام من لا

تأخذ سنة ولا نوم أمام من يعلم السر وأخفى فهم يحسبون ويفتكرون ويظنون أنهم على شيء من الحق أو الصواب أو على شيء من الخديعة يخدعون به الله تعالى بأيمانهم وكما قال تعالى: " يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ " ١٤٢ النساء. ويخبرهم الله تعالى بكذبهم هذا ويقول {الْأَلَا} للتنبيه وللإعلام والإجابة على حلفهم وقسمهم {إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} هم كاذبون في حلفهم وأن صفتهم الكذب فأطلق عليهم صفة دائمة وهي " هُمُ الْكَاذِبُونَ " أي كاذبون ولم يصدقوا في حديث أبداً {أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} أي استولى عليهم الشيطان وتحكم في جميع تصرفاتهم وأعمالهم وأفعالهم وأقوالهم {فَأَنسَلَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} فأنساهم وألهاهم وأبعدهم عن ذكر الله تعالى وذكر الله تعالى هو من أجل الأعمال في الطاعة. وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وفي البخاري: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. {أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ} هؤلاء الطائفة الذين نسوا ذكر الله هم حزب وجماعة وأصدقاء الشيطان وهو إبليس وجنوده {الْأَلَا} للتنبيه والإعلام عن شيء قادم {إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ} إن حزب وجماعة وفرقة وأصدقاء الشيطان وهو إبليس وأبناؤه {هُمْ الْخَسِرُونَ} هم يوم القيامة الخاسرون والمفلسون ويخسرون أنفسهم بدخولهم نار جهنم.

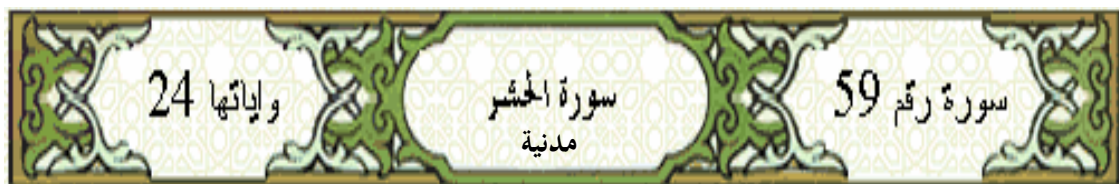
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ ۝ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴿٥٨﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ} إن الذين يعادون ويخاصمون ويعصون {اللَّهُ وَرَسُولُهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ورسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتحريض والإغراء والتزيين للكفر والمعصية {أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} هم في الأسفلين وفي المذلولين وفي الحقيرين والمعذبين يوم القيامة في نار جهنم {كَتَبَ اللَّهُ} قضى وحكم وأكد وبين الله في كتابه العزيز في القرآن الكريم {لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} أي لانتصرن أنا ورسلي في الدنيا بهزيمة الكفار والعصاة في الحرب وفي الآخرة بإدخال الكفار النار والمؤمنين الجنة {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ} الله تعالى شديد وقوي لا يُغلب {عَزِيزٌ} منيع في ملكه وسلطانه فهو عزيز وقوي الجانب.

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ۝ ﴿٥٩﴾

{لَا تَجِدُ} لا ترى ولا تجد ولا تشاهد {قَوْمًا} قوماً من الأقوام أو أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} يؤمنون ويصدقون بالله تعالى رباً وباليوم الآخر وهو يوم القيامة وأن فيه حساباً عقاباً وجزاءً وثواباً فالمؤمنون يدخلون الجنة والكفار يدخلون النار {يُوَادُّونَ} يحبون ويتقربون ويساعدون

ويتعاطفون مع {مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} مع من عادى الله تعالى ورسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالمخالفة والكفر والمعصية والذنوب {وَلَوْ كَانُوا} وحتى لو كانوا {ءَابَاءَهُمْ} والديهم {أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} أي أولادهم {أَوْ إِخْوَانَهُمْ} أو أشقاءهم {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} قبيلتهم {أُولَئِكَ} هؤلاء {كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ} ثبت الله تعالى في قلوب هؤلاء النفر الإيمان وجعله راسخاً في قلوبهم لا يتزعزع {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} أيدهم بنصره وتأييده ومساعدته ومعاونته لهم على الطاعة وفي جميع أمورهم {وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ} ويدخلهم في جنات عدن أو جنة النعيم أو المأوى وفي أي جنة من الثمانية جنات على حسب عمله {تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار نهر اللبن أو نهر الماء غير الآسن أو نهر الخمر أو نهر العسل {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين فيها أي في الجنة {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} رضي الله عنهم لطاعتهم وكرهم وعداوتهم لمن عصى الله ورسوله ولمن عاداهما وهم الكفار {وَرَضُوا عَنْهُ} رضوا عما أعطاهم الله تعالى من نعيم الجنة ودوامها وخلودها {أُولَئِكَ} هؤلاء هم {حِزْبُ اللَّهِ} أهل الله وخاصته وأهل طاعته {الْآ} أداة للتنبيه والإعلام {إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ} إن حزب الله وجنوده وأهل طاعته وخاصته وجماعته التي نذرت نفسها لنصرة الله ورسوله وإقامة حدود الله {هُمْ الْمُفْلِحُونَ} هم الفائزون يوم القيامة حيث يدخلون الجنة خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

{سَبَّحَ لِلَّهِ} أي نزه الله تعالى عن كل سوء وبعده عن كل ما لا ينبغي ولا يليق. والتسبيح هو لفظ كلمة سبحان الله - سبحان الله وبحمده - سبحان الله العظيم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥ ، ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١ ، سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٥]. وأخرج الطبراني في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان آخر يومه عتيق الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٩]. {مَا فِي السَّمَوَاتِ} أي تسبحة سبحانه وتعالى الملائكة {وَمَا فِي الْأَرْضِ} أي تسبحة جميع مخلوقاته التي في الأرض وكما قال تبارك وتعالى: "وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" ٤٤ الإسراء. {وَهُوَ الْعَزِيزُ} المنيع والقوي في ملكه والعزيز الجانب الذي لا يُدَل

{الْحَكِيمُ} الحكيم في خلقه ويعمل بالحكمة فهو مدبر للكون بحكمته وقدرته ومشيبته وتدبيره في ملكه وخلقه فلا يخطئ.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهم فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾﴾

{هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} الله تعالى هو الذي أخرج كفار أهل الكتاب وهم اليهود "يهود بني النضير" {مِنْ دِيَارِهِمْ} أخرجهم أي أجلاهم وطردهم عن بيوتهم وعن أرضهم وعن مساكنهم {لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ} لأول مكان في الحشر وكأن ذلك يوم المحشر ويوم القيامة وهذا هو أول خطوة في الحشر وذلك بأرض المحشر بفلسطين وكان يطلق عليها في السابق الشام. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال: من شك في أن أرض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اخرجوا) قالوا إلى أين؟ قال: (إلى أرض المحشر [وهي فلسطين حالياً ببيت المقدس]). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٢]. {مَا ظَنَنْتُمْ} ما حسبتم وما افترتم {أَنْ يَخْرُجُوا} أن يجلوا عن ديارهم ومساكنهم وبيوتهم {وَظَنُّوا} اعتقدوا وافتكروا وحسبوا {أَنَّهُمْ} يهود بني النضير

{مَانِعْتُهُمْ} حاميتهم وواقيتهم وتمنع الأعداء عنهم {حُصُونُهُمْ} أي الأسوار المحيطة بهم وقوة الجدران والحيطان والأسوار التي تحيط بهم {مِنَ اللَّهِ} من قضاء الله وحكمه وقدرته ومشيتته بخرابها {فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ} فأرسل عليهم الله تعالى {مِنَ حَيْثُ لَمْ تَحْتَسِبُوا} من حيث لا يعلمون ولا يدرون ولا يظنون ولا يعتقدون وهو أن يحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم {وَقَذَفَ} ورمى وألقى {فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} في قلوبهم الرعب والخوف والفزع والهلع والجبن {تُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ} يهدمونها بأيديهم حتى يأخذوا أبوابها وما فيها من متاع {بِأَيْدِيهِمْ} بأنفسهم وبأيديهم هم وهم بنو النضير {وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} أي استولوا على باقي أموالهم بعد جلاء بني النضير عنها {فَاعْتَبِرُوا} فاتعظوا وخذوا العظة والعبرة مما جرى لهم {يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ} يا أصحاب العلم والبصيرة والدراية والتفكر والعظة والفهم والمعرفة {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} لولا أن حكم وقضى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليهم {الْجَلَاءَ} الجلاء وترك ديارهم ومساكنهم وبيوتهم والخروج عنها {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} بالأسر والقتل وأخذ نسائهم سبايا وغنائم للمسلمين {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} ولهم يوم القيامة {عَذَابُ النَّارِ} عذاب جهنم ونارها يعذبون فيها {ذَلِكَ} وهذا {بِأَنَّهُمْ} يهود بني النضير {شَاقُّوا} خاصموا وخالفوا وعصوا وعادوا {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بالمعصية وعدم التصديق برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَرَسُولُهُ} أرادوا قتل رسوله رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ} ومن يعادي الله تعالى بالمعصية والمخالفة ومحاولة قتل رسوله سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم {فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قاسي العقاب والعذاب له في نار جهنم يوم القيامة. وقد نزلت سورة الحشر بكاملها في يهود بني النضير وحاصرهم رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ستة أيام وكانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر حتى أجلاهم صلى الله عليه وسلم إلى الشام وكان شرط جلائهم أن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح وأعطى كل ثلاثة بغيراً يحمل أثقالهم وأمتعتهم إلى أذرعات بالشام والقصة فيما ذكره أصحاب المغازي والسير كما رواها ابن كثير في تفسيره هي كالتالي: لما قُتِل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد قتلت رجلين لأدينيهما [أي لأدفعن الدية لأهلهما]) وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها. قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم على الدية فقالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض وأرادوا أن يغدروا به وقد جلس إلى جدار من بيوتهم بأن يلقوا عليه صخرة من فوق البيت ليموت صلى الله عليه وسلم فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحد اليهود ليصعد ويلقي الصخرة على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره جبريل عليه السلام بخبرهم فقام

صلى الله عليه وسلم وخرج راجعاً إلى المدينة وكان صلى الله عليه وسلم قبل رجوعه في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ولما قام صلى الله عليه وسلم لم يعلم أحد منهم بذلك حيث ظنوا أنه خرج لقضاء الحاجة فلما طال مكثه أدرك الصحابة رضوان الله عليهم أن في الأمر شيئاً فقاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلاً المدينة فلما انتهوا إليه أخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله ابن أبي بن سلول ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة [أي السلاح] ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكراً فقراً فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد ابن

وهب أسلما على أموالهما فأحرزاهما. قال ابن إسحاق: قد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليامين: (ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني) فجعل يامين بن عمرو لرجل جُعلاً على أن يقتل عمرو ابن جحاش فقتله فيما يزعمون. قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٣١، ٣٣٢].

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ

الْفَاسِقِينَ ﴾

{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ} أي ما قطعتم أو خلعتم من نخلة من نخل بني النضير عندما حاصرهم صلى الله عليه وسلم ترغماً لهم على الاستسلام والرضوخ لمطلبه صلى الله عليه وسلم {أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا} أو تركتم النخلة قائمة وسليمة وجذورها في الأرض كما هي وبدون خلع أو قطع {فَبِإِذْنِ اللَّهِ} أي الله تعالى هو الأمر بذلك وليس فيه حرمة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على صحابته {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} أي حتى يذل الله تعالى الفاسقين وهم الكفار من بني النضير الذين أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء صخرة عليه وهو يجلس إلى جدار من بيوتهم والفاسق هو المعلن بالمعصية. وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه عندما حاصر بني النضير واحتتموا بحصونهم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقه؟ فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية أن هذا القطع والحرق هو بأمر الله تعالى وليس فيه حرمة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على صحابته لأنه هم الذين بدؤوا بالفساد عندما أرادوا إلقاء صخرة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكما يقال البادي أظلم

وهذا رد على من يتهم الغير بالذنوب والعمل المشين إذا أراد المظلوم أن يدافع عن نفسه أو يرد حقاً فأتهم بالفساد والكفر والزندقة وما شابه ذلك.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٩﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٠﴾

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ} وما أنعم الله من الغنائم والمرايح والمكاسب في الحرب. وقد سُئِلَ غلام عن والده فقال: فاء يفيء لنا فيئاً فلما فاء فاء أي ذهب ليغتنم ويصطاد ويأتي لنا بصيد وغنيمة فلما غنم وصاد رجع {عَلَى رَسُولِهِ} على رسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْهُمْ} من الأعداء والكفار وهم يهود بني النضير {فَمَا أَوْجَفْتُمْ} فما دفعتم ولا انقضضتم ولا داهمتهم ولا هجمتم ولا حاربتم ولا سارعتم العَدُوَّ {عَلَيْهِ} في سبيل الحصول عليه وهو في حصن بني النضير {مِنْ خَيْلٍ} لا من خلال ركوب خيل وواحد الفرس {وَلَا رِكَابٍ} وهي الإبل {وَلَكِنَّ اللَّهَ} ولكن الله تعالى {يُسَلِّطُ رُسُلَهُ} يوجههم بالانتقام والحروب {عَلَى مَنْ يَشَاءُ} من الكفار أي على من يريد أن يسلطهم عليهم من الكفار ومن يهود بني النضير وذلك حتى يخزيهم ويذلهم لعداوتهم لله ولرسوله ولكفرهم {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى سبحانه جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه قادر على كل شيء وفعله أن يقول للشيء كن فيكون أي أمره بين الكاف والنون. وفي الصحيحين عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من

الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأُحِلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأُعطيَت الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٦]. {مَا أَفَاءَ اللَّهُ} ما أنعم وتفضل به الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من الغنائم والمكاسب في الحرب مثل أموال ونخل وأراضي بني النضير من اليهود {عَلَى رَسُولِهِ} على رسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} من سكان القرى من الكفار وهم اليهود من بني النضير وبني قينقاع وغيرهم ممن ينتصر عليهم في الحرب {فَلِلَّهِ} فتوزع الغنائم لله تعالى أي في سبيل الله تعالى من جهاد في سبيل الله أو بناء مساجد أو مدارس ودور علم أو مستشفيات وكل شيء يكون لله تعالى {وَلِلرَّسُولِ} وقسم إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفقة له ولعِياله وزوجاته حيث لا مورد رزق له إلا من هذه حيث حرمت الصدقات عليه وعلى أهل بيته {وَلِذِي الْقُرْبَى} يعطي منها أعمامه وأقاربه {وَالْيَتَامَى} مَنْ لا والد لهم وتوفي آباؤهم وهم صغار وأطفال ولا معيل لهم وليس لهم ميراث وهم فقراء أما الأغنياء وَمَنْ لهم عقارات وأراضي وأموال في البنوك فلا حيث لا يريدون إلا العطف عليهم حيث المال عندهم وفير لكونهم أغنياء أما الفقراء فقهم المشمولون بهذه الآية الكريمة {وَالْمَسْكِينِ} وهم الفقراء المعدمين الذين لا ينتبه لهم الناس وهم قسمان: الفقير الذي به قصور في عقله والفقير الذي لا يسأل الناس وكرامته لا تسمح بذلك فيظنه بعض الناس أنه غني ففي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد

غنى يغنيه ولا يُفْظَنَ له فيُتَصَدَّقَ عليه ولا يسأل الناس شيئاً). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَأَبْنِ السَّبِيلَ} أي المسافر الذي انقطع عنه المال والولد والأهل والديار {كَيْ} أي لكي {لَا يَكُونُ} لا يكون ولا يحصل ولا يصير {دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ} حكراً ومتداولاً بين فئة أو طائفة أو طبقة أو جماعة واحدة فقط من الأغنياء والعظماء وأهل الجاه والسلطان {مِنْكُمْ} منكم أيها المؤمنون ويا أيها المسلمون {وَمَا} وأي شيء من الأوامر والسنن {ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ} جاءكم به وأمركم به الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الفرائض والسنن {فَخُذُوهُ} أي خذوه لكم أمراً وافعلوه {وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ} وما نهاكم وحذركم منه من المحرمات والنواهي {فَأَنْتَهُوْا} أي انزجروا عنه وابتعدوا عنه {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واحشوه واحذروه وأطيعوه واجتنبوا نواهيه {إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} إن الله تعالى عذابه شديد وقاس ومؤلم يوم القيامة في نار جهنم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ} أي الفتي والغنائم هي كذلك لفقراء المهاجرين الذين هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة {الَّذِينَ أُخْرِجُوا} الذين هاجروا وطردهوا {مِنْ دِيَارِهِمْ} من بيوتهم من مكة إلى المدينة المنورة {وَأَمْوَالِهِمْ} أي هجروا أموالهم وتركوها خلفهم هرباً من كفار قريش وبطشهم بهم {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ} يطلبون رحمة وسعة في العيش والمعيشة من الله تعالى فكانت غنائم بني النضير وغنائم اليهود من بني قريظة وبني قينقاع وهذا فضل من الله تعالى

وكرم ومنة ونعمة للمهاجرين من الله تعالى {وَرِضْوَانًا} أي يطلبون رضا الله تعالى عليهم {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ} باتباعهم وأمر الله تعالى {وَرَسُولَهُ} يتبعون أوامره وينصرونه في حربه على الأعداء وينصرونه باتباع سنته {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هؤلاء هم الصادقون حقاً فهم لا يكذبون ولا يداهنون ولا ينافقون حيث عملوا وهاجروا وجاهدوا ولم يقولوا ما لا يفعلون.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} وهم الأنصار أهل المدينة المنورة الذين سكنوها وآمنوا فيها من قبل أن يهاجر إليها المهاجرون من الصحابة من مكة {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} يحبون الصحابة المهاجرين مع الرسول عليه الصلاة والسلام {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ} ولا يجد هؤلاء الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان في قلوبهم اتجاه إخوانهم من المهاجرين {حَاجَةً} من شح أو بخل أو ضغينة أو كره أو ضيق أو غل أو حسد {مِّمَّا أُوتُوا} مما أعطوهم أو وهبوهم أو أهدوهم {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ} ويقدمونهم على أنفسهم ويبذلونهم على أنفسهم {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ولو حتى كانوا محتاجين إليها أكثر من المهاجرين وهذه صفة خص الله بها الأنصار وهي الإيثار على أنفسهم للمهاجرين وهذا غاية الكرم

والسقاء {وَمَنْ يُوقَ} ومن يُحفظ ويُمنع {شَحَّ نَفْسِهِ} بخل نفسه على نفسه وأهله وغيره {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فهم الفائزون في الدنيا بالسمعة الحسنة وفي الآخرة يفوزون بالجنة ورضوان الله تعالى. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أفضل الصدقة جهد المقل [وهو الذي لا يملك غيرها وهو المحتاج لها ويتصدق بها]). وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياك والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨]. {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} أي الأمم اللاحقة من المسلمين وإلى يوم القيامة {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} أي يطلبون لأنفسهم وإخوانهم ممن سبقوهم بالإيمان والإسلام المغفرة أي مغفرة الذنوب {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} ويطلبون من الله تعالى ويسألونه بعد المغفرة لهم ولمن سبقهم من إخوانهم المسلمين أن لا يجعل في قلوبهم غلاً وحقداً وحسداً وعداوة للمؤمنين سواء السابقين أو الحاليين أو القادمين. قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم. ثم قرأت هذه الآية: "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" الآية. وقال إسماعيل بن علي عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتهم. سمعتُ نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها).

[رواه البغوي - ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩]. {رَبَّنَا} إلهنا ومعبودنا ورب العالمين ورب الأرباب {إِنَّكَ رَءُوفٌ} رؤوف على خلقك ترأف بهم {رَحِيمٌ} ترحمهم ورحمتك سبقت عذابك فأنت رحيم بخلقك وخاصة المؤمنين يوم القيامة ترحمهم وتدخلهم الجنة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَ الْأََدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوْنَ ﴿١٢﴾ لَأَتْتُمَّ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ ﴿١٣﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد ما يفعله وتنظر {إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا} إلى المنافقين وهم الذين يُظهرون ما يبطنون وهم الكذابون والمداهنون {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يقولون لإخوانهم وسمى الكفار إخوان المنافقين لأنهم إخوة في الكفر فالمؤمنون إخوة لبعضهم البعض وأما المنافقون فإخوانهم الكفار {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} من اليهود من بني النضير {لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ} ولئن طردتم وأبعدتم عن دياركم وبيوتكم وأرضكم ومساكنكم {لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ} أي سنترك المدينة ونخرج معكم ونغادرها ولا نعود إليها أبداً ما دمت لم تدخلوها أي سينزحون عن المدينة تعاضداً وتكاتفاً مع يهود بني النضير وعداوة للمسلمين وللرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا} ولا نسمع رأي أحد يعمل ضدكم سواءً ليحاربكم أو يطردكم ويخرجكم من المدينة ولا نطيع أحداً ولا نسمع له رأياً أو مشورةً أو أمراً

يكون ضدكم وضد مصالحكم {وَأِنْ قُوتِلْتُمْ} وإن حوربتم من المسلمين ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَنَنْصُرَنَّكُمْ} أي سننصركم ونحارب معكم وندافع عنكم ونقف معكم ضد محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين ونجعلكم تنتصرون عليهم وتهزمونهم {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَشْهَدُ} إِيَّاهُمْ لَكَذِبُونَ} يشهد على أن الكفار كاذبون وهو يعلم علم اليقين كذبهم ونفاقهم وخداعهم ويخبر رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك {لَئِنْ أُخْرِجُوا} لئن طُرد يهود بني النضير من المدينة {لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ} لن يتركوا المدينة وبيوتهم ولن ينزحوا عن ديارهم ولن يخرجوا مع يهود بني النضير لأن وعدهم كاذب لأن المنافقين من شيمتهم أنهم يُظهرون ما لا يبطنون لخوفهم وجبنهم فهم أجبن من ذلك وإلا لما نافقوا وداهنوا وكذبوا {وَلَئِنْ قُوتِلُوا} ولئن حارب يهود بني النضير من قبل المسلمين {لَا يَنْصُرُوهُمْ} لن يساعدوهم على النصر على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ} ولئن حاربوا معهم وساعدوهم {لَيُؤْلِبُ الْأَدْبَرُ} لَيَفِرَنَّ من المعركة كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وليتركنهم وحدهم يلقون مصيرهم وحتفهم وهزيمتهم وقد كان ذلك فلم يساعدهم كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين وجماعته من بني عوف ابن الخزرج ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس وقد جبنوا عن نصرتهم والحرب معهم وهذا يدل على صدق القرآن الكريم على كذب المنافقين وخداعهم وجبنهم وحقارتهم وهم كالحية ملمسها من الخارج ناعم ومن الباطن سم زعاف وذلك لجبنهم {ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} وبعد ذلك لو حارب المنافقون ضد الرسول عليه الصلاة والسلام فإنهم لا ينالون النصر على الرسول عليه الصلاة والسلام ولن

يهزموه بل سيفروا مذعورين {لَأَنْتُمْ} لأنتم يا محمد يا رسول الله والمسلمون معك {أَشَدُّ رَهْبَةً} أشد إخافة وإثارة للهلح والذعر {فِي صُدُورِهِمْ} في قلوبهم وأنفسهم إذ يخافون منكم أشد خوفاً وأكثر مخافة {مِّنَ اللَّهِ} أكثر من مخافتهم من الله تعالى وعذابه في جهنم يوم القيامة فهم يخشونكم ويخافونكم في الدنيا أكثر بكثير {ذَلِكَ} بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ} وذلك لأنهم قوم وجماعة وأناس {لَّا يَفْقَهُونَ} لا يفهمون ولا يعلمون شدة عذاب الله تعالى في الدنيا بالقتل والأسر والهزيمة والخزي وفي الآخرة بدخول جهنم ولهيبها ونارها وعذابها وهولها.

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

{لَا يُقَاتِلُونَكُمْ} أي لا يقاتلكم اليهود والمنافقون يا محمد يا رسول الله أنت والمسلمين {جَمِيعًا} أي اليهود والمنافقون مجتمعين {إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ} أي داخل أسوار محصنة وقوية تحميهم وهم داخل حصونهم في قراهم ومدنهم {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} أي من وراء جدران أو أسوار حتى تقيهم وتحميهم من سهامكم ورماحكم وسيوفكم. وفي العصر الحاضر الجدر هي جدران المصفحات والدبابات والمجنزرات والطائرات فهي محصنة من الإصابة لارتفاعها في الجو ولسرعتها {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} سواء اليهود أو المنافقين عداوتهم وخصومتهم لبعضهم البعض شديدة وقاسية ومؤلمة {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا} تظن يا محمد يا رسول الله أن اليهود والمنافقين مجتمعين وقلوبهم على بعضهم البعض {وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ} وقلوبهم عن بعضهم متفرقة يأكلها الغدر والخيانة والحقد والحسد على بعضهم البعض وهي بعيدة عن بعضها

البعض لأن الكره فيما بينهم هي عادة أو غريزة أصيلة متمكنة في قلوبهم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} أي اليهود والمنافقين {قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} لا يدركون ولا يفهمون ولا يعرفون أنه يجب أن تكون قلوبهم متآلفة ومترابطة لمواجهة الأعداء.

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} وهم كفار قريش وهزيمتهم في بدر وقتل زعمائهم وصناديدهم مثل أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميرة بن خلف وغيرهم. قال ابن إسحاق: قال ابن إسحاق: حدثني حميد الطويل عن أنس ابن مالك قال سمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول: (يا أهل القلب) [حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يُلقى قتلى بدر من الكفار في القلب] يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أميرة ابن خلف ويا أبا جهل بن هشام - فعدّد من كان منهم في القلب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ فقال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا فقال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني). [وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه وهذا على شرط الشيخين - السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤٩، ٤٥٠]. {ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} ذاقوا الخزي والعار والهزيمة والقتل والأسر في معركة بدر الكبرى وذاقوا خسران رأيهم ومشورتهم وحربهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وذهب صيتهم بين الناس وسمعتهم بهزيمتهم هذه {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

ولهم عذاب مؤلم وشديد وقاس في نار جهنم يوم القيامة لكفرهم ولمعاداتهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ} كمثل إبليس اللعين {إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} إذ يوسوس للإنسان بالكفر والمعصية {فَلَمَّا كَفَرَ} فلما أطاعه الإنسان وكفر مثله {قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ} أي ليس لي علاقة بك ولم آمرك بذلك وذلك بعد وقوع الفأس في الرأس وبعد ارتكاب المعصية والكفر يقول له الشيطان إني بريء منك ولا شأن لي بك فتحمل وزرك لوحده {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} إني أخاف الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبِّ الْعَالَمِينَ} رب الخلق جميعهم. وهكذا حال المنافقين مع يهود بني النضير قالوا لهم إن قوتلتهم لننصرنكم ولكنهم خذلوهم وتركوهم في الساحة وحدهم يلقون مصيرهم المحتوم {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا} أي المنافقون ويهود بني النضير والشيطان والذي أطاعه وكفر {أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} أن مصيرهما إلى نار جهنم يوم القيامة خالدين فيها ومخلدين ودائمين لا يخرجون منها أبداً {وَذَلِكَ} وهذا هو {جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} هذا هو مصير وعاقبة من ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا غيرهم بالمعاصي والذنوب والعصيان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠﴾﴾

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واخلشوه وأطيعوه واعبدوه {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} ولتنظر ولتتبصر كل نفس وكل شخص ما قدم لغد يوم القيامة حتى ينجو من عذاب الله تعالى ومن عذاب النار {وَاتَّقُوا اللَّهَ} وخافوا الله واخلشوه وأطيعوه واعبدوه وكرر الأمر هنا لثاني مرة لتأكيد التأكيد على أن الأمر ليس هيناً ولا سهلاً بل يوم عند ربك كآلف سنة مما تعدون فما بالك بيوم القيامة وهو بخمسين ألف سنة {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} إن الله تعالى خبير وعليم ومحيط ويدري ويعلم ويعرف ما تعملون وما تفعلون في الدنيا وهو علام الغيوب ويعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ} نسوه بترك الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتهليل والتحميد ونسوه كذلك بترك الحق واتباع الباطل والظلم والفجور والعصيان {فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ} لا يصلحون من شأنهم وسلط عليهم الهموم والأحزان بحيث نسوا أنفسهم من شدة المشاكل فلا يستطيعون أن يأكلوا أو يشربوا شرباً هنيئاً بل نكداً وكدرأً وعذاباً ونسوا أطفالهم من الرعاية والعناية وأزواجهم حتى خرجوا من بيوتهم بالرزيلة وأنسأهم أنفسهم من العفة والطهارة والسمعة الحسنة بشرب الخمر ولعب القمار والزنا والسرقة والقتل والغش وهكذا {أُولَٰئِكَ} هؤلاء {هُمُ الْفَاسِقُونَ} هم العاصون والمذنبون المعلنون

المعصية لأنهم يفضحون أنفسهم بأنفسهم بارتكاب المعاصي علناً {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ} لا يتساوى من كان في النار ولهيبها وسعيرها وعذابها وهولها ومن كان في الجنة ونعيمها وترفها وحورها وشرابها {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} أصحاب الجنة طبعاً وبلا شك هم الفائزون والرابحون بالجنة ونعيمها وترفها وشرابها وحورها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ۚ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ۚ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۚ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾﴾

{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ} يقول الله تعالى معظماً للقرآن الكريم وهو كلامه سبحانه وتعالى لو أنزلناه {عَلَى جَبَلٍ} على جبل من الجبال الشوامخ {لَرَأَيْتَهُ} لشاهدته يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المسلم من بعده {خَاشِعًا} خائفاً وجلاً {مُتَصَدِّعًا} متشققاً ومتهدماً ومنهاراً {مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} من خوفه من الله تعالى كما قال تعالى: " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا " ١٤٣ الأعراف. {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ} وهذه الأمثلة {نَضْرِبُهَا} نقولها أمثالا {لِلنَّاسِ} لعامة الناس {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} يتعظون بذلك ويتفكرون ويتدبرون خلق الله تعالى وقدرته وكونه ويتفكرون ويتدبرون ويتعظون بأوامره ونواهيه {هُوَ اللَّهُ} هو الله تعالى جل

جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله غيره ولا معبود سواه {عَلِمُ الْغَيْبِ} عالم بالغيب والغيب هو ما غاب عن الناس والخلق يعرفه كله فيعرف عن من يحيا أو يموت وعن أرزاق الخلق جميعهم وآجالهم وحياتهم ومعيشتهم وعما يجري في الدنيا وما جرى وما يجري وما كان وما هو كائن وما سيكون وعالم غيب السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن ولا يعزب عنه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ويعلم غيب يوم القيامة والجنة ومن يدخلها ومتى تقوم الساعة وكما قال تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" ٥٩ الأنعام. وكما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ٣٤ لقمان. {وَالشَّهَادَةِ} وهي العالم المنظور والمعلوم والمشاهد بالعين فهو عالم به ويشهده ويعلم شهادة الحق من الباطل ومن الزور والبهتان {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الرَّحْمَنُ} رحمان الدنيا والآخرة وقال تعالى في الحديث القدسي: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت له اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وهو ثاني اسم بعد اسم الله الأعظم وهو "الله" ويستجاب للداعي به قال تعالى: "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" ١١٠ الإسراء. {الرَّحِيمُ} مأخوذة من الرحمة بخلقه في الدنيا وفي الآخرة رحيم فقط بالمؤمنين كما قال تعالى: "وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا" ٤٣ الأحزاب. {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} الله تعالى هو الذي لا إله غيره ولا معبود سواه {الْمَلِكُ} هو الملك ملك الملوك

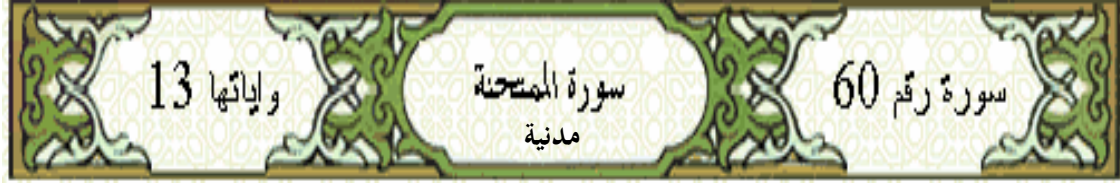
ملك الدنيا والآخرة {الْقُدُّوسُ} المطهر والمبارك والمقدس في نفسه ومن قبل خلقه {السَّلَامُ} الأمان لكونه وخلقته من بعضهم البعض يستجيرون به {الْمُؤْمِنُ} المؤمن والمصدق بأن الملك ملكه والكون كونه والخلق خلقه والعباد عبادَه وهو الذي يؤمن خلقه ويوفر لهم الرزق والأمن والأمان كما قال تبارك وتعالى: " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ " ٤ قريش. {الْمُهَيِّمُ} الحاكم بقدرته ومشيئته على كونه وعلى خلقه فهو يحيي ويميت ويرزق ويغني ويفقر ويتصرف كيفما شاء في كونه وخلقته {الْعَزِيزُ} المنيع القوي في ملكه {الْجَبَّارُ} شديد العقاب وشديد العذاب فعذابه نار جهنم الموقدة يوم القيامة فعذابه شديد قاس مؤلم وهو القوي والشديد في عذابه للكفار والعصاة والمشركين {الْمُتَكَبِّرُ} في كونه فلا أحد أكبر منه ولا أحد أعظم منه والمتكبر بعظمته وقوته وجبروته وبكونه فلا خالق لهم غيره ولا رب سواه فهو الكبير فوق كل كبير وعظيم فوق كل عظيم {سُبْحَنَ اللَّهِ} تنزهه الله تعالى وتباعد وتعالى عما لا يليق ولا ينبغي له {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عما يقولون ويشركون معه غيره في ملكه كمن جعل له ولداً مثل النصارى جعلوا عيسى عليه السلام ابن الله واليهود جعلت العزيز ابن الله وقالت طائفة من النصارى ثالث ثلاثة وهو ما يسمى بالثالوث وهم مريم وعيسى والله وقسم جعل الأصنام والأوثان آلهة مع الله تعالى ومنهم من جعل البقر أو النار أو الشمس أو الفرج وغيرها آلهة فتعالى الله عن ذلك فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ} هو الله تعالى وحده الخالق لجميع الخلق من ملائكة وإنس وجن وحيوانات وطيور وكل الكون هو الذي خلقه وخلق الدنيا والآخرة {الْبَارِئُ} المخرج من العدم خلقه وكونه {الْمُصَوِّرُ} المكون الخلق على أية صورة شاء كما قال تعالى: " فِي أَيِّ

صُورَةً مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ " ٨ الإنفطار. أي على صورة شاء الله خلقك عليها فمنهم من هو جميل أبيض المنظر أو أسود أو أحمر ومن يمشي على رجلين أو أربع وهكذا وكما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ " ٦ آل عمران. {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} لله تعالى الأسماء الحسنی والعظيمة والطيبة وهي تسعة وتسعون اسماً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها - وفي لفظ من حفظها - دخل الجنة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٠٨]. وأما الأسماء الحسنی فهي للأدعية تدعوا بها في الحاجات وتختار لكل حاجة اسماً يناسبها أما إحصاؤها لدخول الجنة فهو عند المحققين أن تقرأ أو تذكر الاسم الشريف من الأسماء الحسنی مائة ألف مرة حتى تتمها عندها تكون من أهل الجنة ويفتح الله لتاليها أبواب المكاشفات واختراق الحجب ورفع الأستار عن المغيبات ويريه الله تعالى من عجائب وغرائب علمه وهذا يعرفه أهل الخلوات والحضرات [حلقات الذكر] الذين يجلسون في الخلوة مدة أربعين يوماً يتلون فيه هذه الأسماء فلا يتمونها إلا وقد فتح الله عليهم من فيوضات علمه اللدني وهذا لا شك فيه ومعروف لدى الخاصة وأهل الذكر وقال صلى الله عليه وسلم: (من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه). [اسم الله الأعظم ص ٦٠]. والأسماء الحسنی هي: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مالك يا محيط يا قديم يا عليم يا حكيم يا تواب يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع يا كافي يا رؤوف يا شاکر يا إله يا واحد يا غفور يا حلیم يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا عليّ يا عظيم يا وليّ يا غنيّ يا حميد يا وهاب يا قائم يا سريع يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا عفو يا مقيت يا وكيل يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا قادر يا خبير يا محيي يا مميت يا نعم المولى ويا نعم النصير يا

حفيظ يا قريب يا مجيب يا قوي يا مجيد يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالاً لما يريد يا كبير يا متعال يا حنان يا منان يا خلاق يا رزاق يا صادق يا وارث يا شكور يا غافر يا قابل التوب يا شديد العقاب يا ذا الطول يا ذا القوة يا متين يا ظاهر يا بر يا ملك يا مقتدر يا وافي يا ذا الجلال والإكرام يا أول يا آخر يا باطن يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور يا مبدئ يا معيد يا أحد يا صمد. وقيل أن من صام الخميس ودعا بها ليلة الجمعة وقت السحر استجيب له {يُسَبِّحُ لَهُ} يسبح لله تعالى أي ينزهه الله تعالى عن كل سوء ويباعده عن كل ما لا يليق ولا ينبغي والتسبيح هو "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١]. وفي رواية: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"). [هذا آخر حديث ختم به البخاري صحيحه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. وقال سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. {مَا فِي السَّمَوَاتِ} الملائكة والشمس والقمر والنجوم {وَالْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من إنس وجان وحيوان وطيور وحياتان وأحجار وأشجار وكما قال تعالى: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" ٤٤ الإسراء. وكما قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ" ٤١ النور.

{وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} القوي المنيع في ملكه {الْحَكِيمُ} الحكيم في ملكه وخلقه المدبر شؤون الكون بحكمته وقدرته ومشيئته وتدبيره.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا خالد يعني ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع ابن أبي نافع عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْسِيَ وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ مَاتَ شَهِيداً وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٤]. وأخرج ابن مردويه في تفسيره عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة الحشر بعث الله له سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن وإن كان ليلاً حتى يصبح وإن كان نهراً حتى يمسي). [مجربات الديربي الكبير ص ٦٨]. وأخرج ابن مردويه أيضاً عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه أو ليلته كفر الله عنه كل خطيئة عملها). [مجربات الديربي الكبير ص ٦٨]. وقال صلى الله عليه وسلم: (تهرب مردة الشياطين من سورة يس وآخر الحشر والمعوذتين). [خزينة الأسرار ص ١٥٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾﴾

{يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ} أي لا تتخذوا الكفار وهم عدو لله وعدو لكم أيها المؤمنون وعدو لدينكم {أَوْلِيَاءَ} أصدقاء وأحباب وتتخذونهم حلفاء لكم توالونهم وتساعدونهم على المسلمين {تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} أي تصادقونهم وتحبونهم وتتعاونون معهم {وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} يطردون الرسول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من مكة وأنتم معه وسبب ذلك {أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ} وسبب ذلك هو إيمانكم بالله تعالى ربكم الذي خلقكم {إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي} أي لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إن كنتم حقاً خرجتم جهاداً في سبيل الله تعالى لا لدنيا أو لمغانم تكسبونها {وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} أي لوجه الله تعالى وطلباً لرضاه وطاعته {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} أي تبغثون إليهم سراً بأنكم معهم وأنتم أحبابهم وأصدقائهم وهذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وكان قد

أرسل بكتاب مع امرأة من قريش يعلمهم فيه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يريد فتح مكة وذلك حتى تكون له يد عند قريش إذا انتصرت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم والقصة في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد [في رواية الإمام أحمد هو المقداد] والزبير ابن العوام وكلنا فارس وقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين [قريش]) فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: الكتاب؟ فقالت ما معي كتاب فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتاباً فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك [أي لنعرينك من الثياب تفتيشاً وبحثاً عن الكتاب] فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها [معقد إزارها] وهي محتجزة بكساء فأخرجته [وفي رواية الإمام أحمد أخرجته من عقاصها أي من رأسها من صفائر شعرها] فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر [ابن الخطاب] يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما حملك على ما صنعت؟) قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال صلى الله عليه وسلم: (صدق لا تقولوا له إلا خيراً) فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال: (أليس من أهل بدر؟) فقال - لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو - قد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله

أعلم. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٥]. {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخَفَيْتُمْ} واللّه تعالى يعلم بالسرائر وما تخفي الصدور حيث هو الذي بلغ رسوله بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام بكتاب حاطب ابن أبي بلتعة الذي بعثه مع المرأة إلى قريش فهو يعلم السر وأخفى {وَمَا أَعْلَنْتُمْ} ويعلم العلن وهو ما يظهره المرء من الناس {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ} ومن يفعل ويتقرب منكم أيها المؤمنون إلى المشركين ويواددهم ويتخذهم أولياء وأحباب وأصدقاء ويتعاون معهم ضد المؤمنين {فَقَدْ ضَلَّ} فقد ضل وابتعد عن الحق والهدى والرشاد وغوى وهلك {سَوَاءَ السَّبِيلِ} الطريق السوي المستقيم الذي لا انحراف فيه أي ابتعد عن الحق والهدى والرشاد وابتعد عن دين الإسلام وعن الحق والصواب.

﴿إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ ٢٠ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾

{إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ} إن ينتصروا عليكم أو يحكموكم أو يتولوا أمركم {يَكُونُوا} يصبحوا {لَكُمْ أَعْدَاءَ} ويظهروا لكم عداوتهم التي كانت مخفية ومستترة في صدورهم {وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} ويمدوا عليكم أيديهم بالقتل والضرب {وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ} وألسنتهم بالشر والشتم والسباب والأذى {وَوَدُّوا} ورغبوا وتمنوا {لَوْ تَكْفُرُونَ} لو تكفرون وتصبحون كفاراً بمحمد وبالقرآن وبالله تعالى وتكذبون كل ما جاءكم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتصبحوا مثلهم كفاراً وأعداءً لمحمد صلى الله عليه وسلم {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ} وهذا الخطاب لحاطب ابن أبي بلتعة وأمثالهم ممن يريد أن تكون له يد وواسطة وشفاعة عند الكفار

والأعداء ممن يخونوا الله ورسوله والذين آمنوا في الحروب فيقول الله تعالى لهم لن تنفعكم ولن ينجيكم من عذاب الله تعالى يوم القيامة ما عملتم لأرحامكم وأولادكم وأهليكم من الخيانة لصالح الأعداء وإفشاء أسرار المسلمين حتى ينجو بها أولادكم وأهلوكم وأرحامكم من يد الكفار هذا لن ينفعكم عند الله يوم القيامة ولا ينجيكم من عذابه تعالى يوم القيامة كما قال تعالى: " وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ {٨٧} يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {٨٨} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٩} " ٨٧ - ٨٩ الشعراء. وكما قال تعالى: " فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ {٣٣} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {٣٤} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {٣٥} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {٣٦} " ٣٣ - ٣٦ عبس. {يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ} فالله تعالى هو الذي يفصل ويحكم بينكم بالحق والعدل يوم القيامة كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨، ٧ الزلزلة. {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} والله مطلع على ما تعملون من أعمال خيراً كانت أو شراً وسيحاسبكم عليها.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٦٠﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ ۖ الْآخِرَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} قد كانت لكم قدوة وعظة {فِي إِبْرَاهِيمَ} في إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {وَالَّذِينَ مَعَهُ} والمؤمنين مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ} قالوا لقومهم وقبيلتهم {إِنَّا بُرءَاؤُا} تبرأنا {مِنْكُمْ} من عملكم {وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} ومما تعبدون من الأصنام والأوثان غير الله تعالى {كَفَرْنَا بِكُمْ} سقطتم من أعيننا ولن نتخذكم قدوة أبداً {وَبَدَأَ} وظهرت {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} بيننا نحن المؤمنين وبينكم أيها الكفار العداوة والبغضاء والكره والشحناء دوماً {حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} حتى تؤمنوا بالله وحده لا شريك له {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} إلا ما قد وعد إبراهيم عليه السلام والده بالاستغفار له {وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ} وليس لدعائي لك أي فائدة بدون قبول الله تعالى كما قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ٢٥٥ البقرة. {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} ربنا عليك اعتمدنا في جميع أمورنا وعلينا الدعاء وعليك الإجابة {وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ} وإليك رجعنا بالطاعة والعبادة

{وَالَيْكَ الْمَصِيرُ} وإليك المآل والنهاية ومصيرنا ومرجعنا {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا} ربنا لا تجعلنا هدفاً للكفار ولا تسلط الكفار علينا ولا تعذبنا بأيديهم
{وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا} واغفر لنا ذنوبنا وتجاوز عن أخطائنا ومعاصينا وذنوبنا يا الله
{إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ} إنك يا الله أنت العزيز والمعتز والمنيع في ملكه وسلطانه
{الْحَكِيمُ} الحكيم في شرعه وأحكامه وأفعاله {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}
لقد كان لكم أيها المسلمون في إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي المؤمنين معه
أسوة وقدوة حسنة وطيبة في اتباعها والاقتراء بها {لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ} لمن كان يطلب مرضاة الله تعالى والنجاة يوم القيامة من عذابه ويطلب
ويأمل دخول جنته {وَمَن يَتَوَلَّ} ومن يُعرض أو يرفض ذلك {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ}
فالله تعالى هو غني عن عباده ولا يحتاج إليهم ولا إلى عبادتهم ولن تنفعه عبادتهم
{الْحَمِيدُ} الحميد الصفات ويحمد من شكره ويزيده من نعمته وفضله ورحمته.

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

{عَسَى اللَّهُ} لعل الله تعالى {أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ} أن يجعل بينكم أيها المؤمنون {وَبَيْنَ
الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ} من الكفار {مَّوَدَّةً} حباً ووفقاً وصداقة مثل خالد بن الوليد
بعد أن أسلم وكذلك أبو سفيان صخر بن حرب وعمر بن العاص وغيرهم ممن أسلم
وحسن إسلامه {وَاللَّهُ قَدِيرٌ} والله تعالى قادر على أن يجعلهم يسلمون ويكونون لكم
أحباباً وأصدقاءً وأصحاباً {وَاللَّهُ غَفُورٌ} والله تعالى غفور يغفر لمن تاب وأناب
ورجع وأسلم كما جاء في الحديث: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له). [تنبيهه

الغافلين ص ٣٦]. {رَحِيمٌ} رحيم بعباده يوم القيامة بإدخالهم الجنة من آمن منهم وتاب وندم ورجع وعمل صالحاً ثم اهتدى.

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾

{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ} لا يمنعكم الله تعالى {عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} عن الذين لم يحاربوكم بسبب اتباعكم دين الإسلام {وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ} ولم يطردوكم من أوطانكم ودياركم ومنازلكم من مكة {أَن تَبَرُّوهُمْ} أن تصادقوهم وتحسنوا إليهم وتتعاملوا معهم في جميع المعاملات {وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} وتحكموا إليهم بالعدل والحق والصواب وبالإرشاد {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} إن الله يحب الحاكمين بالعدل والحق والصواب {إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ} إنما يمنعكم الله {عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ} أي حاربوكم بسبب الدين واتباعكم الإسلام {وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ} وطردوكم من أوطانكم ومنازلكم وطردوكم من مكة {وَوَظَّاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ} وتكاتفوا وتعاونوا على طردكم من مكة {أَن تَوَلَّوهُمْ} أن تصادقوهم وتتعاونوا معهم {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ} ومن يصادقهم ويحابيهم ويتعاون معهم {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} هم الظالمون لأنفسهم بذلك لأنه سيعذبهم الله تعالى على فعلهم ذلك من تعاونهم مع الأعداء.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَتُ مَهْجِرَتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا
هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْءَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ ذَلِكُمْ
حُكْمُ اللَّهِ سَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى
الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {إِذَا جَاءَكُمْ} إذا أتاكم {الْمُؤْمِنَتُ مَهْجِرَتٍ} النساء الذين آمنوا
مهاجرات من مكة إلى المدينة وهرباً من كفار قريش {فَأَمْتَحِنُوهُنَّ} افحصوهن
واسألوهن وتأكدوا من إيمانهن وهو هل هربن طلباً للغنيمة أو طمعاً في زواج أو فراراً
من ظلم أو للبغياء وكما قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن
قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الأسدي
قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال
كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج؟ وبالله ما خرجت رغبة عن أرض
إلى أرض؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا؟ وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله؟.
[ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه
أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٠]. {اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} فالله تعالى
وحده يعلم بصدق إيمانهن {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَتٍ} فإن تأكد لكم وعلمتم صدق

إيمانهن بالله تعالى وبرسوله {فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} فلا تعيدوهن ثانياً للكفار {لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ} لا تحل النساء المؤمنات للكفار بعد إسلامهن. وهذا استثناء من صلح الحديبية الذي تم الاتفاق عليه بين رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وكان فيه [على من يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته] وأما النساء فاستثنى الله تعالى بهذه الآية النساء المؤمنات وأمر أن لا يعدن ثانياً للكفار {وَلَا هُمْ} ولا الكفار {تَحِلُّونَ لَهُنَّ} لا يحل رجال الكفار للمسلمات بالزواج منهن {وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا} وادفعوا لهن ما دفعوا من مهر وصداق ونفقة وذلك لأزواجهن الكفار بعدما أسلمن وهاجرن {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ولا مانع عليكم وليس محرماً {أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} أن تتزوجوهن بعد إسلامهن وترك أزواجهن في مكة {إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ} إذا دفعتم لهن مهرهن وصداقهن {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} ولا تمسكوا زوجة كافرة عندكم فهي لا تحل لكم فطلقوهن واتركوهن. قال ابن محمد بن إسحاق عن الزهري: طلق عمر [ابن الخطاب] يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن حرول الخزاعية وهي أم عبيد الله فتزوجها أبو جهم ابن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥١]. {وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ} واطلبوا من الكفار ما دفعتم من مهر وصداق ونفقة لأزواجهن المشركات ولم يسلمن {وَلَيْسَ لَكُمُ الْمَالُ مِنْهُنَّ} وليطلب ذلك الكفار مهر وصداق ونفقة أزواجهن بعد إيمانهن وهجرتهن من مكة للمدينة {ذَلِكَ} هذا هو {حُكْمُ اللَّهِ تَحْكُمُ بِهِنَّ} هذا أمر الله تعالى وحكمه في كتابه القرآن حكم بينكم أيها المسلمون وبين

الكفار في هذا الشأن {وَاللَّهُ} تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} عليم بما يصلح الناس وعليهم بفائدة شرعه {حَكِيمٌ} حكيم في أوامره وشرعه {وَأِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} إن لم تأخذوا مهر وصادق ونفقة أزواجكن المشركات [اللاتي ذهبن إلى الكفار] من الكفار ولم يدفعوه لكم {فَعَاقِبْتُمْ} فأردتم العقاب {فَتَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ} أعطوا المؤمنين الذين ذهبوا أزواجهن إلى الكفار وتزوجن بالكفار {مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا} قدر ما دفعوا من مهر وذلك إما من مهر المؤمنات المهاجرات قبل إرجاع مهرهن للمشركين وما بقي بعد ذلك تعطوه للكفار أو إذا لم يكفي فأعطوهم من الغنائم وإلا من بيت مال المسلمين على قدر ما دفعوا من مهر وصادق لأزواجهن المشركات {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي احكموا بالعدل واخشوا عقاب الله في عدم الحكم بذلك وخافوا واخشوا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءٌ مُّؤْمِنُونَ} الذي آمنتم وصدقتم به وبرسوله.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا أيها الرسول يا محمد يا نبي الله ورسوله {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ} إذا حضر إليك نسوة مؤمنات آمن بالله ورسوله {يُبَايِعْنَكَ عَلَى} أي يبايعنك على اتباع دين الإسلام وهو {أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} وهو عدم الشرك وعدم جعل آلهة غير الله لا من الأوثان ولا من الأصنام ولا غيرها {وَلَا يَسْرِقْنَ} عدم السرقة

من الغير وقد سألت هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة أبي سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل عليّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك).

[أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٤]. {وَلَا يَزْنِيَنَّ} أي لا يسمحن بأن يزني بهن ويجامعهن ويعاشرهن غير أزواجهن بالحرام. ولما قال صلى الله عليه وسلم (ولا يزني) قالت هند بنت عتبة بن ربيعة يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة؟ قال: (لا والله ما تزني الحرة). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت عتبة تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها: " أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ " الآية. قالت فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٤]. {وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ} وأن لا تقتل الواحدة منهن ولدها بسبب أنها تريد أن تتزوج بآخر ولا تريد الخلفة والحبلى أو خوفاً من العار بوأد البنات أو بقتل الأولاد خشية إملاق وفقر. وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر بقيته وزاد: فلما قال: " وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ " قالت هند: ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى. [رواه ابن أبي حاتم - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٤]. {وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} ولا تأتي واحدة منهن كذباً بآبن منها لزوج وطلقها في الأشهر الأولى

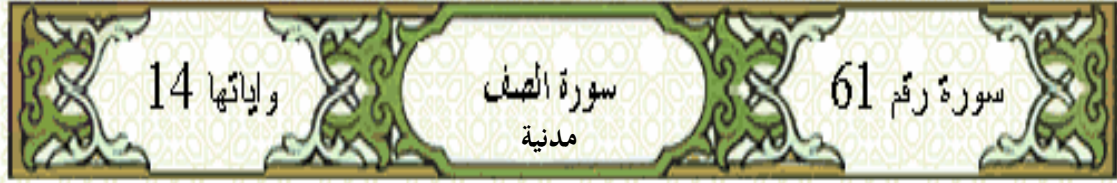
من الحمل فكتمت ما في بطنها وتزوجت آخر وتبنته للثاني دون الأول أو تأتي بمولود ابن زنا من غير زوجها وتكتم ذلك وتنسبه لزوجها {وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ} كما زوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش إلى زيد بن حارثة [حيث كان مملوكاً قبل ذلك حيث كان لخديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم أهدته إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجته صلى الله عليه وسلم ثم تبناه صلى الله عليه وسلم] فلم تقبل هي ووالدتها فنزل القرآن: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ " ٣٦ الأحزاب. فوافقت زينب على زيد وتزوجها ثم طلقها وتزوجها صلى الله عليه وسلم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا الضبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً ولا ننشر شعراً ولا نشق جيباً ولا ندعو ويلاً. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٥]. وفي الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٥]. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا هدية بن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى ابن أبي كثير أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا موسى الأشعري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب). [ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٦]. وعن أبي

سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة). [رواه أبو داود - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٦]. ولم يصافح النبي صلى الله عليه وسلم النساء في البيعة فقد قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي شهاب عن عمه قال أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنين بهذه الآية: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ .. إِلَى قَوْلِهِ .. غَفُورٌ رَحِيمٌ " قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد بايعتك) كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط ما يبائعهن إلا بقوله: (قد بايعتك على ذلك). [هذا لفظ البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٢]. لكن ورد أن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان أمسكت يده فقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال: (قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبائعكن على ألا تشركن بالله شيئاً) وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت إني إن أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني وإنما تنكرت فرقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر: (قل لهن: ولا يسرقن) قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهن لي أم لا؟ قال أبو سفيان ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعادته فقال: (أنت هند؟) قالت: عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ولا يزينين) فقالت

يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة؟ قال: (لا والله ما تزني الحرة - قال - ولا يقتلن أولادهن) قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال: " وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ " قال " وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ " قال: منعهن أن ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون بالويل والثبور. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٣، ٣٥٤]. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن قالت فقلنا مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله فقال: تباعين على ألا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين قالت فقلنا نعم قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللهم اشهد قالت وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ونهانا عن اتباع الجنائز. قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: " وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ " قالت: النياحة. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٥]. {فَبَايَعَهُنَّ} أي من ترضى بهذه الشروط من النساء فخذ عليها البيعة وبايعها {وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ} اطلب من الله لهن مغفرة الذنوب السابقة التي عملنها {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} فالله تعالى يغفر ذنب من تابت وندمت {رَحِيمٌ} رحيم بهن ويدخلهن الجنة بعد توبتهن.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَیْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا
يَیْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {لَا تَتَوَلَّوْا} لا توالوا ولا تصادقوا ولا تصاحبوا ولا تتعاونوا ولا تتخذوا
أعواناً وأحباباً {قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} وهم الكفار عموماً ومنهم اليهود والنصارى
لأنهم كفروا وأشركوا بالله تعالى حيث قالت اليهود عزير ابن الله زيادة على قتلهم
الأنبياء بغير حق وعبادتهم العجل وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وكذلك
النصارى ثلاثة أقسام منهم من قال عيسى هو الله ومنهم من قال بالثالوث أي
ثالث ثلاثة أي عيسى إله والله إله ومريم إله ومنهم من قال ابن الله أي زنا الله في
مريم وأنجبت عيسى عليه السلام كذباً وبذلك نهانا الله تعالى أن نتخذهم أحباب
أو أصدقاء أو نواليهم ونتعاون معهم أو حتى نعاملهم {قَدْ يَیْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ} أي
تيقنوا أنه ليس في الآخرة عذاب ولا عقاب لهم {كَمَا يَیْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْقُبُورِ} كما يئس الكفار منهم من أصحاب القبور بأنهم بعد أن أصبحوا رميمًا
وتراباً وعظاماً نخرة لن يحيوا ثانياً أي لن يحي الموتى أبداً كما قالوا في آية
أخرى: "أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ۖ هِيَ هَاتِ هَاتِ
لِمَا تُوعَدُونَ ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" ٣٥-٣٧
المؤمنون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾

{سَبِّحْ لِلَّهِ} أي نزه الله تعالى وسبحه {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات من ملائكة وشمس وقمر ونجوم {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من الإنس والجن والدواب والمؤمنون والشجر والطير كما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ النور. وكما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وهنا كل يسبح الله تعالى بقوله سبحان الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥ ، ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١ ، سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. {وَهُوَ} أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو {الْعَزِيزُ} العزيز في ملكه المعتز بسلطانه المنيع في ملكه فهو عزيز الجانب لا يُذل {الْحَكِيمُ} الحكيم في شرعه وأحكامه وأفعاله أي مدبر شئون كونه بحكمته وقدرته وتدبيره بالحكمة دون أخطاء.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّصُونَ ﴿٦٢﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لِمَ} لماذا {تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} وهي آية عامة لكل من يقول شيئاً ولم يوف بما قال سواء كان حاكماً أو أميراً أو واعظاً أو تاجراً وكما قال تبارك وتعالى: " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " ٤٤ البقرة. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذِبَ إذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا أُوْتِمِنَ خَانَ). [ابن كثير ج٤ ص٣٥٧]. وهذا يعني أن لا يعد المرء بشيء إلا إذا أراد التنفيذ والوفاء ولا يعد وعوداً كاذبة وهذه الآية تنهى عن الكذب عموماً {كَبُرَ مَقْتًا} أكبر غضب ومقت من الله تعالى هو لعبد حمل نفسه ما لا يطيق ولم يوف بوعده كالنذر مثلاً فينذر شيئاً ثم لا يوف بنذره أو يعد أحداً بشيء ثم لا يوف له بوعده فهو نوع من الكذب أو النفاق {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى يوم القيامة فيعذبه على كذبه ووعده هذا الذي لم يوف به {أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} أن تعدوا أحداً بشيء لا توفون به ولا تنفذوه فهذا يبغضه الله تعالى ويكرهه وسيحاسبكم عليه يوم القيامة {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ} يحب الله تعالى المجاهدين في سبيل الله ويقاتلون الأعداء بالسيف أو حتى بالكلمة كالخطباء والوعاظ وحتى الأعلام الوطنية الشريفة {صَفًّا} كل من الحاكم والأمير والقائد والجندي والواعظ والمدرس والصحفي والكاتب ينبغي أن يكونوا في الجهاد صفّاً واحداً يحرضون على

الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ " ٦٥ الأنفال. {كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَّرْصُوصٌ} مثل قوالب طوب البناء متراصة متلاحمة لا فراغ بينها حتى لا يدعوا للعدو ثغرة يدخل منها إلى صفوفهم حتى كان صلى الله عليه وسلم يسوي الصفوف كصفوف الصلاة ومن يخرج من الصف يرجعه ويعدله بعصاه. وسبب نزول هذه السورة الشريفة ما رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى ابن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلاً فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٦].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي} وإذ قال موسى مخاطباً قومه ومعاتباً لإيذائهم له بتكذيبهم له ومعاندتهم وعدم تصديقه تارة بعبادة العجل وتارة يقولون له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وتارة يرفضون المن والسلوى ويطلبون العدس والبصل وهكذا ويقول لهم {وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} مع علمهم وتأكدهم بأنه رسول الله حقاً حيث رأوا معجزة العصا وهي تلقف حبال وعصي سحرة فرعون ورأوا كيف فلق الله تعالى له البحر بعصاه فهم متأكدون ولكنهم جُبلوا على التكذيب والعصيان والمخالفة {فَلَمَّا زَاغُوا} فلما ابتعدوا عن اتباع الحق والهدى ولم يتبعوا موسى عليه السلام وهو رسول الله تعالى

وكليمه ومن الأربعة أولي العزم من الرسل {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} زادهم الله بعداً وضلالاً حتى أنهم تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة لمعاندتهم ومخالفتهم رسول الله موسى عليه السلام {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} والله لا يدلهم على الطريق المستقيم وذلك لعصيانهم ومخالفتهم لرسولهم موسى عليه الصلاة والسلام وهم قوم وفئة فاسقة وضالة لأنها تعلن بالمعصية علناً.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} قال عيسى عليه الصلاة والسلام وهو ابن مريم بنت عمران {يَبْنِي إِسْرَءِيلَ} حيث أنه من بني إسرائيل وبُعث إلى بني إسرائيل حيث أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولد له ولدان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو أبو العرب من هاجر وإسحاق من سارة وولد له ولد وهو نبي ورسول وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وسمي إسرائيل في لغتهم وإسرا معناه عبد وإيل أي الله أي عبد الله وولد ليعقوب يوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته الأحد عشر ومنهم ولد موسى عليه الصلاة والسلام وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى كلهم من إسرائيل وهو عبد الله يعقوب عليه الصلاة والسلام ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام جميعاً فعيسى عليه الصلاة والسلام هو من سلالة بني إسرائيل [أي يعقوب عليه السلام] وأُرسِل إلى بني إسرائيل فقال لهم {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} أي أرسلني الله تعالى إليكم لهدايتكم وكان الرسول في الأمم السابقة يرسل إلى قومه فقط ما عدا نبينا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة حيث

هو خاتم النبيين {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ} أي أنا أصدق الرسالات من قبلي {مِنْ التَّوْرَةِ} من كتاب موسى عليه الصلاة والسلام وهو التوراة {وَمُبَشِّرًا} وأبشر وأقول لكم أن الله تعالى سيأتيكم {بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} برسول سيأتي من بعدي اسمه أحمد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث قال البخاري: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب). [ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه - ابن كثير ج ٤ ص ٣٦]. {فَإِمَّا جَاءَهُمْ} فلما جاءهم عيسى عليه السلام {بِالْبَيِّنَاتِ} أي بالمعجزات الباهرات والظاهرات وهي شفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وبشارته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله {قَالُوا} أي بنو إسرائيل {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} هذا الذي جاء به من المعجزات من إبراء الأعمى والأبرص وإحياء الموتى هذا سحر عظيم.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ} سؤال استنكاري بمعنى فهل أحد أظلم منه؟! أو هي بمعنى هو أشد ظلماً من غيره ولا أحد أظلم منه وهو مَنْ {افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} أي ممن قال بالشرك أو اختلق كذباً وافتراه على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ} أثناء دعوته لاتباع دين الإسلام بأن أشرك بالله غيره كاليهود قالوا عزيزاً ابن الله وقالت النصارى عيسى ابن الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة [الثالث] وهذا هو الافتراء على الله والكذب عليه {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} والله تعالى لا يهدي للحق والرشاد والهدى ودين الإسلام من ظلم نفسه بالشرك والكفر ولم يقبل غيرهما {يُرِيدُونَ} يريد المشركون والكفار من اليهود والنصارى يريدون ويطلبون ويتمنون {لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ} أي يمنعوا دين الإسلام ويدفنوه في مهده قبل أن يشتد عوده وتقوى شوكته ويشتهر أمره وذلك {بِأَفْوَاهِهِمْ} بالسنتهم أي بكلامهم وحججهم الواهية وبالتحريض على دين الإسلام وتكذيبه {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ} والله مظهر دينه وقد أتمه بقوله تعالى: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً " ٣ المائدة. {وَلَوْ كَرِهَ} ولو أبغض ولو كره ولو غضب ولم يقبل {الْكَافِرُونَ} الذين كفروا برسالة الله تعالى إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وكفار قريش كأبي جهل وأبي لهب وغيرهم.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ وَدِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

{هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ} الذي بعثه رسولا وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعثه إلى قريش خاصة وإلى العرب وإلى جميع الأمم عامة {بِأَهْدَىٰ} بالحق والرشاد ويهدي إلى الطريق المستقيم وهو القرآن {وَدِينٍ الْحَقِّ} فالدين الإسلامي هو دين حق وعدل ومساواة ودين صدق {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أي ليظهره ويعليه ويرفع شأنه فوق جميع الأديان وعلى اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان حيث قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {وَلَوْ كَرِهَ} ولو أبغض وكره وغضب {الْمُشْرِكُونَ} الذين أشركوا مع الله تعالى غيره من عبادة الأصنام أو كاليهود الذين قالوا عزير ابن الله أو النصراني قالت عيسى ابن الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة وغيرهم ممن عبدوا غير الله تعالى ممن عبدوا النار والشمس والكواكب والفرج وخلافه.

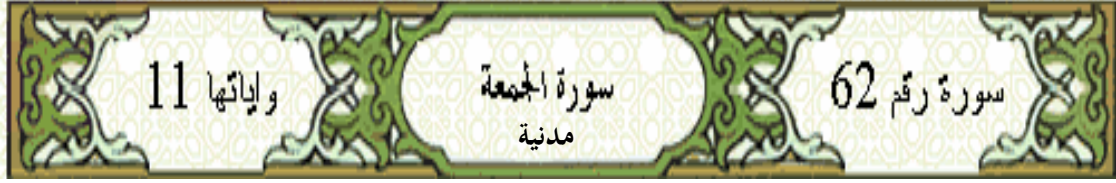
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ
وَرُسُلِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} والسؤال هنا للفت النظر
وجذب الانتباه هل تريدون أن أدلكم وأرشدكم على تجارة للآخرة تنجيكم
وتحفظكم وتحميكم وتبعدكم عن عذاب أليم موجه وقاسي وشديد وهي {تُوْمِنُونَ
بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ} أي تصدقون وتؤمنون وتعتقدون بالله رباً وليس له شريك وأن
محمدًا عبده ورسوله أرسله الله تعالى إليكم وإلى الناس كافة {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللّٰهِ} وتحاربون وتجاهدون الأعداء وذلك في سبيل الله ولرفع كلمة الله وأن تكون
كلمة الله هي العليا وهي دين الإسلام {بِأَمْوَالِكُمْ} ما تملكون من مال وعقارات
وتجارة وأراض {وَأَنفُسِكُمْ} وتحاربون بأنفسكم وبأرواحكم {ذَٰلِكُمْ} هذا العمل
{خَيْرٌ لَّكُمْ} أفضل لكم {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم تعلمون صدق ذلك وإن كنتم
تعلمون أن في الآخرة جزاءً وعقاباً وثواباً {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وبذلك الجهاد يغفر
الله تعالى لكم ذنوبكم السابقة ولذلك فإن الشهيد يدخل الجنة بدون حساب
{وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ويدخلكم الله تعالى بجهادكم هذا الجنة
التي تجري خلالها الأنهار لا تنقطع نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن ونهر من

خمر ونهر من عسل {وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً} ومساكن طيبة مريحة حسنة وجميلة وقصور مشيدة {فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ} وهي من در أبيض وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من دُرَّة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها [طينها] المسك حشيشها زعفران حصباؤها اللؤلؤ ترابها العنبر - ثم قال انطقي فقالت: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٨]. {ذَلِكَ} هذا هو {الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} النجاح العظيم والباهر والتفوق المطلوب {وَأُخْرَى} وزيادة على ذلك فائدة ثانية وإضافية {تُحِبُّونَهَا} ترغبون فيها وتطلبونها وتتمنوها وهي {نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} أي تطلبون النصر من الله فسيحقق لكم وفتح مكة وغيرها قريب جداً وسترونه بأعينكم وقد كان حتى أنه فُتحت العراق وبلاد الشام ومصر وبلاد فارس وحتى حدود الصين والمغرب العربي حتى الأندلس {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بشر يا محمد يا رسول الله المؤمنين بهذا النصر والفتح القريب الذي سيحصل عليه المجاهدون والحمد لله قد كان وصدق الله العظيم ورسوله الكريم وهذا هو البرهان والحجة على صدق دين الإسلام وعلى صدق القرآن الذي ينبئ بالغيب قبل حصوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٦١﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} كونوا مناصرين لله في أقوالكم وأفعالكم وناصروا دين الإسلام بقول الحق دائماً واتباع الحق والعمل على ما يرضي الله ورسوله من عبادة وطاعة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وجهاد في سبيله ومناصرة لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومؤازرته ومساعدته {كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} عليهما السلام {لِلْحَوَارِيِّينَ} وهم أتباعه وخاصته ومؤيدوه {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} من يساعطني على نشر دين الله ونصرتي إلى ذلك {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ} قال أتباعه وخاصته {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} سننصر دين الله تعالى حتى يظهره الله تعالى {فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ} وهم الحواريون وهم ما يسمى بالنصارى حيث ناصرُوا رسول الله عيسى عليه السلام ولكنهم الآن بدلوا وغيروا وقالوا هو الله وهم اليعقوبية وجماعة قالت عيسى ابن الله وهم النسطورية {وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} وكفرت طائفة من بني إسرائيل وهم الذين أرادوا قتله ووشوا إلى ملكهم بأن عيسى ابن زانية وجاء من سفاح {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ} أيد الله ونصر من آمن مع عيسى عليه السلام على أعدائهم ممن كفر وكذب بعيسى عليه السلام من بني إسرائيل {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} أصبحوا معروفين مشهورين وسمعتهم ظاهرة ولن تطمس بعد عيسى عليه السلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ} التسبيح هو التنزيه والتقديس لله تعالى والتسبيح هو اللفظ بالقلب واللسان بأن يقول سبحان الله أو سبحان الله العظيم وبحمده {مَا فِي السَّمَوَاتِ} من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من إنس وجن ودواب والمؤمنون والشجر والطير كما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ النور. وكما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وكل يسبح الله تعالى بالقلب واللسان بقوله "سبحان الله" وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [الكلم الطيب ص ٥ ، ابن كثير ج ٤ ص ٣٠١ ، سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. {الْمَلِكِ} الله تعالى هو ملك الملوك كما قال تعالى: " مَلِكِ النَّاسِ " ٢ الناس. {الْقُدُّوسِ} المطهر والمبارك والمقدس في نفسه ومن خلقه {الْعَزِيزِ} المنيع والقوي في ملكه ومنيع وعزيز الجانب والمعتز بسلطانه {الْحَكِيمِ} الحكيم في شرعه وأحكامه وأفعاله أي مدبر شئون كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة دون أخطاء.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩٣﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩٤﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩٥﴾﴾

{هُوَ الَّذِي} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي {بَعَثَ} أرسل {فِي الْأُمِّيِّينَ} في أمته صلى الله عليه وسلم وهم لا يقرؤون ولا يكتبون وهم العرب كما قال تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وكما قال تعالى: " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ {١٩٤} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ {١٩٥} " ١٩٣-١٩٥ الشعراء. {رَسُولًا مِنْهُمْ} أي أرسل الله رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من قومه من العرب {يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} يقرأ عليهم آيات القرآن الكريم {وَيُزَكِّيهِمْ} يجعلهم صلحاء ويطهرهم من الكفر والشرك والمعاصي {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} يعلمهم القرآن قراءة وفهماً {وَالْحِكْمَةَ} السنة الشريفة {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ} وإن كانوا قبل نزول القرآن وقبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهم {لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} في غي وضلال وبعد عن الهدى عظيم وهو الكفر والشرك وعبادتهم الأصنام والأوثان {وَأَخَرِينَ مِنْهُمْ} وغيرهم آخرين من أمته صلى الله عليه وسلم {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} لا يزالون في أصلاب آبائهم وأمهاتهم أي لم يولدوا بعد أو أحياء ولم يسلموا بعد {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} المنيع والقوي في ملكه والعزیز في ملكه وسلطانه ومنيع وعزیز الجانب والمعتز بسلطانه {الْحَكِيمُ} في شرعه وأحكامه وأفعاله أي مدبر شؤون

كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة ودون أخطاء {ذَلِكَ} رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَضْلُ اللَّهِ} عطاء الله وفضله وكرمه {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} يعطيه من يشاء من عباده وخلقه {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} والله تعالى ذو الفضل والعطاء والكرم الكبير.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

{مَثَلُ} ضرب الله تعالى مثلاً {الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ} وهم اليهود لأن التوراة نزلت عليهم وكان رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام وحملوا التوراة أي أمروا بالعمل بما جاء بها من أوامر ونواهي {ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا} غيروها وبدّلوها ولم يعملوا بها فمثّلهم {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} كمثل الحمار يحمل كتباً ولا يعرف قراءتها أو يحمل أمتعة السفر على ظهره ولا يعلم ما هي ولا ما فيها ولا إلى أين هو ذاهب بها واليهود كذلك لا يعلمون التوراة ولا ما فيها ولا لماذا أنزلت عليهم حيث لم يأخذوا بها ولم يعملوا بها بل غيروها وبدّلوها {بِئْسَ مَثَلُ} قَبْحٌ وساء المثل مثل {الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا} وهم الكفار والعصاة {بِآيَاتِ اللَّهِ} بكلامه وآياته {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي} لا يهدي ولا يرشد إلى الحق والهدى والرشاد {الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لكفرهم وعنادهم فيتركهم في غيهم يعمهون ويتخبطون وكما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم.

﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا} يا أيها اليهود {إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ} إن زعمتم وافتريتم واختلقتكم وكذبتكم بأنكم {أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ} أي أحبائه وخاصة المقربون إليه وهو وليهم وحاميهم {مِنْ دُونِ النَّاسِ} ولا أحد سواهم مقرب لله {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ} فتمنوا واطلبوا الموت وارغبوا فيه {إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في ادعائكم هذا {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ} ولا يطلبونه ولا يرغبون فيه ولا يتمنونه {أَبَدًا} إطلاقاً {بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ} بما قدمت وأسلفت أيديهم من المعاصي والذنوب والآثام والكفر والشرك {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} يعلم ويعرف الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ} إن الموت الذي تهربون منه {فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ} فإنه مدرِّكم وقادم إليكم أينما كنتم كما قال تعالى: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ " ٧٨ النساء. {ثُمَّ تُرَدُّونَ} ثم بعد ذلك ترجعون {إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ} إلى الله تعالى فهو عالم الغيب وهو ما غاب عنكم ولم تعرفوه فهو علام الغيوب {وَالشَّهَادَةِ} العالم المنظور والمعلوم والمشهد بالعين فهو عالم الغيب

والشهادة أي عالم السر والعلن. {فَيُنَبِّئُكُمْ} فيخبركم ويعلمكم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما كنتم تفعلون في الدنيا من خير أو شر.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ} إذا أذن المؤذن للصلاة {مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} وهو ظهر يوم الجمعة لصلاة الجمعة. ويوم الجمعة هو عيد للمسلمين يجتمعون فيه للصلاة ولطلب العلم ولأداء فريضة صلاة الجمعة. أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة). [سبل السلام ج ١ ص ١٤٤]. وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعاً فقال في مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما هذه؟) فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى

فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد [الذي يزداد فيه الخير] قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا جبريل وما يوم المزيد؟) قال عليه السلام: (إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس وادياً أفيح [فسيح] فيه كثب المسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم عليّ ما تمنيتم ولديّ مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة). [هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم - ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٨]. {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} وكان عمر ابن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها: "فامضوا إلى ذكر الله" أي اذهبوا إلى صلاة الجمعة لأنها ذكر لله تعالى وعبادة له {وَذَرُوا الْبَيْعَ} اتركوا التجارة في هذه الساعة حيث فيها تعاليم لكم في الخطبة تستفيدون منها في دنياكم وآخرتكم {ذَلِكُمْ} ذلك {خَيْرٌ لَّكُمْ} أفضل لكم وأحسن {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم تعلمون صدق ذلك وفائدته لكم وإن كنتم تعلمون أن في الآخرة جزاءً وعقاباً وثواباً {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ} إذا انتهت صلاة الجمعة بما فيها سنتها البعدية والقبلية فأما البعدية لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا صليتم بعد الجمعة فصلوا أربعاً فإن عجل بك شيء فصل ركعتين في المسجد وركعتين إذا رجعت). [رواه الجماعة إلا البخاري - مراقي الفلاح للشرنبلالي ص ١٥٣]. وكذلك السنة القبلية عند الإمام أبي حنيفة أربع ركعات لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة أربعاً لا يفصل

في شيء منهن. [مراقي الفلاح ص ١٥٣]. {فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} أي بعد صلاة الجمعة انتشروا وانصرفوا واذهبوا إلى حيث شئتم واذهبوا إلى بيوتكم وأعمالكم {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} واطلبوا ما شئتم إما الراحة والاستجمام أو النوم أو شراء حاجياتكم من السوق أو تناول الطعام فكله من فضل الله تعالى وكرمه عليكم وهذا للتخير لا للتقيد {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} أي سبحوا الله تعالى وتذكروه كثيراً. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعاً سبعاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر - وفي رواية - حفظ الله له دينه ودنياه وأهله وولده). [نزهة المجالس ص ١٦١]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من قال بعد قراءة ما تقدم اللهم إني أسألك يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بفضلك عمن سواك وبحلالك عن حرامك أغناه الله ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال أنس رضي الله عنه: من قال يوم الجمعة سبعين مرة اللهم اغنني بفضلك عمن سواك وبحلالك عن حرامك لم يمر عليه جمعتان حتى يغنيه الله تعالى. [نزهة المجالس ص ١٦١]. والذكر هو أجل الأعمال فعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني

أمن من عذابي). وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ليلة الإسراء والمعراج سبعة قصور بين كل قصرين كما بين المشرق والمغرب قلت لمن هذه قال لمن قاد ضريراً سبع خطوات قلت أبشر أمتي؟ قال نعم وأكثر من هذا من قال من أمتك سبع مرات لا إله إلا الله يعطى في الجنة بقدر الدنيا عشرين مرة). وقال صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة بشر له بالجنة قبل موته). [خزينة الأسرار ص ١٧٢]. {لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ} عسى أن تفوزوا بالجنة ونعيمها {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} وإذا رأى الناس تجارة قادمة أو حاجة تلهي عن الصلاة تركوا الصلاة وتركوك تخطب وانصرفوا. وهذه الآية نزلت في عير للتجارة حضرت المدينة لرجل قيل أنه دحية بن خليفة قبل أن يسلم والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يخطب على المنبر يوم الجمعة وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ولم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا". [ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٧]. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَا عِنْدَ اللَّهِ} من الثواب والجنة يوم القيامة {خَيْرٌ} أفضل وأحسن عاقبة {مِنَ اللَّهِ} من اللعب واللهو والعبث {وَمِنَ التِّجَارَةِ} ومن التجارة التي تريدونها لأنها متاع زائل في الدنيا وكم من رجل ترك تجارة وأموالاً وممتلكات وعقارات كثيرة فمات وتركها خلف ظهره ولم تنفعه {وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} والله تعالى إذا توجهتم إليه فهو أفضل من يرزقكم في الدنيا بالرزق الحلال والطيب والحسن وفي الآخرة يرزقكم الجنة ونعيمها.

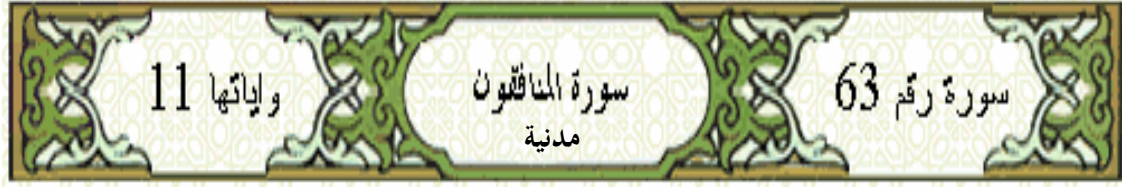
ولا بأس هنا من ذكر بعض سنن وفوائد الجمعة حرصاً على فائدة المسلمين فأقول وبالله التوفيق: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي - وقبض أصابعه يقللها - فسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه) قال أبو سلمة: فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة وهي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها آدم. [ابن كثير ج ٣ ص ١٧٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس من أعياد أمتي عيد أفضل من يوم الجمعة). [نزهة المجالس ج ١ ص ١١٠]. ولها سنن وهي الغسل والتطيب ولبس أفخر الثياب ففي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الغسل يوم الجمعة لتسل الخطايا من أصول الشعر استللاً). [رواه الطبراني في الكبير - نزهة المجالس ج ١ ص ١٠٩]. والجمعة ركعتان وخطبة قبلها والخطبة في محل الركعتين الأخيرتين من الظهر وتصح الجمعة عند الإمام أبي حنيفة بحضور الخطبة لسماعها في وقتها بواحد ولو كان أصم أو نائماً أو بعيداً ووقتها وقت الظهر لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مالت الشمس فصل بالناس الجمعة). [مراقي الفلاح ص ٢٠٣]. وصلاة الجمعة فرض عين على المقيم وأن تكون الإقامة بمصر لا بقرية لقوله عليه السلام: (الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض) وفي البخاري: (إلا على صبي أو مملوك أو مسافر) ولقوله عليه السلام: (لا جمعة ولا تشريق ولا صلاة فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة) ولم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم حين فتحوا البلاد اشتغلوا بنصب المنابر والجمع إلا في الأمصار دون القرى. [مراقي الفلاح ص ٢٠١، ٢٠٢]. وللجمعة سنة قبلية وبعدية وعند الإمام أبي حنيفة

السنة القبلية كما سبق ذكره أربع ركعات بتسليمة واحدة. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٦٨ ، مراقي الفلاح ص ١٥٤]. وعند الشافعي ركعتان قبل الجمعة وبعدها. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٦٩]. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة [أي صلاة الفجر أو الصبح]. [رواه البخاري - سبل السلام ج ٢ ص ٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار). [مراقي الفلاح ص ١٥٤]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (من ترك الأربع قبل الظهر لم تنله شفاعتي). كذا في الاختيار وقال في البرهان كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الظهر أربعاً إذا زالت الشمس فسأله أبو أيوب الأنصاري عن ذلك فقال: (إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يصعد لي في تلك الساعة خير) قلت أفي كلهن قراءة؟ قال: (نعم) قلت أي فصل بينهم بسلام؟ قال: (لا) ولقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد مسلم يصلي في كل يوم اثنتي عشر ركعة تطوعاً من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة) رواه مسلم زاد في الترمذي والنسائي: (أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الغداة [أي الصبح]. [مراقي الفلاح ص ١٥٣]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى قبل الظهر أربعاً وبعده أربعاً حرمه الله على النار). [نزهة المجالس ص ٥١٤ ، خزينة الأسرار ص ٢٥]. مع ملاحظة أن الظهر هنا هو لجميع الأيام بما فيها يوم الجمعة حيث يقال ظهر يوم السبت وظهر يوم الأحد وهكذا ظهر يوم الجمعة ولو كان ظهر يوم الجمعة استثناءً لقول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة ما عدا ظهر الجمعة حيث أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى أربع ركعات

بعد زوال الشمس [وهو وقت الظهر] بحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك ويستغفرون له حتى الليل) وفي كتاب البركة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي عصمه الله في أهله وماله ودينه ودنياه). [نزهة المجالس ص ٥١٤]. وعن مكحول رضي الله عنه أنه قال: (من صلى أربع ركعات قبل الظهر يقرأ في كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسي وكل الله به ثلاثين ملكاً يحفظونه). [كذا في الإحياء - خزينة الأسرار ص ٢٥]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطي نوراً من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى صلى عليه سبعون ألف ملك وعفي من الداء وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة) قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس). [رواه الطبراني - نزهة المجالس ص ١٦٢]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة يس ليلة الجمعة غفر له ومن قرأ حم الدخان يوم الجمعة أو ليلتها بنى الله له بيتاً في الجنة). [نزهة المجالس ص ١٦٩]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبوزرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يحضر الجمعة ثلاثة نفر: رجل حضرها بلَغُو فهو حَظُّه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فإن شاء أعطاه وإن شاء مَنَعه ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يَتَخَطَّ رقبة مسلم ولم

يؤذ أحداً فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام) وذلك لأن الله عز وجل يقول: " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا " . [ابن كثير ج ٢ ص ١٩٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾

{ إِذَا جَاءَكَ } إذا حضر أو جاء إليك يا محمد يا رسول الله { الْمُنَافِقُونَ } وهم الدجالون والمداهنون والكذابون والخداعون والخائنون والغشاشون وهم من يُظهرون لك الود كذباً ويخفون عنك الحقيقة وهي العداوة والبغضاء والحقد والحسد والخيانة { قَالُوا } تكلموا وتحدثوا وقالوا كالعادة لك يا محمد يا رسول الله { نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } شهدوا شهادة ظاهرها حق وباطنها تهكم وسب وحقد وهي كلمة حق أريد بها باطل فقالوا نعترف ونشهد أنك لرسول الله تعالى أرسلك للناس { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ } والله تعالى يعلم علم اليقين أنك رسول الله حقاً حيث هو الذي أرسلك برسالته { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } والله تعالى يشهد على حقارتهم ودناءتهم وكذبهم ونفاقهم وأنهم كاذبون منافقون دجالون مراءون مداهنون { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ } اتخذوا حلفهم الأيمان الكاذبة { جُنَّةً } ستاراً ووقايةً وحمايةً لكذبهم حتى تصدقهم { فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ابتعدوا وانحرفوا وغووا وضلوا وأضلوا غيرهم { إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } إنه ساء وقبح عملهم { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} وذلك لكفرهم بعد إيمانهم وبعد معرفتهم الحق {فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} ختم الله تعالى على قلوبهم بالكفر والنفاق فلن ينفك عنهم الكفر والنفاق {فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} فهم لا يدركون ولا يفهمون ولا يعلمون.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۖ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۖ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۖ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ} يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن إذا رأيت المنافقين وشاهدتهم {تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} تعجبك مناظرهم فمنظرهم "شخصية" ولا تحسب أبداً من منظرهم أنهم لا يعقلون لأن أجسامهم ومناظرهم لها شخصية لكنهم (أجسام البغال وأحلام العصافير) {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ} ويتكلموا كلاماً معسولاً مثل الشاهد ويقطر منه السم والفساد وتسمع لكلامهم ولنصحهم وأمثالهم وأعمالهم وكما يقول المثل: (يعمل لك من البحر طحينة) {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ} وفي الحقيقة هم كالخشب الذي يسنده الحائط فإذا تحرك قليلاً مالت ووقعت وانكسرت فهم يستندوا على عمل غيرهم وليس عملهم فلا يستندون على الحق ولا إلى الحق بل على الباطل والغرور والفساد والحقد والعداوة والحسد {تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} من نفاقهم وكذبهم وخداعهم فكل من يصيح أو ينادي عليهم يظنون أنه عرفهم وعرف سرهم وخداعهم فهم دائماً مذعورون خائفون وجلون مهزوزون {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} هم ألد أعدائك فاحذرهم وخذ حذرک منهم ولا تأمن لهم فهم مثل الأفاعي ملمسها ناعم وقرصتها ولدغتها للقبر فهم أخطر ما يكون حتى إذا الإنسان يأمن جانبهم يلدغوه أما الأعداء فأنت تعرفهم أما هؤلاء المنافقون فهم مستترون

خلف أقنعتهم ولكنك تعرفهم في لحن القول وما تخفي صدورهم أكبر {قَتَلَهُمُ اللَّهُ} أهلكهم الله بالقتل {أَنِّي يُؤَفِّكُونَ} متى يصرفون عن نفاقهم هذا؟! وهذا سؤال تقريعي واستنكاري على نفاقهم ودوامه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} وإذا قال لهم أحد من الناس {تَعَالَوْا} اقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم {يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ} يطلب لكم من الله السماح والمغفرة لذنوبكم لأن دعاءه مستجاب {رَسُولُ اللَّهِ} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله ورسوله {لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ} حركوا رؤوسهم كبراً وبطراً وغروراً وعتواً رافضين ذلك {وَرَأَيْتَهُمْ} وشاهدتهم بنظرك {يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} يرفضون بغرور وكبر وعناد {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} والله تعالى أخبر رسوله بأنه لن يغفر لهم إطلاقاً سواء استغفر لهم رسول الله من عدمه لأن الله تعالى علم ما في صدورهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} إن الله تعالى لا يهدي للحق والرشاد والهدى القوم الفاسقين الذين أذنبوا عن عمد وقصد وأعلنوا وجأهروا بالمعصية دون موارد لأنهم متعمدون ومصرون على المعصية والكفر والنفاق.

﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ﴾

{هُمْ} المنافقون ورئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول {الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ} الذين يقولون وينهون عن الإنفاق بالمال على المسلمين الذين هم عند رسول الله وآمنوا معه {حَتَّىٰ يَنْفَضُوا} حتى يرحلوا عنكم إلى مكان آخر {وَلِلَّهِ} والله تعالى وحده جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فلا أحد يملكها غيره ولو شاء لما أنزل قطرة واحدة من السماء ولما أخرج حبة أو ثمرة واحدة من الأرض ولكنه هو الرزاق الكريم {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} ولكن للأسف فإن المنافقين المخادعين لا يفهمون ولا يعلمون ولا يدرون ولا يدركون ذلك {يَقُولُونَ} يتحدثون ويتكلمون قائلين {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ} عندما نرجع إلى المدينة المنورة والمشفرة {لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} أي ليطرذن العزيز والقوي وذو الجاه الذليل والضعيف وهذا ما قاله عبد الله بن أبي ابن سلول وهو يقصد أنه هو العزيز وأن رسول الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذليل وقد قالها في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق فبينما رسول الله مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيراً لعمر ابن الخطاب وسان بن زيد قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي بن سلول فلما

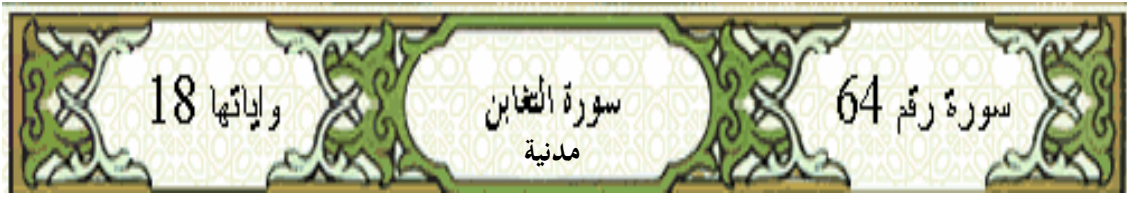
سمعها قال قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: "سَمَنَ كلبك يأكلك" والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل [أي سيطرد سيدنا محمد والمهاجرين من المدينة] ثم أقبل على من عنده وقال هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد ابن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غليم وهو عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه؟! لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل) فلما بلغ عبد الله بن أبي ابن سلول أن ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ما قاله عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟! زعم أنه إذا قدم المدينة سيُخرج الأعز منها الأذل [يعني أنه عزيز والرسول صلى الله عليه وسلم الذليل]) قال فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لِنُتَوَّجه فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً فسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين في عبد

الله ابن أبي بن سلول. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٠]. {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} ولكن العزة والسيادة هي للدين وليس للنفاق والغدر والخسة وعدم المروءة بل هي لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه العزيز في ملكه والعزيز بسلطانه وقوته وقهره لعباده ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث أعزه الله تعالى بالرسالة وللمؤمنين حيث أعزهم الله بإيمانهم {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن للأسف فإن المنافقين لا يعلمون ولا يفهمون ولا يدركون ذلك لخستهم وحقارتهم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} أي لا تشغلكم كثرة أموالكم سواء بالتجارة أو بوضعها في البنوك بالربا ولا تشغلكم كثرة أولادكم عن ذكر الله وعبادته وعن الصلاة أو عدم دفع الزكاة أو عدم الحج لتوفير مال وفير لهم ولا يشغلكم ذلك عن مخافته تعالى في كل أموركم فلا تسرق أيها المؤمن أو تأخذ رشوة أو تقتل أو تسلب غيرك حتى تجمع المال إلى أولادك ولا تضع المال في البنوك بالربا أو تغش إن كنت تاجراً فلا تنسى ذكر الله تعالى ومخافته واذكره بقلبك ولسانك كثيراً فقد ذم الله تعالى المنافقين فقال عنهم: " وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا " ١٤٢ النساء. {وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ} أي من تلهه وتشغله أمواله وأولاده عن ذكر الله {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} فهم وحدهم الخاسرون أنفسهم يوم القيامة بدخولهم نار جهنم وعذابها {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ} أي اصرفوا أموالكم وأخرجوا عنها الزكاة والصدقات {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} قبل أن يأتيه الموت بغتة وفجأة {فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} فيطلب من ربه أن يؤخره قليلاً ويمد في عمره حتى يتصدق في أعمال البر والخير ويكون من الرجال الصالحين ويعبد الله تعالى حق عبادته وهيئات {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا} فلن يؤخر الله أحداً إذا حضره الموت وانتهى أجله وكما قال تعالى: "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" ٣٨ الرعد. وكما قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" ٦١ النحل. {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} رفع القلم وجفت الصحف والله خبير بكم ويعلم أفعالكم وأعمالكم ولا تخفى عليه خافية ويعلم سرائركم ويعلم السر وأخفى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ} التسبيح هو التنزيه والتقديس لله تعالى بالقلب واللسان بقول سبحان الله أو سبحان الله العظيم وبحمده {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات السبع من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من جن وإنس ودواب والمؤمنون والشجر والطير كما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ النور. وكما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. {لَهُ الْمُلْكُ} له ملك السموات والأرض وله الكون كله إنسه وجنه وملائكته وأرضه وسماؤه وجنته وناره {وَلَهُ الْحَمْدُ} يستحق الحمد والشكر فله الحمد والشكر على نعمه علينا {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وهو الله تعالى على كل شيء قدير يقدر أن يخلق ويحيي ويميت ويرزق فعله كن فيكون كما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. وهذه السورة هي آخر المسبحات.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٢ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٣

{هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَكُمْ} الذي خلقكم
من آبائكم وأمهاتكم {فَمِنْكُمْ كَافِرٌ} فمنكم كافر بالله تعالى وبرسالة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ومكذب بها وجاحد بها {وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} ومنكم طائع
ومؤمن ومصدق بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
نبياً ورسولاً وبالقرآن الكريم كتاباً وبيوم القيامة بعثاً ونشوراً {وَاللَّهُ} والله تعالى جل
جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} بما تعملون وبما تفعلون بصير
ومشاهد ومطلع عليكم ويرى أعمالكم {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} أنشأ من العدم
السماوات السبع وما فيهن والأرض وما فيها من خلق {بِالْحَقِّ} بالحق والعدل
والصدق {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ} خلقكم في أحسن صورة وأحسن شكل وأحلى
منظر وهيئة وكما قال تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " ٤ التين. أي
في أحسن وأحلى وأجمل خلقة فانظر جمال الأطفال وجمال النساء وجمال يوسف
عليه الصلاة والسلام الذي أوتي شطراً من الجمال {وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ} إليه المآل
والمرجع والنهاية والعاقبة والآخرة {يَعْلَمُ} علم اليقين والدراية والمعرفة والرؤيا
عياناً {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما يحدث في السماوات وكم عدد الملائكة ويعلم
أسماءهم وأعمالهم وتسبيحهم وعبادتهم {وَالْأَرْضِ} ويعلم ما يحدث في الأرض من
موت وحياة وخلق جديد وعمل كل واحد من خير أو شر ومن عواصف وهبوب

رياح وأمطار وزروع ونباتات وحيوانات وطيور وحيثان وبراري وقفار ويعلم ويسمع
دبيب النملة السمرء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء {وَيَعْلَمُ} علم اليقين
والدراية والمعرفة والرؤية عياناً {مَا تُسِرُّونَ} ما تخفون وتكتُمون {وَمَا تُعْلِنُونَ} وما
تُظهرون وتُبدون {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله عليم علم يقين وتحقق وصدق وتأكد {بِدَاتِ
الْصُّدُورِ} بما أخفيتم في صدوركم وما كتمتموه وأخفيتموه في سرائركم.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٦﴾ ﴾

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ} ألم يصلكم {نَبُؤُا} خبر {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار بالرسل السابقين فلم
يصدقوهم {مِنْ قَبْلُ} من قبلكم من الأمم السابقة {فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} فذاقوا
العذاب والغرق كقوم نوح والخسف كقوم لوط والصاعقة والزلزلة كقوم صالح
والرجفة كقوم شعيب وعاد قوم هود أهلكهم الله بالريح العقيم فخرس أولئك الكفار
وساءت سمعتهم وفضح أمرهم وقهر كبرهم وساء أمرهم {وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ} ولهم
يوم القيامة في جهنم عذاب أليم وموجع وقاس وشديد {ذَلِكَ} وذلك {بِأَنَّهُ} لأنه
{كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم} كانت تُبعث وترسل إليهم رسلهم وأنبياءهم من قبل الله
تعالى لهدايتهم {بِالْبَيِّنَاتِ} بالتفسيرات والبيّنات والدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات {فَقَالُوا} تكلموا وتحدثوا وقالوا لبعضهم البعض {أَبَشِّرْهُدُونَنَا} هل بشر
من الناس يهدوننا لدين الله؟! لا يُعقل فلو كان ملكاً لكان يمكن أن نصدقه
{فَكَفَرُوا} فلم يصدقوا وكذبوا وكفروا بالله تعالى وبرسله وبكتبه {وَتَوَلَّوْا} وأعرضوا

وانصرفوا عن رسلهم وأنبيائهم {وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ} واستغنى الله عنهم لأن عبادتهم له لن تزيد في ملكه شيئاً ولم تنقص من قدره شيئاً {وَاللَّهُ غَنِيٌّ} والله تعالى جل جلاله غني ومستغن عن الخلق أجمعين فلا يحتاج إلى معين ولا نصير {حَمِيدٌ} حميد الصفات والأفعال والأقوال.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٦٥﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٦٧﴾

{زَعَمَ} ادعى كذباً {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار الذين لم يصدقوا وكذبوا وكفروا بالله تعالى وبرسوله وبكتبه واليوم الآخر {أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} لن يبعثوا أحياء ويخرجوا من قبورهم يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} بل وربى لتبعثن من قبوركم يوم القيامة وتحيون من جديد للحساب والجزاء والعقاب والثواب {ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ} ثم بعد أن تخرجوا من قبوركم أحياء لتُخبرن بكل ما عملتم في الدنيا من خير أو شر {وَذَٰلِكَ} وهذا {عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} على الله تعالى سهل وهين وبسيط ولا يحتاج إلى تعب أو عناء أو مشقة {فَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} صدقوا بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رباً وبالإسلام ديناً وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا} وهو القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم نوراً وهدايةً يهدي به من ضل إلى الطريق المستقيم واتباع الحق والهدى والرشاد والإيمان والإسلام {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بما تعملون وتفعلون أيها الناس {خَيْرٌ} عليم ومطلع ويعلم أعمالكم وأفعالكم خيراً كانت أو شراً {يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ} يوم القيامة يجمعكم الله تعالى في صعيد واحد للحساب والعقاب والجزاء والثواب {لِيَوْمِ الْجَمْعِ} ليوم القيامة الذي يُجمع فيه جميع الخلق للحساب {ذَلِكَ} ذلك هو {يَوْمِ التَّغَابُنِ} يوم عدم التفريط في الحقوق وهو يوم يحرص فيه كلُّ على أخذ حقه من غيره مهما حقر أو صغر ودون اعتبار لقربة أو صداقة وكما قال تعالى: " وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ " ١٢٨ النساء. وكما قال تعالى: " وَدَّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ " ١١-١٤ المعارج. فالمرأة تتعلق برقبة زوجها تريد أن تأخذ حقها منه وتقول بأنه لم ينصحها ولم يمنعها من الخروج سافرة ولم يأمرها بالصلاة والطاعات ولم يمنعها عن المحرمات إلى غير ذلك وكذلك تفعل مع والدها وأخيها وهكذا كلُّ يفتش عن حسنة يأخذها من غيره أو سيئة يلقيها على غيره. {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ} ومن يؤمن ويصدق بالله وحده رباً ولا شريك له في ملكه {وَيَعْمَلْ صَالِحًا} ويعمل من الطاعات والحسنات وأعمال البر والخير وصالح الأعمال وطيبها وأحسنها {يُكَفِّرْ عَنْهُ} يكفر الله تعالى ويمحو عنه {سَيِّئَاتِهِ} ذنوبه ومعاصيه وآثامه وما ساء من عمله وقبح {وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ} ويدخله جنات وهي جمع جنة وعددها ثمانى جنات وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري من خلالها

الأنهار أي من تحت قصورها أي أمامها ومن خلال أشجارها {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} أي دائمين في الجنة لا موت بعد ذلك ولا خروج إطلاقاً ودائمين فيها أبداً ودوماً {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} هذا هو النجاح الباهر والتفوق المطلوب والفوز بالجنة ونعيمها وهو فوز عظيم وكبير.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} أي الكفار ومن كفر ولم يصدق بالله رباً وجعل له شركاء ولا آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وحساباً {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} كذبوا بآيات الله من القرآن الكريم والتفسيرات والبيانات والدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات سواء في كونه أو على يد رسله {أُولَٰئِكَ} هؤلاء هم {أَصْحَابُ النَّارِ} أهل وسكان جهنم {خَالِدِينَ فِيهَا} خالدين ودائمين ومقيمين فيها {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ساء وقبح المآل والنهاية والإقامة الدائمة والمستقر {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} كل ما أصاب الإنسان في نفسه أو ماله أو ولده أو أهله فهو مصيبة والمصيبة دائماً تكون بنقص شيء أو فقد شيء وفيها خسارة وهم وحزن وغم دائماً وهي عكس الفرح والسرور فما يصيب الإنسان يكون بإذن الله تعالى فالله يسمح للمصيبة أن تحل بمن يشاء أو يصرفها عمن يشاء فمصيبة الموت أو المرض هي بأمر الله تعالى وقدره وقضائه وكذلك من عمل ذنباً كالسرقة مثلاً فيُمسك فيُسجن يكون ذلك حساباً على سرقة الله تعالى انتقم منه وأذن للحكومة بسجنه وهكذا كل ذنب فيعاقب عليه من أي جهة فهو حسابه

والله تعالى أذن فيه أما إذا أراد الله أن يمنع عنه العقاب فإنه يستتر عليه فلا يطلع عليه أحداً في سرقة أو إذا ارتكب الزنا مثلاً وهكذا. فكل شيء هو بإذن الله لأن القوانين السماوية هي من صنع الله تعالى وهو الذي أذن بها فالمطر عند نزوله إذا زاد يهلك الزرع والدور ويغرق الماشية ويقطع الجسور والكباري وهذا كله بإذن الله وبقوانينه والنار تحرق والسيارة إذا صدمت أحداً تقتله هي أو القطار والبحر يغرق من لا يستطيع السباحة كل هذه قوانين سماوية وضعها الله تعالى في خلقه فهي من إذنه وإذنه {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ} ومن يصدق بالله رباً وحده لا شريك له {يَهْدِ قَلْبَهُ} يهدي ويرشد قلبه للإيمان وللصواب ولعمل الخير وللحق والعدل وعمل الطاعات والعبادات فيعرف الحق من الباطل والعدل من الظلم والجور والخير من الشر {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} والله تعالى بكل شيء عالم وعليم ومحيط ومطلع ويدري ويعرف به ويعلمه ولا تغيب عنه صغار الأمور ولا كبيرها ولا عظيمها كلها عنده سواء فهو يعلمها ويحيط بها علمه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾
 ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ} أيها الناس عموماً والمؤمنون خصوصاً أطيعوا الله تعالى في أوامره واجتنب نواهيه {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أطيعوا أمر الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سننه وأوامره وحكمه عليكم {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ} فإن أعرضتم وأبيتتم أو عارضتم أو انصرفتم عنه ولم تصدقوه ولم تطيعوه ولم تعملوا بما جاءكم به {فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ} فإنما فقط على رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ والتبليغ بالرسالة من أوامر ونواهي لله تعالى كما قال تعالى: "لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" ٢٢ الغاشية. {الْمُبِينُ} الواضح الجلي {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لا إله غيره ولا معبود سواه هو وحده لا شريك له {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ} وعلى الله وحده يتوكل ويعتمد {الْمُؤْمِنُونَ} المؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبيوم البعث نشوراً وحساباً فالعابدون يتوكلون على الله تعالى بأنه سيقبل عبادتهم والمزارعون يغرسون ويتوكلون على الله في خصبها والتجار يتاجرون ويتوكلون على الله في الربح الحلال والطيب والطلاب يدرسون ثم يتوكلون على الله تعالى في النجاح والطيور تخرج من أعشاشها ثم تتوكل على الله بإيجاد الرزق لها. وليس التوكل هو التواكل بأن ينام المزارع ولا يزرع أرضه ويقول أنا متوكل على الله بالرزق بل عليه زرع الحب والله عليه إخراج الثمار وطرح البركة فيها والطالب عليه أن يقرأ ويدرس والله عليه أن يسهل له دراسته وتوفيقه بالنجاح لا أن ينام عن دروسه ويقول أنا متوكل على الله بل عندها يكون متواكلاً وكما قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة عندما أراد

الصلاة في المسجد ومعه ناقته فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اعقلها وتوكل).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾
وَأِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} إن من أزواجكم وأولادكم من يريد بكم الوقوع في الشر والتهلكة فالزوجة أو الأبناء يريدون مالا يحضره الزوج أو الأب سواء من رشوة أو سرقة أو نهب وسلب أو من الربا فهم في الدنيا أحباب ويوم القيامة أعداء كما قال تعالى: "الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" ٦٧ الزخرف. أو الزوجة والأولاد يمنعوا أباهم من الجهاد والخروج في سبيل الله أو الهجرة أما الأبناء أو الأزواج الصالحون فهم عون لآبائهم وأزواجهم في عمل الطاعات والعبادات والصدقات وأعمال البر والخير والجهاد في سبيل الله تعالى فهذه هي العداوة المقصودة هنا ولو أن هناك نوعاً آخر كالولد العاق والزوجة الناشز ومنهم من يقتل أباه لمخالفته أو لزوجاه من أخرى أو طلباً للميراث أو الزوجة تتفق مع عشيقها وخليلها للتخلص من زوجها حتى تخلو لهم الساحة. وقال تعالى لآباء وأزواج من تاب من الأبناء أو الزوجات ورجع لصوابه ورشده {وَأِنْ تَعَفُّوا} إن تسامحوهم بعد ندمهم {وَتَصَفَحُوا} وتتركوا وتتغاضوا عن زلاتهم {وَتَغْفِرُوا} وتتجاوزوا عنهم وتسامحوهم بعد توبتهم وندمهم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} فالله تعالى بكرمه ومثته ورحمته وعفوه يغفر لهم أيضاً ما دام صاحب الحق تنازل

عن حقه كأولاد يعقوب إخوة يوسف عليه السلام بعد ندمهم غفر لهم أبوهم والله تعالى غفر لهم وهو {رَّحِيمٌ} يرحم المؤمنين ومن تاب منهم يوم القيامة ويدخله الجنة {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} إنما الأموال بكثرتها تكون فعلاً فتنة واختباراً وقد تكون كذلك لأنه إما أن يتعامل فيها بالربا حتى تزداد وتكثر أو ينفقها في ملذاته وشهواته من شرب الخمر أو الزنا أو المعصية وكذلك الأولاد فتنة إذ قد يضطرونه للتعامل بالربا للإنفاق عليهم أو جلب الأموال بالحرام للإنفاق عليهم من الرشوة أو السرقة أو بمنعه عن الجهاد وهكذا أما إذا كانوا صالحين فهم نعمة من الله تعالى وفرح وسرور وبهجة وجاه وعزوة على الأعداء وغيرهم {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عِنْدَهُ} يوم القيامة لمن أطاع الله تعالى في أمواله وأولاده وزوجته ولم يلهوه عن ذكر الله تعالى كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " ٩ المنافقون. {أَجْرٌ عَظِيمٌ} لهم أجر عظيم وهو ثواب الجنة ونعيمها وترفها الدائم. وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين ابن واقد حدثني عبد الله ابن بريدة سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: (صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما). [رواه أهل السنن - ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٦].

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ إِنَّ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } أي أطيعوه وخافوه واعبدوه ما استطعتم أي بدون أن ترهقوا أنفسكم أو تتعبوها أو تحملوها ما لا تطيق. وكان الله سبحانه وتعالى أول الدعوة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: " يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ {١} قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا {٢} نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا {٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا {٤} " ١-٤ المزمّل. ثم خفف الله عنهم بقوله تعالى: " عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ " ٢٠ المزمّل. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٦]. {وَأَسْمِعُوا} للنصيحة والوعظ والإرشاد {وَأَطِيعُوا} الله ورسوله أطيعوهما في الأوامر والنواهي والزواجر {وَأَنْفِقُوا} وآتوا الزكاة وتصدقوا من أموالكم على الفقراء والمحتاجين وعلى الأهل والوالدين {خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ} ذلك الإنفاق والصدقة هو خير وأفضل وأحسن لكم يوم القيامة إذ تدخلون بها الجنة {وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ} ومن يحفظ ويحمي نفسه من البخل والشح {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فهم الفائزون بالجنة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبده بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال

له عبد الله وما ذاك؟ قال سمعت الله يقول: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩].

{إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ} إن تتصدقوا وتقرضوا عباد الله فكأنكم أقرضتم الله تعالى أو تصدقتم في سبيل الله وفي الجهاد {قَرْضًا حَسَنًا} بأن تنتظروا الثواب من الله تعالى يوم القيامة أو بأن تقرضوا عباد الله تعالى وتصبروا عليهم زيادة عن الأجل بدون مضايقة أو إلحاح في الطلب فهذا قرض حسن حيث صبرتم عليهم {يُضَعِفُهُ لَكُمْ} أي يزيده أضعافاً مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها أو سبعمائة ضعف أو زيادة {وَيَغْفِرَ لَكُمْ} ويغفر الله تعالى لكم ذنوبكم بذلك {وَاللَّهُ شَكُورٌ} والله يشكر عباده بزيادة الأجر والثواب وزيادة الرزق {حَلِيمٌ} يعامل عباده بالرفق واللين ويصبر على معاصيهم حتى يتوبوا {عَلِمُ الْغَيْبِ} عالم كل ما غاب عن الناس في السموات أو في الأرض فهو يعلم كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ويعلم ما كان وما يكون وما هو كائن من الأزل وإلى الأزل {وَالشَّهِدَةِ} العالم المنظور والمعلوم والمحسوس والمشاهد بالعين ويعلم الشهادة من عباده سواءً شهادتهم بعضهم على بعض أو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فهو عالم الغيب والشهادة أي عالم السر والعلن {الْعَزِيزُ} عزيز ومنيع الجانب وقوي في ملكه وسلطانه {الْحَكِيمُ} حكيم في ملكه وخلقه وقدرته ويدبر شؤونهم بالحكمة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ رَّبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝﴾

{يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ} يخاطب الله تعالى نبيه ورسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم نداءً فيه تكريم وتقدير له ولم يقل له يا محمد كباقي الرسل والأنبياء بل خاطبه يا أيها النبي أو يا أيها الرسول كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ٦٧ المائدة. ولكنه خاطب الأنبياء والرسل السابقين بأسمائهم فخاطب آدم عليه السلام بقوله: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " ٣٥ البقرة. وخاطب نوحاً عليه السلام بقوله: " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ " ٤٦ هود. وخاطب إبراهيم عليه السلام فقال: " وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا " ١٠٤، ١٠٥ الصافات. وخاطب موسى عليه السلام بقوله: " وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى " ٨٣ طه. وخاطب داود عليه السلام: " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ " ٢٦ ص. وخاطب عيسى عليه السلام: " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْخُرْ بِكُمُ النَّاسَ مِنْ تَحْتِ الْأَعْيُنِ " ١٢٣ آل عمران. وخاطب يحيى بن زكريا عليهما السلام بقوله: " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " ١٢ مريم. {إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} إذا حصل وأن طلقت يا رسول الله

أنت أو أحد من المسلمين زوجته. والطلاق هو الانفصال بين الزوجين في حالات منها الطلاق طلقة واحدة سواء كانت الأولى أو الثانية وهو ما يسمى طلاق بينونة صغرى وفي هذا النوع من الطلاق يمكن للزوج أن يراجع زوجته خلال العدة أما إذا طلقها ثلاث طلقات فهذا طلاق بائن بينونة كبرى ولا يراجعها إلا بمحلل أي بعد أن تتزوج زوجاً غيره وتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها أي يحدث بينهما الجماع والمعاشرة الزوجية ثم يحدث أن يفترقا لسبب أو لآخر فعندها يمكن لزوجها الأول الذي طلقها ثلاث تطليقات أن يتزوجها من جديد إذا اتفقا {فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} أي لا يحصل الطلاق وينفذ إلا بعد انقضاء عدة المرأة فعندها إذا أرادت الزواج يحق لها ذلك أما في أثناء فترة العدة فلا وتعتبر في ذمة زوجها الأول. والطلاق السني أن يكون في طهر لم يجامعها فيه والطلاق البدعي هو الذي يكون بعكس ذلك ويقع الطلاق في الحالتين. قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم قال: (ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلک العدة التي أمر الله عز وجل). ورواه مسلم ولفظه: (فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري حدثنا أسباط ابن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ" ف قيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في

الجنة. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٧]. {وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} أي عدوها واعرفوها حتى إذا طُلِّقَتْ وانقضت عدتها تتزوج غيره إن رغبت {وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} أي خافوه ولا تظلموا النساء ففي عدة الطلقة والطلقتين تجب لها النفقة والسكنى {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ} أي لا تخرجوا زوجاتكم أثناء العدة ولا هم يخرجن حيث هذا حق لهن إن لم يكن طلاقاً بائناً بينونة كبرى أي ثلاث طلاقات {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ} إلا إذا قمن بارتكاب الفاحشة وهي الزنا علناً أو سرقت وثبت ذلك عليها فعندها تطرد من السكنى وليس لها سكنى {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} وهذا شرع الله وأمره {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ} ومن يخالف أمر الله ويتعداه وينتهكه {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} أي أهلك نفسه لأنه سيعذب في جهنم يوم القيامة {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} أي لا تخرجوهن من بيوتكم أثناء العدة لمن لها رجعة بخلاف التي وقع عليها ثلاث طلاقات فهذه ليس لها سكنى ولا نفقة لعل الله وعسى أن يغير الله الأمور فقد يجوز أن يرغب بها فيراجعها إلى عصمته ثانية وتبقى شريكة حياته ويؤلف الله تعالى بينهما وينجبان الذرية الصالحة.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} إذا العدة بلغت مدتها وهي ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات أي استوفت العدة {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} فإما يراجعها زوجها قبل انقضاء العدة وهو إمساكها بالمعروف ويعاملها معاملة حسنة وجيدة {أَوْ فَارِقُوهُنَّ} وإما طلقوهن واتركوهن ودعوهن وشأنهن يتصرفن في حياتهن كما يشأن {بِمَعْرُوفٍ} دون ضغط أو إكراه أو مضايقة أو تسلط أو حجزهن بدون طلاق لتعذيبهن ومنعهن من الزواج من جديد {وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ} وأشهدوا شاهدين اثنين ذوي عدل أي ذوي صلاح وتقوى ودين في النكاح والطلاق والرجعة. والرجعة مشروطة فإذا طلقها أمام قاضي فيجب أن يراجعها أمام قاضي أما إذا طلقها بينه وبينها وراجعها فلا داعي للشهود وليعلم أنه إذا جامعها زوجها بعد طهرها فهو رجعة لها ولا شيء فيه ما دام ذلك الطلاق ليس أمام المحكمة ولا أمام القاضي وإلا يجب عليه إحضار اثنين من الشهود يشهدون على إرجاعها والشهود كما أسلفنا هما اثنان ذوا عدل ودين وتقوى وورع في النكاح أو عند الطلاق إذا حدث أو عند الرجعة إذا راجعها {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} أي أدوا هذه الشهادة لوجه الله تعالى والآن أصبحت المحاكم تسجل ذلك في عقد الزواج حتى لا تضيع وحتى يكون الزواج رسمياً ومعترفاً به في جميع الدوائر وفي الميراث وهكذا {ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ} هذا يُنصح ويُرشد به {مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} من كان يؤمن بالله وبيوم القيامة

والحساب والثواب والعقاب {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ} ومن يخف الله تعالى ويخشه ويطيعه في أوامره واجتناب نواهيه {تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} أي الله تعالى يخرج من كل فتنة سوداء مظلمة ومن كل هم وغم ويفرج الله عليه دائماً عند الشدة والضيق {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} والله تعالى يرزقه رزقاً حلالاً من حيث لا يدري ولا يعلم. وكثيراً ما يهدي للرجل أشياء هو في أمس الحاجة لها. ومريم بنت عمران كانت تأتيها فواكه الصيف في الشتاء وفواكه الشتاء في الصيف وكما قال تعالى: "كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" ٣٧ آل عمران. {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} ومن يعتمد ويتوكل على الله في نجاح أموره فهو حسبه وكافيه ومُلبٍّ له طلبه كالمزارع يزرع الأرض ويتوكل على الله في الخصب والطلب يجد ويجتهد ويذاكر دروسه ويتوكل على الله بالنجاح وهكذا والطير يخرج من عشه ويتوكل على الله في طلب الرزق فالله سيسر له الرزق والحب ليأكله {إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ} إن أمر الله تعالى وما هو مكتوب من الأزل نافذ لا محالة إن كان خيراً أو شراً وهو القضاء والقدر المبرم {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا} قد جعل الله لكل شيء قدر معلوم فهناك زوجة تلد الأولاد وذلك بقدر معلوم وعددهم محدد من الأزل وهناك أخرى تلد الإناث وذلك بقدر معلوم أيضاً وعددهم محدد ومعروف من الأزل وهناك أخرى تكون عاقراً لا تحمل أبداً وذلك بقدر الله تعالى وتقديره والأشجار تحمل من الثمار بقدر والمطر ينزل بقدر والرزق بقدر معلوم وكل شيء عنده بمقدار وبأوان كالنخيل لا يثمر إلا في وقت معين ولا ينضج إلا في وقت معين والولد لا يولد إلا في وقت معين والمطر لا يأتي إلا في فصل معين وهو الشتاء غالباً وهكذا.

﴿وَأَلْتَمِسْ مِنْ أَلْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

{وَأَلْتَمِسْ مِنْ أَلْمَحِيضِ} أي النساء العجائز واللاتي انقطع عنها دم الحيض لكبر سنهن {مِنْ نِسَائِكُمْ} من المؤمنات أزواجكم {إِنْ ارْتَبْتُمْ} إن شككتم كم عدتها ولم تعرفوا كيف تحسبونها أو تعرفوها {فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ} مدة العدة لهن هي ثلاثة شهور أما من عليها الحيض ويأتيها فعدتها ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات ويطهرن بعد كل حيضة {وَأَلْتَمِسْ لَمْ تَحْضَنْ} مثل البنات الصغار ممن لم يأتها دم الحيض بعد فعدتها ثلاثة أشهر أيضاً {وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ} والنساء الحوامل {أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} عدتهن أن يلدن سواء المطلقات أو المتوفى عنها زوجها. وعن أم سلمة أنها قالت: قُتِلَ زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها. [رواه البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٣٨١]. {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ} ومن يخف الله ويخشه ويطعه في أوامره ونواهيه {تَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} يجعل الله تعالى له من أمره مخرجاً وفرجاً وييسر عليه أمره ومطلبه ويسهله له {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ} هذا الطلاق وعدته هو من أمر الله تعالى أنزله في القرآن الكريم لكم لتعملوا به {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ} ومن يخف الله تعالى ويخشه ويطعه في أوامره ونواهيه {يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} يمح عنه ذنوبه وآثامه والمعاصي التي عملها

{وَيُعْظَمُ لَهُ أَجْرًا} ويعظم ويكثر له أجراً ويزيده ويضاعفه له لبعده عن المعاصي والمحرمات والزواجر والنواهي.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فُسْرَتُمْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ﴾

{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ} المطلقات في فترة العدة ممن لهن رجعة وليس المطلقات ثلاثاً كما أسلفنا أسكنوهن معكم في بيوتكم حيث سكنتم أو وجدتم {مِنْ وَجْدِكُمْ} من الموجود عندكم وطرفكم من البيوت أو المسكن {وَلَا تُضَارُّوهُنَّ} لا تعذبوهن وتؤذوهن {لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ} لتضايقوهن وتضطهدوهن وتجبروهن حتى يخرجن من عندكم أو لتنتقموا منهن {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ} وإن كنَّ حوامل {فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} أنفقوا على الحوامل حتى يلدن ولو كانت مدة الحمل أكثر من ثلاثة أشهر كسنة أشهر أو حتى تسعة أشهر حتى يلدن {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} فإن قبلن بعد طلاقهن وبعد أن يلدن أن يرضعن لكم أولادكم فأعطوهن نفقة لهم وأجراً في مقابل الرضاعة لأبنائكم {وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} تفاهموا وتعاملوا بمعروف وليس بعذاب وإرهاق سواء من الزوجة بأن تطلب نفقة عالية فوق طاقة الزوج أو من الأب بأن يدفع مبلغاً زهيداً حيث يعلم أن شفقة الأم على ابنها تجعلها تتنازل عن كبرها وحقها في سبيل ولدها ولذلك يجب

أن يكون الاثنان يخافان الله تعالى في ابنيهما ولا يطغى جانب على آخر بل يتوافقا على إرضاعه بالمعروف والعادة والمتعارف عليه {وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَا} وإن اختلفتم على الرضاعة {فَسْتَرْضِعْ لَهُ ذَا أُخْرَى} ترضعه امرأة ثانية يدفع لها الأب النفقة {لِيُنْفِقَ} ليصرف على المولود {ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ} الرجل الغني والمبسوط والثري بقدر غناه {وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} ومن كان فقيراً وكان عيشه ضيقاً {فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} فلينفق على قدر حاله وراتبه ومعاشه {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا} لا ظلم فلا يكلف الله نفساً ما لا تطيق بل مما يوجد لديها ومما عندها ومن ميسورها {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} سيجعل الله تعالى بكرمه وفضله ورحمته بعد الضيق الفرج وبعد الفقر غنى.

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ ٨ فذاقت وبال أمرها وكان عقبة أمرها خسراً ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ٩

{وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ} وكم من قرية أو مدينة {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا} طغت وتجبرت وعصت وخالفت أمر ربها الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَرُسُلِهِ} وعصوا رسله في رسالتهم وأوامرهم ونواهيهم وانحرفوا عن هداهم {فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا} فعذبناها عذاباً شديداً وأليماً وقوياً وقاسياً وموجعاً كقوم نوح أغرقهم الله تعالى وقوم لوط خسف بهم الأرض وجعل قريتهم عاليها سافلها وقوم هود وهم عاد أهلكهم بالريح العقيم وقوم صالح بالصاعقة والزلزلة وهكذا

{وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا} وعذبها الله عذاباً منكراً قاسياً أليماً مثل قوم لوط {فَذَاقَتْ} أي فعذبت وأهلكت {وَبَالَ أَمْرُهَا} عذاب وعقاب معصيتها {وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} وكانت المحصلة النهائية والعاقبة والمصير لها هو الخسران والهلاك وكان عاقبتها خسارة عليها {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} أعدّ وحضر الله لهم يوم القيامة عذاباً شديداً وقوياً وقاسياً وأليماً وموجعاً في نار جهنم {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلَبِ} فاتقوا الله واخشوه وخافوه وأطيعوه يا أصحاب العقول السليمة والفهم والذكاء الخارق وهم أهل اللب وليس القشور وأهل الجوهر وليس الصدف الخارجي وأهل الحقيقة والعلم وليس الظاهر وهم أهل الإيمان {الَّذِينَ ءَامَنُوا} الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} قد أنزل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليكم القرآن الكريم فهو ذكر لكم تذكرون الله تعالى به كما قال صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف).

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾

{رَسُولًا} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو رسول ونبي من قبل الله تعالى للناس كافة {يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ} يقرأ عليكم الآيات القرآنية تنزل من الله تعالى للناس على دفعات وفترات حسب الأحداث {مُبَيِّنَاتٍ} توضح الحكم في الأحداث والمشاكل أولاً بأول {لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} ليخرج المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة والطيبة والحسنة في الطاعات وأعمال البر والخير والعبادة {مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} من ظلمات الجاهلية والجهل والشرك والكفر والمعاصي إلى نور العلم والفهم والطاعة والعبادة الخالصة لله وحده لا شريك له {وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} ومن يؤمن ويصدق بالله وحده لا شريك له {وَيَعْمَلْ صَالِحًا} ويعمل عملاً صالحاً في مرضاة الله تعالى من صوم وصلاة وزكاة وحج وصدقات وذكر وأعمال البر والخير {يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ} يدخله الله تعالى يوم القيامة في أحد الجنات الثمانية وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار {تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار من تحت قصورها ومن تحت أشجارها في الجنة {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين فيها فلا موت أبداً ولا خروج منها أبداً {قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} قد أحسن له الثواب بأن جعل

له رزقه في الجنة دائماً لا ينقطع ولا يأتي بتعب ولا مشقة وأطيب عيشة بها وجعل معيشته حسنة طيبة وفي رغد من العيش والرزق.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} خلق سبع سموات طباقاً فوق بعضها البعض وجاء في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره أن سُمْك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبُعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام. [ابن كثير ج ٣ ص ١٤٢]. {وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} سبع أرضين. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عباس حدثنا عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوث على صخرة والصخرة بيد الملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه). [ابن كثير ج ٣ ص ١٤٢]. {يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} أي ينزل أمر الله تعالى بين السموات والأرضين فمثلاً ينزل الوحي جبريل عليه السلام وهو ملك من السموات بالقرآن الكريم إلى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتنزل الملائكة بالرزق وبالآجال وينزل ملك الموت ومن معه من الملائكة بالموت والخراب والدمار وميكائيل ينزل بالأمطار والأرزاق إلى الأرض ونزل الأمر بإسراء ومعراج سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم من الأرض من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى إلى تحت العرش {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} حتى تعلموا أيها الناس جميعاً أن الله تعالى على كل شيء قادر وقدير لا يعجزه شيء ولا يتعبه شيء ولا يرهقه شيء ولا ينقص من كونه وملكه شيء {وَأَنَّ اللَّهَ} وأن الله تعالى جل جلاله {قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} أحاط بكل شيء درايةً ومعرفةً وعلماً علم اليقين فهو المطلع على كل شيء فلا تغيب عنه غائبة كما قال تبارك وتعالى: "عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" ٣ سبأ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢١﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يخاطب الله تعالى نبيه ورسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم

نداءً فيه تكريم وتقدير له ولم يقل له يا محمد كباقي الرسل والأنبياء بل خاطبه يا

أيها النبي أو يا أيها الرسول كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ " ٦٧ المائدة. ولكنه خاطب الأنبياء والرسل السابقين بأسمائهم فخاطب

آدم عليه السلام بقوله: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " ٣٥ البقرة.

وخاطب نوحاً عليه السلام بقوله: " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ " ٤٦ هود.

وخاطب إبراهيم عليه السلام فقال: " وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا "

١٠٤، ١٠٥ الصافات. وخاطب موسى عليه السلام بقوله: " وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ

يَا مُوسَى " ٨٣ طه. وخاطب داود عليه السلام: " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ " ٢٦ ص.

وخاطب عيسى عليه السلام: " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ " ٥٥ آل عمران.

وخاطب يحيى بن زكريا عليهما السلام بقوله: " يَا يَحْيَى خُذِ

الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " ١٢ مريم. {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} أي لماذا تجعله عليك حراماً

وهو شرب العسل وقد أحله الله تعالى بل جعله شفاء للناس وهذا سؤال فيه رحمة

وشفقة على رسوله وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وظاهره عتاب

لزوجتي النبي صلى الله عليه وسلم على تواطئهما عليه وهما عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما {تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ} تطلب رضا زوجتيك عليك لترضيتهما. والقصة كما أوردها البخاري عند هذه الآية قال: ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكنها عندها [وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وهي التي زوجها لزيد بن حارثة الذي تبناه صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم] فتواطأت أنا وحفصة على أَيْتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقِلَ لَهُ: أَكَلْتُ مَغَافِيرَ؟ [شبيهه بالصمغ] إني لأجد منك ريح مغافير قال: (لا ولكنني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٧]. {وَاللَّهُ غَفُورٌ} واللّه تعالى غفور لهما على تواطئهما وسيغفر لهما وهما عائشة وحفصة {رَحِيمٌ} رحيم بك كما ترحم الأم ولدها بل أكثر رحمة وأكثر شفقة بك ولا يريد أن يشق عليك {قَدْ فَرضَ اللَّهُ لَكُمْ} جعل وشرع الله كفارة اليمين لكم يا محمد يا رسول الله والمؤمنون معك {تَحَلُّوا أَيْمَانَكُمْ} أن تتحللوا من القسم واليمين إذا خلقتموه ووجدتم غيره أرفق منه وذلك رحمة لرسوله ولعباده المؤمنين. والكفارة هي إطعام عشرة مساكين وجبتين [غذاء وعشاء] من أوسط الطعام فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر وأمر الناس به ومن لم يجد فنصف صاع من بر. رواه ابن ماجه والصاع = ٢ كيلوجرام + ٢٠٠ جرام أي ألفين ومائتي جرام أي ما يقارب اثنان كيلو جرام وربيع أو كسوتهم لكل واحد رداء أو تحرير رقبة أو صوم ثلاثة أيام متتابعات ومن لم يستطع الأولى يأتي بالثانية والفقير يأتي بالآخرية وهي

الصوم إن لم يجد ما تقدم وآية الكفارة لليمين هي قوله تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ٨٩ المائدة. {وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ} أي هو الذي يتولاكم ويدير شئونكم ويرعاكم ويرشدكم للخير {وَهُوَ الْعَلِيمُ} وهو عليم ويعلم كل شيء ويعلم ما ينفعكم وما يضركم وما هو في صالحكم {الْحَكِيمُ} الحكيم في شرعه وأحكامه وأوامره ونواهيه وأفعاله وأقواله أي يدير شئون كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة دون أخطاء.

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

{وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} إذ قال رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حديث سر لبعض أزواجه وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب. قال الطبراني: ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا إسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: " وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا " قال دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت). فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنباك هذا؟ قال " نَبَأَنِيَ

الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ " فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله :
 " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٠]. {فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ} فذهبت
 حفصة فأخبرت عائشة {وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ} أي أعلمه الله تعالى بأن حفصة أفشت
 سر رسول الله صلى الله عليه وسلم {عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} أي قال
 عندها لعائشة بأن والدك أبا بكر سيكون خليفة للمسلمين من بعدي ولم يخبرها
 بوطء مارية القبطية على فراش حفصة وهذا أدباً منه وحرصاً على كرامة حفصة
 وهو ما أعرض عنه صلى الله عليه وسلم {فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ} فلما أخبر عائشة رضي
 الله عنها بأن أباهما سيكون خليفته من بعده للمسلمين {قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا}
 قالت له عائشة من أنباك وأخبرك أن والذي سيكون خليفة من بعدك وهي تريد
 أن تتأكد هل خلافة والدها من بعده علمه النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي أم
 أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يريد تعيينه من بعده {قَالَ} قال صلى الله عليه
 وسلم {نَبَأَنِي الْعَلِيمُ} قال نبأني وأعلمني الله تعالى العالم والمحيط بدقائق الأمور
 وهو علام الغيوب ويعلم ما كان وما يكون وما هو كائن أي أنه أعلمها أن علمه
 بخلافة والدها بواسطة الوحي {الْخَبِيرُ} العالم الذي يخبر ويعرف ما يصلح الكون
 والناس ومن هو أحق أو يستحق الخلافة والولاية.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۖ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَتَلَتْهُنَّ عِدَاتُكَ سَتِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَأَبْكَارًا ۖ﴾

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} إن تتوبا وترجعا إلى الله بالتوبة والاستغفار والندم على ما فعلتما من تواطئكما على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة شربه العسل في بيت زينب بنت جحش وهما عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} فقد صلحت قلوبكما واستجابت للنصح والوعظ والإرشاد والتوبة والندم {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} وإن تتفقا عليه بالمكيدة من جديد أو تصرأ عليها {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو مولاه وناصره ومعينه وحاميه وحافظه منكم ومن شروركم ومكائدكم وتهوركم {وَجِبْرِيلُ} وسيدنا جبريل أيضاً معه ومؤازره ومسانده عليكم {وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ} وكل مؤمن صالح سواء أبو بكر أو عمر وهما أبواكما ومُرجعاكما عند حدكما {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} وكل الملائكة بعد ذلك ظاهرة ومساعدة ومساندة لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَسَىٰ} لعل {رَبُّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِنْ طَلَقَكُنَّ} إن طلقن وانفصلتن عنه {أَنْ يُبَدِّلَهُ} أن يبدله ويخلفه ويرزقه ويعطيه {زَوْجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ} زوجات خيراً وأفضل وأحسن وأجمل منكن {مُسَلِّمَتٍ} أي موحدات بالله ومقرات بالإسلام وغير مشركات {مُؤْمِنَةٍ} إيمانهن قوي وقر الإيمان في صدورهن وصدقه عملهن

{قَنَيْتَ} طائعات وعابدات لله تعالى {تَتَبَّيْتُ} تائبات ونادمات ومستغفرات الله تعالى ولا يعصونه أبداً {عَبِدْتُ} عابدات لله تعالى ولا يقطعن فرضاً {سَتَّيْتُ} سائمات وباذلات حياتهن في مرضاة الله {تَيَّبْتُ} نساء كنّ متزوجات وأصبحن أرامل {وَأَبْكَرًا} بنات أبكار لم يتزوجن بعد ولم يمسهن أحد. وزوجاته صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين اللائي دخل بهن عددهن إحدى عشرة ستة من قريش وهن:

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب رضي الله عنها وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة دفنت بالحجون قبل الهجرة بثلاث سنين وهي بنت خمس وستين سنة. وعن علي قال قال صلى الله عليه وسلم: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة). [رواه البخاري ج ٤ ص ٢٠٠].

(٢) عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وتكنى (أم عبد الله) نسبة لابن أختها أسماء وهو عبد الله بن الزبير. وفي الحديث المشهور: (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) أي عائشة وهي حميراء لأن لونها أحمر أي جميلة. وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٤].

وهي أول من خيرها هل تبقى زوجة له أم لا على شرط مشاورة والدها أبي بكر فلما اختارت الله ورسوله نزل قوله تعالى: " لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ " ٥٢ الأحزاب. وقال الطبري عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال بالمدينة وهي بنت ست ودخل عليها وهي بنت تسع وأقام عندها

تسعاً. ووُلدت عائشة بعد النبوة بأربع سنين وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين هجرية وهي بنت ست وستين ودفنت بالبقيع.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ولدت وقريش تبني البيت قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات وتزوجها صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة وقال الطبري ماتت حفصة سنة إحدى وأربعين وفي مجمع الأحباب وصفوة الصفوة سنة خمس وأربعين هجرية وكانت زوجة خنيس الأنصاري ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خنيس.

(٤) أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة بنت أبي سفيان (صخر بن حرب) وهي بنت صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان كانت عند عبيد الله ابن جحش فتنصر في الحبشة ومات كافراً فكتب النبي إلى النجاشي أن يزوجه بها صلى الله عليه وسلم ففعل. ماتت سنة أربع وأربعين وقيل أربعين في خلافة أخيها معاوية.

(٥) أم سلمة رضي الله عنها واسمها هند بنت أبي أمية واسمه سهيل بن المغيرة وكانت زوجة أبي سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وكذلك أبو سلمة ابن عمته صلى الله عليه وسلم بريدة بنت عبد المطلب. هاجرت للحبشة مع زوجها وتوفي عنها زوجها في المدينة بعد عودتهما من الحبشة وتزوجها صلى الله عليه وسلم سنة أربع من الهجرة وقيل أنها توفيت سنة تسع وخمسين وقيل اثنتين وستين ودفنت بالبقيع وعمرها أربع وثمانون سنة.

(٦) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس رضي الله عنها تزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن شمس ثم مات مسلماً ثم تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد

موت خديجة ودخل عليها ولكنه عقد على عائشة قبلها فلما كبر سنها أراد صلى الله عليه وسلم طلاقها لكبر سنها فعلمت بذلك فقالت لا تطلقني وأنت حل من شأني فإني أريد أن أحشر في أزواجك وقد وهبت يومي لعائشة. توفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقيل سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية رضي الله عنه والمشهور الأول.

وأربع عربيات وهن:

(١) زينب بنت جحش رضي الله عنها وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وهي التي زوجها لزيد بن حارثة وكان قد تبناه صلى الله عليه وسلم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زيد ووصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالأواه قيل يا رسول الله وما الأواه قال: (الخاشع المتضرع). وهي أول من ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وكانت تُدعى في الجاهلية أم المساكين لإحسانها إليهم وكانت عند عبد الله بن جحش رضي الله عنه فلما قتل يوم أحد تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وأقامت عنده شهرين وقال القرطبي مكثت عنده ثمانية أشهر ثم توفيت ودفنت بالبقيع رضي الله عنها.

(٣) ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وكان اسمها برة فسمها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وكانت متزوجة من أبي رهم بن عبد العزى فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خيبر لما توجه إلى مكة معتمراً سنة سبع وتزوجها وهو محرم ولما رجع دخل بها قبل وصوله إلى المدينة. ماتت رضي الله عنها في سرف بين

مكة والمدينة وهو موضع زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم سنة ست وستين وصلى عليها ابن عباس ودفنها هو وعبد الله بن شداد.

(٤) جويرية بنت الحارث رضي الله عنها كانت من بني المصطلق فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ سباياهم وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على نفسها تسع أواق من الذهب وقالت عائشة رضي الله عنها لما دخلت جويرية على النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها كرهت دخولها عليه خوف أن يتزوجها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أؤدي عنك كتابتك وأتزوج بك) قالت نعم فتسامع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم من السبي لأنهم صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وماتت سنة خمسين.

وواحدة من بني إسرائيل وهي:

- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها وأمها برة بنت سمواة وهي يهودية من بني إسرائيل وقد قتل زوجها يوم خيبر فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع هجرية قال أنس رضي الله عنه لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاء دحية الكلبي فقال يا رسول الله أعطني جارية قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية فقال رجل يا رسول الله أعطيت دحية صفية وهي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فقال ادعه بها فجاء بها فقال خذ جارية غيرها فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها وتبلغ من العمر سبع عشرة سنة فلما كانت بالطريق جهزتها أم سليم خالة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة واسمها سهلة وهي أم أنس بن مالك وكان خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من قومها وبين أن تسلم فيتخذها لنفسه فقالت أختار الله

ورسوله فلما كان عند الروحة خرجت تمشي فثنى لها النبي صلى الله عليه وسلم ركبته الشريفة لتطأ على فحذه فتركب فعظمت النبي صلى الله عليه وسلم أن تضع قدمها على فحذه فوضعت ركبته على فحذه وركبت وركب النبي صلى الله عليه وسلم وألقى عليها الكساء فقال المسلمون إن حجبها النبي صلى الله عليه وسلم فهي من أمهات المؤمنين فلما كان على ستة أميال أراد النبي أن يعرس بها فامتنعت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بالصهباء أراد أن يعرس بها فرضيت فسألها عن امتناعها أولاً فقالت خوفاً عليك من اليهود. وقالت صفية بلغني عن عائشة وحفصة كلام فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله إنهم قالوا صفية بنت يهودي فقال: (هلا قلت كيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم وأبي هارون وعمي موسى عليهما السلام. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٤٥]. وقيل أن هارون عليه السلام حج فلما مرض بالمدينة أوصى أن يدفن بجبل أحد فدفنوه هناك.

وتزوج صلى الله عليه وسلم من أخرى هي عمرة بنت الجون فلما أراد أن يدخل بها ومد يده عليها قالت: أعوذ بالله منك وكانت نصحتها حفصة وعائشة أن تقول ذلك وقالوا لها أنها كلمة يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خدعة منهما فلما تعوذت منه قال لها الحقي بأهلك لقد عذت بعظيم فقالت قالت لي ذلك عائشة وحفصة ولم يدخل بها. [بلوغ المرام ص ١٩١]. وروى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى: " إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا " حتى حج عمر وحججت معه فلما

كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضاً فقلت يا أمير المؤمنين مَنْ المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى: " إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا " ؟ فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتبه قال: هي عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنا معشر قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي قال فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقلت ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت نعم قلت وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت لا تراجعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئاً وسليني من مالي ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم - أي أجمل - وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منك - يريد عائشة - قال وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك قال وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوماً ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك؟ أجاءت غسان؟ قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً. حتى إذا صليتُ الصبح شددتُ عليَّ

ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة فأتيته غلاماً له أسود [اسمه رباح] فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إليّ فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلاً ثم غلبني ما أجد فأتيته الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيته الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلتُ فسلمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلّقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إليّ وقال: (لا) فقلت الله أكبر لو رأيته يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله؟ قال: (نعم) فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة مقامه فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال: (أفي شك أنت يا بن الخطاب؟

أولئك قوم عَجَلَتْ لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا) فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل. [وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٨، ٣٨٩].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {قُورًا} ادروا وامنعوا عن أنفسكم واحموا واحفظوا {أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ} عن أنفسكم وشخصكم وأرواحكم وأهليكم آبائكم وأمهاتكم وأزواجكم وأبنائكم وإخوتكم {نَارًا} نار جهنم وعذابها {وَقُودُهَا} حطبها ونارها {النَّاسُ} الناس تشتعل فيهم النار وتكون أجسادهم حطباً وناراً عليهم وعلى غيرهم {وَالْحِجَارَةُ} هي حجارة أعدها الله تعالى في جهنم لذلك وقيل أنها حجارة من كبريت. وروى ابن أبي حاتم رحمه الله قال: حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري حدثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي داود - قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ " وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها) قال فوق الشيخ مغشياً عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو حي فناداه قال: (يا شيخ قل لا إله إلا الله)

فقالها فبشره بالجنة قال فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا؟ قال : (نعم يقول الله تعالى : " ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ "). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩١].

{عَلَيْهَا} على نار جهنم وهم خزنتها والزبانية {مَلَكَةٌ} من الملائكة {غِلَظٌ} الملك منهم فظ مرعب مخيف نزعت من قلبه الرحمة والشفقة {شِدَادٌ} أقوياء {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ} طاعتهم طاعة خَلْقِيَّة أي خُلِقُوا وَجُبِلُوا على الطاعة ولا مجال للمعصية حيث الذي يأمرهم هو الخالق سبحانه وتعالى {مَا أَمَرَهُمْ} ما أمرهم الله تعالى به ينفذونه حرفياً دون مناقشة أو تأخير بأسرع من البرق أو أسرع من طرفة العين {وَيَفْعَلُونَ} ويعلمون {مَا يُؤْمَرُونَ} ما يأمرهم به الله تعالى من الأوامر وهي عذاب الكفار {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا} أيها الكفار يا من كذبتهم ولم تصدقوا برسالتي وبرسلي وكتبي واليوم الآخر {لَا تَعْتَذِرُوا أَلْيَوْمَ} يوم القيامة يقول الله تعالى لهم لا تعتذروا في هذا اليوم رُفِعَ القلم وجفت الصحف وانتهى الأمر فالיום حساب وعقاب وجزاء وثواب من عمل صالحاً وخيراً يدخل الجنة ومن أساء وعمل بالمعاصي والكفر والشرك دخل النار {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} إنما تحاسبون على أعمالكم إن كانت خيراً دخلتم الجنة وإن كانت شراً دخلتم النار.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {تُوبُوا إِلَى اللَّهِ} أي توبوا عن الذنوب ولا تقربوها أبداً {تَوْبَةً نَّصُوحًا} أي توبة صادقة وحازمة وملزمة ووفية ودائمة ولا رجعة فيها {عَسَىٰ} لعل {رَبُّكُمْ} الله تعالى ربكم ورب العالمين {أَن يُكَفِّرَ} أن يمحو {عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} عنكم أيها المؤمنون التائبون ما ساء من عمل عملتموه وهي الذنوب والمعاصي والآثام {وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ} ويدخلكم يوم القيامة جنات وهي ثمانية وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار {تَجْرَىٰ} تسير {مِنْ تَحْتِهَا} من خلالها ومن تحت قصورها ومن تحت أشجارها {الْأَنْهَارُ} وهي أربعة أنهار نهر الماء غير الآسن ونهر اللبن ونهر الخمر ونهر العسل {يَوْمَ} يوم القيامة {لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ} لا يخزي الله تعالى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدخول أمته الجنة وهي أكثر الأمم دخولا للجنة وهذا يشرف ويكرم رسولنا فلا يخزيه الله تعالى في أمته {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} ولا يخزي الله تعالى المؤمنين بإدخالهم الجنة لاتباعهم ما جاءهم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كرامة لهم على طاعتهم لله تعالى وطاعتهم لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي يكون

النور على حسب إيمان الرجل فمنهم من يكون مثل الشمس ومنهم من يكون مثل الكوكب ومنهم من يكون مثل المصباح ومنهم من يكون نوره مثل الشمعة ومنهم من يكون على ظفر إبهامه يضيء ويطفئ والكفار والمنافقون لا نور لهم {وَبِأَيِّمَنِهم} أي يكون النور كذلك على يمينهم لأن بها كتبهم حتى يروها ويطمئنوا بها وهم على الصراط حتى لا يفزعوا ولا يخافوا {يَقُولُونَ} يقول المؤمنون وهم على الصراط {رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا} أي اجعله دائماً معنا حتى نجوز على الصراط ولا تطفئه في المنتصف {وَأَغْفِرْ لَنَا} وإن كنا أذنبنا بعض الذنوب فاغفرها لنا حيث أننا مؤمنون {إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} إنك قادر على كل شيء ولا ينقص من ملكك شيء ولا يتعبك ولا يرهقك ذلك حيث أنك القادر على أن تتم وتديم لنا هذا النور حتى نجوز على الصراط يا قادر يا الله. وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فسمعتة يقول: (اللهم لا تخزني يوم القيامة). وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا محمد بن مقاتل المروزي حدثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن حبيب عن عبد الرحمن بن جبير ابن نغير أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم) فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال: (غُرُّ مُحَجَّلُونَ من آثار الطهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٣].

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

{يَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا محمد يا نبي الله يا رسول الله {جَهْدِ} قاوم وجاهد وحارب {الْكُفَّارَ} من كفروا وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا بالله ولا برسله ولا كتبه ولا باليوم الآخر {وَالْمُنَافِقِينَ} هم المنافقون والدجالون والمداهنون والكذابون والمخادعون والغشاشون والخائنون وهم من يُظهر لك الود كذباً ويخفون عنك الحقيقة وهي النفاق والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والخيانة {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} واقسُ عليهم وقل لهم قولاً بليغاً مؤثراً واشدد عليهم واضرب عليهم بيد من حديد {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} آخرتهم ومآلهم ومصيرهم ونهايتهم إلى نار جهنم وعذابها {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ساء وقبح المآل والنهاية والمرجع والإقامة الدائمة والمستقر وهو نار جهنم وعذابها.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} " وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " وقد ضرب الله مثلاً في القرآن {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} عن الذين كفروا {امْرَأَتَ نُوحٍ} وهي زوجة نوح عليه السلام واسمه شاكِر وهي اسمها راعلة وولدها الذي أغرق معها اسمه كنعان وهي كانت تخبر قومها بأن زوجها مجنون ولا تصدقوه {وَامْرَأَتَ لُوطٍ} وهي زوجة لوط عليه السلام واسمها وعلة وكانت تخبر قومها كلما جاءهم ضيف من

الرجال جميل {كَاتَتَا} أي زوجة نوح راعلة وزوجة لوط وعلة {تَحَتَّ} أي زوجتين لـ {عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ} عبيدين نبيين ورسولين وصالحين وتقيين وطائعين وعابدين كيف لا وهما رسولان لرب العالمين وهما نوح عليه السلام ولوط عليه السلام {فَخَانَتَاهُمَا} فخانتا الاثنتان زوجيهما ولم يؤمنا معهما وكذباهما وخانتاهما فكانت إحداهما وهي زوجة نوح تقول عن زوجها هذا مجنون فلا تصدقوه والأخرى زوجة لوط تخبر عن ضيفه عندما يأتيه أحد من الرجال {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} فلم ينفعهما نصحهما وإرشادهما ورسالتهم بأي شيء حيث لم تصدقا أزواجهما {وَقِيلَ} وقيل لهما من الملائكة بعد عذابهما وخيانتهم {أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} أي مصيركما أنتما الاثنتان أنكما ستدخلان نار جهنم يوم القيامة مع الداخلين من الكفار والمشركين والعصاة.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخَجْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقِسْطِ إِنْ قَالَتْ إِنَّ ابْنَِي عِنْدَ رَبِّ لَأَكْبَرُ ۖ إِنَّ ابْنَِي عِنْدَ رَبِّ لَكَبِيرٌ ۖ﴾﴾

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} قاله وحكاه وقصّه وأعلمه خلقه وحدثه وتلاه وبينه {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين ليعتبروا ويتعظوا به {امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ} زوجة فرعون مصر واسمه الوليد بن مصعب وزوجته اسمها آسية بنت مزاحم وهي مؤمنة بالله تعالى وبرسوله موسى عليه السلام وفرعون كافر ويدعي الألوهية ويقول عن نفسه أنه إله {إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَ رَبِّ لَأَكْبَرُ ۖ إِنَّ ابْنَِي عِنْدَ رَبِّ لَكَبِيرٌ ۖ} إذ قالت وحكت وتكلمت

زوجة فرعون آسية وطلبت من الله تعالى وهي تُعذب من قبل فرعون أن يبني لها بيتاً وقصراً في الجنة على صبرها على تعذيب فرعون لها وعلى إيمانها بالله تعالى وهذا من حسن ظنها واعتقادها بالله تعالى وكما روى البخاري بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. {وَنَجِّنِي} وأنقذني {مِنْ فِرْعَوْنَ} من عذاب فرعون {وَعَمَلِهِ} وهو شركه بالله تعالى وادعأؤه أنه إله ورب ويجب عبادته وحده دون الله تعالى {وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ونجني وأنقذني من شر القوم الظالمين وهم قوم فرعون وعساكره الذين يعذبونها فهم ظالمون في تعذيبهم لها وظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي {وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ} وهي أم عيسى عليه السلام {الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} التي حفظت فرجها من الزنا أي عفت عن ارتكاب فاحشة الزنا وصانت وحمّت وحفظت بعفافها نفسها وفرجها من الوقوع في الزنا والفاحشة {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} النفخ هنا هو نفخ الروح في مولود لها يخرج من فرجها بقدرته الله تعالى. وقيل لمريم عليها السلام ألا تتزوجين؟ فقالت لساني مشغول بذكره وجوارحي بخدمته وقلبي بمحبته فرزقها الله عيسى عليه السلام من غير أب. [نزهة المجالس ج ١ ص ٤٤]. وقصة حمل مريم بعيسى عليه السلام أن مريم كانت تتعبد في المسجد الأقصى مع رجل من قومها يقال له يوسف [قيل يوسف النجار] ولهما قليب يعني بئر ماء كل واحد منهما يأتي بماء في يوم من كهف فلما كان يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها في الكهف فجاءها جبريل في صورة رجل فأخذ التراب الذي فضل (بقي)

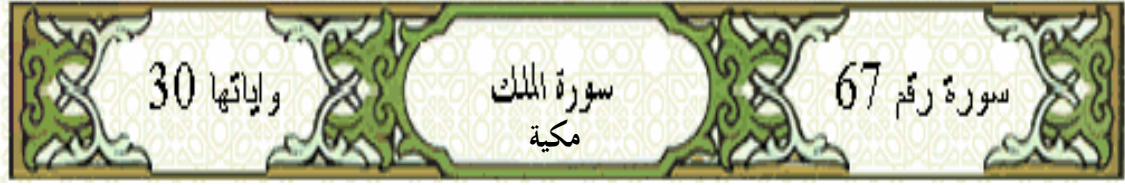
من تراب آدم ونفخه في جيب درعها فلما رأت جبريل كما قال تعالى: "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا" ٢١-٢٦ مريم. فلما استتقت الماء ولبست درعها تحرك الولد في بطنها وكما قال تعالى: "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا" ٢٢ مريم. وكما قال تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" ٥٩ آل عمران. فلما جاءها المخاض تحولت عند أختها من الجامع [المسجد] فأنكر عليها يوسف [الذي كان يتعبد معها في المسجد] وقال يا مريم هل ينبت الزرع من غير بذر؟! قالت نعم أنبت الله الزرع يوم خلقه من غير بذر فلما تحولت عند أختها [أليشا] امرأة زكريا عليه السلام وكانت حاملاً ببيحيى عليه السلام [وكان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر] قالت يا مريم أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك. وكان الحمل والوضع في ساعة واحدة وكان الوضع بعد الزوال. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٥]. وحملت مريم بعيسى عليه السلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدت من السرة وعاشت بعد رفع عيسى ستاً وستين سنة وماتت ولها مائة واثنان عشرة سنة. واسم أمها حنة. [نزهة المجالس ص ٢٠٦]. {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} وهي قوله تعالى: " قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا " ٢١ مريم. وهي كلمة (كن فيكون) {وَكُتِبَ لَهُ} وجميع كتبه التي أرسلها الله إلى رسله وأنبيائه كتاب موسى وهو التوراة وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً

{وَكَاْنَتْ} وهي مريم عليها السلام {مِنْ أَلْقَيْنَتَيْنِ} التائبين الطائعين العابدين لله تعالى. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). [صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٣]. وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). [السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس حدثنا داود بن أبي الفرات عن علياء عن عكرمة عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط وقال: (أتدرون ما هذا؟) قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٤]. وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كَمَلْ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خُوَيْلِد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٤]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم رضي الله عنها ومريم بنت عمران رضي الله عنها ينظمان حلي أهل الجنة إلى يوم القيامة). [ذكره الثعلبي في

العرائس - نزهة المجالس ج ٢ ص ٩٦]. وروى معاذ رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها وهي في سكرات الموت: (أتكرهين ما قد نزل بك والله لقد جعل الله لك في السكر خيراً فإذا قدمت على ضراتك فأقرئيهن السلام مني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى عليه السلام) فقالت عليّ الوفاء يا رسول الله. [ذكره القرطبي في تفسيره سورة التحريم - نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٧]. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب). [السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٣]. والقصب هو اللؤلؤ والصخب الضجة والضوضاء والنصب التعب. وقد تزوج صلى الله عليه وسلم خديجة وعمرها أربعون سنة وكان عمره صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة وكانت خديجة رضي الله عنها قد تزوجت برجلين قبل النبي صلى الله عليه وسلم أولهما عتيق بن عابد ابن عبد الله ثم تزوجها الثاني وهو أبو هالة واسمه زرارة فولدت منه ولداً وعاش وأدرك الإسلام وكان يقول أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي خديجة وأخي القاسم وأختي فاطمة رضي الله عنها فلما مات بالبصرة ازدحم الناس على جنازته وقالوا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٧]. وأولاد خديجة رضي الله عنها من الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأولاد هم: (١) عبد الله ويلقب بالطيب الطاهر (٢) القاسم والبنات هم: (١) زينب وقد تزوجت العاص بن الربيع (٢) رقية (٣) أم كلثوم وقد تزوجتا رقية وأم كلثوم من عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً (٤)

فاطمة الزهراء تزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهما وولدا الحسن والحسين. وأما إبراهيم عليه السلام فهو من مارية القبطية وقالت فاطمة رضي الله عنها بعد موت أمها خديجة والله يا نبي الله لا ينفعني طعام ولا شراب حتى تسأل جبريل عليه السلام عن أمي فسأله فقال هي بين آسية ومريم في الجنة. وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم فقلت لقد عوضك الله خيراً من كبيرة السن فرأيتته غضب غضباً شديداً فندمت وقلت اللهم إن أذهبت غيظ نبيك لم أعد إلى ذكرها بسوء أبداً ثم قال: (كيف قلت والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وآوتني إذ رفضتني الناس وصدقتني إذ كذبتني الناس). وأما آسية بنت مزاحم زوجة فرعون الوليد بن مصعب فلما اطلع فرعون على إيمان آسية رضي الله عنها أحضر الجزار وقال له اصنع بها كما تصنع بالشاة إذا ذبحتها فقالت الملائكة ربنا قد وقعت هذه المرأة في بلاء فرعون فقال إنها قد اشتاقت إلى لقائنا فلما صارت لحد النزع قال الله تعالى يا جبريل إنها تحرك شفيتها فاسمع ما تقول وهو أعلم فقال يا رب إنها تطلب بيتاً فقالت الملائكة بلاؤها شديد وصبرها كثير وسؤالها حقير فقال الله تعالى اسمع منها في أي مكان هذا البيت وعند من هو؟ فقال يا رب إنها تقول رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فقالت الملائكة هذا سؤال عظيم وبيت شريف لأنه في جوارك ومبني في دارك فقال الله تعالى قد بنيته لها قبل سؤالها فكان يسألها وهي تنظر إليه وتقول الله الله. [نزهة المجالس ج ١ ص ٤٧]. وقال البغوي: إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من

فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فنظرت إليه وهو من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقوا الصخرة على جسد لا روح فيه. [نزهة المجالس ج ١ ص ٤٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

{تَبْرَكَ} حَسُنَتْ وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه وتعالى وجل وعلا وعظم {الَّذِي بِيَدِهِ} الذي بملكه وبحوزته وتحت سلطانه وتحت أمره ومشينته وقدرته {الْمُلْكُ} الخلق كلهم والكون كله والأمر والنهي والحكم والسلطان والقدرة والإرادة والمشيئة والموت والحياة والأرزاق والأقوات {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قادر على كل أمر وعلى فعل كل شيء وخلقه وتكوينه وأمره بين الكاف والنون بقوله كن فيكون {الَّذِي} وهو الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَلَقَ الْمَوْتَ} خلق وأوجد وجعل بقدرته من يأتيه الموت يموت ويفقد الحياة {وَالْحَيَاةَ} يحيي من يشاء من العدم ويوجده ويخلقه من لا شيء ويجعل الله تعالى فيه الروح والحياة والحركة {لِيَبْلُوَكُمْ} ليختبركم وليمتحنكم ويرى {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أي منكم من هو يحسن عمله ويتقنه ومن أفضل وخير من يعمل عمله وهو العبادة والطاعة وحتى العمل الدنيوي ومن يتقنه أفضل وأحسن وعلى أحسن وأكمل وجه {وَهُوَ الْعَزِيزُ}

المنيع والقوي في ملكه والعزيز في ملكه وسلطانه ومنيع وعزيز الجانب والمعتز
 بسلطانه وقدرته {الْغَفُورُ} الذي يغفر الذنب ويقبل التوبة عن عباده ويمحو
 السيئات ويعفو عنها ويصفح ويتجاوز {الَّذِي خَلَقَ} الذي خلق وأوجد وأنشأ
 {سَبْعَ سَمَوَاتٍ} أي جعل السماوات سبع سماوات {طَبَقًا} فوق بعضها البعض
 أولاً السماء الدنيا وهي المقابلة لنا ولالأرض التي نحن عليها ثم السماء الثانية
 فالثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فالسابعة وهي متوالية بعضها فوق بعض
 طباقاً أي طبقات متراسة ومتعاقبة ومتتالية وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة
 عام وسمك كل سماء خمسمائة عام. قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد
 وغير واحد - المعنى واحد - حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان ابن عبد
 الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله
 عليه وسلم جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحب فقال نبي الله صلى الله عليه
 وسلم: (هل تدرون ما هذا؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (هذا العنان هذه روايا
 الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه) ثم قال: (هل تدرون ما فوقكم؟)
 قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف) ثم قال:
 (هل تدرون كم بينكم وبينها؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (بينكم وبينها خمسمائة
 سنة) ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن فوق
 ذلك سماء بُعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات ما بين
 كل سماءين كما بين السماء والأرض) ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله
 ورسوله أعلم قال: (فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل ما بين السماءين)
 ثم قال: (هل تدرون ما الذي تحتكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنها الأرض)
 ثم قال: (هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن

تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة) ثم قال: (والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لهبط على الله). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣]. وفي الحديث: (ما السموات السبع وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. {مَا تَرَى} لا تشاهد {فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ} في مخلوقات الله تعالى {مِنْ تَفْهُوتٍ} من فرق في المخلوقات في الجودة والحسن والجمال فهو أتقن كل شيء صنعاً وأتقن كل شيء عملاً فهو أحسن الخالقين {فَارْجِعِ الْبَصَرَ} دقق البصر وكرره مرات ومرات {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} هل تشاهد قصوراً أو خللاً أو شقوقاً أو نقصاً أو عيوباً {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} ثم أعد النظر مرتين متتاليتين وكرره مرتين بنظر {يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ} يعود ويرجع إليك النظر {خَاسِئًا} ذليلاً حقيراً صاغراً {وَهُوَ حَسِيرٌ} وهو منقطع ومحجوب ومحسور لا يرى عيباً ولا خللاً ولا نقصاً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ

عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا} قد زين الله وجمل وزخرف {السَّمَاءَ الدُّنْيَا} السماء القريبة منا ومن الأرض التي نحن عليها وهي السماء الأولى {بِمَصْبِيحٍ} بكواكب ونجوم وجعلها في الليل المظلم البهيم حالك السواد الذي لا قمر فيه كالمصابيح تضيء الأرض {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} أي جعلها الله تعالى ترجم وتقذف وتحرق الشياطين عندما تريد استراق السمع والتنصت أو التسمع للملائكة فيرسل الله تعالى عليها الشهب تحرقها وكما قال تعالى: " إِنَّا زَيَّنَّا الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦}

وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {١٠} " ٦-١٠ الصافات. وكما قال تعالى: " وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا " ٩ الجن. وهي الكواكب والنجوم والشهب جعلها الله رجوماً تقذف وترمي وتحرق الشياطين عند اقترابهم من السماء للتسمع على ما يقول الملائكة ومعرفة ما يحدث من أخبار كما أسلفنا وهي كالصواريخ الموجهة تطلق عليهم بمجرد اقترابهم من السماء وهي دائماً ترصدهم {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ} وحضر الله تعالى لهم {عَذَابُ السَّعِيرِ} عذاب شدة لهيب جهنم ووجهها وحرقتها وهو عذاب شديد قاس أليم وموجع.

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَيَبْتَئَسُ الْمُصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾

{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا} وللكافرين وهم الكفار وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {بِرَبِّهِمْ} بالله تعالى خالقهم وهو رب العالمين وإله الخلق أجمعين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَذَابُ جَهَنَّمَ} نار جهنم يعذب فيها يوم القيامة {وَيَبْتَئَسُ الْمُصِيرُ} وساء وقبح المآل والنهائية والمرجع والإقامة الدائمة والمستقر {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا} إذا قذفوا

فيها وإذا ألقى بهم فيها وإذا رموا فيها {سَمِعُوا} سمعوا بأسماعهم {هَآ} لنار جهنم {شَهِيقًا} صوتاً عظيماً منكراً وهي تشهق أي تشفط وتسحب بقوة كبيرة لتبتلعهم كمثل آلة الشفط والسحب عندما تشتغل لأخذ الأوساخ والأتربة فتشفط وتسحب وتقتلع الأوساخ أو كالمكنسة الكهربائية عندما تشفط الأوساخ من على السجاد في البيوت ولكن نار جهنم شيء مهول مخيف صوتها وهي تريد أن تبتلعهم وتسحبهم فيها {وَهِيَ تَفُورٌ} وهي تغلي وتشتعل وتوقد وتعلو ويزيد لهيبها ونارها واشتعالها {تَكَادُ تَمَيِّزُ} تكاد تنفجر من الغيظ وتحرق كل شيء {مِنْ أَلْغِظُ} من الغل والقهر على الكفار {كُلَّمَا أَلْقَى} كلما ألقى وقذف ورُمي {فِيهَا فَوْجٌ} فيها جماعة أو مجموعة من الناس {سَاءَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا} سألتهم الملائكة الخزنة المسئولون عن جهنم وحراسها والموكلون بها وهم الزبانية {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} سؤال تقرير وتوبيخ فهل لم يأتكم رسول ينصحكم ويرشدكم ويهديكم؟! {قَالُوا بَلَى} أجابوا بالإثبات أي جاءهم {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا} أي حضر إلينا نذير ورسول ولكننا كذبنا ولم نصدق ولم نعترف {وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} أنكرنا ورفضنا التصديق أو الاعتراف بالرسالات {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} وقلنا لهم أي للرسول ما أنتم إلا تكذبون وفي جهل وخرافة عظيمة {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} واعترفوا بذنوبهم بعد فوات الأوان لو كنا نسمع للرسول ولنصحبهم وهداهم أو نعقل ونفهم وندرك ما يقولون لنا {مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ما كنا الآن هذا حالنا مع أصحاب السعير ومع أصحاب جهنم نعذب والسعير هي نار جهنم وعذابها الشديد والقاسي والأليم والموجع {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ} اعترفوا بذنبهم وخطئهم ومعصيتهم لله

تعالى ولرسله وأقروا بها يوم القيامة بعد فوات الأوان {فَسُحْقًا} فويلًا وهلاكًا وعذابًا - وهي من سحق الشيء أي طحنه وتنعيمه وتقطيعه {لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ} لأصحاب جهنم والسعير هي النار الموقدة والمشتعلة والمحرقة أي هي نار جهنم وعذابها الشديد والقاسي والأليم والموجع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٣٤﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ} إن الذين يخافون {رَبَّهُمْ} وهو الله تعالى خالقهم ورازقهم وهو رب العالمين وإله الخلق أجمعين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِالْغَيْبِ} في الخفاء والسر. والغيب ما غاب عنك وحُجب عنك وهو المستور والمحجوب والذي لا يرى ولا يُعرف قبل ذلك {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لهم عفو وصفح وتجاوز عن سيئاتهم وأخطائهم وذنوبهم التي اقترفوها في السابق {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} وثواب عظيم ومكافأة قيمة وهي دخولهم الجنة ونعيمها المقيم والدائم {وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ} وسواء أسرتم وكتمتم وأخفيتم قولكم أو جهرتم به وأعلنتموه وأظهرتموه وتكلمتم به {إِنَّهُ} إله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} عليم ومطلع ويعرف ويعلم {بِذَاتِ الصُّدُورِ} ما تخفي وما تسر النفوس وما تُكنّ وما يجول في خاطرها وما تود أو تتمنى أن تعمله وما تكتمه القلوب والصدور أي يعلم السر وأخفى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} ألا يدري ويعلم ويعرف تكوين خلقه وهو الذي خلقهم وكوّنهم وصوّرهم وجبلهم بقدرته وعلمه ومشيتته {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره

وعلا شأنه {اللطيف} الذي يعامل عباده وخلقه بلطف ورقة ولين ورأفة وشفقة ومودة ومحبة وتسامح يعصون فيحلم عليهم ويذنبون فيسترهم ويرزقهم ويتوبون فيقبل توبتهم ويندمون فيسامحهم {الخبير} العليم بأمور خلقه وما ينفعهم وما يصلحهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ

النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

{هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ} الذي خلق وسوى ومهد لكم {الْأَرْضَ} وهي الأرض التي نسير عليها ونسكن عليها وهي الأرض الأولى {ذُلُولًا} مذلة سهلة في السير والرزق والمسكن {فَامْشُوا} فسيروا {فِي مَنَاكِبِهَا} في طرقها وشوارعها وفي سهولها وجبالها ووديانها وفي كل مكان خلالها طلباً للرزق {وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} وكلوا من رزق الله تعالى من الحبوب والثمار والخضار والفواكه واللحوم والطيور {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} إليه المصير والخروج من القبور أحياء مرة أخرى ويجمعهم للحساب والجزاء والعقاب والثواب فإليه المرجع والمآل وكل يعمل لآخرته حتى ينجو من عذابه.

﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ ١٦ ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ ١٧ ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ١٨

{ءَأَمِنْتُمْ} هل أمنتم أو اطمأننتم إلى {مِّنْ فِي السَّمَاءِ} إلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي في السماء أمره {أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ} أن يسوي بكم الأرض أو يقلبها عليكم أو يزلزل الأرض بكم أو يجعل عاليها سافلها {فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} تتحرك وتضطرب وتموج وتغوص وتذهب ويجعل عاليها سافلها {أَمْ أَمِنْتُمْ} أو هل اطمأننتم إلى {مِّنْ فِي السَّمَاءِ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وبقدرته {أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} أي يرسل عليكم عذاباً يحصبكم ويرميكم ويقذفكم بحجارة من سجيل أو يرميكم بالصواعق تحرقكم وتقتلكم {فَسَتَعْلَمُونَ} فسوف تعلمون وتدرّون وتدركون {كَيْفَ نَذِيرِ} كيف كان عاقبة من لم يعتبر برسلي وكيف يكون عقابه وعذابه من لم يصدق بإنذارات رسلي وتحذيراتهم {وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} ولقد كذب من كان قبلهم من الأمم السابقة برسلمهم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} فكيف كان مصير من أنكر رسالاتي السابقة وكيف كان عذابه وعقابه فقوم نوح أغرقهم وقوم لوط خسف بهم الأرض وجعل عاليها سافلها وقوم هود وهم عاد أرسل عليهم الريح العقيم جعلتهم كأعجاز نخل خاوية.. وهكذا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ} أفلم ينظر الناس إلى مخلوقات الله تعالى من الطير ويشاهدوها وهي فوقهم في جو السماء تطير {صَفَّتْ} ناشرات أجنحتها على طولها {وَيَقْبِضْنَ} ويضمن تارة أخرى الأجنحة وهي ترفرف وتطير في الهواء {مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ} فلا يستطيع أحد أن يطير مثلهم أو يلحق بهم وهم في جو السماء ولا يستطيع ذلك ولا يمسك بهن إلا الرحمن وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو الرحمن الذي يرحم المخلوقات جميعها وحتى الطير حتى لا يستطيع إنسان أو وحش أن يؤذيها وهي طائرة في جو السماء {إِنَّهُ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء من مخلوقاته {بَصِيرٌ} بصير وعالم ومطلع عليهم ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

{أَمَّنْ هَذَا} من هذا ومن هو؟ {الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ} الذي هو جندي وحرس لكم أيها الكفار وعبداء الأصنام والأوثان ينصركم ويعينكم ويدافع عنكم ويحميكم ويساعدكم بالنصرة والمساعدة {مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ} غير الله تعالى وهو الرحمن الذي يرحم خلقه وجميع المخلوقات التي خلقها {إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} ما الكفار وهم من عبد الأصنام والأوثان وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا

بالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً ما هم إلا مغرورون ومضللون بعبادة الأوثان والأصنام من دون الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} مَنْ هَذَا وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ وَيُطْعِمُكُمْ وَيَسْقِيكُمْ إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقَهُ عَنْكُمْ بِأَنْ مَنَعَ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَمَنَعَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ لَكُمْ الزَّرْعَ وَالثَّمَارَ وَالْفَوَاكِهَ وَحَتَّى مَنَعَ الْحَشَائِشَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى تَأْكُلَهَا أَنْعَامُكُمْ فَتَمُوتَ الْمَاشِيَةُ فَعِنْدَهَا لَا ثَمَارَ وَلَا لَحُومَ تَأْكُلُونَهَا فَهَلْ عِنْدَهَا تَنْفَعُكُمْ الْأَصْنَامُ وَالْأَحْجَارُ وَالْأَوْثَانُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا وَالَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ {بَلْ لَّجُؤًا} وَلَكِنْ رَفَضُوا وَاسْتَمَرُّوا فِي عِنَادِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ {فِي عُتُوٍّ} فِي صُلْفٍ وَعِنَادٍ وَكِبَرٍ {وَنُفُورٍ} وَانصرفوا مصرين على عنادهم وكفرهم وكبرهم ولم يهتدوا ولم يرجعوا عن ذلك {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ} فَهَلْ مَنْ يَمْشِي وَيَسِيرُ ضَالًّا هَائِمًا تَائِهًا فِي عِمَاءٍ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ {أَهْدَىٰ} هَلْ يَكُونُ عِنْدَهَا عَلَى هَدًى وَأَكْثَرُ هِدَايَةٍ {أَمَّنْ يَمْشِي} أَمْ مَنْ يَسِيرُ {سَوِيًّا} مُعْتَدِلًا فِي سِيرِهِ وَطَرِيقِهِ {عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَمَنْ سِيرَهُ وَيَمْشِي فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ لَا انْحِرَافَ فِيهِ وَلَا اعْوْجَاجَ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْكَافِرُ الَّذِي يَمْشِي وَيَسِيرُ ضَالًّا لَا يَهْتَدِي لِلْحَقِّ وَلَا لِلرَّشَادِ وَلَا لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَعَدْلِهِ وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي يَمْشِي عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ يَسِيرُ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ لَا انْحِرَافَ فِيهِ.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْشَأَكُمْ} الذي خلقكم وجعلكم في الأرض ورثة ترثون الأرض {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ} وهو الذي خلق لكم أيها الناس جميعاً حاسة السمع وهي الأذن {وَالْأَبْصَرَ} الرؤيا وهي العيون {وَالْأَفْئِدَةَ} وهي القلوب وهي التي تعقلون بها وتحبون وتكرهون وتؤمنون وتكفرون. قال صلى الله عليه وسلم: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء). [المنقذ من الضلال للغزالي ص٦٧]. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه: (إن الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). [متفق عليه - سبل السلام ج٤ ص١٧١]. {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} قليل شكركم ويجب أن تحمدوا الله تعالى على جميع أفضاله ونعمه وعلى السراء والضراء دائماً الحمد لله رب العالمين على هذا الحال وكل حال {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} الذي خلقكم وأنشأكم وجعلكم في الأرض تعمرونها ووضعكم فيها {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} وإليه تعودون وتُجمعون يوم القيامة في المحشر ويُحشر الناس جميعاً

لحساب والجزاء والعقاب والثواب فمن عمل صالحاً دخل الجنة ومن عمل شراً وسيئاً دخل النار.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا أَلْغَلُمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

{وَيَقُولُونَ} يقول الكفار والعصاة {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} أي متى يوم القيامة ومتى يجيء أي تكذيباً به وإنكاراً له {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم أيها الرسول وأيها المؤمنون صادقين في دعواكم بأن يوم القيامة آت لا ريب فيه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا أَلْغَلُمُ عِنْدَ اللَّهِ} هذا علمه عند الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ولا يعرفه أحد غيره ولم يخبره لأحد من خلقه {وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} وإنما أنا رسول رب العالمين أنذر الناس ببينة ووضوح {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} فلما حضروهم وجاءهم ذلك اليوم العظيم وهو يوم القيامة {سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي عبست واسودت وأظلمت خوفاً من عذاب الله تعالى الذي يأتيهم وجوه الكفار من عبدة الأصنام والأوثان وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {وَقِيلَ} وقيل لهم من الملائكة {هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ} هذا يوم القيامة الذي كنتم به تدعون كذباً بأنه لن يكون وتقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟! .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِیَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِیرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

{قُلْ} قل للكفار يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ} إِنْ

أَمَاتَنِیَ اللَّهُ تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وأنا رسوله محمد {وَمَنْ مَعِیَ}

أنا ومن آمن معي من المؤمنين {أَوْ رَحِمَنَا} أو عافانا ونجانا {فَمَنْ يُجِیرُ} فمن ينقذ

ويحمي ويحفظ {الْكَافِرِينَ} الكفار وهم عبدة الأصنام والأوثان وهم الذين كفروا ولم

يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا

بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً

ونشوراً {مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} من عذاب جهنم وهو عذاب أليم موجع وشديد وقاس

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا

شأنه {الرَّحْمَنُ} الذي يرحم جميع خلقه جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{ءَامَنَّا بِهِ} صدقنا به وأيقننا به رباً {وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} وعليه توكلنا واعتمدنا في

جميع أمورنا {فَسَتَعْمُونَ} فسوف تعلمون أيها الكفار وعبدة الأصنام والأوثان {مَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} مَنْ هو الضال وَمَنْ هو العاصي والمنحرف والبعيد عن الحق

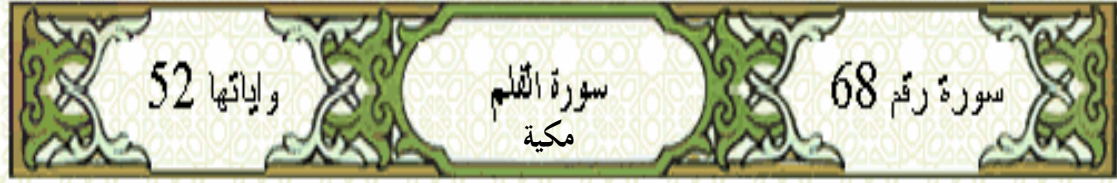
والهدى والرشاد {قُلْ} قل للكفار يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ

أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا} إِنْ نزل الماء في أعماق الأرض وذهب وابتعد ولم تستطيعوا

إخراجه {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} فمن غير الله تعالى يستطيع إخراجه ويأتيكم

بماء حلو صاف صالح للشرب؟! فاعتبروا يا أولي الأبواب قبل أن يأتكم يوم لا بيع فيه ولا خلال.

روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سورة في القرآن خَاصَمَت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٥]. وروى عبد بن حميد في مسنده قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا أتحنك بحديث تفرح به؟ قال بلى قال اقرأ: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ " وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجي بها صاحبها من عذاب القبر قال صلى الله عليه وسلم: (لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة عن عياش الجشمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن سورة في القرآن ثلاثين آية شَفَعَتْ لصاحبها حتى غفر له: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "). [ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به وقال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٥]. وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأجد في كتاب الله سورة وهي ثلاثون آية من قرأها عند منامه كتب له ثلاثون حسنة ومحي عنه ثلاثون سيئة ويبعث الله ملكاً يبسط جناحه عليه ويحفظه من سوء حتى يستيقظ). [نزهة المجالس ص ٣٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

{ت} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرت في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاسـم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (نـ) هو قوله تبارك وتعالى: " لَكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ " ٦٧ الأنعام. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْقَلَمِ} هو قلم الكتابة خلقه الله تعالى ليكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء كما قال تعالى: " الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {١} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٢} " ٤، ٥ العلق. وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٤]. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٣]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء). [ابن

كثير ج ٣ ص ٢٣٤]. وقيل أن القلم خلق من جوهرة طولها خمسمائة عام ثم نظر الله إليه نظرة هيبة فانشق نصفين نبع منه النور ثم قال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتب ثم قال له اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فأجراه الله تعالى فكتب ما هو كائن وأن له ترجيعاً بالتسبيح كالرعد وكتابته نور. [هامش نزهة المجالس ج ١ ص ٣٨]. وقيل خلق الله القلم من درة بيضاء طولها خمسمائة عام ينبع منه النور كما ينبع المداد من قلم الدنيا ثم أمره أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها في سبعمائة عام فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد مرة واحدة كتب الله له ثواب سبعمائة عام. [قاله النسفي - نزهة المجالس ص ٣٧]. وعن ابن عباس قال: إن لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت أحمر - والدفتان لوحان - لله كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. [هامش نزهة المجالس ج ١ ص ٣٨]. وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت على إثرها فلا أدري ما كان بعدي). [رواه الإمام أحمد وهو مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة - ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٠]. {وَمَا يَسْطُرُونَ} وما يكتبون بأقلام الدنيا كما قال تعالى: "الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {؛} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {؛}" ٤، ٥ العلق. أي أقسم الله تعالى بالقلم وما يسطرون أي بالعلم وفوائده وما يوصله للإنسان من معرفة الحقيقة وأن للكون رباً ومدبراً وخالقاً وأنه لا بد للموجودات والمخلوقات من واجد ومن خالق وهو الله

تعالى. أو (وما يسطرون) ما يسطره ويكتبه الملائكة في صحف بني آدم من أعمالهم سواء خيراً أو شراً حتى يحاسبوا عليها يوم القيامة {مَا أَنْتَ} لست يا محمد يا رسول الله {بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} بتحدثك بهذا القرآن الذي أنعم الله به عليك والرسالة التي خصك الله بها وهي نعمة ربك كما قال تبارك وتعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" ١١ الضحى. وكما قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" ٣ المائدة. {بِمَجْنُونٍ} لست بمعتوه ولا مجنون [أي مسك الجن وأصبحت أبلهاً] كما يدعي الكفار كما قالوا: "إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ" ٢٥ المؤمنون. وكما قال تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ" ٧٠ المؤمنون. {وَإِنَّ لَكَ} وإن لك يا محمد يا رسول الله عند الله تعالى {لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} غير منقوص ولا محدود أي كثير جداً {وَإِنَّكَ} وإنك يا محمد يا رسول الله {لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} أي خلقك عظيم وطيب وحسن. والمدح هو الله تعالى والمدح مثبت في كتاب الله تعالى إلى يوم القيامة فهي شهادة حسن سيرة وسلوك من الخالق للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا زيادة في التكريم له صلى الله عليه وسلم. قال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان خلقه القرآن. يقول سعيد: كما هو في القرآن. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٢]. وعن أبي أويس عن محمد ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً: (ألا أخبركم بأكملكم إيماناً أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً [المتواضعون] الذين يؤلفون ويألفون). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: (كاد الحليم أن يكون نبياً).

﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۖ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۖ ﴾

{فَسْتَبْصِرُ} فستبصر وتعلم وترى وتشاهد يا محمد يا رسول الله يوم القيامة من تكون له العاقبة {وَيُبْصِرُونَ} وسيعلمون ويرون ويشاهد الكفار بأمر أعينهم وأبصارهم حقيقة يوم القيامة وما ينتظرهم من عذاب جهنم على كفرهم {بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ} ويعلمون مَنْ يكون منكم ضالاً وهذا وعيد للكفار بأنهم ضالون وعندها ماذا سيكون مصيرهم فعليهم مراجعة أنفسهم قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد يا رسول الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ أَعْلَمُ} يدري ويعرف {بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} من ضل وغوى وابتعد عن سبيله وابتعد عن دين الإسلام بالكفر والمعاصي وهم الكفار {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْلَمُ} أعرف وأدرى {بِالْمُهْتَدِينَ} بالسالكين الطريق المستقيم والذين هداهم الله تعالى لطاعته وعبادته وهو أنت يا رسول الله ومن معك من المؤمنين.

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۖ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۖ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۖ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۖ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۖ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۖ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۖ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ سَنَسِفُهُ ۖ عَلَى الْخُرُطُومِ ۖ ﴾

{فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ} أي لا تطع يا محمد يا رسول الله الكفار المكذبين بك وبرسالتك ولا تصدقهم ولا تأخذ برأيهم ولا توافقهم على كلامهم أو طلباتهم {وَدُّوا} رغب الكفار {لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} لو تنافق وتهادنهم فينافقون

ويهادنونك كذباً {وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ} ولا تصدق كل من يقسم ويحلف كذباً ليقى نفسه بالأيمان الكاذبة فهو مهين ذليل حقير حيث يتقي بأيمانه الكاذبة غضبكم {هَمَّازٍ} أي يغتاب غيره بالإشارات والغمز واللمز {مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} أي يمشي بالنميمة والإفساد بين الناس ويزرع الشر بينهم حقداً وحسداً. وثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٣]. {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ} لا يدع أحداً يعمل خيراً أو براً {مُعْتَدٍ} يعتدي على حقوق الغير بالباطل {أَثِيمٍ} أي مخطئ ومذنب وعاص {عُتْلٍ} ثقیل الظل والدم {بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} أي وفوق كل ذلك زنيم سيء السمعة والسلوك وسيء الأخلاق ومذموم عند الناس {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} وإن كان عنده مال وثري وله أولاد فهذا لا يعطيه الحق في هذا الصلف والغرور والكفر {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا} إذا قرئ عليه القرآن الكريم وآيات منه وسمعتها {قَالَ} أجاب قائلاً {أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ} خرافات وخزعبلات السابقين من القرون الماضية وينفي أنه كلام الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ} سنكويه بنار جهنم يوم القيامة على أنفه ومنخريه يوم القيامة.

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿٤٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٥٠﴾ ﴾

{إِنَّا بَلَوْنَهُمْ} أي اختبرنا وامتحنا قريشاً برسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسنرى ماذا يفعلون {كَمَا بَلَوْنَا} كما اختبرنا وامتحنا {أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} أهل الحديقة والبستان والمزرعة وهم من أهل اليمن كما قال سعيد بن جبیر أنهم كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٦]. {إِذْ أَقْسَمُوا} إذ حلفوا وأقسموا بالله تعالى {لَيَصْرِمُنَّهَا} ليقطفون المزرعة وثمارها {مُصْبِحِينَ} صباحاً {وَلَا يَسْتَنْتُونَ} ولا يُبْقون عليها ثمراً أبداً بل يقطفونه جميعه حتى يحرّموا الفقراء منه {فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ} أي أرسل الله تعالى عليها مصيبةً وبلاءً {وَهُمْ نَائِمُونَ} أي وأصحاب الحديقة والجنة والبستان والبيارة والمزرعة لا يزالون نائمين أي بلیل أرسل هذا الطائف وهذا البلاء وهذه المصيبة على جنتهم {فَأَصْبَحَتْ} فأصبحت جنتهم وحديقتهم وبستانهم وبيارتهم {كَالصَّرِيمِ} كأنها لم تكن كالثمرة أو الفاكهة المعصورة الجافة التي لم يبق من مائها وعصارتها شيء أي جفت وهلك وتلفت الثمار جميعها ولم تنفع بشيء. وهذه الآية تنفع لشفاء الدمامل بأن تُقرأ عليها.

﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٦٨﴾ أَنْ آغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ﴿٦٩﴾ فَأَنْطَلَقُوا
وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٧٠﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٧١﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
قَدِيرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

{فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ} نادى بعضهم على بعض أي من استيقظ منهم أولاً نادى على
الآخر يوقظه في الصباح الباكر {أَنْ آغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ} أن اذهبوا إلى مزرعتكم
وهي ما تحرث حتى يخصب ثمارها {إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ} إن كنتم جادين وحازمين
ومصرين على قطعها وهي مأخوذة من رجل صارم أي حازم ويمكن أن تأتي
صارمين بمعنى قاطعين الثمار أيضاً {فَأَنْطَلَقُوا} فذهبوا وساروا إلى مزرعتهم
وجنتهم وبستانهم وحديقتهم {وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ} يمشون ويتكلمون بصوت خافت
غير مسموع حتى لا يشعر أحد بهم {أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ} أي لن
يدخل عليكم اليوم أي رجل مسكين أو فقير أو محتاج لأنهم إذا حضروا لن يجدوا
شيئاً بعد قطعها {وَغَدُوا} وذهبوا مبكرين {عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ} قادرين على جني
ثمار زرعهم مبكرين بدون أن يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين والمحتاجين
ومستعدين لذلك.

﴿ فَأَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٦٨﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧١﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٧٣﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٧٤﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

{فَأَمَّا رَأَوْهَا} فلما رأى أصحاب الجنة أو المزرعة أو البستان أو الحديقة قد هلكت ثمارها {قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} إنا مخطئون وضللنا عن الصواب والحق وحق الفقراء والمحتاجين والمساكين {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} بل ولكن نحن لا حظ لنا فنحن محرومون ومقطوعون وحظنا تعيس حيث حرمنا ومنعنا من الحصول على ثمر مزرعتنا {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} قال وسط الإخوة في السن والعمر {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} أليس قد قلت لكم اذكروا الله وسبحوه ونزهوه عن كل سوء وقدموه والله يضع البركة لكم ولكنكم رفضتم {قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا} عندها بعد فوات الأوان سبحوه وقالوا سبحان ربنا أي سبحان الله {إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} إنا كنا معتدين على حقوق الفقراء والمساكين والمحتاجين {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ} فصار بعضهم يلوم بعضاً وكل منهم يلوم الآخر على تسرعه {قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا} قالوا يا مصيبتنا ويا ويلنا ويا عذابنا ويا خيبتنا {إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ} إنا كنا ظالمين ومعتدين على حقوق الفقراء والمساكين والمحتاجين {عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا} لعل الله تعالى بعد توبتنا وندمنا أن يخلفنا ويرزقنا أفضل منها وأحسن {إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ} إنا بالله تعالى مستجيرون وداعون بأن يخلف لنا خيراً منها بعد توبتنا

وندمننا {كَذَلِكَ الْعَذَابُ} هكذا يكون العذاب للناس يأتيهم بغتة وفجأة من حيث لم يحتسبوا {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} وعذاب الآخرة وهو عذاب يوم القيامة أكبر وأعظم وأشد قسوة وإيلاماً {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو علموا حقيقة ذلك وأدركوها.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٦﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِمِينَ ﴿٣٧﴾ مَا لَكُمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} إن للصالحين والعابدين والطائعين لله تعالى {جَنَّاتٍ النَّعِيمِ} جنات ثمانية فيها نعيم مقيم ودائم لا ينقص ولا يذهب كما قال تبارك وتعالى: " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا {٣١} حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا {٣٢} " ٣١، ٣٢ النبأ. وروى الإمام أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها [أي طينها] المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه). [وروي عن ابن عمر مرفوعاً نحوه - ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠]. {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِمِينَ} هل نسائي ونجعل يوم القيامة المسلمين مثل الكفار في الدرجة لا بل المسلمون يدخلون الجنة معززين مكرمين والكفار يدخلون النار صاغرين حقيرين ذليلين {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} ما دهاكم وما جرى لعقولكم كيف تحكمون أيها الكفار وتساووا بينكم وبين المسلمين يوم القيامة فهم إلى الجنة وأنتم أيها الكفار إلى النار.

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

{ أَمْ لَكُمْ } أو هل لكم أيها الكفار { كِتَابٌ } قرآن أو كتاب آخر منزل عليكم { فِيهِ تَدْرُسُونَ } فيه تقرأون وتتعلمون { إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ } إن لكم فيه ما تختارون وتشتهون وتطلبون في الجنة من طعام أو شراب عند قراءته { أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا } أم لكم أيمان وعهود ومواثيق على الله تعالى { بَلِغَةٌ } يجب تنفيذها { إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ } إلى يوم القيامة ويوم البعث { إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ } وبموجب هذه العهود والمواثيق تحكمون وتأمرون بتنفيذ مطالبكم السامية { سَلِّمُوا } اسألهم يا محمد يا رسول الله { أَيْهِمْ بِذَلِكَ } من منهم على ذلك العهد والميثاق والشرط { زَعِيمٌ } مسؤول ووكيل على ذلك؟! والجواب طبعاً لا أحد لأنهم كذابون دجالون { أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ } أم هل لهم شركاء أي آلهة أخرى شركاء لله تعالى جل علاه في ملكه ويحكمون مثله { فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ } فليحضروا شركاءهم وآلهتهم من الأصنام والحجارة { إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } في مزاعمهم بأن لهم شركاء في ملك الله تعالى واجعلوهم يتحدثون أو حتى يتحركوا فهم حجارة لا تنفع ولا تضر ولا تملك لهم ولا لها نفعاً ولا ضراً وكل هذه الأسئلة والاستفسارات هي دليل على تكذيبهم ولكن هيهات فهم صم بكم عمي فهم لا يفقهون.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٢ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ
 تَرَهُّقُهُمْ ذِلَّةً ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ
 بِهَذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۖ إِنَّ كَيْدِي
 مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} تظهر الحقيقة وتبين وتكشف لهم الأمور
 ويظهر المستور وتنجلي الأمور عياناً عندها لا ينفع الندم ولا ينفع العويل ولا
 الصراخ الطويل {وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} ويطلب منهم فرضهم
 الأول وهو الصلاة والتي لم يصلوها في الدنيا فيطلب منهم أن يصلوها حتى يدخلوا
 الجنة فيسجدوا فلا يستطيعون وتتصلب ظهورهم كأنها لوح من خشب أو حديد
 وهذا الطلب تطلبه الملائكة منهم لتحقيرهم وزيادة في الإذلال وزيادة في الحسرة
 والندامة لهم حيث لم يصلوا في الدنيا {خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ} خائفة لا تطرف من
 شدة الخوف والإذلال والتحقير لهم {تَرَهُّقُهُمْ ذِلَّةً} تغشاهم وتركبهم ذلة ومهانة
 وحقارة وصغار {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} كانوا يُطلب منهم من الرسول
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين أن يصلوا فرضهم {وَهُمْ سَلِيمُونَ}
 في الدنيا وهم بصحتهم وبدون إكراه أو خوف أو مذلة ولكنهم كانوا يرفضون كبراً
 وعناداً وغروراً {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} دعني واتركني يا محمد
 أحاسب أولئك المنكرين بالقرآن الذي يأمر بالعبادات من الصلاة وغيرها وكما قال
 تعالى: "فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۖ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ
 اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" ٢٦-٢١ الغاشية.
 {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ} سنمد لهم في غيهم وطغيانهم وعنادهم وتركهم للصلاة

{مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} حيث لا يشعرون حتى يأتيهم الموت بغتة {وَأُمْلِي لَهُمْ} وأقول وأوضح وأقدم لهم الإنذارات والتحذير وأبلغهم بواسطة نبيي ورسولي وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبواسطة القرآن الكريم الذي يتلى عليهم {إِنَّ كَيْدِي} إن عذابي {مَتِينٌ} قوي وشديد وعظيم وأليم وقاس وموجع.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا} أو هل لا يتبعونك يا محمد يا رسول الله لأنك تطلب منهم أجراً على دعوتك لهم {فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ} وهم من كثرة الدين عليهم لا يستطيعون الوفاء بالعبادات وهذا سؤال تقريع لهم حيث لم يأخذ رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أجراً منهم بل يدعوهم دون مقابل رجاء ثواب الله تعالى له يوم القيامة ولكنهم معاندون {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ} أو هل عندهم علم الغيب ويطلعون على المغيبات {فَهُمْ يَكْتُبُونَ} فهم يكتبون علم الغيب عن اللوح المحفوظ ويعلمون بكل شيء وبذلك لا يخافون ولا يصلون ولا يعبدون الله تعالى بناءً على علم الغيب عندهم وهذا تقريع آخر لهم لعلمهم يتوبون.

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

{فَاصْبِرْ} فاصبر يا محمد يا رسول الله وجالد وقاوم وتحمل الأذى والمشقة والعناء {لِحُكْمِ رَبِّكَ} لما يحكمه الله تعالى ويأمر به وبلغ الرسالة ولا تضجر {وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} وهو يونس عليه الصلاة والسلام عندما غضب من قومه عندما لم يطيعوه وتركهم وذهب إلى البحر فوجد سفينة فركبها هرباً من قومه لعنادهم له وفي عرض البحر لما رأى أصحاب السفينة أنها ستغرق لكثرة حمولتها أقرعوا على من يلقي نفسه في البحر حتى تنجو السفينة فكان أن وقعت القرعة على يونس بن متى عليه السلام فألقى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وهناك سمع دابة البحر تسبح فسبح الله وندم وقال: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " فاستجاب الله له بعد توبته وندمه حيث باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها ونجّاه من الحوت وأمر الحوت أن يقذفه على شاطئ البحر والبلدة هي نينوى بالعراق من أرض الموصل كما قال تعالى: " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {٨٧} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ {٨٨} " ٨٨، ٨٧ الأنبياء. {إِذْ نَادَىٰ} إِذْ قَالَ " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " {وَهُوَ مَكْظُومٌ} وهو حزين مهموم بائس {لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ} لولا أن جاءته رحمة ربك وألهمه التسبيح {لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ} لُقْذِفَ به على الشاطئ. والعراء هو المكان الذي لا مأوى فيه أي في الخلاء والبر والصحراء {وَهُوَ مَذْمُومٌ} وهو ملوم

مذنب {فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ} أي قبل الله تعالى توبته وقبيله {فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}

فجعله نبياً ورسولاً ممن صلحت أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم لله تعالى.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

{وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا} وإن يكاد ويستطيع الكفار وهم الذين كفروا ولم يصدقوا

وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً

ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً

{لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ} ليحسدونك بأعينهم على نعمة القرآن والحسد يمرض

الجسم ويهلكه ويضره وقد يؤدي إلى موته فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: (العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر

هلاك أمتي في العين). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين

ابن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن

أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا

كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن

الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال

ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال له يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق قال: (هل

تتهمون فيه من أحد؟) قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله

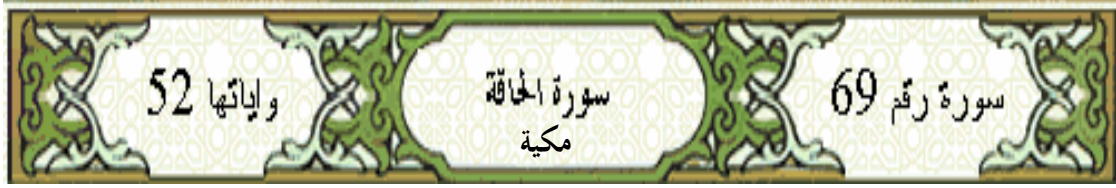
عليه وسلم عامراً فتغيظ عليه وقال: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما

يعجبك بركت؟) ثم قال: (اغتسل له) فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه

وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه

وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس. [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) ويقول: (هكذا كان إبراهيم يُعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام). [أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. وروى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتماً فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: (الحسن والحسين أصابتهم عین) قال صدق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات؟ قال: (وما هن يا جبريل؟) قال قل: اللهم يا ذا السلطان العظيم والمن القديم والوجه الكريم يا ذا الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعین الإنسان. فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك وحدثنا العباس العنبري

حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا رقية إلا في عين أو حمى أو دم لا يرقأ). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. {لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ} لما سمعوا القرآن الكريم يُتلى {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} ويقولون مكابرة إن محمداً صلى الله عليه وسلم مجنون حيث يقول كلاماً غريباً ويدعو إلهاً غير آلهتهم {وَمَا هُوَ} وليس القرآن {إِلَّا ذِكْرٌ} إلا ذكر يُذكر الناس بالله تعالى وبعبادته وحده فهو قرآن وذكر {لِّلْعَالَمِينَ} للناس كافة وللثقلين الإنس والجن.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ ﴾

{الْحَاقَّةُ} الموجبة التي تُحق الحق وتدحض الباطل وتذهب وتلغيه والتي فيها يتحقق الحق والعدل وهي يوم القيامة {مَا الْحَاقَّةُ} ما هي وما شأنها {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} وماذا تعلم عن الحاقة وما هي وما شأنها في أخذ الحق من القوي إلى الضعيف ومن الجبار والسيد إلى الضعيف والرقيق والغلبان وهذه الأسئلة المتكررة تدل على عظمة ذلك اليوم وشدته وهوله وعذابه وهو يوم عسير على الكافرين غير يسير {كَذَّبَتْ ثَمُودُ} كذبت وجحدت وأنكرت قوم صالح عليه الصلاة والسلام {وَعَادٌ} وكذب قوم عاد وهم قوم هود عليه الصلاة والسلام {بِالْقَارِعَةِ} وهي التي تفرع الناس وتأتيهم بغتة لا محالة وتعطي كل ذي حق حقه لا ظلم اليوم وهي يوم القيامة. أي كذب قوم ثمود وقوم عاد بيوم القيامة من بعث ونشور وحساب وجزاء وعقاب وثواب ومن إحياء للموتى مرة ثانية فمن عمل صالحاً منهم ثم اهتدى دخل الجنة ومن عصى وكفر وأشرك دخل النار. وهذان الاسمان الحاقة والقارعة اسمان من أسماء يوم القيامة وليوم القيامة عدة أسماء ومنها: (١) يوم الجمع (٢) يوم التغابن (٣) الآزفة (٤) الواقعة (٥) الحاقة (٦) القارعة (٧) الساعة (٨) الراجفة (٩) الرادفة (١٠) الساهرة (١١) الطامة الكبرى (١٢) الغاشية (١٣) الزلزلة (١٤) يوم الدين (١٥) يوم الفصل (١٦) الصاخة (١٧) يوم الفرار "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ" ٣٤-٣٦ عبس.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ ﴿٦٩﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٧٠﴾
 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
 أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧١﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٧٢﴾

{فَأَمَّا ثَمُودُ} وهي قبيلة صالح عليه الصلاة والسلام فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقةً من صخرة في جبل ففعل ذلك فأخرجها لهم فكذبوه فعقروا الناقة وكان عاقر الناقة رجلاً أحمر أزرق العينين عيناه مثل عين الخفاش يقال له (قدار بن سالف) وهو أشقى القوم كما قال تعالى: " إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا " ١٢ الشمس. {فَأُهْلِكُوا} أهلكهم الله تعالى {بِالطَّاغِيَةِ} المهلكة وهي الصاعقة والزلزلة والطاغية من الطغيان أي طغت عليهم وأهلكتهم أو فأهلكوا بالطاغية أي بسبب عاقر الناقة الطاغية والشقي حيث يقال فلان طاغية والأول أقرب للصواب {وَأَمَّا عَادُ} قبيلة وقوم هود عليه الصلاة والسلام {فَأُهْلِكُوا} أهلكهم الله تعالى {بِرِيحٍ} والريح هي العاصفة شديدة الهبوب {صَرْصَرٍ} شديدة البرودة {عَاتِيَةٍ} قوية وشديدة الهبوب والقوة وهي الريح العقيم كما قال تعالى: " وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ " ٤١ الذاريات. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نصرت بالصبا وأهلك عَادَ بالدبور). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١٢]. {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ} أرسلها الله تعالى عليهم عذاباً لتهلكهم {سَبْعَ لَيَالٍ} سبع ليالي متواصلات {وَتَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} وثمانية أيام متوالية مشؤومة وهذه أيام الحسوم تأتي في فصل الشتاء وهي مشؤومة قيل أن هذه الأيام يمنع فيه الجماع للزوجة وإذا حصل حمل للمرأة في تلك الأيام يكون المولود حسومي أي معتوه أو مجنون أو ناقص الخِلقة ومشوه وحتى لا ينفع في تلك الأيام زرع ولا خلافه وذلك بالتجارب

{فَتَرَى} فتشاهد لو كنت حاضراً {الْقَوْمَ} قوم عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام {فِيهَا} في أيام هبوب تلك الريح العاتية والقوية شديدة الهبوب والعواصف {صَرَغَى} هلكى وأمواتاً {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} منتشرين على الأرض في كل مكان وكأنهم جذوع نخل ممزقة مقطعة منقورة وخواوية خربة لا يوجد لبها بداخلها بل مفرغة من داخلها وهذا هو الوصف الدقيق لحال هؤلاء القوم وهلاكهم وتمزقهم وموتهم لكفرهم وعنادهم {فَهَلْ تَرَى} فهل ترى وتشاهد يا محمد يا رسول الله {لَهُمْ} لقوم عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام {مِّنْ بَاقِيَةٍ} من أثر أو بقايا أحياء يعني أنهم أهلكوا وماتوا جميعاً وذلك نكالا لهم على كفرهم وعصيانهم لنبيهم ورسولهم هود عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْحَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ} وهو ملك مصر واسمه (الوليد بن مصعب) وأرسل الله موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام إليه فكذبه {وَمَنْ قَبْلَهُ} ومن قبله من الملوك والجبابة {وَالْمُؤْتَفِكَتُ} وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام والمؤتفكات من الإفك وهو الكذب أي كذبوا رسولهم لوطاً عليه الصلاة والسلام {بِالْحَاطِئَةِ} بالكفر والشرك والعصيان فأما فرعون فقال أنا ربكم الأعلى وكذب رسالة موسى وهارون عليهما السلام ومن قبله من الأمم السابقة كقوم نوح كذبوا رسولهم وقوم صالح عقروا الناقة ولم يصدقوا رسولهم وقوم هود كذبوا رسولهم كذلك وقوم لوط عملوا فاحشة اللواط {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ} أي فرعون وقومه عصوا موسى عليه الصلاة والسلام وكذبوه

وهو رسول الله إليهم ومن قبله من الأ أقوام السابقين عصوا وخالفوا وكذبوا رسلهم ولم يطيعوهم وقوم لوط كذبوا رسلهم لوطاً عليه الصلاة والسلام وهو أيضاً رسول الله إليهم {فَأَخَذَهُمْ} فانتقم الله تعالى منهم وأخذهم {فَأَخَذَهُمْ} أخذة عذاب شديدة مهلكة وقاسية وأليمة {رَّابِيَةَ} مضاعفة العذاب كما قال تعالى: " قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ " ٣٨ الأعراف. {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ} لما فاض الماء وزاد عن حده حتى أنه غطى الجبال والأشجار والبيوت فالسماء تمطر والأرض تتفجر عيوناً لتغرق قوم نوح على طغيانهم وكفرهم ومعصيتهم لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عندها {حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} أمرنا نوحاً عليه الصلاة والسلام أن يحملكم في السفينة التي صنعها لهذا اليوم لنجاتكم ونجاته هو ومن آمن معه ونغرق الآخرين والباقيين لكفرهم وعنادهم حتى أنه أغرقت زوجة نوح عليه الصلاة والسلام واسمها راعلة واسم ولده الكافر الذي أغرق مع أمه وقومها اسمه كنعان {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} لنجعلها لكم عظة تتعظون بها وتعتبرون بها {وَتَعْيَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} وتفهمها وتذكرها أذن واعية مصغية سامعة حافظة مدركة وفاهمة.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ۚ وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ ﴾

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} والذي ينفخ فيه هو إسرافيل عليه السلام والصور قرن من نور كما جاء في حديث أبي هريرة قال قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن من نور) قلت يا رسول الله كيف هو؟ قال: (عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبياً لعظم دارته كعرض السماء والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفرع ونفخة للصق ونفخة للبعث). {نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} وهي النفخة الأولى وهي نفخة الفرع ثم تتابع أحداث القيامة بعدها وذلك للحديث الذي رواه الإمام أبو جعفر بن جرير من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن) قال فكيف هو؟ قال: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفرع والثانية نفخة الصق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفرع فيفرغ أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " فتسير الجبال فتكون تراباً وتُرج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ "

فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى: "يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كُشِطَتْ عَنْهُمْ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول: "فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"؟ قال: (أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ"). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} أي دُكَّتْ وضربت وزُلزِلت الأرض وزهبت هي والجبال تراباً وتُغَيَّرُ بغيرها {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} فعندها تقع الواقعة والمصيبة الكبرى والطامة الكبرى {وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ} وصارت أبواباً ثم تشققت السماء {فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} أصبحت السماء ضعيفة في تكوينها حتى تتغير بأخرى {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} والملائكة في أنحاء السماء وعلى محيطها {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ} يحمل العرش في الدنيا الآن أربعة من

الملائكة وهم حملة العرش ويوم القيامة يؤيدوا بأربعة آخرين فيكون عددهم الإجمالي ثمانية من الملائكة وهم حملة العرش. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال كتب إلي أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا إبراهيم ابن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ حَمَلَةَ الْعَرْشِ بَعْدَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنْقِهِ بِخَفَقِ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةَ عَامٍ). [وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات - ابن كثير ج ٤ ص ٤١٤]. {يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} {تُعْرَضُونَ} تعرضون في المحشر وتوقفون للحساب والجزاء والعقاب والثواب وذلك بعد النفخة الثالثة وهي نفخة البعث {لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} لا خفاء ولا كتم ولا سر يبقى إلا ويظهر والله مطلع عليه ويعلمه فباطنكم مثل ظاهركم عند الله تعالى فلا شيء يكتُم ولا شيء يُخْبَأ ولا شيء يخفى منكم فالله تعالى يعلم الظاهر والباطن.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتَرَ كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ۖ ﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

{فَأَمَّا مَنْ أَوْتَرَ كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ} وأما مَنْ أُعْطِيَ كتاب حسناته وسيئاته بيمينه فهو من أهل الجنة ومن أخذه بشماله فهو من أهل النار ومن أخذ كتابه بيمينه أي بيده اليمنى يفرح ويُسر وينادي فرحاً مسروراً للناس {هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّ} هاكم خذوا كتابي اقرؤوه فأنا ناجح فهي شهادة النجاح والتخرج والتقدير فيها يُدخل الجنة معزراً مكرماً وفي الصحيح عن ابن عمر قال: سمعت النبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُذْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا حَتَّى

إذا رأى أن قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يُعْطَى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ". [ابن كثير ج ٤ ص ٤١٥]. {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ} أي عملتُ للآخرة من الطاعات والعبادات لأنني ظننتُ وتأكدتُ من الحساب يوم القيامة ولذلك لم أعص الله تعالى أبداً {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} فهو في عيشة راضية وطيبة وهنيئة ورغدة في الجنة يوم القيامة {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} في جنة يوم القيامة عالية الدرجة رفيعة جيدة والجنة تكون فعلاً عالية فوق في السماء والنار سفلى تحت الأرض السابعة {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} قطوفُ عنبها وثمارها دانية قريبة إلى الأرض وغير مرتفعة حتى أن المؤمن يتناولها وهو نائم على سريرته {كُلُوا وَاشْرَبُوا} كلوا واشربوا وتمتعوا في الجنة أيها المؤمنون والصالحون {هَنِيئًا} هنيئاً مريئاً طيباً حسناً {بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} بما قدمتم في أيام الدنيا من العبادة والطاعة وأعمال البر والخير والصدقات لله رب العالمين وهي أيام خالية لا حساب ولا عقاب فيها والواحد متروك له الحبل على الغارب يفعل ما يشاء إلى أن يأتي يوم القيامة حيث الحساب والجزاء والعقاب والثواب.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ۖ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ۖ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۖ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ۖ ﴿٢٩﴾﴾

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ} وأما من أعطي وأخذ كتاب سيئاته وحسناته بيده {بِشِمَالِهِ} بيده الشمال أو اليسرى فيكون من أهل النار ويعرف نفسه أنه داخل النار لا محالة {فَيَقُولُ} فيقول عندها {يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ} يا ليتني لم أعط كتابي وهو صحيفة أعماله ولم أعرف أو أعلم ما فيه {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ} وليتني لم أعرف ما هو عقابي أي أنه بعد أن تيقن من العذاب تمنى لو أنه لم يعرف مصيره {يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} يا ليتني مت قبل ذلك ولم أك شيئاً {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ} لم يغن عني كثرة مالي {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ} ذهب عني سلطاني وحكمي وجاهي وهيلماني وسطوتي في الدنيا وبقيت دون معين ولا مساند ولا مساعد ولا مؤازر ولا منقذ ولا ناصر.

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٧١﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٧٣﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٧٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

{خُذُوهُ} ويقول الله تعالى جل جلاله للملائكة الموكلون بنار جهنم وهم الزبانية خذوا هذا الكافر والعاصي والفاجر والظالم {فَغُلُّوهُ} اربطوه وقيدوه {ثُمَّ الْجَحِيمَ} ثم نار جهنم وجحيمها وويلها وعذابها {صَلُّوهُ} ألقوه وارموه فيها {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ} ثم في سلسلة من الحديد {ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا} طولها سبعون ذراعاً {فَاسْلُكُوهُ} فاربطوه وأوثقوه أي يكون في سلاسله وأغلاله مثل الحمار المربوط أو البعير المقيّد {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} لأنه لم يكن يؤمن ويصدق بالله رباً {الْعَظِيمِ} العظيم والكبير وخالقه وخالق الكون كله ليس أحد أكبر ولا أعظم ولا أجل منه ولكنه مع ذلك كذب به ولم يصدق به {وَلَا تَحْضُ} ولا يأمر بالمعروف ويحث {عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ} على إطعام الفقير المسكين البائس المحتاج {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا} فليس لهذا الكافر الملحد العاصي المذنب هنا يوم القيامة عند الله تعالى {حَمِيمٌ} صديق وصاحب ينقذه من عذاب الله تعالى {وَلَا طَعَامٌ} ولا طعام له يأكله في نار جهنم {إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ} وهو طعام أهل النار لا يسمن ولا يغني من جوع {لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} هذا الطعام طعام الغسلين لا أحد يأكله إلا الخاطئون المخطئون والمذنبون والعاصون والكفار.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ۖ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

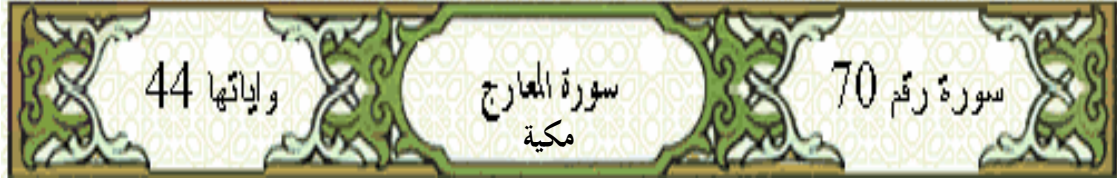
{فَلَا أُقْسِمُ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين وهو في حد ذاته كأنه قسم أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قلبي هو الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. وكما قال تعالى: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " ٧٦، ٧٥ الواقعة. {بِمَا تُبْصِرُونَ} بكل ما ترون من خلق الله تعالى {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} وبما غاب عنكم من خلق الله تعالى من سماوات وملائكة وكرسي وعرش وجن وكل مخلوقاته التي لا تبصرونها ولا ترونها كالميكروبات والجراثيم والكائنات الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة {إِنَّهُ} القرآن الكريم {لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} إنه من رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول كريم طيب صالح {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ} أي هذا القرآن ليس شعراً ولا ألفه شاعر {قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ} قليل إيمانكم وتصديقكم به {وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ} فالقرآن ليس قول أو تأليف كاهن والكاهن الذي ينبئ عن الغيب وتخبره به الشياطين حين يستمعون إلى المأل الأعلى في السماء ويزيدون عليها مائة كذبة {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} قليلاً جداً ما تعتبرون وتتفكرون وتتعتظون من أن رسولكم أُمي لا يعرف الشعر ولا الكهانة ولكنكم نسيتم حقيقته وتاريخه بينكم {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} هو منزل من الله تعالى رب العالمين والخلق جميعهم ورب الأرباب والخلق والعباد. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح ابن عبيد قال قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقراً: " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ " قال فقلت كاهن قال فقراً: " وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " إلى آخر السورة قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. [ابن كثير ج ٤ ص ٤١٧].

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٤٦ الْوَتِينَ ٤٧ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٨ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٤٩ وَالَّذِينَ ٥٠ لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ٥١ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٢ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥٣ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٤ ﴾

{وَلَوْ تَقَوَّلَ} لو كذب محمد رسول الله تعالى وقال غير الحقيقة {عَلَيْنَا} على الله تعالى في رسالته التي أرسله بها {بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} بعض القول كذباً {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} لقطعنا منه يمينه لأن اليد اليمنى هي التي يأكل ويشرب بها ويضرب بها بالسيف وهي التي تعمل له أغلب الأشياء وهي أفضل من اليسرى {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} أي العرق الرئيسي الذي يوصل إلى القلب الدم سواء الذي في الرقبة أو الواصل إلى القلب مباشرة أي لأمتناه فوراً ولقتلناه {فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ} فلا أحد منكم أيها الكفار {عَنْهُ حَاجِزِينَ} يحجزنا أو يمنعنا من قتله والانتقام منه {وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ} وإن هذا القرآن وهذا البيان وهذا الوعظ تذكرة وعبرة وعظة {لِّلْمُتَّقِينَ} للذين يخافون الله تعالى ويخشونه ويعبدونه ويطيعونه {وَإِنَّا} الله تعالى والجمع

للتبجيل والتعظيم له جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَتَعْلَمَنَّ} لنعلم ونعرف
{أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ} أن بعضاً منكم أيها الناس مكذبون بالقرآن ورسالة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ} وإنه لندامة وويل {عَلَى الْكَافِرِينَ}
على المكذبين وغير المصدقين بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {وَإِنَّهُ} وإن
القرآن الكريم والعظيم {لَحَقُّ الْيَقِينِ} لصدق الصدق وصدق الحقيقة وتأكيد الصحيح
{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} نزه الله عن كل سوء وقل سبحان ربي العظيم. وقال
صلى الله عليه وسلم: (إذا قال العبد في ركوعه سبحان الله العظيم أعتق ثلث
جسده من النار وإذا قال ثلاث مرات أعتق الله جسده كله من النار). [نزهة
المجالس ج ٢ ص ٢١٥].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} سأل رجل كيف العذاب يوم القيامة وهو عذاب لا محالة واقع وسيقع على الكفار {لِلْكَافِرِينَ} للكفار وهم الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} ليس له مانع يدفع ويمنعه ويذهب به عن الكفار {مِّنَ اللَّهِ} وهذا العذاب من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعذب به الكفار {ذِي الْمَعَارِجِ} ذي المصاعد {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ} تصعد الملائكة {وَالرُّوحُ} جبريل عليه السلام {إِلَيْهِ} إلى الله تعالى عند العرش {فِي يَوْمٍ} يوم القيامة {كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} مقداره يعادل خمسين ألف سنة من سنوات الدنيا. قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١٩]. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة

عن أبي عمرو العداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر ابن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردّوه إليّ فقال نُبئت أنك ذو مال كثير؟ فقال العامري أي والله إن لي لمائة حمراء أو مائة أدماء حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف الغنم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ما ذاك يا أبا هريرة؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسّلها - قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسّلها؟ قال: في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولاهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسّلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولاهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسّلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولاهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله) قال العامري وما حق الإبل يا أبا هريرة؟ قال أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الإبل وتطرق الفحل. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٠].

{فَاصْبِرْ} فاصبر يا محمد يا رسول الله وصابر وجالد وتحمل الأذى في سبيل

دعوتك ورسالتك {صَبْرًا جَمِيلًا} صبراً حسناً لا شدة فيه ولا لين بل صبر متواضع سهل {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} أي يرى الكفار يوم القيامة بعيداً {وَنَرْنَهُ قَرِيبًا} أي يأتي عاجلاً مهما طال وقته ومهما طال الزمان به وكما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۖ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتَهُ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ۖ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {تَكُونُ السَّمَاءُ} يكون منظر السماء الدنيا والتي نراها بأعيننا حالياً {كَالْهَلِّ} كالقطران السائل أو كالزيت المغلي أي لونها يتغير ويحمر لونها وتكون سائلة لأنها ستتغير بأخرى جديدة {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} وتكون الجبال يوم القيامة كالصوف المنفوش أي كوماً فارغاً ثم تصير تراباً أي تذهب أو كالقطن المنتوف {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} ولا يكلم صديق عزيز صديقه العزيز الآخر ولا يطلب منه شيئاً {يُبْصَرُونَهُمْ} يرونهم ويشاهدونهم ولكن لكل واحد منهم شأن يغنيه {يَوْمَ الْمُجْرِمِ} يود ويتمنى المجرم والمخطئ والعاصي والمذنب {لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ بِبَنِيهِ} لو يفدي نفسه وينقذها من العذاب في يوم القيامة {بِبَنِيهِ} بأعز الناس عليه وهم أولاده {وَصَحْبَتَهُ} زوجته أو خليلته وصديقتها وعشيقته وحبيبته {وَأَخِيهِ} وشقيقه ابن أمه وأبيه {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} أي عشيرته وقبيلته وأهله وقومه {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} ومن في الدنيا جميعاً وكل العالم

{ثُمَّ يُنَجِّهِ} ثم يخلصه من عذاب الله تعالى في نار جهنم يوم القيامة {كَلَّا} لا أحد ينجيهِ ولا أحد يستطيع ذلك {إِنِّهَا لَظَىٰ} هي نار جهنم حامية الوطيس وشديدة الحرارة والحريق {نَزَّاعَةً} ميالة ومحبة وراغبة {لِّلشَّوَىٰ} للحرق وتحرق وتشوي في داخلها الكفار والعصاة لتنتقم منهم كما قال تعالى: " تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ " ٨ الملك. {تَدْعُوا} تنادي إليها لتحرقه {مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى} مَنْ كفر وعصى وأعرض عن ذكر ربه ونأى بجانبه وأصر على كفره وعناده {وَجَمَعَ} وجمع المال من حرام كالربا والرشوة والغش والسرقة والنهب والسلب والظلم وأكل مال الناس بالباطل {فَأَوْعَىٰ} فأدرك وعلم أنه من حرام وغش وسرقة أو بمعنى كنزه ولم يزيكه أي ملأ وعاءه من الأموال وبخل ولم ينفق منه كما قال تبارك وتعالى: " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ " ٣٤، ٣٥ التوبة. والمعنى الأول أقرب للصواب.

﴿ إِنَّا الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٦﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الدِّينِ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿١٠﴾ ﴾

{إِنَّا الْإِنْسَانَ} وهو ابن آدم وسمي بالإنسان لأنه سريعاً ما ينسى ولأنه يأنس بغيره {خُلِقَ هَلُوعًا} متسرعاً عجولاً أرعناً مهزوزاً يتصرف بعجلة ويحب السرعة والفورية {إِذَا مَسَّهُ} إذا أصابه {الشَّرُّ} السوء والمصائب {جَزُوعًا} قنوطاً يائساً

بائساً حزيناً {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ} وإذا أصابته النعمة والخير والمال الوفير والوظيفة الحسنة الطيبة {مُنُوعاً} مانعاً للخير ولا يفعله ولا يقربه مانعاً للخير والصدقات وأعمال البر والخير أو مساعدة الناس فلا يجعل أحداً يستفيد منه إطلاقاً {إِلَّا الْمَصْلِينَ} إلا الناس الصالحين المصلين الذين يؤدون فرض صلاتهم {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} الذين يحافظون على صلاتهم ومستثمرون عليها في أوقاتها ولا يتركون فرضاً أبداً وإذا ناموا عنها أو نسوها قضاها ولم يفوتوها أبداً {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ} في أموالهم التي يملكونها حق وفرض معلوم من الزكاة والصدقات {لِلسَّائِلِ} لذي الحاجة وطالب المال للمساعدة ولفقره واحتياجه {وَالْمَحْرُومِ} الفقير المعدم والمسكين واليتيم وابن السبيل ومن حرم الميراث أو المال ولم يجده ولم يجد من ينفق عليه ومنها حتى الحيوانات التي لا تجد من يعيلها أو يعطف عليها حتى أن عمر بن عبد العزيز أخذ فخذ شاة ورماه للكلب وقال هذا هو المحروم {وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمِ الدِّينِ} والذين يؤمنون ويصدقون ويوقنون باليوم الآخر وهو يوم القيامة يوم يحاسب الناس على قدر دينهم فمن قام به وأطاع وعبد الله تعالى أدخله الجنة ومن عصى وكفر وأشرك وضيع دينه دخل النار {وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ} والذين يخافون عذاب ربهم وعذاب الله تعالى يوم القيامة {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} إن عذاب الله تعالى غير مأمون الجانب وخاصة للكفار حيث ينزل بهم في كل لحظة وقال أبو بكر الصديق لا آمن مكر الله تعالى ولو كانت إحدى رجلي في الجنة والأخرى خارجها فقالوا كيف ذلك؟ قال أليس أبونا آدم دخل الجنة فأكل من الشجرة فأخرجه الله منها أي يجب أن تكون مخافة الله بين عينيك في جميع أحوالك وأفعالك وخاصة في

المعصية وقال صلى الله عليه وسلم: (أخفى الله تعالى ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً وغضبه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً وأخفى وليه في خلقه فلا تحقرن منهم أحداً). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٠].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢٢﴾ فَمَنْ أَتَبَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢٦﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} أي لا يزنون أبداً {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ} إلا الجماع للزوجات فقط {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} وما ملك من الإماء والجواري فهن حلال له إذا جامعهن {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} لا لوم ولا حرام ولا حرج عليهم إذا جامعوا زوجاتهم أو إمائهم {فَمَنْ أَتَبَغَىٰ} فمن طلب {وَرَاءَ ذَلِكَ} غير ذلك بالزنا {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} هم المعتدون على حدود الله تعالى وعلى الحرمات بالزنا هذا {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْسَاتِهِمْ} أي الأمانات والودائع {وَعَهْدِهِمْ} وعهدهم وميثاقهم {رَاعُونَ} يحافظون على الأمانة وعلى العهد ولا يخلون بشروطهما {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ} شهادة الحق والعدل والصواب {قَائِمُونَ} يعملون بذلك فلا حيف ولا مواربة ولا كذب ولا غدر ولا بهتان ولا شهادة زور أبداً {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} أي يحافظون على فرائض الصلاة ويصلونها في مواقيتها ويحافظون ويدومون عليها ولا يتركونها طيلة حياتهم {أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ} هؤلاء في الجنات الثمانية وكل على قدر منزلته {مُكْرَمُونَ} مكرمون منعمون مبدلون محترمون.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾

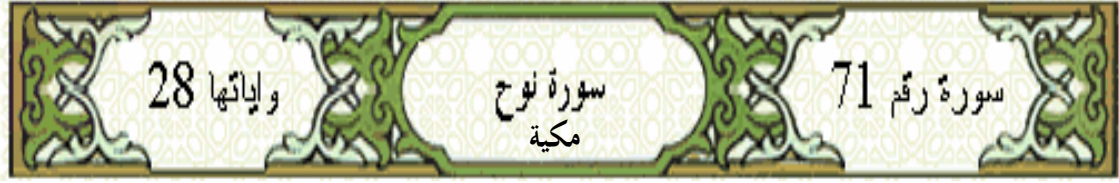
﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ آمَرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا} فما بال الكفار الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {قَبْلَكَ} أمامك {مُهْطِعِينَ} أي منكسي رؤوسهم مفكرين في أمرك ورسالتك {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ} على يمينك وشمالك {عِزِينَ} كثيرين أي محيطين بك من كل جانب وهم كثر وكما قال تعالى: " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ " ١٠٣ يوسف. وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق فقال: (مالي أراكم عزين؟). [رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي - ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٣]. {أَيَطْمَعُ كُلُّ آمَرٍ مِّنْهُمْ} هل يطمع كل شخص من الكفار {أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} أن يدخل الجنة الجنة النعيم وهو على كفره وعناده وصلفه وكبريائه ومعصيته لا والله.

﴿ كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٦٧﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٨﴾ فَذَرَهُمْ نَحْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٩﴾ يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٧٠﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

{كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَهُمْ} أي لا يدخلون الجنة أبداً لكفرهم وعصيانهم وكبرهم وهم يعلمون أن الله تعالى خلقهم وأوجدهم {مِّمَّا يَعْلَمُونَ} من ماء مهين وحقير وهو شهوة الرجل [مني الرجل] وشهوة المرأة [ماء المرأة] - وماء المرأة نجس ومني الرجل طاهر وإذا كان من الرجل ناشفاً [يابساً] فإنه يفرك وإذا كان رطباً يغسل - أي على ماذا يتكبرون وقد خلقناهم بأيدينا من ماء مهين حقير. وكان أبو بكر الصديق يقول عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين [أي مرة من ذكر أبيه من منيه ومرة من فرج أمه عندما يولد] {فَلَا أُقْسِمُ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين وهو في حد ذاته كأنه بذلك يقسم على قوله أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قلتي هو الحق "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" ٨٧ النساء. وكما قال تعالى: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" ٧٦، ٧٥ الواقعة. {بِرَبِّ الْمَشْرِقِ} أي بنفسه جل جلاله فهو الرب جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو الخالق وهو المنشئ للمشارك وهي شروق وخروج الشمس والقمر والكواكب من مشرقها من مكان ما وهي جهة الشرق {وَالْمَغْرِبِ} حيث تغيب الشمس والقمر والنجوم في اتجاه الغرب دائماً {إِنَّا لَقَدِرُونَ} إنا أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لمستطيعون

وقادرون {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ} على أن نخلق مَنْ هو أحسن منهم وأفضل وخيرٌ في العبادة والطاعة لله تعالى {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} أي لا يفوتنا ولا يسبقنا شيء ولا يستطيع الهرب ولا أحد ينجو من عذابنا وهاكنا له {فَذَرَهُمْ} فدعهم يا محمد يا رسول الله {تَخَوُّضُوا} يناقشوا ويجادلوا ويعارضوا ويتحدثوا ما بدا لهم {وَيَلْعَبُوا} ويلعبوا ويلهوا عن العبادة والطاعة {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} حتى يموتوا وحتى يخرجوا يوم القيامة لا حسنة لهم ولا عمل صالح {يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ} يوم يخرجون أحياءً ويبعثون أحياءً من قبورهم {سِرَاعًا} مسرعين إلى المحشر {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} كأنهم إلى مشنقة يساقون ويأتون لأن العذاب أشد من الموت حيث يتمنى عندها الكافر ويقول: " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " ٤٠ النبأ. {خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ} خائفة لا تطرف ولا ترمش من شدة الخوف والهلع والذل والتحقير لهم {تَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ} تعلوهم وتغشاهم وتركبهم ذلة ومهانة وحقارة وصغار {ذَلِكَ الْيَوْمُ} هذا هو اليوم وهو يوم القيامة {الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} الذي وعدهم به رسلهم وكتبهم وهو يوم حساب وعقاب وجزاء وثواب فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١
 قَالَ يَنْقُومِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ
 ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

{إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتبجيل والتفخيم لله تعالى جل جلاله وعظم قدره
 وعلا شأنه {أَرْسَلْنَا نُوحًا} أرسل الله تعالى نوحاً عليه الصلاة والسلام واسمه شاعر
 وسمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه
 فأوحى الله إليه (هذا خلقنا فاخلق أنت مثله) فصار يبكي وينوح ولذلك سمي باسم
 نوح وهو أول من نسخ نكاح الأخت حيث كان مباحاً قبله وحرمه في عهده فكذبه
 قومه {إِلَىٰ قَوْمِهِ} إلى قومه وعشيرته {أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ} ورسالتك هي أن تنذر
 قومك وتحذرهم وتخوفهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ} قبل يوم القيامة حيث يكون عذابهم في نار جهنم أليماً موجعاً
 وقاسياً وشديداً {قَالَ يَنْقُومِ} قال سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام لقومه {إِنِّي لَكُمْ
 نَذِيرٌ} أي إني مرسل لكم من الله تعالى أنذرکم وأحذرکم من عذاب الله تعالى
 {مُبِينٌ} رسول مبين واضح عظيم البيان والدليل والحجة {أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ} اعبدوا
 الله وحده وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه {وَاتَّقُوهُ} وخافوه واخشوه وأطيعوه

{وَأَطِيعُونَ} وأطيعوا أمري ولا تخالفوني فيما آمركم به من تقوى الله وعبادته وحده لا شريك له {يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ} أي يغفر لكم ذنوبكم أو يغفر بعضها ويتجاوز عنها {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} أي لا يغرقكم ولا يعذبكم بل يؤخر عذابكم إلى يوم القيامة إذا أنتم أطعتم الله تعالى وأطعتموني {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ} وهو الموت إذا حضر {لَا يُؤَخَّرُ} لا يؤخر ولا يتأخر ولا لحظة واحدة {لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} لو أنكم تعلمون حقيقة الموت وهو كما قال تعالى: " لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " ٤٩ يونس.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٦﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبُعَهُمْ فِيْ آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا ﴿٨﴾ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿١٠﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١١﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٢﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٣﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٤﴾ ﴾

{قَالَ} نوح عليه الصلاة والسلام {رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} يا رب ويا إلهي لقد دعوت قومي لعبادة الله وحده لا شريك له ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً في النهار وفي الليل {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا} فلم يزدهم دعائي ونصحي وإرشادي إلا فرارًا وبُعدًا عن دينك وعبادتك {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ} واني كلما طلبت منهم أن يحضروا مجلسي ويقبلوا دعوتي {لِتَغْفِرَ لَهُمْ} لتسامحهم وتعفو عن زلاتهم {جَعَلُوا أَصْبُعَهُمْ فِيْ آذَانِهِمْ} أي وضعوا أصابع أيديهم على آذانهم حتى لا يسمعوا نصحي ولا وعظي ولا إرشاداتي {وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ} أي وضعوا ثيابهم

على رؤوسهم حتى لا يروني ولا يسمعونني {وَأَصْرُوا} وأصروا وصمموا على عنادهم هذا وعلى كفرهم وعصيانهم {وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا} وتكبروا تكبراً شديداً وعظيماً وواسعاً وعريضاً وكبيراً {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا} ثم بعد كل ذلك دعوتهم ونصحتهم وأرشدتهم جهاراً وعلناً {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ} ثم بعد ذلك إني أعلنت لهم الدعوة والنصح علناً {وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} ودعوتهم سراً وأخبرتهم ونصحتهم وأرشدتهم سراً خفياً حتى لا يشعر أحد بنصحي لهم {فَقُلْتُ} فقلت لهم وهم قوم نوح {أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} استغفروا ربكم وتوبوا إليه واندموا على ما فعلتم {إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه كان ولا يزال غفراً للذنوب يغفرها ويتجاوز عنها ويسامح ويعفو ويصفح {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} ويرسل المطر عليكم من السماء مطراً نازلاً منهمراً حتى تسقوا زرعكم وأنعامكم ولتشربوا أنتم أيضاً منه وتغتسلوا {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ} ويرزقكم مالاً حلالاً {وَبَنِينَ} ويرزقكم الأطفال والأولاد {وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ} ويجعل لكم مزارع وبساتين وحدائق ذات بهجة {وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا} ويسخر الله تعالى لكم أنهاراً تجري في الأرض تسقي زرعكم ومواشيكم وتشربون منها وتسقون.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۚ ﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۖ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۚ ﴾

{ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } لماذا لا تبجلون الله تعالى وتوقرونه وتحترمونه وتنزهونه وتقديسونه وتعظمونه وتكبرونه { وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } أي خلقكم أجيالاً متعاقبة متلاحقة متتابعة { أَلَمْ تَرَوْا } ألم تعلموا وتشاهدوا { كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا } كيف خلق الله تعالى وكون سبع سموات طباقاً بعضها فوق بعض بتعاقب وتتابع أولها السماء الدنيا وهي الأولى ثم الثانية والثالثة حتى السابعة وكل سماء سمكها خمسمائة عام وعرضها خمسمائة عام وما بين كل سماء والتي تليها خمسمائة عام كما جاء في الحديث { وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا } أي ضياءً ويستمد نوره من الشمس { وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } وجعل الله تعالى الشمس سراجاً وهاجاً مضيئاً متوهجاً تضيء الأرض في النهار بدون كهرباء أو بطارية تمددها وتغذيها وهي دائمة إلى ما شاء الله وبدون أن يحملها شيء نراه فهي تشرق بوقت محدد وتغيب كذلك لا تقديم ولا تأخير فهي ساعة ربانية مضبوطة بمواقيتها ومواعيدها وتضيء الكون كله في النهار { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } أي خلق أبانا آدم عليه السلام من طينة الأرض فأخرجنا إلى الدنيا { ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا } بالمولود يعيد الله تعالى بني آدم إلى الأرض تتحلل أجسادهم وأجسامهم وتعود إلى محتويات الأرض ثانياً كما بدأت في الأصل { وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } ويوم القيامة يحيي الناس ثانياً ويجعلهم يخرجون من قبورهم أحياء بعد أن ينزل الله تعالى من السماء ماءً كالمر ينبت فيه

بنو آدم كالبقلة ثم ينفخ الله تعالى فيهم الروح فيحيون جميعاً ويخرجون من قبورهم أحياء {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا} أي مهد الله تعالى لكم الأرض وبسطها وجعلها مستوية كالبساط حتى يسكن الناس ويعيشوا عليها {لِتَسْلُكُوا} لتمشوا وتسيروا وتأخذوا {مِنْهَا سُبُلًا} خلالها طرقاً وشوارعاً {فِجَاغًا} أي ممرات عدة ومختلفة.

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوءًا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾

{قَالَ نُوحٌ} قال نوح عليه الصلاة والسلام {رَبِّ} يا رب ويا إلهي وخالقي ومعبودي {إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} إن قومي وقبيلتي وعشيرتي عصوني ولم يتبعوا أمري ولا نصحي ولا إرشادي {وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ} واتبعوا واقتفوا وأطاعوا مَنْ لم يَزِدْهُ ماله وكثرة أمواله وبنيه {إِلَّا خَسَارًا} إلا خسراناً وهلاكاً وكفراً وعصياناً لأن كثرة الأموال والأولاد تطغيه وتزيده فسقاً وعصياناً {وَمَكْرُوءًا مَكْرًا} أي عملوا بالمكر والخديعة والسوء والإفساد {كُبَّارًا} أي كبيراً جداً وعظيماً {وَقَالُوا} قال الكفار وعبداء الأصنام والأوثان {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} لا تتركوا آلهتكم وأصنامكم وأوثانكم وتتبعوا نوحاً عليه السلام {وَلَا تَذَرُنَّ} ولا تدعن وتتركن {وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} وهي أسماء أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم. قال البخاري: حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل.

وأما سواع فكانت لهذيل. وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ. أما يعوق فكانت لهمدان. وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع. وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم. ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبّدت. [وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا - ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٦]. {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} وقد أضلوا وأغوا وضللوا كثيراً من الناس {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} ولا تزد الظالمين وهم الكفار والمشركون وعبداء الأوثان إلا ضلالاً وغياً وبعداً عن عبادة الله تعالى وحده.

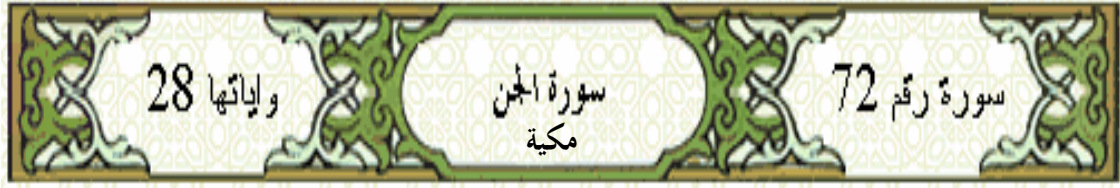
﴿مِمَّا حَطِئَتْهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٧١﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٧٢﴾

{مِمَّا حَطِئَتْهُمْ} بسبب خطاياهم وذنوبهم وعصيانهم وكفرهم {أَغْرِقُوا} أي أغرق قوم نوح عليه الصلاة والسلام {فَادْخُلُوا نَارًا} فسيدخلون النار مع الكفار يوم القيامة لكفرهم وعصيانهم {فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا} فلم يعثروا ولم يجدوا لهم نصيراً ومسانداً ومساعداً وحافظاً وحامياً من عذاب الله يوم القيامة {وَقَالَ نُوحٌ} وقال نوح عليه الصلاة والسلام {رَبِّ} يا ربي ويا إلهي وخالقي ومعبودي {لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ} لا تترك ولا تدع على ظاهر الأرض {مِنَ الْكَافِرِينَ} من الكفار وممن كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً وحساباً

ونشوراً {دَيَّارًا} لا تترك أحداً ولا داره ولا حارته ولا بيته بل أهلك كل ما على الأرض منهم وبيوتهم معهم {إِنَّكَ} إنك أنت يا الله جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك {إِنْ تَذَرَهُمْ} إن تدعهم وتتركهم {يُضِلُّوا عِبَادَكَ} يضلُّوا أو يغووا عبادك وخلقك {وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} ولا حتى يلدوا ولداً إلا كان مثلهم فاجراً عاصياً كافراً مشركاً طاغياً.

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

{رَبِّ} قال نوح عليه الصلاة والسلام داعياً يا ربي ويا إلهي ويا خلقي {اغْفِرْ لِي} اغفر ذنبي وتجاوز عنه واعف عني واصفح عني {وَلِوَالِدَيَّ} لوالدي ووالدتي {وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا} ولمن آمن معي من المؤمنين {وَلِلْمُؤْمِنِينَ} لمن آمن بي وبالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَالْمُؤْمِنَاتِ} للنساء المؤمنات بالله رباً وكتبه ورسله واليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً وعقاباً وحساباً اغفر لي ولهم جميعاً {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ} ولا تعطي الظالمين والباغين والمعتدين {إِلَّا تَبَارًا} إلا هلاكاً وخسراناً. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم ابن البحيني غيلان أن الوليد بن قيس أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي). [ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله ابن المبارك عن حيوة بن شريح به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للمسلمين وللناس كافة {أُوحِيَ إِلَيَّ} جاء إليّ الوحي {أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} استمع نفر من الجن إليّ وأنا أقرأ القرآن. والنفر الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة وفي العامية يجوز أن يكون النفر شخصاً واحداً ويجوز أن يكون أكثر من شخص وذلك حسب السياق {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا} فقالت الجن لبعضهم إننا سمعنا قرآناً يتلوه محمد رسول الله {عَجَبًا} غريباً مدهشاً {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} يهدي للإيمان والهدى والرشاد والصلاح والفلاح {فَآمَنَّا بِهِ} صدقناه وصدقنا وآمنّا به {وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} ولن نجعل لله شريكاً بعد اليوم أحداً فهو ربنا وخالقنا وإلهنا ورب الخلق ورب العالمين {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ} وأنه تعالى وتنزه وجل وعلا {جَدُّ رَبِّنَا} صدق وعدل وإرادة وقدرة وعزم ربنا في علاه فهو الجد ليس بالهزل ولا الكذب {مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً} لم يتخذ الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه صاحبة ولا حبيبة ولا عشيقة ولا صديقة {وَلَا وَلَدًا} ولا ولداً ولا ابناً ولا طفلاً {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا} وأنه كان يقول

سفيهننا ورذيلنا وحقيرنا وهو كل شيطان رجيم وخاصة أبوهم إبليس اللعين {عَلَى
 اللَّهُ} يكذب على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ويختلق ويقول
 {شَطَطًا} كذباً وسفهاً وزوراً وبهتاناً وقولاً باطلاً بعيداً عن الحق لا أساس له من
 الصحة {وَأَنَا ظَنَنَّا} وتقول الجن بأنهم ظنوا واعتقدوا {أَنْ لَّنْ تَقُولَ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ} أن لن تقول وتتحدث وتتكلم الإنس من بني آدم والجن من الشياطين
 وأولاد إبليس {عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} على الله تعالى اختلاقاً وكذباً من الولد وغيره.
 والجن الذين استمعوا للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا سبعة كما قاله
 ابن عباس في قوله تعالى: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا
 حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ " ٢٩ الأحقاف. وقال الإمام
 أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا
 داود عن الشعبي عن علقمة قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هل
 صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ فقال ما صحبه منا
 أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ قال فبتنا بشر
 ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر إذا نحن به يجيء من
 قبل حراء فقلنا يا رسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال: (إنه أتاني داعي
 الجن فأتيتهم فقرأت عليهم) قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال قال
 الشعبي سألوه الزاد قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال: (كل عظم
 ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة أو روثة علف
 لدوابكم) قال: (فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن). [وهكذا رواه
 مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه - ابن كثير
 ج ٤ ص ١٦٤]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد ابن عبد

العزیز حدثنا رجل سماه عن ابن جریج عن مجاهد: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ " كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسى وحسى ومنيثى وشاضر وماضر والأردنيان والأحقم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصيان وكانوا أكثر الجن عدداً وأشرفهم نسباً وهم كانوا عامة جنود إبليس. [ابن كثير ج ٤ ص ١٦٧]. وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة أخبرنا أبو الحسن علي ابن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم (قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: " قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ " وإنما أوحى إليه قول الجن. [رواه البخاري عن مسدد بنحوه -

ابن كثير ج ٤ ص ١٦٣]. ومما ينفع لإفاقة المصروع والمجنون أن تقرأ على ماء طاهر: البسملة وسورة الفاتحة وآية الكرسي وقل أوحى إلى الآية الخامسة من سورة الجن إلى كذباً. ويُرش الماء على وجهه فيفيق بإذن الله تعالى وإذا سُئل عما رأى من الجن فقال هو في هذا المكان ولم يهرب ورش من ذلك الماء في ذلك المكان خرج الجنى من البيت ولا يعود إليه إن شاء الله تعالى وهو مجرب مراراً وتكراراً وهذا يؤيد ويؤكد صدق القرآن العظيم أنه من عند الله تعالى.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ٦ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ٧ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ ٨ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ لَنَحْذِ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ ٩ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ١٠ ﴿

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ فكان في السابق قبل نزول القرآن عندما ينزل رجل بأرض يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضُر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. أي يستجيرون برؤساء الجن كما يستجيرون من الناس برئيس القوم وبكبيرهم. وهذه الآية تدل على أن في الجن رجالاً كما في الإنس فهم يتزاوجون ويتناسلون ولهم ذرية مثلنا كما قال تعالى عن إبليس لعنه الله: " أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي " ٥٠ الكهف. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي زادتهم الجن تعباً وإرهاقاً وخوفاً ورعباً وذعراً وجنوناً وخبلاً حتى يخيفوهم منهم أكثر وأكثر ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ ظنوا واعتقدوا وافتكروا كما ظننتم واعتقدتم وافتكرتم أيها الجن ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ أن لن يرسل الله تعالى بعد

موسى وعيسى عليهما السلام أحداً إطلاقاً وبمرة وبتاتاً {وَأَنَا} تقول الجن {لَمَسْنَا
السَّمَاءَ} اقتربنا منها وشاهدناها وعايناها {فَوَجَدْنَاهَا} أي السماء الدنيا التي
فوقنا ونراها بأعيننا {مِلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا} ملئت السماء وانتشرت بها حراسة
مشددة وقوية من الملائكة {وَشُهُبًا} الشهب هي جزء من الكواكب تنطلق خلف
الجنى أو الشيطان فتحرقه أي مثل قذائف الصواريخ تنطلق نحو الجن والشياطين
عند اقترابها من السماء لاستراق السمع والتصنت على الملأ الأعلى {وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ
مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ} وأنا كنا نجلس نستمع للملائكة فإذا حَدَثَ حَدَثٌ جديد
نعلمه. روى البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه
سمع عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة رضي الله عنها سألت ناس النبي صلى الله
عليه وسلم عن الكهان فقال: (إنهم ليسوا بشيء) قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون
بالشيء يكون حقاً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمة من الحق
يخطفها الجنى فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائه
كذبة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣]. وروى البخاري أيضاً قال: حدثنا الحميدي حدثنا
سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة سمعت أبا هريرة يقول إن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً
لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي
قال: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم
فوق بعض - وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها
إلى مَنْ تحته ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو
الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب
معه مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك

الكلمة التي سُمعت من السماء). [تفرد به البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣].
 {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ} فمن يرد من الجن والشیاطین أن یستمع الآن لأهل
 السماء ینتظره ویجد فی انتظاره {شهاباً رَصَداً} شهاباً یرصد اقترابه حتی ینطلق
 علیه یحرقه وهو مثل الصاروخ الموجه ینطلق تلقائياً متأهباً وجاهزاً فی انتظاره
 لیحرقه {وَأَنَا} تقول الجن عن أنفسهم {لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ} لا
 ندري ولا نعلم هل هذا شر لأهل الأرض وهو وجود الشهب فی السماء لتحرق الجن
 إذا اقتربت إلى السماء {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْداً} أو هل أراد الله تعالى بأهل الأرض
 رحمةً وخيراً ورشداً وصلاًحاً وهدى وأمناً وفلاحاً.

﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ﴾ وَأَنَا ظَنَّنَا أَن لَّنْ نُعْجِزَ
 اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ
 بِرَبِّهِ ۖ فَلَا تَخَافُ خَشَاً وَلَا رَهَقًا ۖ ﴿١٣﴾ وَأَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ
 أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ ﴿١٥﴾﴾

{وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ} يقول الجن أن منهم الجن الصالحين {وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ}
 وأن منهم الجن الطالحين الفاسدين العاصين والكافرين {كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا} كانوا
 متفرقين متعددين فيهم الصالح والطالح أي أنهم مختلفو الأهواء {وَأَنَا ظَنَّنَا} اعتقد
 الجن وأيقنوا وتحققوا {أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ} أنهم لن يفلتوا من عقاب الله
 تعالى وعذابه لهم إذا عصوه ولن يعجز الله تعالى عن ذلك ولن يُمنع من عقابهم
 {وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} ولن يستطيعوا الهرب منه ومن عذابه ولن يفلتوا ويهربوا من
 عذابه فهو مدرّكهم لا محالة {وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدَىٰ} ويقول الجن أنهم لما سمعوا

الهدى وهو القرآن الكريم يتلى عليهم {ءَامَنَّا بِهِ} آمنا به وصدقنا {فَمَنْ يُؤْمِنُ
بِرَبِّهِ} فمن يؤمن ويصدق بربه إلهاً ومعبوداً لا شريك له {فَلَا تَخَافُ} لا يخشى
{نَحْسًا} أي ظلاماً ونقصاً لحقوقه وخسارة له {وَلَا رَهَقًا} ولا تعباً ولا مشقة ولا
قهرًا ولا ظلاماً {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} أي يوجد من الجن مَنْ أسلم وصار مسلماً
{وَمِنَ الْقَاسِطِينَ} ومنهم الظالمون والعاصون والمذنبون والكفار {فَمَنْ أَسْلَمَ} فمن
دخل الإسلام وأسلم {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء {تَخَرَّوْا} اتبعوا {رَشَدًا} الصواب {وَأَمَّا
الْقَاسِطُونَ} وأما المشركون والظالمون والعاصون من الشياطين {فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ
حَطَبًا} فهم حطب جهنم ووقودها ومصيرهم يوم القيامة إلى نار جهنم وعذابها
وحريقها.

﴿وَالْوِاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ٩٧ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٩٨﴾

{وَالْوِاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ} ولو مكثوا على الاستقامة على طريقة الإيمان
والإسلام والهدى والرشاد {لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا} لأسقيناهم في الدنيا ماءً عذباً
فراتاً سائغاً نقياً صافياً حلواً كثيراً دائماً أي نحياهم حياة طيبة رغدة كما قال
تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" ٩٧
النحل. وذكر الماء من دون سائر النعم لأنه أفضل نعمة وهو قوام الحياة لقوله
تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" ٣٠ الأنبياء. {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لنختبرهم
ونمتحنهم ونبتليهم في هذا النعيم من الحياة الرغدة والطيبة وارفة الظل وكثيرة الماء
كما قال تعالى: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" ٧

الكهف. {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ} ومن يبتعد أو يترك ذكر الله تعالى وعبادته وخشيته {يَسْلُكْهُ} يأخذه ويلحق به {عَذَابًا صَعَدًا} عذاباً شديداً متواصلاً ومتتالياً وقوياً وحامياً ويزاد عليهم العذاب تصاعدياً بقوة وبشدة وعنفاً وغلظة.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} أي جعلت المساجد وهي بيوت العبادة لله تعالى وحده وتسمى مسجداً أو جامعاً أو بيت الله تعالى ولا يجوز أن يتبرع بها أحد ثم يدعي ملكيتها وأنها خاصة له ويمنع من يشاء ويدخل فيها من يشاء فعندها تبطل صدقته وأجره كما قال تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ" ١١٤ البقرة. وقال الله تعالى هنا "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ" ولم يقل مسجد فلان وكذلك تبطل صدقته بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ" ٢٦٤ البقرة. {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} أي لا تشركوا به أحداً ولا تجعلوا له شريكاً ولا نداً. وأن هذه المساجد لا تصلح إلا للعبادة والصلاة وذكر الله تعالى والتسبيح وقراءة القرآن وعندما بال الأعرابي في المسجد قال له صلى الله عليه وسلم: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل وقراءة القرآن). [سبل السلام ج ١ ص ٢٥]. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تُحْشَرُ مَسَاجِدُ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِخِتِ بَيْضِ قَوَائِمِهَا مِنَ الْعَنْبَرِ وَأَعْنَاقِهَا مِنَ الزَّعْفَرَانِ رُؤُوسُهُمْ مِنَ الْمَسْكِ وَأَزْمَتِهَا مِنَ الزَّبْرِجَدِ وَالْمُؤَذِّنُونَ يَقُودُونَهَا وَالْأُتَمَّةُ يَسُوقُونَهَا وَالْمُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَاةِ يَتَّبِعُونَهَا فَيَعْتَبِرُونَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فَتَقُولُ أَهْلُهَا هَؤُلَاءِ مَلَائِكَةٌ مُقَرَّبُونَ أَوْ أَنْبِيَاءُ مُرْسَلُونَ فَيَقَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَافِظُوا عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [نزهة المجالس ص ١٣٧]. وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا ذر

إن الله يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات وتُمحي عنك عشر سيئات). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٣]. وعن ابن عباس أنه قال قال صلى الله عليه وسلم: (فإن الله إذا أحب عبداً جعله قيم مسجداً وإذا أبغض عبداً جعله قيم حمام). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٣]. وعن ابن عمر أن رجلاً قال يا نبي الله أي البقاع خير وأي البقاع شر؟ قال لا أدري حتى أسأل لك جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل ميكائيل فجاءه فقال خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٣]. وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُعطيتم خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأُحِلت لي الغنائم وأُعطيتم الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وُبُعِثت إلى الناس عامة). [ابن كثير ج ١ ص ٤١١]. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد يقول: (أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم). وقال: (إذا قال ذلك قال الشيطان عُصم مني سائر اليوم). وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل: اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده. فإنه إذا قالها لم يضره). وقال في الأذكار يعسوب النحل ذكوره. [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٢].

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ﴾

{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} أي لما قام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الفجر بأصحابه وهو بنخله عامداً في طريقه وأصحابه إلى سوق عكاظ وهو يقرأ القرآن {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} كاد الجن أن يتكاثروا عليه ويزدحموا عليه ويقتربوا منه ليستمعوا إلى قرآن يتلى عليهم عجباً ويدهشهم لغرابته عليهم. ولبداً هي كمثل الصوف إذا لبد وأمسك بالشوك فهو يتلبد ويمسك ويصعب حله أو فكه لشدة تماسكه مع بعض.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۖ﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ تُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ

وَرِسَالَتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۖ﴾

{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} قل لهم يا محمد يا رسول الله تفسيراً وتوضيحاً لقوله تعالى " لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ " ليبين ما كان يدعو فقل لهم يا محمد إنما أدعوا ربي أي أعبدته وأطلب منه العون والمغفرة في كل الأمور ولا أشرك ولا أكفر ولا أجعل لله تعالى جل جلاله شريكاً ولا نداً ولا صاحبة ولا ولداً ولا أحداً أبداً {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لا أملك ولا في استطاعتي {لَكُمْ} لكم أيها الجن والإنس {ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} لا ضراً ولا نفعاً فلا أستطيع ضرركم ولا أذاكم ولا أجلب لكم النفع والخير {قُلْ إِنِّي لَنْ تُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لن يستطيع أحد من الخلق إجارتني ومساعدتي وحمايتي وحفظي من عذاب الله تعالى ومن بطشه أو انتقامه {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} ولن أجد إطلاقاً غير الله مساعداً ومعيناً {إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ

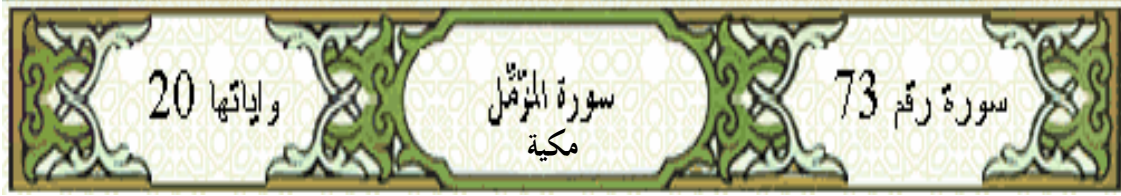
وَرِسَالَتِهِ} لا أستطيع إلا فقط إبلاغ الناس وتبليغ رسالة ربي لهم بعبادته وحده وعدم الإشراك به أحداً من خلقه لا زوجة ولا ولداً ولا صاحبة ولا شريكاً ولا نداً له سبحانه وتعالى عما يشركون ويدعون {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ومن يخالف أمر الله تعالى ونواهيه ورسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم {فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} فإن له وفي انتظاره نار جهنم {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين فيها أبداً لا يموتون فيها ولا يحيون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا ﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

{حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ} حتى إذا رأى الكفار النار وعذابها يوم القيامة وشاهدوها عياناً وحقيقة وصدقاً وعدلاً {فَسَيَعْلَمُونَ} فسيعرفون عندها حقيقة {مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا} من هو أضعف ناصرًا ومعيناً ومساعداً ومسانداً {وَأَقْلُ عَدَدًا} وأقل عدداً في النصرة والجند فيعلمون أنهم بدون ناصر ولا مساعد ولا معين وجنود الله تعالى لا تعد ولا تحصى " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " {قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ} قل للكفار يا محمد يا رسول الله لا أدري ولا أعلم هل هو قريب ذلك العذاب في نار جهنم يوم القيامة {أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} أم هل يطيل الله تعالى مدته وزمنه وفترته {عَلِيمُ الْغَيْبِ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو

عالم الغيب وحده وهو المطلع الوحيد على الغيب {فَلَا يُظْهِرُ} فلا يطلع {عَلَى} غَيْبِهِ أَحَدًا} على غيبه وسره وقرآنه أحداً من خلقه. والغيب هو ما خفي وغاب عنك علمه ولم تطلع عليه ولم تعرفه والغيب هنا معناه القرآن والوحي لا ينزل بإرادة أحد بل الله تعالى هو الذي ينزله بعلمه وإرادته كيفما شاء ووقتما شاء كما قال تعالى: " وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ " ٢٠ يونس. {إِلَّا مَن آرَتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ} إلا إذا رضي عن رسول وأحب أن يطلعه على غيب من غيبه فعل لأنه بيده الملك وهو على كل شيء قدير وكما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " {فَإِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَسْلُكُ} يجعل ويخصص {مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ} من أمامه {وَمِنْ خَلْفِهِ} ومن ورائه {رَصَدًا} رقابة وحماية وحفظاً {لِّيَعْلَمَ} علم إحاطة أي ليطلع على حقيقة التنفيذ وهو سبحانه يعلم من الأزل وهو علام الغيوب ولكن حتى يشهد على الرسول عمله {أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ} أن الرسل قد بلغوا رسالة ربهم ووحيه وكلامه على أحسن وأكمل وجه كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " ٦٧ المائدة. {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ} وعلم الله تعالى وهو علام الغيوب ويعلم السر وأخفى علم بما لدى المرسلين من مشاكل وأحداث ولذلك كان ينزل القرآن فوراً حسب الأحداث ويجيب عن السؤال أو الحدث فوراً {وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} وعد كل شيء وأحصاه عدداً وكم هو فهو يعلم عدد ورق الشجر وذرات الرمال وقطرات الأمطار والبحار والأنهار وماء الآبار وعدد نجوم السماء والقطر والنبات والكائنات وجميع ما في الكون من أفلاك وأماك

وجن وإنس ووحش وطير وحيوانات وجمادات جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
ولا رب ولا معبود سواه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ﴾ ١ ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ٣ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ٦ ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ ٧ ﴿وَإِذْ كَرَّاسَمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ٨ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ٩

{يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ} يا أيها النائم والمتلحف والمتغطي {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} دع النوم وقم صل الليل كله إلا قليلاً منه. وهذه الآية هي أول نزول بفرض صلاة قيام الليل على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبقي قيام الليل مفروضاً لمدة حول حتى انتفخت أقدامهم وتورمت حتى أصبح نفاً بعد اثني عشر شهراً وجاء التخفيف بالآيات التي في خاتمة هذه السورة وهذا ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها {نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا} أي صل نصف الليل أو أقل بقليل {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} أو زيادة قليلة على نصف الليل {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} أي جوده وحسنه وفسر قراءته آية آية حتى تفهم ما تقرأ أي قطعه آية آية لتفهم معانيه واستيعابها. وعن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم: (لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤]. وعن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٤]. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٨]. وروى الحافظ

الكبير تقي بن مخلد رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة) قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥]. وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود [أي لحسن صوته وجماله]).

[ابن كثير ج ٤ ص ٣٥]. وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس بن شهاب عن أبي سلمة قال كان عمر بن الخطاب إذا رأى أبا موسى الأشعري قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٥]. وقال ابن ماجه: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة ابن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت: (أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال: (أين؟!)) قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام فقامت معه حتى استمع له ثم التفت إليّ فقال: (هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا). [إسناد جيد - ابن كثير ج ٤ ص ٣٥]. وقيل أن مزامير داود عليه السلام أنزلن لأجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمة بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى: " وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ " وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧]. وقال عمر ابن عبد العزيز للمؤذن: (أذن أذاناً سَمحاً وإلا فاعتزلنا). [البخاري ج ١ ص ١٥٨]. وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه. [ابن كثير ج ٤

ص ٣٦]. {إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا لتفخيم وتبجيل جلال الله تعالى وتعظيمه سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَنُلْقِي عَلَيْكَ} سنحملك يا محمد يا رسول الله ونكلفك {قَوْلًا ثَقِيلًا} قولاً شاقاً ومرهقاً ومتعباً وهو القرآن بما فيه من أوامر ونواهي وعبادات {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} إن عبادة الليل وقيام الليل وتهجد الليل وصلاة الليل {هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا} أعظم ثقلًا وحملًا وأشدَّ تعباً وإرهاقاً لك {وَأَقْوَمُ} وأفضل وأحسن وأجود وخير {قِيلًا} قولاً وكلاماً وحديثاً {إِنَّ لَكَ} إن لك يا محمد يا رسول الله {فِي النَّهَارِ} في نهار كل يوم {سَبْحًا طَوِيلًا} سعيًا وسيراً ومشياً وعملاً كثيراً {وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ} أي اذكر الله تعالى كثيراً {وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} وأخلص له العبادة والطاعة وتقرب إليه تقرباً كثيراً {رَبُّ} الله تعالى الخالق الرازق وهو رب العالمين ورب الأرباب وإله الخلق أجمعين {الْمَشْرِقِ} شروق الشمس والقمر والنجوم والكواكب {وَالْمَغْرِبِ} غروب الشمس والقمر والنجوم والكواكب {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود سواه وهو الله جلا جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} فاتخذهُ مساعداً ومسانداً ومعيناً.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ وَمَهْلُهمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾
 {وَأَصْبِرْ} يا محمد يا رسول الله اصبر وجاهد وقاوم وتحمل الأذى والمشقة والعناء
 والمعاملة السيئة {عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} على ما يقولون لك وتكذيبهم وتجريحهم لك
 بأقوالهم وأفعالهم {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} أي اتركهم ودعهم وابتعد عنهم هجراً
 حسناً طيباً لا شجار فيه ولا سباب ولا قتال {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ}
 ودعني واتركني يا محمد أحاسب وأجازي أولئك المكذبين غير المصدقين من أولي
 النعمة وأصحاب المال والترف والبخذ والجاه والسلطان {وَمَهْلُهمْ} أمهلهم ودعهم
 واتركهم {قَلِيلًا} مدة قصيرة {إِنَّ لَدَيْنَا} عند الله يوم القيامة {أَنْكَالًا} عذاباً
 وتنكيلاً من القيود والسلاسل والأغلال {وَحِمِيمًا} وناراً محرقة وهي جحيم وعذاب
 نار جهنم الموجد والشديد والقاسي والأليم {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ} وهو طعام الكفار في
 نار جهنم وهو ذو مرارة شديدة وشدة في ابتلاعه وهضمه {وَعَذَابًا أَلِيمًا} وعذاباً في
 نار جهنم يوم القيامة أليماً وموجعاً وشديداً وقاسياً.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ} تتزلزل وتضطرب الأرض والجبال
 {وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا} وأصبحت الجبال كثيباً من الرمال يهيل وذلك يوم
 القيامة حيث تصير الجبال تراباً.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا تَجْعَلُ
 الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ ﴿١٨﴾ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى
 جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ} أرسل الله تعالى إليكم أيها
 الناس جميعاً {رَسُولًا} نبياً ورسولاً وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 {شَهِدًا عَلَيْكُمْ} يشهد عليكم بأنه بلغكم رسالة ربكم {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 رَسُولًا} مثلما أرسل الله تعالى وبعث سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون
 مصر وهو الوليد بن مصعب {فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} فعصى ولم يطيع ما جاء به
 رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام {فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} أخذه الله تعالى
 بعذاب شديد وقاس وأليم وكان وبلاً عليه وهلاكاً أي عذاباً مهلكاً وشديداً {فَكَيْفَ
 تَتَّقُونَ} فكيف تعملون وتحمون أنفسكم من عذاب الله تعالى {إِنْ كَفَرْتُمْ} إن
 عصيتم وكذبتم ولم تصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا بمحمد صلى الله عليه
 وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً {يَوْمًا} وهو يوم القيامة يوم
 الحسرة والندامة {تَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} يشيب الأولاد والأطفال في يوم القيامة من
 شدة العذاب ومن شدة الهول والخوف والفرع {السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ} تتشقق
 وتذهب السماء بهذا اليوم يوم القيامة وتتغير وتتبدل السموات {كَانَ وَعْدُهُ
 مَفْعُولًا} كان وعد الله بيوم القيامة لا بد أن يتحقق وهو قادم لا محالة " وَأَنَّ

السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ " ٧ الحج. {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} إن قصة فرعون لكم هي تذكرة وعظة واعتبار {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} فمن شاء وأراد أن يحمي نفسه من عذاب الله تعالى يوم القيامة فليتخذ طريقه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

{إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {يَعْلَمُ} يعلم ويدري ومطلع ويعرف {أَنَّكَ} يا محمد يا رسول الله {تَقُومُ} تقوم من الليل تصلي قيام الليل والتطوع والتهجد {أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ} أقل من ثلثي الليل {وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ} وتصلّي نصف الليل وتصلّي ثلاث الليل {وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ} وكذلك تقوم الليل طائفة وجماعة من المؤمنين الذين هم معك ويتبعونك {وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} والله تعالى يعرف مقدار العبادة ليلاً وأن فيها مشقة وتعب على النفس وأن جهاد النفس عظيم فيها ويقدر صلاة النهار كذلك وهي أقل عبثاً من الليل {عَلِمَ} علم الله وعلمه علم حقيقة وإطلاع وعلم معرفة وهو يعلم من الأزل {أَنْ لَّنْ تَحْصُوهُ} أنه لن تستطيعوا قيام الله كله {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} أي تاب الله عليكم وعفا عنكم

ونسخ هذا الفرض وجعل التهجد سنة لمن أراد {فَأَقْرَأُوا} أيها المؤمنون {مَا تيسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ} أي شيء من القرآن ولو المعوذتين أو السور الصغيرة تكفي {عَلِمَ} وهو دائماً عليم {أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى} أنه سيكون منكم أيها المسلمون مرضى يمرضون ولا يستطيعون قيام الليل {وَأَآخَرُونَ يَصْطَرِبُونَ فِي الْأَرْضِ} للسفر وللعمل وللتجارة {يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} طلباً لرزق الله تعالى وفضله {وَأَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وآخرون من المسلمين يجاهدون في سبيل الله تعالى {فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ} اقرؤوا القليل من القرآن ولو ثلاث آيات صغار وفي فقه الحنفية من واجبات الصلاة ضم سورة إلى الفاتحة في جميع ركعات النفل والوتر والأوليين من الفرض والمراد بالسورة أي سورة من القرآن ولو أقصر سورة أو ما يماثلها كثلاث آيات قصار أو آية طويلة والآيات القصار الثلاث كقوله تعالى : " ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ " وهي عشر كلمات وثلاثون حرفاً من حروف الهجاء مع حسابان الحرف المشدد بحرفين فلو قرأ من الآية الطويلة هذا المقدار في كل ركعة أجزأه عن الواجب فعلى هذا يكفي أن يقرأ من آية الكرسي قوله تعالى : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " . [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٢٠]. {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي صلوا الفرائض الخمس في اليوم واللييلة الصبح ركعتان والظهر أربع ركعات والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات والعشاء أربع ركعات وهذا بالنسبة للفرض أما السنن الراتبة فهي عند الإمام أبي حنيفة : ركعتان قبل فرض الصبح وهي أقوى وهو أقوى السنن حتى روى الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى لو صلى قاعداً من غير عذر لا يجوز وروى المرغيناني عن أبي حنيفة رحمه الله أنها واجبة وقال صلى الله عليه وسلم : (لَا تَدْعُوهُمَا وَإِنْ

طردتكم الخيل) وقال صلى الله عليه وسلم: (ركعتا الفجر أحب إليّ من الدنيا وما فيها). [مراقي الفلاح في الفقه الحنفي ص ١٥٢]. وأربع ركعات قبل فرض الظهر لقوله صلى الله عليه وسلم: (من ترك الأربع قبل الظهر لم تنله شفاعتي) كذا في الاختيار وقال في البرهان: كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الظهر أربعاً إذا زالت الشمس فسأله أبو أيوب الأنصاري عن ذلك فقال: (إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يصعد لي في تلك الساعة خير) قلت أفي كلهن قراءة قال: (نعم) قلت أيفصل بينهن بسلام قال: (لا). [مراقي الفلاح في الفقه الحنفي ص ١٥٣]. وركعتان بعده وذلك لما روي عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان يصلي قبل الظهر أربعاً واثننتين بعدها. [رواه أحمد ومسلم وغيرهما - الصلاة على المذاهب الأربعة لعبد القادر الرحباوي ص ١٦٤]. ويندب أن يضم إليهما ركعتين فتصير أربعاً بتسليمة واحدة وذلك لما روي عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها حرم الله لحمه على النار). [رواه الخمسة - الصلاة على المذاهب الأربعة لعبد القادر الرحباوي ص ١٦٤، مراقي الفلاح ص ١٥٣]. وأربع ركعات قبل فرض الجمعة بتسليمة واحدة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة أربعاً لا يفصل في شيء منهن. وأربع ركعات كذلك بعده أي بعد فرض الجمعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة أربع ركعات يسلم في آخرهن. وفرض العصر ليس له سنة راتبة ولكن هناك مندوبة أي مستحبة لمن شاء وهي أربع ركعات قبل فرض العصر لقوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى أربع ركعات قبل صلاة العصر لم تمسه النار). وركعتان بعد فرض المغرب وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى بالحمد وقل يا أيها الكافرون والثانية بالحمد وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها). وركعتان بعد فرض العشاء لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد مسلم يصلي في كل يوم اثنتي عشر ركعة تطوعاً من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة). رواه مسلم زاد في الترمذي والنسائي: (أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الغداة [الصباح]). [مراقي الفلاح في الفقه الحنفي ص ١٥٣]. ثم الوتر بعد سنة العشاء وعند الإمام أبي حنيفة الوتر ثلاث ركعات مثل صلاة المغرب بتسليمة واحدة ويقرأ في الركعة الأخيرة (بعد أن يقعد للتشهد في الثانية ويقوم للثالثة) يقرأ بعد الفاتحة سورة صغيرة ثم يرفع يديه حذاء أذنيه ويكبر ثم يقرأ دعاء القنوت وهو واقف قبل ركوعه وهو: اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم يركع ويكمل صلاته. ويلاحظ أن صلاة النافلة يقرأ فيها في كل ركعة بعد الفاتحة ما تيسر من القرآن أما الفرض فيقرأ ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة في أول ركعتين فقط {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} أي أدوا فريضة الزكاة ومقدارها في الأموال اثنان ونصف في المائة أي لكل مائة قرش قرشان ونصف زكاة المال وذلك بعد أن يكون قد بلغ النصاب معه وحال عليه الحال وحساب الزكاة بأن يكون في أول العام يكون معه النصاب ثم آخر العام يكون معه النصاب عندها يدفع زكاة ماله ٢,٥٪ على جميع أمواله كلها والتجارة كذلك ولا عبرة بعدم بلوغ النصاب في

منتصف العام وصدقات الغنم والبقر والإبل وغيرها من أنواع الزكاة معروفة في باب الزكاة في كتب الفقه {وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} أي تصدقوا من أموالكم على الفقراء والمحتاجين {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ} وما تنفقوا من خير وصدقات {تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} تجدوه يوم القيامة محفوظاً لكم عند الله تعالى ويثيبكم عليه {هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا} أي ثواب الله تعالى يوم القيامة خير لكم وأفضل أجراً وأعظم حيث يكون جزاؤكم الجنة ونعيمها المقيم أما مال الدنيا يذهب {وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} أي استغفروا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وتوبوا إليه وعن شداد بن أوس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة). [أخرجه البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٩، ٢٢٠]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورٌ} يغفر للعباد خطاياهم ويتجاوز عنها وعن ذنوبهم وسيئاتهم ومعاصيهم ويسامحهم ويعفو عنهم {رَحِيمٌ} فهو يرحم عباده ورحمته سبقت غضبه وعذابه ويرحم من تاب وأناب ويرحم المؤمنين يوم القيامة ويدخلهم الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ١ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٢ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ٣ ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ٥
﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ ٦ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ٧ ﴿

{يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ} أيها المتغطي بالثياب والمتلحف بها {قُمْ} قم ودع النوم والكسل وانهض فقد جاء وقت العمل {فَأَنْذِرْ} بلغ الناس دعوة الإسلام ورسالة ربك وخوفهم وحذرهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} وربك الكبير فكبره وعظمه جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ} لأن المسلم يجب أن تكون ملابسه طاهرة نظيفة عند الصلاة لأن النظافة من الإيمان ولا تجوز الصلاة في ثوب نجس غير طاهر إلا للضرورة كأن لا يوجد عنده غيره أو للجزار حيث لا يستطيع تغيير ملابسه حيث عمله يستدعي أن يوجد دم على ملابسه وعند الإمام أبي حنيفة يعفى عن النجاسة المغلظة إذا صلى بها إذا كانت أقل من قدر الدرهم وإذا كان أكثر من ثلاثة أرباع ثوبه نجساً فهو مخير أن يصلي فيه أو عرياناً بحيث يصلي بالإيماء حتى لا تنكشف عورته وذلك للضرورة وعدم وجود ثوب غيره عنده {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} الذنب والمعصية والأوثان {فَأَهْجُرْ} أي لا تقربها {وَلَا تَمْنُنْ} ولا تمن على الناس بالرسالة وتفتخر عليهم بها {تَسْتَكْثِرُ} وتكثر المن عليهم {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} ولحكم ربك وفي سبيله فاصبر وجالد وتحمل الأذى. وروى مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: (فبينما أنا أمشي

إذ سمعت صوتاً من السماء رفعت بصري قَبَلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه حتى هويت إلى الأرض فجنّت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني فذرني فأنزل الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إلى - فَأَهْجُرْ " قال أبو سلمة والرجز الأوثان - ثم حمى الوحي وتتابع. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٠].

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ } إذا نفخ إسرافيل عليه السلام في البوق { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ } ذلك اليوم وهو يوم القيامة هو يوم عسير وصعب وشاق { عَلَى الْكَافِرِينَ } على الكفار الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً ونشوراً { غَيْرُ يَسِيرٍ } غير يسير وغير بسيط وغير سهل بل يوم عذاب في جهنم وبئس مصيرهم.

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾

{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } دعني واتركني يا محمد يا رسول الله ودع لي الوليد ابن المغيرة الذي خلق بمفرده من بطن أمه { وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا } وجعلت له مالا وفيرا كثيرا { وَبَنِينَ } وأولادا { شُهُودًا } حاضرين عنده أحياء غير أموات ومنهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول أسلم وأبوه لم يسلم ومات كافرا { وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا } أي جعلته من أشرف قومه وذا جاه وسلطان وابنه خالد كان في الجاهلية

من الفرسان المشهورين {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} ثم يطمع ويرغب أن أزيد في ماله وبنيه وسلطانه {كَلَّا} لا لن يزد له بعد اليوم لكفره {إِنَّهُ كَانَ لِأَيَّتِنَا عَنِيدًا} لأنه كان لآيات الله تعالى وقرآنه ومعجزاته وبياناته عنيداً في تكذيبها ولم يصدقها وعنيداً في كفره وعصيانه {سَأَرْهُقُهُ} سأتعبه تعباً شديداً {صَعُودًا} أي تصاعدياً أو تسلقاً لجبل في جهنم. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك فيه أبداً). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٢]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلان المصري قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الذهبي عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا" قال: (هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت). [ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٢].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

{إِنَّهُ فَكَّرَ} أي الوليد بن المغيرة فكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم {وَقَدَّرَ} قدر الجواب وخمنه واستخلصه {فَقَتَلَ} أي مثل لعن {كَيْفَ قَدَّرَ} كيف قدر

وخمن واستخلص {ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ} ثم هلك ولعن كيف قدر واستخلص الجواب {ثُمَّ نَظَرَ} ثم نظر وتفكر في أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} ثم عبس وقطب وجهه {ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ} ثم أعرض وأصر على كفره وعناده وكبره {فَقَالَ إِنَّ هَذَا} فقال ما هذا القرآن {إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} إلا سحر يتعلمه محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} وما هذا إلا قول البشر العاديين ليس بقرآن ولا كلام الله تعالى {سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ} سأحرقه في نار جهنم التي تسمى سقر وهي الباب الثالث من أبواب جهنم أي الدور الثالث لأن لجهنم سبعة أبواب كما قال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {٤٤} " ٤٣، ٤٤ الحجر. وفيها يعذب الصابئون {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ} وما علمك عن سقر يا محمد يا رسول الله وما هي؟ {لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ} أي تحرق وتهلك كل شيء لا يبقى فيها شيء إلا أحرقته وأهلكته {لَوْاحَةٌ لِّلْبَشَرِ} أي تلوح لهم من بعيد وتنادي عليهم لتحرقهم فيها {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} على باب نار جهنم تسعة عشر من ملائكة العذاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۚ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ۚ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۚ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۚ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ﴾

{وَمَا جَعَلْنَا} وما جعل الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَصْحَابَ النَّارِ} المسئولين عنها وهم الملائكة الموكلون على النار {إِلَّا مَلَائِكَةً} جعلهم الله تعالى ملائكة لأن الملائكة خلقت من نور وهم لا يأكلون ولا يشربون حتى لا يتلهوا عنها ولا يموتون وهم أقوياء بحيث لو أذن الله تعالى لريشة واحدة من جناح أحدهم لهدم الأرض ومن عليها {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ} أي عددهم وهو تسعة عشر {إِلَّا فِتْنَةً} إلا ابتلاءً وعذاباً {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً وحساباً ونشوراً {لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ليتأكد الذين لديهم كتاب وهم اليهود والنصارى بصدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما جاء به تصديقاً لكتبهم {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا} ويزداد إيمان المسلمين أكثر وأكثر بصدق القرآن وأحكامه لأنه يصدق ما قبله من الكتب {وَلَا يَرْتَابَ} ولا يشك {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} اليهود والنصارى من أهل الكتاب {وَالْمُؤْمِنُونَ} ولا يشك

كذلك المؤمنون {وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وسيقول المنافقون وهم الذين في قلوبهم مرض الشك والنفاق {وَالْكَافِرُونَ} وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً وحساباً ونشوراً {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} ما يريد الله تعالى بضربه هذا المثل عن عدد أهل النار وأن عليها تسعة عشر {كَذَلِكَ} وهكذا {يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ} يضل ويغوي ويعمي بصائرهم وهم الكفار والمنافقون لتكذيبهم وعدم تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} ويهدي الله تعالى من يشاء وهم المؤمنون لأنهم آمنوا بالله وملائكته وبعدهم وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} ولا يعلم عدد جنود ربك وعملهم إلا هو الله رب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن البيت المعمور وهو في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك [يحقون] لا يعودون إليه آخر ما عليهم. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٤]. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راکع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٤]. {وَمَا هِيَ} النار والملائكة التي عليها وعدتهم {إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ} هي ذكرى فقط وعظة وعبرة للناس حتى يتعظوا

ويعتبروا {كَلَّا وَالْقَمَرِ} لا وحق القمر أي يقسم الله تعالى بأحسن خلقه من الكواكب وهو القمر وكأنه يحلف ويقسم بنفسه حيث هو سبحانه الخالق والمبدع {وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ} والليل إذا ذهب وأدبر وولّى {وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ} والصبح إذا طلع وظهر نوره وضياؤه {إِنِّهَا لِأَحَدَى الْأَكْبَرِ} إن جهنم وجحيمها والملائكة التي عليها وعددهم لإحدى المعجزات الكبار {نَذِيرًا} تحذيراً وعظة {لِلْبَشَرِ} للخلق وللناس {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ} لمن أراد منكم أيها الناس {أَنْ يَتَقَدَّمَ} أن يتقدم ويؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعمل صالحاً {أَوْ يَتَأَخَّرَ} أو يذهب ويتأخر ويرجع عن الطاعة والعبادة ومرضاة الله إلى الكفر والشرك والمعاصي والعناد والكبر والغرور.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٣٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٣٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٣٨﴾﴾

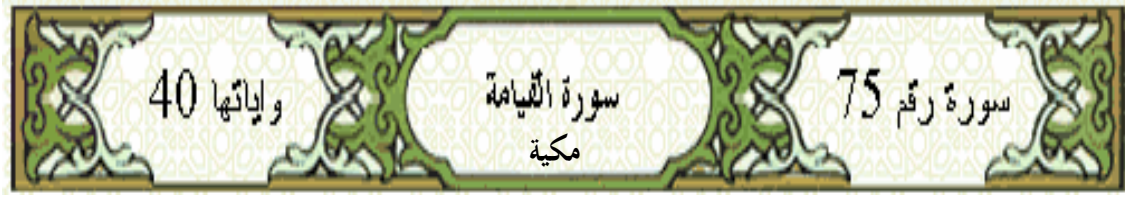
{كُلُّ نَفْسٍ} كل شخص وكل فرد وكل واحد {بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} هي رهينة عملها إن كان خيراً فله الجنة وإن كان شراً فجزاؤه النار وكما يقال: كل شاة معلقة من عرقوبها {إِلَّا} ما عدا {أَصْحَابَ الْيَمِينِ} وهم المؤمنون الذين يأخذون كتبهم يوم القيامة بيمينهم والكفار بشمالهم ويسراهم ومن السنة الأكل باليمين والأخذ والعطاء باليمين واليسرى لقضاء الحاجة {فِي جَنَّاتٍ} في الجنات الثمانية كل حسب عمله وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة

النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار {يَتَسَاءَلُونَ} يسألون {عَنِ الْمُجْرِمِينَ} عن الكفار فهم أجرموا وأذنبوا في حق الله تعالى بالكفر والشرك والمعاصي وفي حق الناس بأكل أموالهم بالباطل {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} ما أدخلكم نار جهنم وفي سقر وهي الباب الثالث والطابق الثالث وفيها الصابئون فلجهنم سبعة أبواب كما قال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {٤٤} " ٤٣، ٤٤ الحجر. وهذه الأبواب هي: (١) الباب الأسفل (الهاوية) فيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون (٢) الباب الثاني (الجحيم) وفيه المشركون (٣) الباب الثالث (سقر) وفيه الصابئون (٤) الباب الرابع (لظى) فيه إبليس ومن تبعه والمجوس (٥) الباب الخامس (الحطمة) فيه اليهود (٦) الباب السادس (السعين) فيه النصارى (٧) الباب السابع فيه أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم {قَالُوا} أجاب المجرمون قائلين {لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} أي لم يصلوا فرضهم {وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ} أي لم يدفعوا زكاة أموالهم ولم يُطعموا المسكين والفقير والجائع وذلك بدفع زكاة وصدقات أموالهم {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} وكانوا في الدنيا يخوضوا ويتدخلوا في الحديث عن تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والغيبة والنميمة والإفساد بين الناس {وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيَّوْمِ الدِّينِ} وكانوا كفاراً يكذبون بيوم القيامة وبالحساب والجزاء والعقاب والثواب {حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ} حتى جاءهم يوم القيامة يقيناً وعياناً وحقيقة وصدقاً وعدلاً {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} فلا تنفعهم يوم القيامة شفاعاة الشفعاء من الرسل لكفرهم وعصيانهم ولأنهم لم يقدموا حسنة واحدة لهم حتى يُشفع لهم بها عند الله تعالى جلا وعلا.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ٤٦ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ٥٠ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ٥١ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ﴾ ٥٢ ﴿كَلاَّ ۚ بَلْ لَا تَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ٥٣ ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ ٥٤ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ٥٥ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ٥٦ ﴿

{فَمَا لَهُمْ} فما للكفار {عَنِ التَّذْكَرَةِ} عن النصيحة والوعظ والإرشاد {مُعْرِضِينَ} لا يقبلون بها ولا يأخذون بها {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ} كأنهم حمر وحشية {مُسْتَنْفِرَةٌ} شاردة وهاربة وفارة ومفرعة رعباً وخوفاً {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} هربت من أسد صار هجم عليها ليفترسها وهكذا الكفار هربوا من النصيحة {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ} بل يريد كل شخص وكل فرد وكل واحد من الكفار {أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ} صحفاً وكتباً وأوراقاً مطبوعة تنشر إليهم من عند الله تعالى يرونها ويقرؤونها حتى يؤمنوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: " أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " ٩٣ الإسراء. {كَلاَّ} لا {بَلْ لَا تَخَافُونَ الْآخِرَةَ} لا يخافون ولا يخشون من يوم القيامة أبداً {كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ} لا بل هذا تذكرة وعظة ونصح وإرشاد لهم عن يوم القيامة وعذابها {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ} فمن شاء ذكر الله تعالى وخافه واعتبر بذلك وآمن وعمل صالحاً {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} وما يتعظ هؤلاء إن أن يشاء الله وهو يوم القيامة أو يهديهم بهداه {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَهْلُ التَّقْوَىٰ} أهل أن يتقى ويُعبد {وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} وأهل لأن يغفر لمن تاب وندم وعمل صالحاً ثم

اهتدى. قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حمزة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ" وقال: (قال ربكم: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ ﴿٢﴾ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ
تُجْمَعَ عِظَامُهُ ۖ ﴿٤﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۖ ﴿٤﴾

{لَا أُقْسِمُ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين وهو في حد ذاته كأنه يقسم على قوله أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قولي هو الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ١٢٢ النساء. وكما قال تعالى: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " ٧٥، ٧٦ الواقعة. {بِیَوْمِ الْقِيَمَةِ} بيوم القيامة وبهولها وعذابها وحسابها وثوابها {وَلَا أُقْسِمُ} وكذلك لا أقسم ولا أحلف لأن قولي هو الصدق والحق ولا داعي لأن أقسم لكم {بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} النفس التي تلوم صاحبها على كل ذنب يرتكبه بعد ارتكابه له. والنفوس ثلاثة: النفس المطمئنة وهي نفس الصالحين لقوله تعالى: " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي " ٢٧-٣٠ الفجر. والثانية النفس اللوامة وهي نفس المسلمين والثالثة النفس الأمارة بالسوء وهي نفس العاصين كما قال تعالى: " إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي " ٥٣ يوسف. وقال محمد بن علي الباقر: موت القلب من شهوات النفس. [عوارف المعارف ص ٢١]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا " وقف ثم قال: (اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكها).

[عوارف المعارف ص ٤٥٢]. {أَحْسَبُ} أيظن ويعتقد ويفتكر {الْإِنْسَنُ} الإنسان من بني آدم وسمي بذلك لأنه ينسى وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً " ١١٥ طه. وكذلك لأنه يأنس بغيره {الَّذِينَ جُمِعَ عِظَامُهُمْ} أنا لا نستطيع جمع عظامه وإحياءه يوم القيامة كما قال تعالى: " وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ " ٤٧ الواقعة. {بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُمْ} بل قادرين على أن نعيد خلقه وخلق أطراف أصابعه وأنامله بعد موته بما بها من البصمات على خلقتها الأولى كما قال تعالى: " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ " ١٠٤ الأنبياء. وكما قال تعالى: " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩} " ٧٨، ٧٩ يس. وكما قال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " ١٩ العنكبوت. والبصمات هي الخطوط الحلمية التي توجد في أطراف أصابع يد الإنسان وتُعرف بهذه البصمات حالياً الجرائم ومن يرتكبها في الأدلة الجنائية وهي منحدرات أو دوائر أو مقوسات تكون في طرف الإصبع على شكل هرمي أو دوائر حلزونية مائلة إلى جهة اليمين أو اليسار أو في اتجاه عقارب الساعة أو مضادة لاتجاه عقارب الساعة ويجب عند أخذ البصمة للمتهم عند مضاهاتها ببصمة المجرم أو الفاعل الحقيقي المأخوذة من مكان الحادث أن لا يقل التتابع بينهما عن اثني عشرة نقطة فنية في البصمة حتى تكون المضاهاة مطابقة. وإن بصمة كل شخص تختلف عن الآخر كما تختلف الوجوه عند الناس. وقد تظهر البصمة في مكان الحادث بواسطة مسحوق الألومنيوم وهو يستخدم بجميع الألوان بفرشاة من وبر الجمل وهي أفضل نوع حتى لا تطمس البصمة ثم عند ظهورها على موضع ناعم الملمس كزجاج أو مقابض الأبواب وغيرها من الأشياء

الملساء الناعمة التي يلمسها المجرم بيده تستخرج بواسطة وضع قطعة السليلوز عليها ثم ترسل للتصوير لإعادة شكل البصمة إلى حالتها الطبيعية ثم تضاهى مع بصمة المتهمين أو مَنْ يُشك فيهم. وجدير بالذكر أنه كان يطبق النظام الفرنسي في مضاهاة البصمات في جمهورية مصر العربية حتى عام ١٩٧٧م ثم عمل بالنظام الألماني. وباكتشاف عالم البصمة تفسرت اليوم هذه الآية بكل وضوح وتبين لنا لماذا خص الله البنان بالذكر حيث حار المفسرون في السابق قبل اكتشاف أسرار البصمة لماذا خص القرآن بنان الإنسان بالذكر وقد اتضح لنا ذلك الآن باكتشاف أن أطراف البنان وأطراف الأصابع هي التي بها البصمات التي تختلف من شخص لآخر.

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ

﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْزُ ۖ

﴿٨﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٠﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ

﴿١١﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٣﴾ ۝

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ} يريد الشخص من بني آدم {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} ليمارس الفجور والكفر والعصيان أمام الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عناداً وتكذيباً له ولرسالته {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ} يسأل النبي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم متى تقوم القيامة ومتى أوانها منكرها لها {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ} إذا لمح البصر أو طرف أو أقل من ذلك أي تأتي فجأة {وَخَسَفَ الْقَمَرُ} أي ذهب نوره وتوارى {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} جمعهم الله تعالى مع بعضهم البعض ثم أذهبهم {يَقُولُ الْإِنْسَانُ} يقول ابن آدم وسمي بالإنسان لكثرة نسيانه وأنسه بغيره {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {أَيْنَ الْمَفْزُ} أين الهرب وأين الفرار {كَلَّا لَا وَزَرَ} لا لا منجاً ولا ملجأ يُفر

إليه من عذاب ذلك اليوم {إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} إلى الله تعالى يوم القيامة في المحشر المستقر والنهاية لا ملجأ إلا إليه {يُنَبِّئُوا الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ} يُخبر ويُعلم الإنسان يوم القيامة ويُعرّف {بِمَا قَدَّم} من حسنات وطاعات وأعمال بر وخير {وَأُخَر} من شر وكفر ومعاصي {بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ} ولكن الإنسان على أعماله وأفعال نفسه وشخصه {بَصِيرَةٌ} عالم ومطلع ويعرف كل عمل عمله إن كان خيراً أو شراً {وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ} ولو قدم الإنسان أعذاره وحججه وبراهينه وإثباتاته وأسبابه.

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} يا محمد يا رسول الله عندما ينزل عليك الوحي جبريل عليه السلام لا تحرك لسانك بالقرآن بكل كلمة يلفظها جبريل عليه السلام لتتعجل حفظ ما يُتلى عليك ويُقرأ عليك وينزل عليك لأنه بهذا يكون الحفظ والفهم شاقاً عليه أما إذا سمع الآية كلها مرة واحدة وهو يصغي لها يسهل عليه حينها قراءتها وحفظها وفهمها واستيعابها {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} على الله تعالى أن يحفظه لك فلا تنساه أي يجمعه لك حفظاً وقراءة بدون نسيان وكما قال تعالى: " سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى " ٦ الأعلى. {فَإِذَا قَرَأْتَهُ} إذا تلوناه عليك وتلاه جبريل عليه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وتمت قراءته بالكامل {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} أي ابدأ اقرأه من جديد كله كما قرأه عليك جبريل عليه السلام وكما

أنزله عليك وكما حفظك إياه {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} ثم بعد ذلك وبعد حفظه فإن علينا توضيح معانيه وتفهييمه وتفسيره وتوضيحه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

{كَلَّا} لا {بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} بل ولكن وتحبون الدنيا ونعيمها وملذاتها وشهواتها {وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ} وتتركون الآخرة ولا تلتفتون لأعمالها من العبادة والطاعة لله تعالى ومن أعمال البر والخير والصدقات والجهاد والصوم والذكر والصلاة وما يقرب إليها من قول أو عمل {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ} وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناضرة مشرقة مبتهجة مسرورة فرحانة وذلك لما قدمت في الدنيا من عبادة وطاعة لله تعالى مثل من يذاكر دروسه جيداً من الطلبة فيوم النتيجة يكون فرحاناً مسروراً لأنه يعلم بأنه ناجح وهكذا يوم القيامة من قدّم الطاعة والعبادة لله تعالى يفرح لأنه الجنة مصيره {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} ينظر المؤمنون إلى وجه الله الكريم ويرونه عياناً وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٠]. وفي صحيح مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة) قال: (يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟) قال: (فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة) ثم تلا هذه الآية: " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ " [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٠].

﴿وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

{وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ} وجوه الكفار يوم القيامة تكون بأسرة وقاطبة وعابسة وكالحة ومعتمة ومظلمة {تَظُنُّ} تعتقد وتعلم وتتأكد {أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} مصيبة وعذاب وحرق في نار جهنم وأنها هالكة بالعذاب لا محالة.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٦﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٧﴾ وَالَّتِفْتُ السَّاقُ

بِالسَّاقِ ﴿٢٨﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٩﴾﴾

{كَلَّا} لا {إِذَا بَلَغَتِ} حتى إذا وصلت روح الكافر {التَّرَاقِيَ} وهي عظم الترقوة وهي عظمتان أعلى الصدر وهما الفاصل بين العنق والصدر وهي منطقة الحشرجة أو الغرغرة أو الحلقوم أي وصلت الروح آخر نفس أو آخر لحظة وقاربت على الخروج وهي النزاع الأخير أو سكرات الموت {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} وطلب له الرقاة ومن يرقيه حتى يشفى {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} واعتقد وأيقن وتأكد أنه الفراق للأحبة والأهل والخلان ولماله ولسلطانه وجاهه وأنه الموت قد حضر مفرق الجماعات وهادم اللذات {وَالَّتِفْتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ} أي مات ووضعت ساقاه على بعضهما ليُلف في الكفن ويوضع في كفنه ميتاً {إِلَىٰ رَبِّكَ} ثم يأتي ويحضر عند ربك يا محمد يا رسول الله {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {الْمَسَاقُ} المحشر وهناك الحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب.

﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۚ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۚ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّى ۚ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنَىٰ ۚ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۚ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ ۚ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ تَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ ﴾

{فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} فلم يصدق وكذب ولم يصل فرائضه ولم يؤدّها تكذيباً وكفراً {وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} ولكنه كذب بذلك وتولى وأعرض عن الإيمان وعن الإسلام وذهب وانصرف وأعرض وعصى وكفر {ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّى} ثم بعد ذلك رجع إلى أهله يتبختر ويتمطى ويتبجح بغروره وكبره وصلفه وعصيانه وكفره {أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَى} أولى وأجدر بك أن تعبد الله تعالى وهو الأولى والأجدر بك فعله ثم بعدها تأخذ نصيبك من الدنيا كما قيل لقارون في قوله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " ٧٧ القصص. ولكن أبا جهل لما سمع بهذه الآية قال أتتوعدني يا محمد؟ كما روى ابن أبي حاتم قال: وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحاق حدثنا سعيد عن قتادة قوله: "أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَى" وعيد على أثر وعيد كما تزعمون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال: "أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَى" فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً وإنني لأعزّ من مشى بين جبليها. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٢]. {أَتَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} هل يحسب الإنسان ويظن ويعتقد ويفتكر أنه لن يحاسب على أعماله يوم القيامة وأنه يذهب سدى ويموت

ويندثر ويصبح هباءً منثوراً ولا شيء يذكر وكأنه لم يكن لا بل سيحاسب على كل عمل عمله يوم القيامة {أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً} ألم ينظر الإنسان وابن آدم لبداية خلقه وأنه لم يكن شيئاً وكان هباءً منثوراً ثم أصبح نطفة وشهوة من مني كثير يُقذف ويتدفق في كل مرة ولكنه في مرة من المرات إذا أراد الله تعالى خلقه وإخراجه للوجود يأخذ من بين ملايين الحيوانات المنوية حيواناً منوياً واحداً فقط ويقول له كن علقة أي تحول إلى العلقة في رحم أمك {فَخَلَقَ فَسَوَّى} فخلق الله تعالى بقدرته وإرادته ومشيتته الشخص فسواه بشراً سوياً سليم الأعضاء والجسم إما ذكراً أو أنثى على حسب تقديره وقدرته وإرادته ومشيتته {فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} فجعله أحد الزوجين إما ذكراً أو أنثى وكلاهما يكمل الآخر ليخلق منهما آخر جديد بقدرته {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن مَّحْيِيَ الْمَوْتَى} أليس الله تعالى بعد خلقه لكم من العدم ثم من النطفة أي يعيدكم من جديد كما خلقكم من قبل أوليس ذلك الخالق الذي خلقكم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بقادر على أن يعيدكم ثانياً من جديد أحياء وأن يحيي الموتى أمثالكم بلى قادر وكما قال تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩}" ٧٩، ٧٨ يس. وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟" فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ: "لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" فانتهى إلى قوله: "أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ

الْمَوْتَى؟" فليقل بلى ومن قرأ: "وَالْمُرْسَلَات" فبلغ: "فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟"
فليقل آمنا بالله). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٢].

وإياتها 31

سورة الإنسان
مدنية

سورة رقم 76

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَأِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا ۝٤﴾

{ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ } سؤال تقريرى وهو استفهام يُعلم جوابه بالإيجاب أي هل حصل وأن أتى وقت من الزمان ومدة من الوقت والزمن على الإنسان وهو ابن آدم وسمي بالإنسان لكثرة نسيانه كما قال تعالى: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" ١١٥ طه. { لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا } لم يكن مخلوقاً بعد وقبل خلقه لم يكن فعلاً شيئاً وكان هباءً في عماء ثم يوم القيامة يعيده الله تعالى إلى الحياة حياً للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب { إِنَّا } الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ } أي خلق الله تعالى الإنسان من بني آدم { مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } من شهوة ومني الرجل وشهوة ومني المرأة فيلقح الحيوان المنوي للرجل بويضة المرأة فتحمل بإذن الله تعالى ويكون طفلاً { نَّبْتَلِيهِ } نختبره ونمتحنه بالفتن والبلاء والمصائب في الدنيا { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } فخلق الله تعالى وجعله يسمع ويرى { إِنَّا هَدَيْنَاهُ } الله تعالى هداه بعقله { السَّبِيلَ } الطريق في الدنيا فيكون { إِمَّا شَاكِرًا } أي مؤمناً عابداً لله تعالى طائعاً له ولأوامره ونواهيه ويعمل الصالحات

وأعمال البر والخير والصدقات {وَأَمَّا كَفُورًا} وإما عاصياً كافراً مشركاً لا يعمل إلا الشر والمعاصي {إِنَّا أَعْتَدْنَا} الله تعالى أعدّ وحضر وجهز {لِلْكَافِرِينَ} للكفار وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً وحساباً وعذاباً ونشوراً {سَلْسِلًا} سلاسل يُربط بها المجرمون {وَأَغْلَلَ} وقيوداً يُصَفد بها الناس والشياطين {وَسَعِيرًا} ونار جهنم الموقدة المتوهجة شديدة الإحراق والألم والوجع والقساوة كما قال تعالى: "إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ" ٧٢، ٧١ غافر.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٥٧﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

{إِنَّ الْأَبْرَارَ} وهم الصالحون والأولياء والأتقياء لأنهم أحسنوا عملهم وأصلحوه في رضا الله تعالى {يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ} يشرب الأولياء والأبرار والصالحون والمتقون من كؤوس من ماء عذب زلال {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} أي مخلوطة بكافور حتى يعطرها ويجعل طعمها ورائحتها زكية وحلوة المذاق والطعم والشرب وذلك في الجنة يوم القيامة {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} عيناً في الجنة يشرب منها عباد الله تعالى المؤمنون {يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} يخرجونها تتدفق تدفقاً بغزارة لكثرتها {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} يخرجون ما نذروا لله تعالى ويوفون بكل ما نذروه لله تعالى وكما قال تعالى: "وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ" ٢٩ الحج. وقال صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه). [رواه البخاري - مراقي الفلاح في

الفقه الحنفي ص ٢٧٤]. وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلاً ببوانة [موضع بالشام وقيل أسفل مكة دون يلملم] فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: (هل كان فيها وثن يعبد؟) قال لا قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) فقال لا فقال: (أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله تعالى ولا في قطيعة رحم ولا فيما لا يملك ابن آدم). [رواه أبو داود والطبراني - سبل السلام ج ٤ ص ١١٢]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استفتى سعد بن عبادَةَ النبي صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه توفيت قبل أن تقضيه فقال: (اقضه عنها). [متفق عليه - سبل السلام ص ١١٣]. ولأبي داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (من نذر نذراً ولم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين). [وإسناده صحيح - سبل السلام ج ٤ ص ١١٢]. وعن عقبة بن عامر قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية فأمرتني أن أستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتمش ولتركب). متفق عليه واللفظ لمسلم. ولأحمد والأربعة: فقال: (إن الله تعالى لا يصنع بشقاء أختك شيئاً مَرَّها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام). [سبل السلام ج ٤ ص ١١٣]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال: (إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١١٠]. {وَيَخَافُونَ يَوْمًا} لأنهم يخافون يوم القيامة وعذابه {كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} أي شره منتشر وواقع على الجميع حتى أنه في هذا اليوم يجثو الأنبياء على ركبهم ويبكي النبيون في هذا اليوم وشدته وقيل أن طول هذا اليوم أربعون سنة مما تعدون يقف الجميع بدون حساب منهم من يلجمه العرق

إلى كعبيه ومنهم من يلجمه إلى ركبتيه ومنهم إلى عجزته ومنهم من يغطي فمه ويتنفس بأنفه من العرق وشدة الهول والشمس لا تبعد عن رؤوسهم مقدار شبر أو ذراع وهم ينتظرون الحساب.

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

{ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ } يطعمون طعامهم وأكلهم وهم محتاجون إليه وفي أمس الحاجة إليه { مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } وهذه الآية نزلت في علي ابن أبي طالب وأهله فقد حصل لعلي بن أبي طالب ولأهله جوع فأخذ من يهودي صوفاً لتغزله فاطمة رضي الله عنها بثلاثة آصع من شعير فغزلت أول يوم شيئاً وطحنت صاعاً وخبزته فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطعموني شيئاً لله فدفعوا إليه الأقراص وفي اليوم الثاني جاءهم يتيم وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا يتيم من أيتام أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطعموني شيئاً لله فدفعوا إليه الأقراص وفي اليوم الثالث جاءهم أسير وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا أسير من أسرى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطعموني شيئاً لله فدفعوا له الأقراص وباتوا على الماء فجاع الحسن والحسين رضي الله عنهما جوعاً شديداً فخرج علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فطاف على نسائه فلم يجد شيئاً ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه يشتكي الجوع فقبل يا رسول إن المقداد ابن الأسود عنده تمر فخرجوا إليه فلم يجدوا شيئاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لعلي رضي الله عنه خذ هذه السلة واذهب إلى تلك النخلة وقل لها إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول لك أطعمينا من تمرك فرمت عليهم رطباً بإذن الله تعالى فأكلوا حتى شبعوا وأرسلوا إلى فاطمة وولديها ما يشبعهم فأنزل الله تعالى في حق علي: "وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا". [نزهة المجالس ج ١ ص ١٧٥]. أي يطعمون طعامهم وأكلهم لمن طلب وهم محتاجون له يطعمون المسكين واليتيم والأسير {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} إنما نطعمكم لوجه الله تعالى ومرضاته {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً} ولا نطلب منكم جزاء ولا مكافأة بدلاً منه {وَلَا شُكُورًا} ولا نطلب منكم على ذلك {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا} إنا نخاف من ربنا ومن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَوْمًا} أي يوم القيامة {عَبُوسًا} شديداً مظلماً {قَمَطِرِيرًا} صعباً وشديداً وقاسياً ومرعباً ومخيفاً وعصبياً {فَوَقَلْنَهُمْ} فحفظهم وحماهم وسترهم {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {شَرٌّ} شر وخطر ومصيبة وهم ورعب وهول {ذَلِكَ الْيَوْمِ} وهو يوم القيامة {وَلَقَلْنَهُمْ} وأعطاهم {نَضْرَةً وَسُرُورًا} بهجة وفرحاً وسروراً وأماناً في ذلك اليوم وهو يوم القيامة {وَجَزْنَهُمْ} وكافأهم وأعطاهم {بِمَا صَبَرُوا} على صبرهم عن المعاصي وعلى الطاعات. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٤]. {جَنَّةٌ وَحَرِيرًا} أي أدخلهم الجنة يوم القيامة وكساهم فيها حريراً من حرير الجنة مكافأة لهم على طاعتهم له.

﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآبِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ۖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۖ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۖ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۖ﴾

{مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآبِكِ} متكئين ومستندين على السُّرر [مفردها سرير] وذلك في الجنة يوم القيامة والاتكاء يكون دائماً فيه راحة بعكس الجلوس {لَا يَرَوْنَ فِيهَا} أي لا يشاهدون في الجنة {شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا} أي لا توجد شمس في الجنة ولا برد قارس وشديد. وهذه الآية تثبت أنه لا شمس في الجنة إطلاقاً وتثبت بأن آدم عليه السلام دخل الجنة الحقيقية وليس ربوة على الأرض كما يظن البعض لقوله تعالى تأكيداً على عدم وجود الشمس في الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى" ١١٨، ١١٩ طه. فقوله تعالى "وَلَا تَضْحَى" أي لا توجد فيها شمس تحرقك بحرهما في الضحى أي هي الجنة الحقيقية وليست ربوة على الأرض لأن الأرض عليها شمس وهذا يخالف هذه الآية والواقع وقال صلى الله عليه وسلم: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة). [أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح - سبل السلام ج ١ ص ٤٥]. {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا} وتغطيهم بالظلال الأشجار القريبة منهم {وَذُلَّتْ} أي ذلت وسويت ومهدت وقربت {قُطُوفُهَا} أي ثمارها {تَذْلِيلًا} أي حتى أنه لا يوجد فيها شوك ولا تعب في تناولها فإذا أرادها الله تعالى جاءه القطف إلى عنده. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان

حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يملئه يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١]. {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ} يأتيهم خدمهم وهم أطفال أهل الجنة {بِعَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ} أي أوان وصحون مصنوعة من فضة {وَأَكْوَابٍ} والكوب هو الكأس الفارغ وإذا امتلأ سمي كأساً أي وهي فارغة تسمى أكواباً وهي مألانة تسمى كؤوساً {كَانَتْ قَوَارِيرًا} كأنها زجاج يلمع يرى باطنها من ظاهرها {قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ} ولكن هذه الأكواب لم تُصنع من الزجاج بل من فضة تلمع رقيقة وشفافة وجميلة ولامعة {قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} أي الشراب الذي يوضع بها على قدر الحاجة لا زيادة ولا نقصان لا قاذورات في الجنة ولا يكب باقيها على أرض الجنة إذا زادت ولا تنفعه مرة ثانية إذا زادت كذلك لأن الماء الوفير كثير والشراب أكثر ولا حاجة للزيادة ولا النقصان {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} أي عندما يُسقى أهل الجنة سواء من الماء أو الشراب فإنه يكون ممزوجاً ومخلوطاً بالزنجبيل حتى يُعطى حلاوة ونكهة جميلة {عَيْنًا فِيهَا} عيناً في الجنة أي عين ماء {تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} تسمى عين الماء هذه سلسبيلاً لأنها تسقيهم ماءً عذباً فراتاً سائغاً للشاربين.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ} ويمر على أولياء الله تعالى وعلى المؤمنين {وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ} أطفال مخلدون ودائمون وهم أطفال المشركين فيخدمونهم ويكونوا خدماً لأهل الجنة من المؤمنين. قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال: (هم خدم أهل الجنة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٠]. ويطوف للخدمة هؤلاء الأطفال لأسباب منها: (١) أنهم أطفال كفار ولأنهم لم يذنبوا بعد فجعلوا لخدمة المؤمنين في الجنة (٢) جعل الخدم أطفالاً كذلك حتى لا يؤذى ولي الله ولا يشك في زوجته أنها تحب أو تعشق أحداً من خدم لأنهم أطفال والطفل لا يصلح لذلك (٣) لأن الأطفال أقرب للخدمة فلو كانوا كباراً لكان هناك إحراج في الإكثار مما يُطلب منهم مراعاة لكبر سنهم أما الأطفال والصغار فلا حرج عندما يطلب منهم استمرار الخدمة (٤) منظر الأطفال جميل وهم يتنقلون للخدمة مثل الطيور أو العصافير وهم يتنقلون في جمالهم وحركتهم {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا} إذا رأيت وشاهدت وعينت هؤلاء الأطفال يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن حسبتهم وظننتهم واعتقدت بأنهم لؤلؤ منثور لكثرتهم في كل مكان ولجمالهم وبياضهم وحلاوة وجوههم ومنظرهم وملبسهم {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ} وإذا رأيت وشاهدت وعينت ما هناك في الجنة {رَأَيْتَ} شاهدت

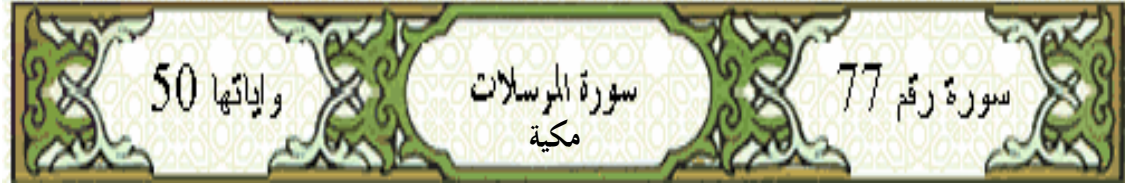
{نَعِيمًا وَمُلْكًا} نعيمًا وخيرًا وترفاً وملكاً من الأشجار والثمار والقصور والحدود العين ومن الخدم {كَبِيرًا} كثيراً وكبيراً وواسعاً. قال الإمام أحمد: وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٠]. {عَلَيْهِمْ} على أهل الجنة {ثِيَابٌ سُندُسٌ} ملابس من حرير خالص رقيق ناعم {خُضْرٌ} لونها أخضر وهو لباس أهل الجنة {وَإِسْتَبْرَقٌ} وهو الديباج ذو البريق واللمعان وهو غليظ الحرير وسميكة {وَحُلُوءٌ أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ} وألبسوا أساور مصنوعة من الفضة تلمع بياضاً {وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ} وأسقاهم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه في الجنة {شَرَابًا طَهُورًا} أي ماء صافياً طاهراً في ذاته وطهوراً لغيره أي ماء صافياً عذباً نقياً فراتاً {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً} إن هذا النعيم والشراب في الجنة كان لكم عطاءً وثواباً على أعمالكم في الدنيا {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا} وكان سعيكم وعملكم في الدنيا مشكوراً صالحاً غير مذموم ولا سيئ.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۚ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۚ إِنَّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۚ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۚ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ ﴾

{إِنَّا نَحْنُ} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} نَزَلَ اللهُ تعالى القرآن على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مُنْزَلًا وَمُنْجَمًا حسب الوقائع والأحداث نَزَلَهُ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل من السماء الدنيا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مُنْجَمًا حسب الأحداث والوقائع بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} فاصبر يا محمد يا رسول الله لأمر ربك واصبر وجالد وقاوم وتحمل الأذى والمشقة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ} ولا تطع أحداً من الكفار {ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا} مذنباً وعاصياً أو كافراً {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ} أي اذكر الله تعالى كثيراً {بُكْرَةً} صباحاً {وَأَصِيلًا} عصرًا وهو وقت الأصيل أي اذكره صباحاً ومساءً {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ} وفي الليل صل صلاة قيام الليل وصلاة التهجد {وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} وسبحه طول الليل إذا كنت مستيقظاً {إِنَّ هَؤُلَاءِ} هؤلاء الكفار {تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} يحبون الدنيا وزخرفها وملذاتها ونعيمها وشهواتها ولسان حالهم يقول كما يقول

القاتل "عشيني اليوم واذبحني بكرة [غداً]" {وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ} يتركون خلف ظهورهم {يَوْمًا ثَقِيلًا} يوم القيامة وهو يوم صعب وشاق وقاس ومتعب وشديد ومزعج ومرعب ومهول {تَحْنُ خَلْقَنَّهُمْ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه خلق الكفار {وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} وقوَاهم وقوى عزمهم وبأسهم وبطشهم وساعدهم وآزرهم وساندهم {وَإِذَا شِئْنَا} وإذا أراد الله تعالى {بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا} بدلناهم بغيرهم بمن هم أحسن وأفضل منهم وأتقى وأعبد لله تعالى وأطوع له {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} هذه عظة ونصح وإرشاد لهم {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} فمن شاء وأراد النجاة اتخذ إلى طريق الله تعالى وعبادته سبيل النجاة وهو العبادة المخلصة لله تعالى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} وما تفعلون إلا بإرادة الله تعالى لأنه لو أراد لغصبهم وأجبرهم على الطاعة ولكنه خيّرهم كما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} إن الله تعالى كان ولا يزال عالماً بخلقه يعلم طبيعتهم وتكوينهم {حَكِيمًا} في شرعه وأحكامه وأوامره ونواهيه وأفعاله وأقواله أي مدبر شئون كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة دون أخطاء {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ} من يشاء من خلقه الطاعة ويريدها فإن الله تعالى عندها يدخله {فِي رَحْمَتِهِ} في طاعته وكرمه ويرحمه من عذاب النار ويدخله الجنة عندها. وكذلك من يريد الله تعالى له الهداية يجعله مطيعاً له تعالى فيدخله في رحمته ورحمته هي إدخاله الجنة وإبعاده عن النار {وَالظَّالِمِينَ} وهم الكفار والمشركون لقوله تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. ولقوله تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}

أعدّ وجهّز وحضّر لهم الله تعالى في نار جهنم عذاباً أليماً موجعاً قاسياً وشديداً
لكفرهم وعصيانهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشِثَرِثِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرِثَرِثِ فَرَقًا ﴿٤﴾﴾

﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عِذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَقْعٍ ﴿٧﴾﴾

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} والرياح المرسلات والمبعوثات إلى الأرض المعروفة {فَالْعَصْفَتِ

عَصْفًا} وهي الرياح والعواصف التي تهب بسرعة جنونية وتعصف وتقذف بكل

شيء في طريقها فتكسر الأشجار وتغرق السفن وهي كثيراً ما تهلك الزراعة وتؤدي

الحيوانات والناس عند هبوبها الشديد {وَالنَّشِثَرِثِثِ نَشْرًا} والرياح التي تنشر

السحاب والغمام في السماء حتى ينزل المطر إلى الأرض لري زراعتها ونشر رحمة

ربك على البلاد والعباد بالمطر والخصب وإنبات الزرع والثمار والعشب حتى ترعى

المواشي والأنعام {فَالْفَرِثَرِثِثِ فَرَقًا} وهي الملائكة التي تفرق هذه الرياح المحملة

بهذه السحب والأمطار وتوزعها على الأرض الميتة كيفما أمر الله تعالى محدثةً فرقاً

كبيراً بين القحط والجذب وموت الأرض وموت الأشجار والزراعة والمواشي لقلة

الأمطار قبل مجيء هذه الرياح وبين ما تحدثه هذه الرياح بعد هبوبها ناشرة

السحب المحملة بالأمطار ونزولها على الأرض والعباد فينتشر الخصب وتنمو

الزراعة وتثمر الأشجار وتكثر الفواكه والخضار والحبوب والزرع للناس والأعشاب

للمواشي وتدب الحياة من جديد كما قال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى

الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ " ٢٧

السجدة. ولما سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد

قال: (مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: (صوته). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٦]. {فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا} وهم الملائكة الكرام الذين ينزلون بالوحي وبالقرآن ومنهم جبريل وإسرافيل عليهم السلام على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أن إسرافيل عليه السلام نزل عليه ثلاث سنين بكلمة الوحي ثم وكل به جبريل. [نزهة المجالس ص ٤٢٣]. وعن ابن عباس رضي الله عنه: نزل إسرافيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم الله ووزن ما علم الله ومثل ما في علم الله فمن قالها مرة واحدة كتب الله له ست خصال من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل ممن ذكر الله بالليل والنهار وكن له غراساً في الجنة وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر ونظر الله إليه ولم يعذبه بالنار. [نزهة المجالس ص ٥٩]. {عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} أي مبشرين ومنذرين يبشرون من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بأن له الجنة وينذرون من عصى وكفر أن له النار نار جهنم خالدين فيها {إِنَّمَا تُوعَدُونَ} وإن ما توعدون به وهو يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء وعقاب وعذاب وثواب وما فيه من جنة يدخلها المتقون والعابدون والمتقون والمؤمنون وما فيه من نار يدخلها الكفار والعصاة والمذنبون {لَوْ قَعُ} هو واقع لا محالة وكما قال تعالى: "وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ" ٧ الحج.

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ ﴿١١﴾ لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ
﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿١٥﴾

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ} تلاشت وذهبت وخفيت وذلك يوم القيامة {وَإِذَا السَّمَاءُ
فُرِجَتْ} شُقَّتْ وفتحت أبواباً وقُطعت كما قال تعالى: " إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ " ١
الإنشقاق. وكما قال تعالى: " وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا " ١٩ النبأ. {وَإِذَا
الْجِبَالُ نُسِفَتْ} أي ذهبت وزالت وأصبحت تراباً {وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ} أُجِّلَتْ
وَوُقِّتَتْ بوقت لكل نبي ورسول وقت وميعاد محدد وزمان محدد يخرج فيه لتبليغ
الرسالة وعندما ينتهي وقته وزمانه يأتي من هو بعده حتى كان أولهم آدم عليه
السلام وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم سيد العرب والعجم {لَأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ} إلى أي يوم أُجِّلَتْ الرسل؟ والجواب: {لِيَوْمِ الْفَصْلِ} أُجِّلَتْ الرسل ليوم
الفصل وهو يوم القيامة يوم يفصل الله تعالى بين الناس بالحق ويدخل المؤمنين
الجنة والكفار النار {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} وما أدراك وما أعلمك يا محمد يا
رسول الله عن يوم الفصل وعن يوم القيامة وما هو وما شأنه؟ {وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ} ويل وهلاك وعذاب للمكذبين به والمنكرين بهذا اليوم وهو يوم القيامة
يوم الفصل بين الحق والباطل وهو الجد ليس بالهزل.

﴿ أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾
 إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ
 نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ
 وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

{ أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ } أليس قد أهلك الله الأمم السابقة والأمم الماضية من السابقين
 لنا وأماتهم { ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ } ثم نُلحق بهم { الْآخِرِينَ } الأمم اللاحقة والمتأخرة
 نميتهم جميعاً مثلهم { كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } وهكذا يهلك الله تعالى ويميت
 المجرمين والمذنبين والعاصين والكفار { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ } عذاب وهلاك يوم القيامة في
 نار جهنم { لِلْمُكَذِّبِينَ } للمنكرين بيوم الدين ويوم البعث ويوم القيامة للحساب
 والجزاء والعقاب والعذاب والثواب { أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ } أليس خلقناكم يا بني آدم { مِنْ
 مَّاءٍ مَّهِينٍ } من ماء حقير مقزز وهو شهوة الرجل وشهوة المرأة ومني الرجل ومني
 المرأة { فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ } فجعلنا الجنين يتكون في داخل رحم المرأة وهو
 مكان أمين محفوظ من المؤثرات الخارجية { إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ } إلى مدة معلومة وهي
 غالباً تسعة أشهر وهو في بطن أمه ثم يولد { فَقَدَرْنَا } فقدر الله تعالى بقدرته على
 خلق بني آدم من مني الرجل ومني المرأة إذا التقيا في الفرج ويتكون الجنين داخل
 الرحم بقدرة الله تعالى { فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ } فخير القادرين هو الله تعالى جل جلاله
 وعظم قدره وعلا شأنه ولا أحد يستطيع ذلك. أمّا أنهم يأخذون الحيوان المنوي
 للرجل ويلقحون به البويضة في أنبوب فيما يُعرف بأطفال الأنابيب فهم لم يخلقوا

الحيوان المنوي الخاص بالرجل ولم يخلقوا كذلك البويضة بل فرّخوها داخل أنبوب كمن يأخذ بيض الدجاج ويضعه في آلة التفريخ فيفقس البيض ويخرج صغار الدجاج وهذا ليس بشيء حيث الإنسان لم يخلق ببضة الدجاجة بل وضعها فقط في الآلة وهي فقست وهكذا أطفال الأنابيب أمّا الله تعالى فهو الخالق والموجد للحيوان المنوي للرجل والبويضة للمرأة فهو أحسن وخير الخالقين والقادرين {وَيْلٌ} عذاب وهلاك {يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين ليوم القيامة والمعاندين {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ} أوليس الله تعالى جعل الأرض {كِفَاءً} تختلط فيها وتتتابع الأجيال جيلاً بعد جيل {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} أي يخلق قوماً ويميت آخرين فالأرض ملآنة بخليط من الأجيال الأحياء والأموات يتعاقبون بعضهم خلف بعض. جيل يحيى وجيل يموت والأرض تسعهم جميعاً {وَجَعَلْنَا فِيهَا} وجعل الله تعالى في الأرض {رَوَاسِيَ شَمِخَاتٍ} جبال عاليات شامخات ومرتفعات لتثبت الأرض {وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا} وأسقاكم الله تعالى ماءً فراتاً عذباً سائغاً صافياً لذيذاً من ماء الأمطار والعيون والأنهار والآبار وحتى من ماء البحر بعد تحليته وهذا فضل من الله تعالى ورحمته وكرمه علينا {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ} عذاب وهلاك يوم القيامة في نار جهنم {لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين بيوم القيامة وبالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الآخر.

﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلَتْ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ط جَمَعْتُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

{ أَنْطَلِقُوا } اذهبوا مسرعين { إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ } إلى نار جهنم لتعذبوا فيها وهي ما كذبتُم بها في الدنيا وقلتم لن نُبعث أبداً { أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ } اذهبوا إلى نار جهنم ذات الثلاث شعب من النار وهذه الثلاث شعب ليس لها ظل يحميكم ولا تغني عنكم من حر نار جهنم شيئاً وهي كالسراب الذي يظنه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وهذا تهكم من الله تعالى على الكفار وهذا عذاب لهم على شركهم وكفرهم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم { إِنَّهَا } نار جهنم { تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ } يتطاير شرر نار جهنم كالقصر في كبر الشرارة وضخامتها فكيف بنار جهنم ذاتها { كَأَنَّهُ } أي شرر نار جهنم { جُمُلَتْ صُفْرٌ } مثل الإبل الدهماء الصفراء لشدة لهيب الشرر المتطاير ويكون لون الشرر دائماً أصفر لا أسود أي يلمع ويبرق صفاره وشدته وكبره { وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ } عذاب وهلاك في نار جهنم يوم القيامة { لِلْمُكَذِّبِينَ } للمنكرين والجاحدين بيوم القيامة { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ } هذا يوم القيامة لا ينطق الكفار فيه بل يخرسون { وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } ولا يسمح لهم بالحديث ولا بالاعتذار لأن اليوم هذا وهو يوم القيامة للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب { وَيَلُّ } عذاب وهلاك

{يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِّلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين ولم يصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا باليوم الآخر {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} هذا اليوم هو يوم القيامة يوم يفصل الله فيه بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان {جَمَعْنَاهُ} وَأَلاَّوَلِينَ} أي يجمع الله تعالى فيه جميع الأمم الأولين والآخرين من آدم عليه السلام وأولاده إلى من بقي إلى يوم القيامة يجمعهم ويحشرهم جميعاً في المحشر في فلسطين فوق الصخرة المشرفة للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ} فإن كان لكم اعتراض {فَكِيدُونِ} فاعترضوا أو تخلصوا من هذا اليوم وهو يوم القيامة يعني لا ملجأ ولا منجأ إلا إليه فهو يفعل ما يشاء في يوم القيامة من عصى وكفر وأذنب له النار ومن أطلع وآمن واتقى له الجنة {وَيْلٌ} عذاب وهلاك {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِّلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين بيوم القيامة والمكذبين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٧﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

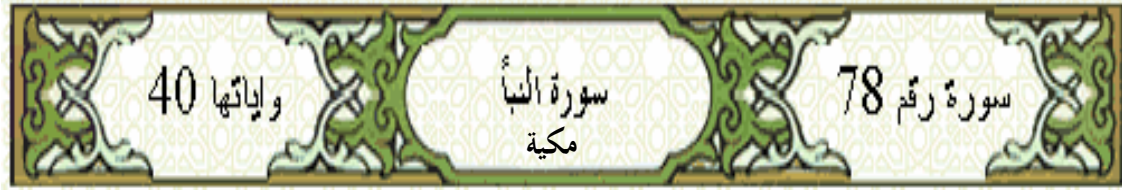
{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} إن الطائعين والعابدين والذين يخافون الله تعالى يوم القيامة يكونون {فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ} في ظل دائم لا شمس فيه ولا حر وعيون من الماء الطهور العذب الفرات السائغ للشرب {وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ} وفواكه شتى مما يشتهون ويطلبون ويرغبون ويحبون {كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا} كلوا واشربوا أيها المؤمنون وتمتعوا في الجنة هنيئاً مريئاً طيباً رغداً وحسناً وعافية ومباركاً وفيه هناء وسعادة وسرور {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما عملتم من الطاعات وعبادة الله وحده في الدنيا

{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} وهكذا يكافئ الله تعالى المحسنين أعمالهم وطاعتهم في مرضاة الله تعالى فهذا هو جزاؤهم الجنة ونعيمها وملذاتها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ٥٠﴾

{وَيْلٌ} عذاب وهلاك {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين بيوم القيامة {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا} كلوا أيها الكفار وتمتعوا في الدنيا قليلاً {إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ} لأنكم مجرمون مذنبون عاصون كافرون {وَيْلٌ} عذاب وهلاك في نار جهنم {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين بيوم القيامة {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} وإذا قال لهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو المؤمنون صلوا فرضكم لا يصلون ويرفضون ويجحدون ويكذبون {وَيْلٌ} عذاب وهلاك في نار جهنم {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة يوم الحسرة والندامة {لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين ليوم القيامة والمكذبين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولا يصلون ولا يزكون ولا يؤدون الطاعات والعبادات في الدنيا فمصيرهم إلى عذاب جهنم يوم القيامة {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} فبأي شيء وبأي قول بعد القرآن يؤمنون ويصدقون فإذا لم يصدقوا بالقرآن الكريم وآياته فلن يصدقوا بشيء آخر ولا بكتاب آخر أي أصروا على الكفر والعناد والشرك. قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال صلى الله عليه وسلم: (شيببني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١]. وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن محمد

الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: " أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟ " فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ: " لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ " فانتهى إلى قوله: " أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟ " فليقل بلى ومن قرأ: " وَالْمُرْسَلَات " فبلغ: " فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟ " فليقل آمنا بالله). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} عن ماذا يسألون {عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ} عن يوم القيامة {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} الذي يختلفون فيه بعضهم مصدق والآخر مكذب به {كَلَّا سَيَعْمُونَ} سوف يعلمون ذلك في حينه {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ} ثم بالتأكيد سوف يعلمون يوم القيامة أنه حق وصدق {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا} ألم نمهد الأرض لهم ونجعلها ممهدة للعيش والمسكن والطعام والشراب {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} والجبال جعلت لتثبيت الأرض وعدم اضطرابها وتحركها كما الوتد يمسك ويثبت الخيمة أو بيت الشعر فكذلك الجبال تثبت الأرض وتمنعها من الاضطراب والحركة {وَخَلَقْنَكُمْ أَزْوَاجًا} أي جعلناكم وخلقناكم وأنشأناكم زوجين الذكر والأنثى ليتم التكاثر وحفظ النوع {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} أي جعلنا نومكم عميقاً ثابتاً وهو كالموت ويسمى الموت الأصغر لأنه لا حركة فيه ولا إحساس ولا إدراك ولا يعلم ما يدور حوله وهو نائم {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} وجعل الله تعالى بقدرته وحكمته الليل للنوم لا عمل فيه بل

يمكن كل في بيته للراحة والاستجمام والنوم {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ مَعَاشًا} وجعل الله تعالى النهار للعمل والشغل والسعي وراء المعيشة لأهله وزوجته وأبنائه وإخوانه ومن يعول {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا} وجعل الله تعالى وخلق فوقنا السموات السبع الشداد التي سمك كل سماء منها خمسمائة عام وبعد ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وما بين الأرض والسماء خمسمائة عام كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣]. {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} وخلق الله تعالى الشمس فهي كالسراج تضيء على أهل الأرض تنور بنورها وحرارتها {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً} وأنزل الله تعالى من السحاب مطراً والمعصرات هي السحاب والغيوم كمن يعصر ضرع الشاة أو الناقة أو البقرة للحليب وضرعها ملآن لبناً أو كمن يعصر الفاكهة ويخرج منها العصير وهذا تشبيه عظيم من القرآن شبه السحاب بالمعصرات فينزل منها المطر ماءً زلالاً صافياً عذباً فراتاً لذيذاً {كُجَّاجًا} غزيراً متتابعاً {لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا} فيخرج الله تعالى بهذا المطر الحبوب من القمح والشعير والعدس والفلو والفاصوليا وسائر الحبوب ونباتات شتى وأنواعاً مختلفة لا حصر لها {وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} وبساتين وحدائق ومزارع وبيارات متشابكة الأشجار ومختلفة الأنواع.

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
 وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
 مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَكَابًا ﴿٢٢﴾ لِّلْبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا
 شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا
 ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ
 نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ} وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين العباد فالمؤمن يدخل الجنة معززا مكرما والكافر والمشرک يدخل النار ذليلا حقيرا {كَانَ مِيقَتًا} كان يوم القيامة هو الميقات والوقت المحدد للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} وهي النفخة الثالثة وهي للبعث ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور أو البوق أو القرن فيخرج الناس من قبورهم أحياء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن من نور) قلت يا رسول الله كيف هو؟ قال: (عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة للفرع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فيأمر الله تعالى إسرافيل في النفخة الأولى فينفخ فيه فيفرع من في السموات ومن في الأرض وهو قوله تعالى: " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " وتترززل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتصير الولدان شيباً وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع وهو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " فيمكثون ما شاء الله [وقيل أن بين النفخة والنفخة أربعين سنة] ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماء وأهل الأرض يعني يموت أهل السماء والأرض إلا من شاء الله وهو قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " والاستثناء يعني أرواح الشهداء وقيل يعني به جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت [عزرائيل] صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فيقول الله عز وجل لملك الموت من بقي من خلقي؟ وهو أعلم فيقول يا رب أنت حي لا تموت بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة عرشك وبقيت أنا فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم) وفي رواية محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (إن الله سبحانه وتعالى يقول ليمنت جبريل وميكائيل وإسرافيل وليمنت حملة العرش ثم يقول الله عز وجل: يا ملك الموت من بقي من خلقي؟ فيقول أنت الحي الذي لا تموت وبقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول يا ملك الموت ألم تسمع قلبي " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " وأنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت) وروى في خبر آخر: (أنه يأمره بأن يقبض روح نفسه فيجيء إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه بنفسه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء ماتوا من صيحته ويقول لو كنت علمت أن لنزع الروح مثل هذه الشدة والمرارة لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشد شفقة ثم

يموت فلا يبقى أحد من الخلق فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية أين الملوك أين أبناء الملوك أين الجبابرة وأين أبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري ويعبدون غيري؟ ثم يقول الله تعالى: " لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ " فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: لله الواحد القهار ثم يأمر الله تعالى السماء أن تمطر فتطر السماء كمني الرجال أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت ثم يقول الله تعالى ليحيى إسرافيل وحملة العرش فيحيون بأمر الله تعالى ويأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور ويضعه على فيه ثم يقول الله تعالى ليحيى جبرائيل وميكائيل فيحييان بأمر الله تعالى ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها فيجعلها في الصور ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة البعث [وهي النفخة الثالثة والأخيرة] فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم فتنشق الأرض عنهم) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق عنه الأرض). [تنبيه الغافلين ص ١٧، ١٨]. وكما قال تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " ٦٨ الزمر. وكما قال تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ " ٢٠ ق. {فَتَأْتُونَ} أي يأتون إلى المحشر في أرض فلسطين فوق الصخرة {أَفْوَاجًا} جماعات وكل بلد وأهلها في فوج وجماعة يتوجهون إلى المحشر. قال صلى الله عليه وسلم: (من مات من أصحابي بأرض قوم كان نورهم وقائدهم يوم القيامة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٤٧]. {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا} أي تفتح السماء وتنشق حتى تصبح أبواباً لنزول الملائكة حيث تنزل الملائكة أهل السماء الدنيا

[الأولى] خلف أهل الأرض ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر من أهل الأرض ومن أهل السماء الأولى ويصفون خلف أهل السماء الأولى ثم ينزل أهل السماء الثالثة وهم أكثر من أهل الأرض ومن أهل السماء الأولى والثانية ويصفون خلف أهل السماء الثانية وهكذا ينزل جميع أهل السموات السبع إلى أن يحيط أهل السماء السابعة بأهل السماء السادسة وهم أكثر من أهل الأرض وأهل السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ويحيطون بالجميع {وُسِّيرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا} أي دُكَّت وصارت تراباً كما قال تعالى: " وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ " ١٠ المرسلات. أي ذهب وتنتهت وانتهى شموخها وارتفاعها وذلك يوم القيامة {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} إن جهنم مترصدة ومُحَضَّرَةٌ ومُجَهَّزَةٌ ومُعَدَّةٌ وجعلها الله تعالى {لِلطَّغْيَانِ مَبَآبًا} للمذنبين والظالمين والجبارين والعصاة وأهل الكفر والشرك مقراً ومستقراً دائماً وهي مصيرهم ومآلهم ومرجعهم إلى جهنم يوم القيامة ليعذبوا فيها {لِّلْبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا} ماكثين في جهنم أحقاباً ودهوراً وأزماناً وأعواماً لا يعلمها إلا الله تعالى {لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا} أي لا يذوقون فيها طعم البرد حيث نار جهنم حامية فمن أين يأتي لهم البرد من لهيبها وحرها أي لا يوجد بها برداً يحميهم من نار جهنم أو ظلاً يستترونها من نار جهنم {وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا} إلا ماء يغلي كما قال تعالى: " يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ " {١٩} يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ {٢٠} " ١٩، ٢٠ الحج. {وَعَسَاقًا} دم وصديد أهل النار {جَزَاءً وَفَاقًا} الجزاء من جنس العمل أي جزيناهاهم وفق أعمالهم التي عملوها في الدنيا وهي الإجمام والكفر والشرك والبغي والطغيان والمعاصي والذنوب والعناد {إِنَّهُمْ كَاثِرُونَ} الكفار كانوا {لَّا يَرْجُونَ حِسَابًا}

كانوا يظنون أنهم لن يحاسبوا وكانوا يرجون ويتمنون أن لا يحاسبهم الله تعالى على كفرهم وعصيانهم وشركهم ومعاصيهم {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا} وكذبوا وجحدوا وأنكروا آيات الله وقرآنه وحججه وبيانه {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} وكل شيء مكتوب ومسجل عليهم في صحفهم كما قال تعالى: "مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" ١٨ ق. وكما قال تعالى: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" ٤٩ الكهف. {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} ذوقوا وخذوا هذا العذاب في نار جهنم ولن نزيدكم إلا زيادة في العذاب والتنكيل لأنكم عصيتم وكفرتم في الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿١٨﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿١٩﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٢٠﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٢١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٢٢﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٢٣﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٢٤﴾﴾

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ} إن للطائعين العابدين الذين يخافون الله {مَفَازًا} فوزاً ونجاحاً وهو دخولهم الجنة ونعيمها وخلودها {حَدَائِقَ} وفي الجنة حدائق وبساتين شتى ومختلفة الفواكه {وَأَعْنَابًا} وفيها عنب لذيذ وقطفه كبير فعن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما رأيـناك كنت تصنعه فقال: (إني عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه). وعن

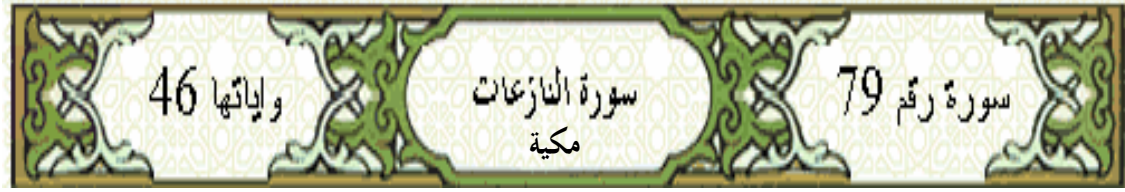
عتبة بن عبد السلمي: أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال فيها عنب؟ قال: (نعم) قال فما عِظَمَ العنقود؟ قال: (مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتن). [رواه أحمد - ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. وقال الطبراني: حدثنا معاذ ابن المثني حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى). [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. {وَكَوَاعِبُ} نساء كواعب أي ذوات كعب أبيض وهو كعب القدم وهو ما يُسْتَدَلُّ منه على جمال المرأة الداخلي فإن كان أبيضاً ناعماً دلّ على أنها ذات نعمة وجمال وإذا كان مُشَقَّقاً دلّ على أنها فلاحية وليست بنت نعمة وليست جميلة بحكم خدمتها وعملها وشظف عيشها. قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد ابن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٨]. وقيل الكواعب أي النواهد {أُتْرَابًا} أي كثيرات مثل التراب ومتساويات في السن والعمر وفي الحديث: (إن السحابة لتمر بالملأ من أهل الجنة وهم جلوس على شرابهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى إن منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أتراباً فيكون ذلك). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٦٨]. {وَكَأْسًا دِهَاقًا} وكأساً مملوءة شراباً مما يُشْتَهَى ويُطْلَبُ {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا} لا يسمع أهل الجنة في الجنة لغواً لأن ذلك كان في الدنيا أما الآخرة فلا مجال للغط واللغو والكلام الفارغ لأن فيها نعيماً مقيماً ودائماً فلا حاجة لهم به {وَلَا كِذْبًا} ولا داعي لأن يكذب واحد على الآخر في الجنة حيث لا مكان للتكذيب لأنه لا

توجد منافسات أو وظائف أو أعمال أو مصالح ففي الجنة كل واحد مستغن بما عنده فلا حاجة للكذب {جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا} هذا الجزاء وهذه المكافأة أعطيت للمتقين حساباً وجزاءً ومكافأة على أعمالهم بالطاعات والعبادات لله تعالى في الدنيا {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} والذي أعطاهم وجزاهم وكافأهم هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من هواء وإنس وجان وطيور وحيوانات ووحوش وبحار وحيثان وملائكة ونجوم وكواكب وشمس وقمر وسائر المخلوقات {الرَّحْمَنُ} وهو الرحمن الذي يرحم جميع خلقه {لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} لا أحد يستطيع الكلام إلا إذا أذن له الله تعالى وكما قال تعالى: " وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا " ١٠٨ طه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَعَابًا﴾ ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ يوم القيامة يقف جبريل عليه السلام {وَالْمَلٰٓئِكَةُ} ملائكة الله جميعهم {صَفًّا} يصفون صفوفاً ملائكة السماء الدنيا حول أهل الأرض وملائكة السماء الثانية حول ملائكة السماء الأولى وأهل السماء الثالثة حول أهل السماء الثانية وهكذا {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} لا أحد من الملائكة يستطيع أن يشفع أو يتكلم إلا بإذن الله تعالى إن رضي له قولاً {وَقَالَ صَوَابًا} وقال حقاً وعدلاً {ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ} ذلك هو يوم القيامة الحق والصدق {فَمَنْ شَاءَ} فمن أراد لنفسه الخير وعدم العذاب {اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَعَابًا} عمل من الطاعات واتخذها عند

ربه ذخراً ومرجعاً عندما يعود إليه يوم القيامة {إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْذَرْتَكُمْ} حذرناكم {عَذَابًا قَرِيبًا} وهو يوم القيامة كما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل. {يَوْمَ} يوم القيامة {يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} ينظر المرء والشخص والفرد إلى عمله وما قدمت يده وما قدم من خير أو شر {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} ويوم القيامة يقول الكافر عندما يرى العذاب يا ليتني كنت تراباً ولم أخلق كما قالت مريم عليها السلام عندما حملت بعبسى عليه السلام وجاءها المخاض وخافت من أهلها أن يكذبوها هم وقومها قالت: " يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا " ٢٣ مريم.

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال صلى الله عليه وسلم: (شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). [رواه الترمذي - ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾

{وَالنَّازِعَاتِ} الملائكة ملائكة الموت تنزع روح الكافر فتصبح روحه {غَرْقًا} غارقة في سكرات الموت {وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا} الملائكة ملائكة الموت تسل وتنشط وتخرج روح المؤمن كالشعرة من العجين بسهولة ويسر والملائكة توقظه بعد كل سكرة من سكرات الموت تريحه {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} الملائكة تسبح في جو السماء بروح الكافر وهي مثقلة حتى تصل إلى السماء تستفتح لهذه الروح الكافرة فلا تفتح لهم أبواب السماء {فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} الملائكة تسبق بروح المؤمن إلى تحت العرش فرحة بها لأنها روح صالحة {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} الملائكة الموكلة بأمر الله تعالى وبشئون العباد من الأرزاق والأمطار فميكائيل عليه الصلاة والسلام موكل بالأرزاق والأمطار وجبريل عليه السلام موكل بالرسالة للرسول وإسرافيل عليه الصلاة والسلام موكل بنفخ الصور وعزرائيل عليه السلام موكل بالموت فكل ملك من الملائكة يدبر الأمر كما يأمره الله تعالى. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهينا إلى القبر ولمّا يُلحَد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثاً ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحُوط من حُوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملاء من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى - قال - فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة - قال - فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب

الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب - قال - فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على مأل من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طراحاً - ثم قرأ: " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول ومن أنت فوجهك الوجه الذي كنت توعده فيقول أنا عملك

الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٣١، ٥٣٢]. {يَوْمَ} يوم القيامة {تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} وهي النفخة الأولى نفخة الفزع ينفخها إسرافيل عليه السلام في البوق فتتزلزل الأرض وترج {تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ} أي يتلوها ما بعدها من الأهوال فهي تتبع بعضها بعضاً {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} هذا اليوم تخلع القلوب من الصدور خوفاً وفزعاً وهلعاً {أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ} تشخص أبصارهم ولا تطرف من شدة الخوف والهول. روى الإمام أبو جعفر بن جرير من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن) قال فكيف هو؟ قال: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفحات نفخة للفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: "وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ" فتسير الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ" فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى: "يَوْمَ التَّنَادِ

* يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كُشِطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول: " فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ "؟ قال: (أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} يقول الكفار مستنكرين: هل إذا صرنا أمواتاً تحت الأرض فإننا سنحيا ثانياً ونعود من جديد أحياء بعد موتنا؟! {أَإِذَا كُنَّا عِظْماً نُخِرَةٌ} هل إذا كنا عظاماً بالية نعود أحياء من جديد؟! {قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} قال الكفار إذا رجعنا أحياء مرة ثانية فسنخسر عندها آخرتنا وسنعذب في نار جهنم وذلك لعدم تصديقهم بالبعث والحساب {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} إنما هي نفخة واحدة من إسرافيل عليه السلام في البوق وهي النفخة الثالثة والأخيرة نفخة البعث في الصور {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} فإذا هم بيوم القيامة وقد جاءهم وفيه تسهر العيون فلا تنام فهو يوم عصيب على الكافرين عسير.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن تَخْشَى ﴿٢٦﴾ ﴾

{ هَلْ أَتَاكَ } هل وصلك يا محمد يا رسول الله { حَدِيثُ مُوسَى } قصة نبي الله ورسوله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } إذ ناداه وناجاه ربه سبحانه وتعالى من وراء حجاب بالواد المقدس والمبارك واسمه طوى بطور سيناء { أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ } اذهب يا موسى برسالتى إلى فرعون مصر واسمه الوليد بن مصعب { إِنَّهُ طَغَى } إنه طغى وتجبر وتكبر { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى } هل لك أن تؤمن بالله تعالى وتزكي نفسك وتطهرها من الشرك والكفر { وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ } وأدلك على ربك { فَتَخْشَى } فتخافه وترتدع عن الكفر والشرك { فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى } فأراه معجزة العصا عندما ألقاها فإذا هي ثعبان مبین أي عظیم { فَكَذَّبَ وَعَصَى } فكذب ووجد وأنكر أنه يوجد إله غيره { ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى } ولّى مدبراً { فَحَشَرَ فَنَادَى } جمع قومه بعد أن نادى فيهم بالحضور لأمر هام وعاجل { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } فقال لهم أنا ربكم الأعلى فلا إله أكبر مني { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى } فأخذه الله تعالى وأغرقه وجعله نكالاً وعبرة للأقوام المتأخرة والأولى وهم قوم فرعون وهم أول المعتبرين بهلاك فرعون

وجنده عندما أغرقهم الله تعالى في اليم {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن تَخْشَى} إن في هذه القصة لعبرة وعظة لمن يعتبر ويخشى ويخاف الله ويخاف عذابه وانتقامه.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَّعَا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

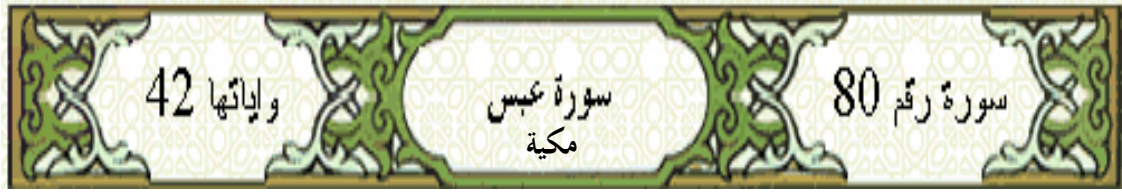
{ءَأَنْتُمْ} هل أنتم {أَشَدُّ خَلْقًا} أعظم وأقوى خلقاً من خلق الله تعالى أيها الناس {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} أم السماء أشد منكم خلقاً وقوة ومتانة بناها بعلمه وقدرته وجعلها سبع سماوات وقد جاء في الحديث أن سمك كل سماء خمسمائة عام وبُعد ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام فمن هو أشد وأقوى خلقاً ابن آدم الضعيف وكما قال تعالى: " وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا " ٢٨ النساء. وكما قال تعالى: " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا " ٦٦ الأنفال. أم السماء بعظمتها وقوتها واتساعها {رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا} أي جعلها سبع سموات وجعل سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الدنيا وبين الأرض في علوها وارتفاعها خمسمائة عام. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣]. {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا} وأظلم الله تعالى ليلها لعدم وجود الشمس بالليل {وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} أي أظهر النهار وأضحاها بالشمس تضيء وتتوهج وتنير الأرض {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} الأرض بعد ذلك سواها الله تعالى ودحاها وملاها بالمخلوقات والحيوانات والنباتات والأشجار والماء يجري في باطنها والأنهار والعيون والآبار {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا} أخرج الماء من الأنهار والعيون والآبار {وَمَرْعَاهَا} وخرج عشبها بماء الأنهار والعيون والأمطار فجعله ينبت ويزهو ويخضر لتأكله المواشي والحيوانات والأنعام {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} أي خلق الله

الجبال الرواسي على الأرض حتى لا تميد ولا تتحرك ولا تضطرب {مَتَنَعًا لَكُمْ} وَلَا نَعْمِكُمْ} المراعي هي متاع لابن آدم يستفيد منه وكذلك تأكله الأنعام والمواشي فتجلب الحليب والجبن والسمن واللحم وهو متاع لابن آدم زيادة على أصوافها وأوبارها.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ ﴿٧٩﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٨٠﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٨١﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٨٢﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٨٣﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٨٤﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى ﴿٨٥﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٨٧﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٨٨﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٨٩﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخْشَاهَا ﴿٩٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافٍ هَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾

{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} فإذا جاءت القيامة وهي المصيبة الكبرى والعظيمة {يَوْمَ} يومها {يَتَذَكَّرُ} يفتكر {الْإِنْسَانُ} المرء والشخص من بني آدم وسمي بالإنسان لأنه ينسى كثيراً ولأنه كذلك يأنس بغيره ويألف بغيره {مَا سَعَى} ما عمل في الدنيا من خير أو شر {وَبُرْزَتِ} وأظهرت للعيان {الْجَحِيمُ} نار جهنم وجحيمها وعذابها ولهيبها {لِمَن يَرَى} لمن ينظر ويشاهد بأم عينه يوم القيامة {فَأَمَّا مَنْ طَغَى} من ظلم وتجبر وعصى وكفر وأشرك وتكبر {وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وفَضَّلَ الدنيا وشهواتها وملذاتها ومعاصيها {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} فإن نار جهنم وجحيمها وعذابها هي المصير والنهاية والمآل والمرجع {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} وأما من خاف عذاب ربه وحسابه وعقابه {وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى}

ونهى ومنع نفسه من المحرمات والمعاصي والأهواء المضللة والفاصلة {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَى} فإن الجنة هي المصير والنهائية والمآل والمرجع فإنه يكون من أهلها
{يَسْأَلُونَكَ} يسألك الكفار يا محمد يا رسول الله {عَنِ السَّاعَةِ} عن قيام القيامة
{أَيَّانَ مُرْسَنَهَا} متى تجيء ومتى تقوم {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا} ما هو علمك بها
ومتى تقوم وما هي معلوماتك عن وقت قيامها {إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ} أي علمها وعلم
قيامها ووقتها عند الله تعالى وكما قال تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ " ١٨٧ الأعراف. أي لا أحد
يعلمها إلا الله وحده {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخْشَاهَا} إنما أنت فقط يا محمد يا
رسول الله عملك فقط التبليغ والإنذار والتحذير من عذاب الله تعالى للناس وللکفار
لمن عصى وكفر وأشرك وتحذر وتنذر من يخشاها ويخاف عذاب الله تعالى فيها
{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا} كأنهم عند قيام الساعة وقيام القيامة {لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
ضُحًى} وكأنهم لم يلبثوا ولم يمكثوا ولم يعيشوا في الدنيا سوى عشية من يوم أو
ضحى يوم ليلة وقت الدنيا ونعيمها الزائل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ ﴿٤﴾ أَلَذِكْرَى ﴿٥﴾ أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ﴿٦﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٧﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٩﴾ وَهُوَ تَحَشَّى ﴿١٠﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١١﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٣﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٤﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٥﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٦﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٧﴾ ﴾

{عَبَسَ وَتَوَلَّى} أي قطب وجهه وأظلم وتضايق {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} وهو عبد الله ابن أم مكتوم وكان أعمى البصر وكان قد أسلم وجاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في الدين وكان من مع النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وبعض صناديد قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ويطمع أن يتبعوه ويدخلوا في الإسلام وجاءه عبد الله بن أم مكتوم وسأله فأعرض عنه رغبة في هداية كبار قريش فنزلت سورة عبس وتولى أي أعرض عنه ولم يعره انتباهاً ولم يردّ عليه جوابه. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قوله: "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى" قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس ابن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يا رسول الله علّمني مما علّمك الله

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله فأمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى: " عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى " فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟) وإذا ذهب من عنده قال: (هل لك حاجة في شيء؟). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٧١]. وقيل أنه كان صلى الله عليه وسلم يقول له: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي) {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى} وما يُعلمك يا محمد يا رسول الله أن عبد الله بن أم مكتوب لعله بسؤاله لك يزكى ويتطهر من الذنوب والمعاصي ومن الأخطاء {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} أو يتعظ فينفعه وعظك ويحسن إسلامه {أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى} أما من لا يحتاج إلى وعظك ونصحك وهداك ولن ينفعه الوعظ والعبر {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} فأنت تتعرض له بالنصيحة والموعظة {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى} وما يهملك أن لا يزكى ولا يتطهر من الشرك والكفر والمعاصي ويبقى على كفره وشركه فهل هذا يضرّك كثيراً؟! {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَحْشَى} أما من جاء يسعى إليك وهو يخاف الله ويتقيه {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} فأنت يا محمد يا رسول الله تعرض عنه وتتولى وتتلهى عنه مع كفار قريش وهو أفضل منهم لأنه مؤمن أما هم فهم كفار {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} لا تظن أنك يا محمد يا رسول الله قد وقعت في الحرام لا ولكنها عظة وعبرة واعتبار للمرّات القادمة فلا تُعِر الكفار اهتماماً أكثر مما يستحقونه وأجب كل من يسألك على سؤاله لا فرق بين صغير أو كبير أمير أو من العامة {فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ} من أراد الهدى والعظة

والاعتبار والنجاة يوم القيامة فعليه بنفسه أن يذكر الله تعالى { فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ } في القرآن الكريم وهو المصحف ومفرد صحف صحيفة أي بها سورة من القرآن أو عدة سور وهي مكرمة مبدولة مقدسة لأن فيها كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم { مَرْفُوعَةٍ } مرفوعة عن النجاسة والقاذورات { مُطَهَّرَةٍ } مطهرة ومباركة ومقدسة من الشرك والكفر { بِأَيْدِي سَفَرَةٍ } نزل القرآن العظيم بأيدي الملائكة برفقة جبريل عليه السلام { كِرَامٍ } أي هم كرام أفاضل مبجلون { بَرَرَةٍ } بارين قاثمين بحقوق الطاعة لله تعالى.

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ ۝١٨ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۚ ۝٢٣ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ ۝٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ ۝٢٧ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ۚ ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ ۝٢٩ وَحَدَاقٍ غُلْبًا ۚ ۝٣٠ وَفَيْكَةً وَأَبًّا ۚ ۝٣١ مَتَّعًا لَّكُمْ وَلَآ نَعْمِكُمْ ۚ ۝٣٢ ﴾

{ قَتَلَ } قتل وهلك وعذب { الْإِنْسَنُ } وهو ابن آدم وسمي بالإنسان لكثرة نسيانه ولأنه يأنس إلى غيره { مَا أَكْفَرَهُ } ما أجحده وأنكره للجميل ورده له وما أشد جحوده بخالقه الذي خلقه { مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } يتكبر ابن آدم! ألم يعلم من أي شيء خلقه الله تعالى؟! { مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ } من نطفة وشهوة ومني الرجل ومني وشهوة وماء المرأة من الحيوان المنوي الذي لا يرى بالعين المجردة من حقارته ومن البويضة عند المرأة إذا اجتمعا وتلقحا أثناء الجماع { فَقَدَرَهُ } فقدره الله تعالى سواءً ذكراً أو أنثى وخالقه من هذا الماء المهين { ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ } قيل طريق الخروج من

رحم أمه سهّله له حتى يخرج حياً وكذلك سهّل له سبيل الحياة ومشاكلها وطريق الهدى والضلال يسلك أيهما شاء كما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً " ٣ الإنسان. {ثُمَّ أَمَاتَهُ} بعد عيشته هذه في الدنيا أماته الله تعالى {فَأَقْبَرَهُ} جعل أهله يقبرونه ويدفنونه مع الموتى تحت الأرض {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ} ثم إذا حان وقت مشيئته بقيام القيامة بعثه للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} لا إنه لم يجتنّب نواهي الله تعالى ولم يؤد أوامره على الوجه الأكمل {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} فليُنظر وليشاهد طعامه وأكله وشربه ويرى كيف تجلت قدرة الله تعالى في ذلك حتى يوفر له كل شيء وهو يعصي ويشرك ويكفر فليُنظر {أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً} أن الله تعالى صبّ الماء وأنزله بالمطر من السحاب إلى الأرض {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً} ثم الله تعالى بقدرته جعل الماء يشق الأرض ويفتحها وينزل داخلها {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً} فأنبت الله تعالى بواسطة ماء المطر الذي أنزله على الأرض أنبت به حباً من الحبوب القمح والشعير والعدس والتمرس والفول والفاصولياء وغيرها {وَعِنَباً} وهو شجر الكرّم يُخرج العنب بنوعيه الأبيض والأسمر {وَقَضْباً} وهو نبات القُضَاب يخرج غالباً في الأرض الرملية قريباً من شاطئ البحر على الكثبان الرملية العالية وهو طعام جيد لبعض المواشي والحيوانات وهو له عود غضّ طري رفيع لا يطول كثيراً عن سطح الأرض يعرفه المزارعون أو هو كل ما تقضبه وتقطعه وتأكله الحيوانات {وَزَيْتُوناً} وهو شجر الزيتون الذي يستخرج منه زيت الزيتون المسمى الزيت الطيب {وَنَخْلاً} وهو شجر النخيل من تمر وبلح ورطب {وَحَدَاقٍ غُلْباً} وحدائق كثيرة العدد يتغلب المرء في معرفتها من كثرتها. والحدائق هي المزارع والبساتين والبيّارات وعلى

سبيل المثال لا الحصر حدائق المانجا وحدائق الخوخ وحدائق المشمش وحدائق الرمان وحدائق اللوز وحدائق التفاح وحدائق البرتقال والموالح بجميع أشكالها وأسمائها فهي فعلاً يتغلب المرء في إحصائها ومعرفتها من كثرتها {وَفَكِّهَةٌ} من جميع الفواكه رمان وخوخ وبرقوق ومشمش وتفتح وغيرها كثير {وَأَبَّأُ} هو ما تأباه النفس من الثمار ولا تقبله ولا تأكله أو هو العشب حتى تأكله الدواب والبهائم والأنعام {مَتَّعَا لَكُمْ وَلَا نَعْمِكُمْ} هذه الفواكه والنباتات يأكلها الناس ومواشيهم فهي نعمة من الله تعالى لهم حتى يشكروا ويؤمنوا به ولا يكفروا به ولا بنعمه.

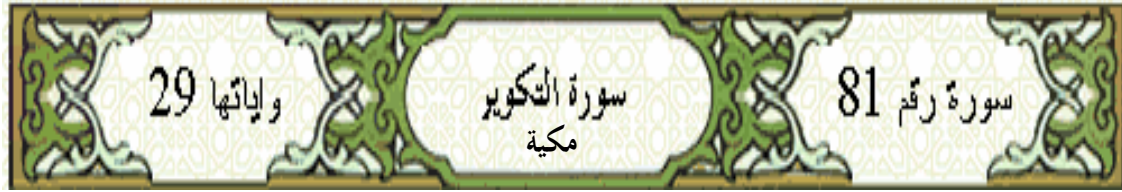
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٣﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٤﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٥﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٦﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٧﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٨﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٣٩﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤١﴾ ﴾

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ} إذا جاءت القيامة الصاخة المزعجة من هولها وهلعها وخوفها ورعبها. والصاخة اسم من أسماء يوم القيامة وليوم القيامة عدة أسماء ومنها: (١) يوم الجمع (٢) يوم التغابن (٣) الآزفة (٤) الواقعة (٥) الحاقة (٦) القارعة (٧) الساعة (٨) الراجفة (٩) الرادفة (١٠) الساهرة (١١) الطامة الكبرى (١٢) الغاشية (١٣) الزلزلة (١٤) يوم الدين (١٥) يوم الفصل (١٦) الصاخة (١٧) يوم الفرار "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ" ٣٦-٣٤ عبس. {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} يهرب الشخص من أخيه وشقيقه ولا يعطيه حسنة واحدة حتى ينجو من العذاب {وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} ويهرب من والديه فلا يعطيهم حسنة واحدة خوفاً على نفسه ويحتفظ بحسناته لنفسه لأنه يخشى إذا

أعطى أحداً حسنة واحدة فيمكن أن تنقص عليه هذه الحسنة فيدخل النار {وَصَحْبَتَهُ} ويهرب كذلك من زوجته أو خليلته وصديقته وعشيقته وحبيبته {وَبَنِيهِ} وأولاده فلا يعطي أحداً حسنة واحدة {لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ} لكل شخص من الناس في يوم القيامة وهولها {شَأْنٌ يُغْنِيهِ} شأن يشغله ويلهيهِ عن غيره لأنه لا يفكر إلا في نجاة نفسه فالموقف شديد وعظيم ومهول ومرعب {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} هناك وجوه يومها يوم القيامة {مُسْفِرَةٌ} مسرورة ونضرة {ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} تضحك ومستبشرة بدخول الجنة لأن أصحاب هذه الوجوه عملوا صالحاً في الدنيا فالتمييز المجتهد يوم النتيجة يكون مسروراً مستبشراً بالنجاح لأنه يعلم أنه قدّم في الامتحان جيداً فيكون مسروراً لا يخاف من النتيجة قبل خروجها وكذلك الرجل الصالح يكون مسروراً ضاحكاً مستبشراً بأنه من أهل الجنة {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} وهناك وجوه يوم القيامة تكون {عَلِيَّهَا غَبَرَةٌ} مُسَوَّدَةٌ عابسة مُقَطَّبَةٌ {تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ} تغلبها وتعلوها ظلمة وسواد لتكذيبهم بيوم القيامة ولأنهم لم يقدموا من الأعمال الصالحات والعبادات ما ينفعهم في هذا اليوم بل كفروا وأشركوا وعصوا وعاندوا {أُولَئِكَ هُمْ} هؤلاء هم {الْكَافِرَةُ} الكفار الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر أي الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر وهو يوم القيامة بعثاً وجزاءً وحساباً وعذاباً وثواباً {الْفَجَرَةُ} الذين يرتكبون المحرمات فجوراً وفسقاً وطغياناً ويرتكبون المعاصي باندفاع وبدون رادع.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صغيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حُفاة عراة غرلاً) قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: (يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهتمهم ذاك). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥]. وقال النسائي: أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عَرَاةَ غُرَلًا) فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: " لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ". [ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾

{ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } إذا انكمشت وضمرت وصُغرت بأمر الله تعالى ثم أزيلت وذهبت يوم القيامة { وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ } أي طُمست وذهبت { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } أي ذهبت وصارت تراباً كما قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا" ١٠٥-١٠٧ طه. أي تندثر وتذهب وتتلاشى وتصير تراباً { وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } أي لا تحمل الأنثى فقد انتهى وقت الحمل كما قال تعالى: "وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا" ٢ الحج. { وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ } أي تحشر الوحوش كذلك في المحشر يوم القيامة ثم بعد أن يفصل ويحكم الله تعالى بينهم تصير تراباً وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: (يا أبا ذر أنتدري فيما ينتطحان؟) فقلت لا قال: (لكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة). [مكاشفة القلوب ص ١٢٨]. { وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } أي البحار توقد ناراً يوم القيامة حيث

جهنم تحت الأرض السابعة تحت البحار وفي سنن أبي داود: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٦]. {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} أي يحشر الذكور والإناث من كل نوع كما قال تعالى: "وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ" ٥٥ النجم. وكما قال تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ" ٤٩ الذاريات. {وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ} وإذا البنت التي دُفنت حية خوفاً من العار في الجاهلية {سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} هل عملت ذنباً؟! هل عملت الفاحشة؟! أم قتلت بغير حق؟! ولماذا قتلها أهلها؟! {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} صحف الحسنات والسيئات نشرتها الملائكة على الناس كل يأخذ صحيفة عمله فالمؤمن يأخذها بيده اليمنى فهو ناجح ومن الفائزين والكافر يأخذها بيده اليسرى [الشمال] أو من وراء ظهره فهو إلى النار ومن الخاسرين {وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} أي انشقت وفتحت أبواباً ثم أزيلت وأبدلها الله تعالى بغيرها {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ} وإذا نار جهنم بجحيمها وشدة نارها ولهيبها يوحد تحتها وتسعر وتزيد نيرانها لعذاب الكفار {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} وإذا الجنة قُرِّبت من الصالحين والمؤمنين {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ} كل نفس تعلم ما قدّمت من خير أو شر.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

{فَلَا أُقْسِمُ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين وهو في حد ذاته كأنه يقسم على قوله أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قلتي هو الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ١٢٢ النساء. وكما قال تعالى: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " ٧٥، ٧٦ الواقعة. {بِالْخُنَّسِ} بالنجوم التي تخنس وتختفي إذا طلعت الشمس وطلع النهار فلا تُرى كما قال تعالى: " مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ " ٤ الناس. الذي إذا ذُكِرَ الله خنس وإذا نُسي وسوس له {الْجَوَارِ} النجوم التي تجري في السماء من مشرقها إلى مغربها {الْكُنَّسِ} الذي تكنس ظلام الليل وتنير للناس الأرض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى: " وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " ١٦ النحل. {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} والليل إذا أظلم وأعتَمَ واسودَّ وأصبح حالك السواد {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} والصبح إذا ظهر وبان وأشرق وطلع وشبهه الله تعالى بمن تنفس ورجعت له الروح من جديد حيث بدأ قلبه ينبض بعد توقفه وصار يتنفس وعادت له الحياة من جديد وهذا تشبيه رائع من القرآن العظيم. والله تعالى في هذه الآيات وكأنه بنفيه القسم يؤكد على أن

قوله حق وصدق دون حلف وكأنه بنفيه هذا يقسم على قوله بما ذكر من المخلوقات وهو بذلك كأنه يقسم بجلاله فهو ربها وخالقها وهو مُنشئها فهو يبين للناس قدرته وأنه الخالق والموجد لجميع المخلوقات التي ترونها {إِنَّهُ} أي القرآن الكريم {لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} قول جبريل عليه السلام وهو قول رسول حق وكريم في أخلاقه وأنه لا يكذب وينقل الرسالة كما هي {ذِي قُوَّةٍ} ذي قدرة وقوة شديدة يهدم بها الجبال وقد جعل قرية قوم لوط عاليها سافلها {عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} أي ثابت في وظيفته ورسالته عند الله تعالى لا يغيره ولا يبدله ولا يطرده ولا يفصله من عمله ورسالته ومرضي عنه من قبل الله تعالى وهو أهل لذلك {مُطَاعٍ} سيدنا جبريل عليه السلام مطاع عند الملأ الأعلى وهم الملائكة فما يأمرهم به ينفذوه فوراً بدون تردد {ثُمَّ أُمِينٍ} وأمين ومخلص في عمله وفي الرسالة وفي كل ما يُطلب منه فلا يكذب ولا يخون كيف لا وهو ملك مقرب والذي اختاره لها هو الله تعالى " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. وكما قال تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" ١٢٤ الأنعام. {وَمَا صَاحِبُكُمْ} وما صاحبكم ورسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وليس صاحبكم تعني أن الرسول سيدنا محمد هو صاحب وصديق للكفار ولكنها تقال دائماً لمن يكون بينه وبين قوم شحناء فيشار إليه بصاحبكم فلان فصاحبكم هنا أي الذي تكذبونه وتتحدثون عنه أنه مجنون وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِمَجْنُونٍ} ليس بمجنون كما تدعون أيها الكفار ولا به جنّة ولا معتوه ولا مخبول بل هو سليم وعاقل وبكامل قواه العقلية {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} ولقد رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيدنا جبريل عليه السلام بالبطحاء ما بين السماء والأرض ورآه على حقيقته ناشراً

جناحيه سد بهما الأفق {وَمَا هُوَ} وليس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَلَى
الْغَيْبِ} وهي الرسالة التي يبلغها إلى أمته من الله تعالى {بِضَيِّينَ} ببخيل بها ولا
منكر لها ولا كاتمها ولا مخبئ شيئاً منها عنكم فهو يبلغها أولاً بأول {وَمَا هُوَ}
وليس القرآن {بِقَوْلِ شَيْطَانٍ} بقول يقوله ويُعَلِّمُهُ له شيطان من جنود إبليس من
العصاة والكفرة {رَّجِيمٍ} يرمي الغيب ويكذب على الله تعالى بهذا القرآن وحيث
تهرب الشياطين عند سماعهم للقرآن فكيف يستطيعون تلاوته وقراءته وتعليمه
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم {فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ} فبعد هذا التوضيح أين تذهبون
وإلى أين تتجهون إلى الإيمان أم إلى الكفر؟! وإلى الطاعة أم إلى المعصية وإلى التقوى
والهدى أم إلى الضلال والفجور والعصيان؟! {إِنْ هُوَ} ما القرآن الكريم {إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ} إلا عظة وعبرة لمن في العالم كلهم إنسهم وجنهم صغيرهم وكبيرهم حرهم
وعبدهم أحمرهم وأسودهم وأبيضهم رجالهم ونسائهم {لِّمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}
لمن شاء منكم أيها الناس جميعاً أن يعتبر ويهتدي ويستقيم ويتبع طريق الإسلام
الطريق المستقيم والصراط المستقيم وهو صراط الذين أنعمت عليهم {وَمَا تَشَاءُونَ}
وما تريدون من عمل أمر {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} إلا أن يريد الله تعالى ويرضاه وكما
قال تعالى: " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " ۲۳، ۲۴
الكهف. وكما قال تعالى: " وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ " ۲۴ الأنفال.
{رَبُّ الْعَالَمِينَ} إله الكون والخلق كلهم والعوالم كلها ورب الأرباب ومسبب
الأسباب ورب البلاد والعباد جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه.

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت
قال صلى الله عليه وسلم: (شيبتنني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا
الشمس كورت). [رواه الترمذي - ابن كثير ج ٤ ص ٢٨١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ (٥) يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ۝ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ (١١) يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ ۝ (١٢) ﴾

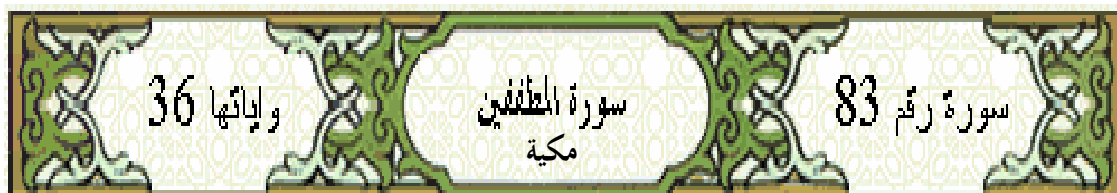
{إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ} إذا السماء تشققت وذلك يوم القيامة {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} تفرقت وزهبت وتلاشت وذلك يوم القيامة {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} وإذا البحار تفجرت واشتعلت ناراً. وفي سنن أبي داود: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٦]. ورؤي أن تحت كل أرض بحراً وتحت البحر السابح والأرض السابعة جهنم وهي مغلقة فإذا فتحت يوم القيامة أحرقت البحار السبع {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} زهبت وتلاشت وخرج أهلها منها للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {عَلِمْتَ نَفْسٌ} أي علمت وعرفت كل نفس وكل شخص {مَّا قَدَّمَتْ} ما قدمت من حسنات وطاعات وأعمال بر وخير {وَأَخَّرَتْ} وما أخرت من شر وكفر ومعاص {يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ} يا أيها المرء وأيها الشخص {مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ} ما دهاك وما أصابك وما جرَّك إلى طغيانك ومعصيتك بربك وخالقك وموجدك وإلهك وحلمه

عليك {الْكَرِيمِ} المتكرم عليك بالنعمة والصحة والمال والزوجة والولد والأهل والعشيرة والجاه والسلطان والقوة والمنعة {الَّذِي خَلَقَكَ} الذي أوجدك من العدم {فَسَوَّيْكَ} سَوَّاكَ امراً سوياً تام الخلقة والصورة رجلاً أو امرأة وجعلك في أحسن تقويم وأحلى صورة وهيئة {فَعَدَّلَكَ} وعدلك قائماً فجعلك معتدل القامة ولم يخلقك منحني الظهر مثل الدواب والبهائم والحيوانات {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} على أي صورة شاء خلقتك وجعلك من الجمال أو القبح ومن الذكورة أو الأنوثة {كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ} لا بل تكذبون أيها الكفار {بِالدِّينِ} بالدين الإسلامي ومبادئه وأحكامه وأوامره ونواهيه وتنكرونه وتجحدونه ولا تصدقون به {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} أي عليكم ملائكة حفظة حافظين لأعمالكم وأفعالكم ويسجلونها عليكم ويحصونها لكم {كِرَامًا} كريمي الأخلاق لا يزيغون ولا يميلون {كَتِبِينَ} كاتبين كل عمل تعملونه أو تفعلونه أو تقولونه {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} أي يعلمون ويعرفون ويدرون بكل ما تفعلونه من خير أو شر.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

{إِنَّ الْأَبْرَارَ} وهم الصالحون المتقون العابدون المخلصون لله تعالى العبادة والطاعة وهم برّوا الآباء والأبناء وبرّوا أنفسهم وبرّوا دينهم أي أخلصوا له ولم ينقصوه أو يهينوه أو يخذلوه وهم أخلصوا العبادة والطاعة لله تعالى وحده. وروى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما سماهم الله الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٨٢]. {لَفِي نَعِيمٍ} لفي نعيم الجنة يمرحون ويتمتعون يوم القيامة {وَإِنَّ الْفُجَّارَ} الذين فجروا بالمعصية والكفر وانتهكوا المحرمات وارتكبوا المعاصي والذنوب والآثام {لَفِي حَجِيمٍ} لفي نار جهنم يوم القيامة وجحيمها وويلها وعذابها ونارها وشدة لهيبها {يَصْلَوْنَهَا} يُحْرَقُونَ فِيهَا {يَوْمَ الدِّينِ} يوم القيامة وسمي بيوم الدين لأن كُلاًّ ينجيهِ أو يهلكه ما عمل أو فرط في دينه في الدنيا {وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} أي لا يخرجون من نار جهنم ولا يغيبون عنها ولا تغيب عنهم فهم فيها دائمون {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} وما أعلمك يا محمد يا رسول الله بيوم القيامة {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} ثم ما عرفك وما أدراك ما هو يوم القيامة وهذا التكرار لأن الموضوع له شأن عظيم وحتى يتنبه السامع ويطلب الإجابة حيث أن الموضوع هام {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا} وهو يوم لا تنفع نفس نفساً أخرى ولا تملك لها

نفعاً ولا ضراً {وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} والأمر يوم القيامة بيد الله تعالى وحده له الأمر
من قبل ومن بعد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

{وَيْلٌ} عذاب وهلاك يوم القيامة {لِّلْمُطَفِّفِينَ} للسارقين الكيل والميزان لصالحهم والزائدين الكيل زيادة على حقهم سواءً باعوا أو اشتروا {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} إذا اشتروا من الناس شيئاً زادوا على حقهم في الميزان لصالحهم واستوفوا حقهم بزيادة {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} وإذا باعوا لهم سرقوا من حقهم وأنقصوه حتى يأخذوا الفرق لهم ويبخسوا الناس ميزانهم وهي السرقة في الميزان {أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} ألم يعتقد هؤلاء السارقون والباخسون حقوق الناس بسرقتهم في البيع والشراء عند الوزن بأنهم سيبعثون {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} يوم القيامة فيجازون على سرقتهم هذه {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ} يقف الناس في المحشر للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} عند الله تعالى إله الكون والخلق كلهم والعوالم كلها ورب الأرباب ومسبب الأسباب ورب البلاد والعباد جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه.

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّومَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ} كلا إن كتاب العاصين والمذنبين {لَفِي سَجِّينٍ} في سجن
ومكان خاص أعده الله لتُحفظ فيه كتبهم {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ} وما هو مصير
وعاقبة أهل سجين هو العذاب في نار جهنم {كِتَابٌ} كتاب سيئاتهم {مَّرْقُومٌ}
مكتوب ومرقم صفحاته وأحداثه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها {وَيْلٌ}
عذاب وهلاك في جهنم {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لِلْمُكَذِّبِينَ} للمنكرين والجاحدين
{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّومَ الدِّينِ} الذين يكذبون وينكرون يوم القيامة وسمي يوم الدين
لأن كل شخص ينجيه أو يهلكه ما عمل أو فرط في دينه في الدنيا {وَمَا يُكْذِبُ
بِهِ} ولا يكذب به وينكره {إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ} إلا كل مُتَعَدٍّ بأقواله {أَثِيمٍ} مذنب
بأفعاله {إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا} إذا تلي عليه القرآن أو آيات من القرآن {قَالَ}
قال الكافر {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} خرافات الأمم السابقة وخزعبلاتها {كَلَّا بَلْ رَانَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ} لا بل ران وطمس على قلوبهم {مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ما كانوا يكتسبون
من حرام وفي الحديث: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِت في قلبه نقطة سوداء فإن
هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي
قال الله تعالى: " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " . [ابن كثير ج ٤؛

ص ٤٨٥]. {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُوبُونَ} كلا إنهم يُحجبون عن رؤية الله تعالى فلا يرونه أبداً {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ} ثم إنهم يوم القيامة لداخلون النار وجحيمها وعذابها وهلاكها ويُحرقون فيها {ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ} وتقول لهم الملائكة يوم القيامة هذا ما كذبتُم به في الدنيا وهو يوم القيامة وعذاب النار لمن كفر وعصى فذوقوه.

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ} كلا إن كتاب الصالحين المتقين العابدين المخلصين لله تعالى العبادة والطاعة وبرّوا الآباء والأبناء وبرّوا أنفسهم بالطاعة والعبادة وبروا دينهم أي أخلصوا له ولم ينقصوه أو يهينوه أو يخذلوه {لَفِي عِلِّيِّينَ} في الجنة أي في العلاوي {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ} وما هو مصير وعاقبة أهل عليين هو الجنة ونعيمها الدائم {كِتَابٌ} كتاب حسناتهم وتفوقهم ونجاحهم وأعمالهم الصالحات من الطاعات والعبادات وأعمال الخير والبر {مَّرْقُومٌ} مسجل ومسطر حرفاً حرفاً وكلمة كلمة {يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} يحضره الملائكة المقربون {إِنَّ الْأَبْرَارَ} الأبرار هم القائمون بحقوق الطاعة والعبادة {لَفِي نَعِيمٍ} في نعيم مقيم ودائم {عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ} على سررهم ينظرون ويتفرجون في ملكهم الذي أعطاه الله تعالى لهم في

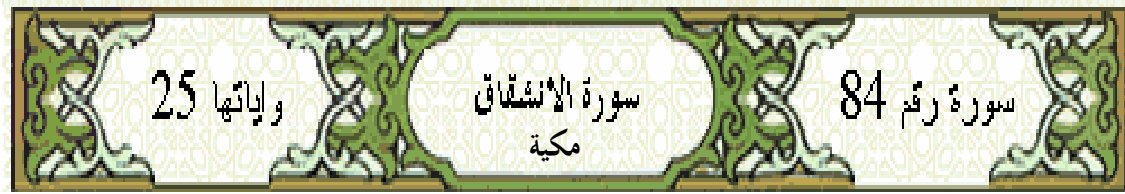
الجنة وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١]. {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ} إذا نَظَرْتَ إلى وجوه أهل الجنة ترى وتعرف في وجوههم ومنظرهم {نَضْرَةً أَلْنَعِيمِ} بهجة وضياء ولمعان وسرور النعيم والترف والبذخ {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ} يشربون من شراب ورحيق الأزهار والثمار ما لذ وطاب {مَخْتُومٍ} أي لم يشربه أحد قبلهم ولم يلمسه أحد قبلهم بل فُتِحَ لهم خاصة {خِتْمُهُ مِسْكٌ} ترى في أوله لذة الشرب وطعمه وفي آخره تجد لذة الرائحة الجميلة رائحة المسك الأذفر النقي الخالص {وَفِي ذَلِكَ} وفي هذا النعيم والترف والبذخ {فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ} فليجتهد ويعمل الطاعات ويتسابق المخلصون في الطاعة لله تعالى حتى يكون النعيم مصيرهم ومآلهم. وليتسابق ويجد ويجتهد المجتهدون {وَمَرَّاجُهُ} وهذا الرحيق والشراب لأهل الجنة مزاجه وخليطه {مِنْ قَسَنِيمٍ} من خلاصة خلاصة الشراب والعطور {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} وذلك من عين تنبع في الجنة لا يشرب منها إلا المقربون وهم الأبرار والأولياء المتقون المخلصون. وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا

فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه).
[ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۚ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۚ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۚ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۚ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۚ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۚ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۚ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} إن الذين أذنبوا وأجرموا في حق الله تعالى وفي حقوق الناس بأن ظلموهم واعتدوا عليهم وعلى حقوقهم وعلى أموالهم وأعراضهم {كَانُوا} كانوا في الدنيا {مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} من المؤمنين والمسلمين {يَضْحَكُونَ} يستهزئون ويسخرون {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} وإذا مر الكفار بالمؤمنين والمسلمين يتغامزون ويشيرون عليهم بأعينهم وأصابعهم محتقرين لهم ومستهزئين بهم {وَإِذَا انْقَلَبُوا} وإذا رجعوا وعادوا {إِلَىٰ أَهْلِهِمْ} إلى بيوتهم وأزواجهم وأولادهم {انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} عادوا مسرورين فرحين لاهين لاعبين فخورين متباهين {وَإِذَا رَأَوْهُمْ} وإذا رأى الكفار المؤمنين والمسلمين {قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ} قالوا وادّعوا أن هؤلاء المؤمنين ضالون تائهون مُخطئون لاتباعهم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ودينه {وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} وما كانوا عليهم رقباء ومسئولين عنهم ولا أرسلوا ليحفظوا ويعرفوا ويعلموا ما يفعلون وهل هم على خطأ أو صواب هذا ليس شأنهم {فَالْيَوْمَ} وهو يوم القيامة {الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} يضحك المؤمنون على الكفار وأنهم هم الخاطئون والمذنبون والضالون في الدنيا وهم اليوم يوم القيامة يعذبون في

نار جهنم ويضحك عليهم المؤمنون { عَلَى الْأَرْآبِكِ يَنْظُرُونَ } على سرر الجنة ينظرون ويتفرجون { هَلْ ثُبُوبٌ } هل جوزي { الْكُفَّارُ } وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرسله وكتبه واليوم الآخر { مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ما عملوا في الدنيا من معاص وذنوب وكفر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ۖ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ۖ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۖ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ ۖ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ ﴿١٥﴾ ﴾

{إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ} إذا السماء تصدعت وتشققت وفتحت أبواباً وذلك يوم القيامة {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} وأطاعت واستجابت لربها بالانشقاق والتصدع {وَحُقَّتْ} وهي على حق وحق لها أن تتشقق وحق عليها وواجب وفرض أن تستجيب لأمر ربها بالانشقاق فهو خالقها ومنشئها {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} أي الأرض يوم القيامة مدت واتسعت وفتحت وهي تمدد كما ينام المريض على السرير أمام الطبيب لعمل له عملية جراحية في بطنه {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا} وأخرجت الأرض ما في بطنها من الأموات لجميع المخلوقات المدفونة بها {وَتَخَلَّتْ} أي تركتهم يخرجون منها أحياء ولم تتمسك بأحد منهم ولم تبقيه داخلها {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} وأطاعت واستجابت لربها وخالقها ومنشئها {وَحُقَّتْ} وحق لها وحق عليها فهو حق عليها وفرض وأمر الله تعالى عليها {يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ} يا ابن آدم أيها المرء يا من تنسى كثيراً {إِنَّكَ كَادِحٌ

إِلَى رَبِّكَ} إنك عامل ومشتغل ومصير عملك هذا راجع إلى ربك {كَدْحًا} عملاً شاقاً وشغلاً مستمراً {فَمُلْقِيهِ} فمهما عملت ومهما تعبت في عملك وشغلك فمصيرك أن تلاقي ربك ويحاسبك على عملك في الدنيا إن خيراً فالجنة وإن كان شراً فالنار مصيرك ومنتهاك {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} فأما من أخذ كتاب الحسنات والسيئات عند تطاير الصحف يوم القيامة عندما تُلقَى بها الملائكة بيده اليمنى {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} فحسابه بسيط وفي الصحيح عن ابن عمر حين سئل عن النجوى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُذْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١٥]. {وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} ويرجع إلى أهله فرحاً مسروراً مبتهجاً بفوزه وفلاحه ودخوله الجنة يوم القيامة {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} وأما من أُعطي كتاب سيئاته من خلف ظهره فهو كافر من أهل النار {فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا} فسوف يدعوا هلاكاً ويقول يا ويلاه يا مصيبتاه يا حسرتاه يا عذاباه يا هلاكاه {وَيَصْلَى سَعِيرًا} يحرق في نار جهنم وهي تسعر عليه وتزيد بنيرانها وعذابها وحرقتها له {إِنَّهُ} الكافر {كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} كان عند أهله في الدنيا فرحاً مسروراً لا تهمه المعاصي ولا الكفر ولا الشرك ولا انتهاك الأعراض ولا عمل المحرمات فكل شيء عنده مباح حتى الظلم مباح {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} إنه ظن واعتقد أنه لن يُبعث يوم القيامة ولن يرجع للحساب والجزاء والعقاب والعذاب في نار جهنم لكفره وعصيانه {بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ} لا بل إن

ربه تعالى وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه كان بهذا الكافر وبأعماله وأفعاله {بَصِيرًا} مطلعاً يرى ويعرف كل ما يعمله وما يفعله.

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۖ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۖ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ ﴾

{فَلَا أَقْسِمُ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قلتي هو الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ١٢٢ النساء. وهو في حد ذاته كأنه يقسم على قوله وكما قال تعالى: " فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " ٧٥، ٧٦ الواقعة. وعندما يذكر مخلوقاته فكأنه يقسم بجلاله فهو ربها وخالقها وموجدتها ومنشئها فهو سبحانه يبين للناس قدرته وأنه الخالق والموجد لهذه المخلوقات التي ترونها {بِالشَّفَقِ} والشفق هو ظهور احمرار في السماء من بعد غياب الشمس حتى العشاء وبعد غروبه يصلي المسلمون صلاة العشاء وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وقت المغرب ما لم يغب الشفق). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٨٩]. {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} والليل وما فيه والليل وما جمع من عتمة وظلام ونجوم وكواكب وقمر وجن وإنس ووحوش وغير ذلك من المخلوقات التي لا نعلمها ولا نعرفها {وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} إذا أصبح بدرًا واتسق أي امتلأ وتدور {لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} كل يركب طبق عمله فإن كان صالحاً فله الجنة ومن ركب عمل السيئات والمعاصي دخل النار

ولكنكم ستختارون الدنيا وعمل المعاصي كما قال تعالى " بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا " ١٦ الأعلى. أي لتختارن طبقاً وهو طبق النار لأن النار طبقات ولتتركن طبق الجنة ودرجاتها وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملاً الأول والثاني ثم الثالث حتى تُملاً كلها. [مكاشفة القلوب ص ١٧٦]. وقال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {٤٤} " ٤٣، ٤٤ الحجر. أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه أهل الكبائر من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين ماتوا ولم يتوبوا. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٣]. وأشدّها عذاباً الدرك الأسفل كما قال تعالى: " إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً " ١٤٥ النساء. فقله تعالى " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ " أي لتختارن أيها الكفار صنفاً عن صنف وشيئاً عن شيء ولتختارن النار عن الجنة والطبق عادة يقدم فيه أنواع الطعام والفاكهة والمرء يختار طبقاً من الطعام والفاكهة عن الآخر باختياره ومزاجه وشهيته له وهكذا الكفار يختارون طبق النار ويفضلونه على طبق الجنة وطبق النار هو مليء بالمعاصي والذنوب والكفر والشرك وارتكاب المحرمات وانتهاك الأعراض وشرب الخمر أما طبق الجنة فمليء بالطاعات والعبادات والذكر والتسبيح والصدقات وأعمال البر والخير فهم اختاروا طبق الكفر والمعاصي عن طبق الإيمان والتقوى والصالح والفلاح والهدى ففضلوا النار على الجنة والضلال على الهدى والكفر على الإيمان

{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} فلماذا لا يؤمن هؤلاء الكفار بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبيوم البعث حساباً وجزاءً وثواباً {وَإِذَا قُرِئَ} وإذا يتلى {عَلَيْهِمْ} على الناس عامة وعلى الكفار خاصة {الْقُرْآنُ} القرآن الكريم وهي آيات السجدة {لَا يَسْجُدُونَ} لا يسجدون على الأرض على الجبهة والأنف واليدين وأمشاط وأطراف أصابع القدمين كسجود الصلاة تماماً. وقراءة آية السجدة يجب لها السجود سواء في الصلاة أو خارجها. وكيفيتها أن يسجد سجدة واحدة بين تكبيرتين بلا رفع يد ولا يوجد بها سلام في آخرها وليس لها تشهد [قراءة التحيات] بل يكبر ويسجد ويقول في سجوده ثلاث مرات: "سبحان ربي الأعلى" ويكبر ويرفع رأسه بدون سلام ولا قراءة تشهد. ودليل مشروعيتها ما ورد في الصحيحين أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار). رواه مسلم وقد أجمعت الأمة على أنها مشروعة عند قراءة مواضع مخصوصة من القرآن. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٤]. ويشترط للسجدة أن تكون مثل سجدة الصلاة في أن يكون مَنْ يسجدها على وضوء ومستقبلاً القبلة في سجوده مع ستر العورة. والسجدات في القرآن الكريم عند الإمام أبي حنيفة تُطلب في أربعة عشر موضعاً وهي:

(١) في آخر آية في سورة الأعراف في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ" ٢٠٦ الأعراف.

(٢) في سورة الرعد في قوله تعالى: " وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ " ١٥ الرعد.

(٣) في سورة النحل في قوله تعالى: " وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {٤٩} يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ {٥٠} " ٤٩، ٥٠ النحل.

(٤) في سورة الإسراء في قوله تعالى: " قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا {١٠٧} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا {١٠٨} وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا {١٠٩} " ١٠٧-١٠٩ الإسراء.

(٥) في سورة مريم في قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا " ٥٨ مريم.

(٦) في سورة الحج في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ " ١٨ الحج.

(٧) في سورة الفرقان أيضاً في قوله تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا " ٦٠ الفرقان.

(٨) في سورة النمل في قوله تعالى: " أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ {٢٥} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {٢٦} " ٢٥، ٢٦ النمل.

(٩) في سورة السجدة في قوله تعالى: " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " ١٥ السجدة.

(١٠) في سورة ص في قوله تعالى: " وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ " ٢٤ ص.

(١١) في سورة فصلت في قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ {٣٧} فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ {٣٨} " ٣٧، ٣٨ فصلت.

(١٢) في سورة النجم في قوله تعالى: " أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ {٥٩} وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ {٦٠} وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ {٦١} فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا {٦٢} " ٥٩-٦٢ النجم.

(١٣) في سورة الانشقاق في قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ " ٢١ الانشقاق.

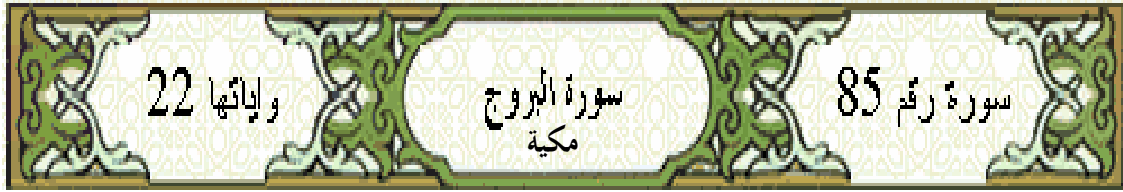
(١٤) في سورة اقرأ [العلق] في قوله تعالى: " كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ " ١٩ العلق. [مراقي الفلاح في الفقه الحنفي ص ١٩٤، ١٩٥].

- وعند الشافعي توجد سجدة أخرى في سورة الحج في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ٧٧ الحج. وعند المالكية والحنفية هذه الآية ليست من آيات السجود. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٨].

- ويوجد خط فوق كل سجدة في المصحف وفي انتهائها علامة مثل هذه (ﷻ) أو هذه



{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا} بل الكفار الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً ونشوراً وحساباً وجزاءً وعقاباً وثواباً {يَكْذِبُونَ} يكذبون وينكرون ويجحدون بيوم القيامة {وَاللَّهُ أَعْلَمُ} الله تعالى يعلم ويعرف {بِمَا يُوعُونَ} ومن الوعي والإدراك أي يعلم ما يعلمون ويعرفون ويدركون ويفكرون ويخططون وهم لا يعرفون إلا الكفر والشرك والعناد {فَبَشِّرْهُمْ} أبلغهم بشارة يا محمد يا رسول الله {بِعَذَابِ أَلِيمٍ} بعذاب أليم موجه قاس وشديد يوم القيامة {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الطاعات والعبادات الصالحات المخلصة لله تعالى ولوجهه الكريم {هُمْ} لهم يوم القيامة عند ربهم {أَجْرٌ} ثواب {غَيْرُ مَمْنُونٍ} بغير حساب وغير محدد وغير محصور وغير قليل ولا مقطوع أي كثير جداً في الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

{وَالسَّمَاءِ} والسماء هي السماء الدنيا والتي نراها بأعيننا دائماً {ذَاتِ الْبُرُوجِ} ذات منازل البروج ومفردها برج أي ذات كواكب كثيرة يتألف منها اثنا عشر برجاً وهم (١) الحمل (٢) الثور (٣) الجوزاء (٤) السرطان (٥) الأسد (٦) السنبلة (٧) الميزان (٨) العقرب (٩) القوس (١٠) الجدي (١١) الدلو (١٢) الحوت. وهذه البروج تسير وتتحرك في السماء فإذا طلع برج في الشرق غاب سابعه في الغرب {وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} وهو يوم القيامة موعود لحساب وجزاء الناس جميعاً والخلق أجمعين {وَشَاهِدٍ} يوم الجمعة {وَمَشْهُودٍ} يوم عرفة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ يعني ابن موسى حدثنا موسى ابن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ " يوم القيامة " وَشَاهِدٍ " يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا

أعطاه إياه ولا يستعيز فيها من شر إلا أعاده " وَمَشْهُودٌ " يوم عرفة). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩١]. {قُتِلَ} هلك وعُذِبَ {أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ} أصحاب الخندق المحفور في الأرض والأخدود جمعها أخاديد {النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ} حيث أمر الملك ذو نواس آخر ملوك حمير جنوده فأوقدوا ناراً ووضعوها في أخدود وأحرقوا فيها المؤمنين ممن كانوا على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكِمَ حيث دعاهم ذو نواس إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فاختراروا القتل. [سيرة ابن هشام ص ٣٢-٣٧]. {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ} كان الكفار على الأخدود والنار وهي تشتعل وتحرق المؤمنين قاعدون يتفرجون {وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ} وهم على ما يفعلون ويعملون من عذابهم وحرقتهم في نار الأخدود والخندق {شُهُودٌ} حضور واقفون يشهدون ويتفرجون على ذلك المنظر والمؤمنون يُعَذِّبُونَ وَيُحَرِّقُونَ بدون رأفة أو رحمة أو تقوى {وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ} وما كرهوا وانتقموا منهم إلا لأنهم آمنوا بالله تعالى {الْعَزِيزِ} المنيع القوي في ملكه وسلطانه {الْحَمِيدِ} الحميد الصفات ويحمد من شكره ويزيده من نعمه وفضله ورحمته {الَّذِي لَهُ مُلْكُ} الذي بملكه وحوزته وتحت أمره وقدرته وسلطانه امتلاك وملك وحكم {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السموات السبع وما فيها من الملائكة والأرض وما فيها من المخلوقات {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو على كل شيء {شَهِيدٌ} شاهد وحاضر ومطلع {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا} إن الذين عذبوا {الْمُؤْمِنِينَ} الرجال الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَالْمُؤْمِنَاتِ} النساء المؤمنات بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {ثُمَّ لَمْ

يَتُوبُوا} لم يتوبوا ويندموا ويرجعوا عن تعذيبهم للمؤمنين والمؤمنات كمن عذب آل ياسر فكان صلى الله عليه وسلم كلما مر عليهم يقول: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة). فإن لم يتوبوا ويندموا ويرتدعوا ويرجعوا عن طغيانهم وتعذيبهم للمؤمنين {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} فلهم ومصيرهم جزاؤهم عذاب نار جهنم وحرقتهم فيها ليعذبوا بنار الحرق تحرق أجسادهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿١٢﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الطاعات والعبادات خالصة لله تعالى {هُم جَنَّاتٌ} لهم جنات يدخلونها يوم القيامة. والجنات جمع جنة وعددها ثمانية وهي: (١) دار الجلال (٢) دار السلام (٣) جنة المأوى (٤) جنة الخلد (٥) جنة النعيم (٦) جنة الفردوس (٧) جنة عدن (٨) دار القرار {تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري وتسير من تحت قصورها وخلال أشجارها الأنهار وهي نهر الماء غير الآسن ونهر اللبن ونهر الخمر ونهر العسل {ذَلِكَ} هذا هو {الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} هو النجاح الكبير والنجاح العظيم وهو الفوز بالجنة ونعيمها وأنهارها وملذاتها {إِنَّ بَطْشَ} إن عذاب {رَبِّكَ} خالقك وإلهك وهو الله تعالى {لَشَدِيدٌ} لقاس وموجع وأليم

وقوي {إِنَّهُ هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُبْدِي وَيُعِيدُ} يبدأ خلق الناس والكون والمخلوقات جميعاً ويحييهم ويميتهم ثم يعيدهم من جديد أحياء ويحييهم جميعهم {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْغُفُورُ} الذي يغفر الذنب ويقبل التوبة عن عباده ويمحو السيئات ويعفو عنها ويصفح ويتجاوز {الْوُدُودُ} المحب لخلقه ويتودد لهم ويرزقهم ويكفرون ويسامحهم ويعصون ويتودد لهم بالأرزاق والمغفرة وهم يعبدون غيره ويعصونه ويكفرون به {ذُو الْعَرْشِ} صاحب العرش وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. وفي رواية: (والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٩]. {الْمَجِيدُ} الله المجيد الصفات والأفعال {فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ} يفعل ما يريد وما يشاء وما يختار ولا راد لحكمه ولا لقضائه فهو رب الأرباب والخلق والكون كله {هَلْ أَتَاكَ} هل وصلك {حَدِيثٌ} علم وخبر وقصة والكلام عن {الْجُنُودِ} عن الأقسام وهم جنود الطغاة والكفرة والمتجبرين والظلمة والبغاة والعصاة {فِرْعَوْنُ} ملك مصر واسمه الوليد بن مصعب {وَتَمُودُ} وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا} لكن الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذبوا ولم يصدقوا بهم {فِي تَكْذِيبٍ} كذبوا رسلهم ففرعون مصر كذب رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام وقوم ثمود كذبوا نبيهم ورسولهم صالح عليه الصلاة والسلام {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ} والله من خلفهم {مُحِيطٌ} يعلم سرهم ونجواهم ومحيط ومطلع على أسرارهم

وأفعالهم وأعمالهم وعلى كفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لرسله وكتبه واليوم الآخر وبالقرآن الكريم {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ} بل هذا الذي أرسل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو قرآن {مُجِيدٌ} مُمَجَّدٌ وَمُكْرَمٌ وَمُقَدَّسٌ وَمُشَرَّفٌ وَمُبَجَّلٌ ومجيد في آياته وبيانه وأحكامه وأوامره ونواهيه. وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو صراط الله المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ " من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم). [كذا في المصابيح وروح البيان - خزانة الأسرار ص ٥٣]. {فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} أي القرآن الكريم كله محفوظ في اللوح المحفوظ ونزل منه إلى السماء الدنيا ببيت العزة ثم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً ومفرقاً حسب الحوادث. قال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان ابن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد ابن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلَّمه نور وكتابه نور لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويُعِزُّ وَيُذِلُّ ويفعل ما يشاء). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٧]. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا

البشرى يا بني تميم) قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠].

قال التميمي في منافع القرآن: من قرأ: "وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ" على باب منزله عند خروجه لسفركه ثلاث مرات أمن على من فيه من كل آفة ومن قرأها على نفسه وولده أمن من كل سوء. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ
لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِنْ
قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

{وَالسَّمَاءِ} والسماء هي السماء الدنيا والتي نراها بأعيننا دائماً وسمكها خمسمائة
عام {وَالطَّارِقِ} هو النجم والكوكب والشهاب الثاقب الذي يرصد الجن في السماء
ويحرق كل من يقترب إلى السماء ليتصنت ويتسمع للملائكة كما قال تعالى: " إِنَّا
زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ
إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {٩} إِلَّا
مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {١٠} " ٦-١٠ الصفات. {وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الطَّارِقُ} ما أعلمك وما أدراك ما هو الطارق {النَّجْمُ الثَّاقِبُ} النجم الذي يثقب
ويخترق الجن والشياطين ويحرقهم إذا اقتربوا من السماء وهو كالصاروخ الموجه
تلقائياً وربانياً يثقب ويحرق أجسام وأجساد الجن والشياطين عند اقترابها من
السماء لتستمتع للملائكة {إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} كل شخص من بني آدم
أرسل الله تعالى له حافظاً من الملائكة يحفظه من الجن والشياطين وهذا من فضل
الله تعالى علينا وعلى الناس جميعاً. وعدد الملائكة عشرون مع كل شخص عشرة
بالنهار وعشرة بالليل فقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير قال: حدثني المثنى

حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد ابن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرة وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها؟ قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثاً قال: اكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى: " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ " الآية وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل).

[ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤]. {فَلْيَنْظُرِ} فلينظر وليشاهد ويعتبر {الْإِنْسَانُ} وهو ابن آدم وسُمي بالإنسان لكثرة نسيانه ولأنه يأنس إلى غيره {مِمَّ خُلِقَ} من ماذا وجد وخُلِقَ وأنشئ {خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ} خُلِقَ من ماء ومني الرجل والمرأة {دَافِقٍ} يتدفق ويخرج متدفقاً مندفعاً عند جماع الرجل للأنثى [الرجل لزوجته] {تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} يخرج هذا المنى الماء النازل من الرجل من ذكّره وأصله ومنبعه من صلبه أي ظهره والمرأة تنزل شهوتها من فرجها وأصله ومنبعه من الترائب أي من صدرها {إِنَّهُمُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَى رَجْعِهِ} على رجعته

على رجوع الإنسان مرة ثانية حياً بعد موته يوم القيامة كما خلقه أول أمره {لِقَادِرٌ} قادر ويستطيع ذلك لأنه على كل شيء قدير {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} يوم تُعرف وتُكشف الأسرار التي في القلوب والصدور ويظهر ما كُتم وخفي في الصدور كما قال تعالى: " وَلَيَبْتُلِيَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " ١٥٤ آل عمران. {فَمَا لَهُمْ} فليس لهذا الشخص {مِنْ قُوَّةٍ} من قوة وجبروت يساعده ويحميه من العذاب في جهنم يوم القيامة {وَلَا نَاصِرٍ} ولا أحد يناصره ويساعده ويسانده.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا ﴿١٧﴾﴾

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} والسماء ذات المطر الذي يرجع كل عام في فصل الشتاء وفي بعض البلاد كالسودان تمطر السماء في الصيف {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} والأرض تتصدع وتتشقق لتبتلع الماء حتى ينبت النبات إذا سقي وروي ويخرج النبات أخضر ذا بهجة لرعي الحيوانات والمواشي وتزهر الزهر وتثمر الأشجار {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ} إن القرآن قوله فصل بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان {وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ} ليس هو ضحك بل جد وحق وصدق وعدل وصحيح {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} الكفار تكيد بعمل المعاصي والكفر والشرك والذنوب وارتكابها {وَأَكِيدُ كَيْدًا} أستدرجهم من حيث لا يعلمون حتى أعذبهم يوم القيامة {فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ} تمهل واترك هؤلاء الكافرين فترة قليلة الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

الآخر {أُمَّهْلَهُمْ رُؤَيْدًا} أمهلهم واتركهم قليلاً حتى يأتيهم العذاب أو الموت ويوم القيامة عذابهم في نار جهنم خالدين فيها.

قال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم بن مسعر عن محارب ابن دثار عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفتان أنت يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها؟). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٧]. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعتُه أنا منه حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد ابن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعتُه يقول: "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ" حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعنتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم فقال مَنْ معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٧].

وإياتها 19

سورة الأعلى
مكية

سورة رقم 87

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ⑧ فذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرُ مَنْ تَخَشَى ⑩ وَتَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ ﴾

{سَبِّحْ} نَزَّهَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَقَدَّسَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ {اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} رَبِّكَ الْأَعْلَى الْأَجَلُ الْأَعْظَمُ أَيُّ قُلِّ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" قَالَ: (سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩]. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا مُوسَى يَعْنِي ابْنَ أَيُّوبَ الْغَافِقِيَّ حَدَّثَنَا عَمِي إِيَّاسُ بْنُ عَامِرٍ سَمِعْتُ عَقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجَهَنِّيَّ لَمَّا نَزَلَتْ: "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ) فَلَمَّا نَزَلَتْ: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" قَالَ: (اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى فَلَهُ حَديقَةٌ فِي الْجَنَّةِ كَحَديقَةِ عُثْمَانَ). [نزْهَةُ الْمَجَالِسِ ج ١ ص ١٣٧]. {الَّذِي خَلَقَ} اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ قَدْرَهُ وَعَلَا شَأْنَهُ الَّذِي خَلَقَ وَأَوْجَدَ وَأَنْشَأَ {فَسَوَّى} سِوَاكَ أَمْرًا سِوَا تَامِ الْخَلْقَةِ وَالصُّورَةِ رَجُلًا أَوْ

امراً وجعلك في أحسن تقويم وأحلى صورة وهيئة {وَالَّذِي قَدَّرَ} أي قدره الله تعالى وأراده ذكراً أو أنثى {فَهَدَى} فهده النجدين وكما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً " وهده بجوهرة العقل وبه فضله على المخلوقات {وَالَّذِي} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَخْرَجَ الْمَرْعَى} أخرج العشب من الأرض بعد نزول الأمطار ترعاه الإبل والبقر والمواشي والأغنام والحيوانات {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوًى} يابساً ناشفاً حطاماً ثم هباءً {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} سنُحفظك القرآن يا محمد فلا تنسى بعد ذلك أبداً وهذه مِنَّة من الله تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن الكريم فلا ينساه {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} ما عدا ما أراد الله تعالى أن تنساه فينسيك إياه {إِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ الْגَهْرَ} يعلم العلى {وَمَا يَخْفَى} والسر وما دونه {وَنُيْسِرُكَ} ونسهلك {لِلْيَسْرِ} للأسهل {فَذَكِّرْ} فذكر الناس وعظهم لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} إن نفعت معهم العظة ولقيت آذاناً صاغية وواعية {سَيَذَكَّرْ} سيعتبر {مَنْ تَخَشَى} من يخاف الله تعالى وعذابه في جهنم يوم القيامة {وَيَتَجَنَّبُهَا} ويعرض عنها {الْأَشْقَى} الشقي والعاصي والكافر الذي {الَّذِي يَصْلَى} يحرق في {النَّارِ الْكُبرى} نار جهنم فهي أكبر من نار الدنيا سبعين مرة فقد روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٧]. {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا} أي يخلد في

النار لا يموت ويرتاح {وَلَا تَحْيَىٰ} ولا يحيى حياة طيبة ولا سعيدة ويرتاح من العذاب فالعذاب مستمر ودائم عليه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾

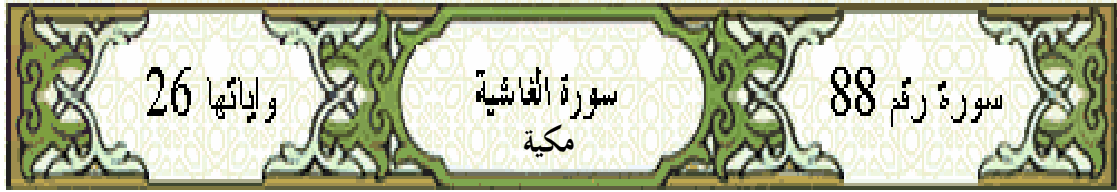
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى ۖ ﴿١٧﴾﴾

{قَدْ أَفْلَحَ} قد فاز ونجح {مَنْ تَزَكَّى} من طهر نفسه من الكفر والشرك والمعاصي {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ} أي ذكره قياماً وقيوداً وعلى جميع أحواله أي يكرر اسماً من أسمائه وكما قال تعالى: "وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" ٣٥ الأحزاب. {فَصَلَّى} فصلى فرضه وأوقاته الخمس (الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء) حتى يفلح وينجح ويفوز بالجنة {بَلْ تُؤَثِّرُونَ} بل تختارون وتفضلون وتقدمون {الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا} الدنيا وعيشها وحياتها تفضلونها عن الآخرة وعن يوم القيامة {وَالْآخِرَةَ} يوم القيامة {خَيْرٌ} أفضل وأحسن {وَأَبْقَى} لأنها دائمة الخلود بلا موت إن كان في الجنة وإلا النار خلود بلا موت {إِنَّ هَذَا} إن هذا القول عن الدنيا والآخرة وأن الآخرة أبقي وخير من الدنيا {لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} لفي الكتب الأولى {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ} كتب إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {وَمُوسَى} وكتب موسى عليه الصلاة والسلام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بـ "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" و "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ" وإن

وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل: (هَلَّا صَلَّيْتُ بِـ "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" وَ "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا" وَ "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى") لأنه قرأ في صلاة المغرب من الركعة الأولى بالبقرة والثانية بالنساء. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى ﴿٤﴾ نَارًا حَامِيَةً ﴿٥﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَآنِيَةٍ ﴿٦﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٧﴾ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٨﴾ ﴾

{هَلْ أَتَاكَ} هل وصلك يا محمد يا رسول الله {حَدِيثُ} علم وخبر وقصة والكلام عن {الْغَاشِيَةِ} يوم القيامة يغشى الناس ويأتيهم ويمر عليهم وطول هذا اليوم خمسون ألف سنة كما قال تعالى: " تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " ٤ المعارج. {وَجُوهٌ} وجوه بعض الخلق {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {خَشِعَةٌ} خائفة باهتة {عَامِلَةٌ} عاملة بالذنوب والمعاصي والمحرمات {نَّاصِبَةٌ} متعبة ومرهقة يوم القيامة من عمل المعاصي التي اقترفتها في الدنيا {تَصَلَّى} نَارًا حَامِيَةً} تحرق في نار حامية الوطيس حامية الحرارة وشديدها {تُسْقَى مِنْ} الكفار تسقى وتشرب من {عَيْنٍ} عين ماء وينبوع ماء {عَآنِيَةٍ} شديدة الحرارة والغليان {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ} ليس للكفار طعام يأكلونه {إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} إلا من نبات ذي شوك كثير وطعمه مر واسمه في فلسطين المرَّار ولا تأكله إلا الإبل وهو أخضر ولا يستطيع الإنسان لمسه إلا شاكه إذا كان أخضرًا وطرياً أما إذا جف ويابس فلا أحد يستطيع أن يلمسه أو يمر عليه ولا ينفع لشيء إلا حرقه جميعه حتى يخلص الناس من أذاه عند جفافه ويسمى عند قريش الشبرق وعند أهل فلسطين المرَّار وهي

نبات صحراوي ورقته رفيعة نوعاً ما ولها في طرفها شوكة حادة مؤذية ويكون ورقه عبارة عن شوك كله وهي قصيرة لا ترتفع كثيراً عن سطح الأرض ويخرج في الأماكن التي لا تصلح للزراعة حيث أنه ضار ولا ينفع لشيء وتأكله الجمال والإبل وهو أخضر كما أسلفنا {لَا يُسْمِنُ} لا ينفع ولا يغني أكله لكثرة شوكة ومرارته فهو غير صحي ولا يزيد به الجسم {وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ} ولا يسد في مكان الطعام حتى يشبع منه المرء وكيف يشبع من شوك ومن مر وكما أسلفنا لا ينفع إلا للإبل من جميع الحيوانات فكيف ينفع للإنسان.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۖ﴾

{وُجُوهٌ} وجوه بعض الناس {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {نَّاعِمَةٌ} ناعمة جميلة نضرة مسرورة بهية {لِّسَعِيهَا} لما سعت وعملت في الدنيا من الصالحات والعبادات والطاعات لله تعالى {رَاضِيَةٌ} عن أعمالها الصالحات وأنها علمت أنها أخلصت فيها لله تعالى وحده {فِي جَنَّةٍ} مصيرها في جنة أي تدخل الجنة {عَالِيَةٍ} عالية الدرجة والمنزلة أي في العاللي أي "فوق فوق" كما يقولون {لَا تَسْمَعُ فِيهَا} لا تسمع في الجنة {لَغِيَةً} لغواً ولا صوتاً مزعجاً ولا ضوضاء {فِيهَا} في الجنة {عَيْنٌ} جَارِيَةٌ عيون الجنة جارية لا تتوقف ولا تنقضي {فِيهَا سُرُرٌ} في الجنة سرر ومفردها سرير للنوم والاستجمام والاتكاء وليس النوم كما في الدنيا لأن نوم الدنيا موت مؤقت ولا موت في الجنة بل نوم استلقاء واسترخاء ونوم مع الزوجة في الجماع على السرير في الجنة {مَّرْفُوعَةٌ} مرتفعة عن الأرض وإذا أراد الإنسان

الجلوس عليها هبطت ونزلت إليه كما تبرك الإبل عندما تكون واقفة وتريد الجلوس أو كالمصعد الكهربائي إذا طلبته نزل إليك وهو في الأعلى {وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ} أكواب [ومفردها كوب] كثيرة موضوعة في انتظار الشرب أو الطلب {وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} ووسائد [أي مخدات] ومساند مرتبة ومجهزة ومعدة ليتكى عليها ولي الله في الجنة {وَزَرَائِي} وبُسط [جمع بساط] وفُرُش [جمع فرشاة] {مَبْثُوثَةٌ} موضوعة بكثرة في كل مكان يذهب إليه ولي الله تعالى ليجلس عليها أو ليستريح عليها.

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿١٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿١٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ} أفلا ينظرون بأعينهم ويشاهدون {إِلَى الْإِبِلِ} الجمال {كَيْفَ خُلِقَتْ} كيف خلقها الله تعالى ضخمة قوية تحمل أثقالاً كبيرة وكثيرة وهي عالية عن الأرض ضخمة البدن سنامها أعلاها وهي كما يقال سفينة الصحراء تتحمل الأثقال وتتحمل المشاق وتخزن الماء في جسمها إذا احتاج إليه الجيش ذبحوا الجمل واستخرجوه منه ليشرب الجند في السفر ولحمه يؤكل ووبره يستفاد منه في عمل طاقة للرأس {وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} وإلى السماء الدنيا كيف رفعها الله وخلقها وجعلها عالية جداً ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وسماك كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء والتي تليها خمسمائة عام ومن بناها وعلاها طبعاً هو الله تعالى وهذا يدل على عظيم قدرته وعظيم شأنه جل جلاله وعظم قدره وعلا

شأنه {وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} ولينظروا كذلك للجبال كيف نصبها الله تعالى ووضعها من صخور متماسكة عالية شامخة تثبت الأرض كالأوتاد للخيمة {وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} وإلى الأرض كيف خلقها الله تعالى ووسطحها ومهدّها للناس حتى يعيشوا عليها باطمئنان وهدوء {فَذَكِّرْ} فعظ الناس يا محمد يا رسول الله وانصحهم وأخبرهم عن قدرة الله تعالى وخلق له للسماء والأرض والجبال والإبل أفلا يستحق العباداة والطاعة وتوحيده وحده لا شريك له {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} إنما أنت فقط يا محمد يا رسول الله مذكر وواعظ فقط {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} لست عليهم بحاكم ولا غاصب لهم بالقوة كما قال تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " ٢٥٦ البقرة. {إِلَّا مَنْ تَوَلَّى} إلا من أعرض عن الإيمان {وَكَفَرَ} وكذب ولم يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ} فيعذبه الله تعالى يوم القيامة {الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ} بعذابه في نار جهنم وحرقه فيها فهو العذاب الأكبر لأنه نار محرقة {إِنَّ} للتأكيد {إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ} رجوع وعودة الناس والخلق جميعاً لله تعالى يوم القيامة لمحاسبتهم على أعمالهم {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا} على الله تعالى {حِسَابَهُمْ} عذابهم وعقابهم وجزاؤهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين ب " سُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى " و " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ " وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ تَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ۝٨ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

{وَالْفَجْرِ} هو فجر يوم عرفة وأقسم الله تعالى بفجر عرفة: (١) لأن الفجر عموماً يشهد صلاته الله والملائكة لقوله تعالى: "إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً" ٧٨ الإسراء. (٢) ولأن تكبير التشريق يبدأ من فجر يوم عرفة (٣) لأن يوم عرفة يتجلى الله فيه على الحجاج وهم بالموقف ويكثر فيه العتق من النار فعن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقاً منه ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٦]. {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} وهي ليال ذي الحجة لأداء فريضة الحج فيها فكلها مناسك {وَالشَّفْعِ} يوم عيد الأضحى وهو يوم النحر لأنه يوم العاشر من ذي الحجة وهو شفع أي بالزوج [زوجي] {وَالْوَتْرِ} وهو يوم عرفة لأنه في اليوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم وتر أي فرد. ومعنى الشفع عموماً الزوج وهي عامة سواء الصلاة الثنائية أو يوم النحر كون يومه زوجياً لأنه العاشر من ذي الحجة. ومعنى الوتر عموماً الفرد وهو عام

سواء الله تعالى الفرد أو يوم عرفة كون يومه فردياً لأنه يوم التاسع من ذي الحجة أو صلاة الوتر وهي التي بعد العشاء ويختم بها المسلم صلاة يومه والوتر حق وواجب لقوله صلى الله عليه وسلم: (الوتر حق فمن لم يوتر فليس مني). [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٧٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثني حر بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٥]. وعنه صلى الله عليه وسلم: (في أول من ذي الحجة وُلد إبراهيم عليه السلام فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ثمانين سنة) وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام الدنيا أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من أيام العشر وإن صيام يوم منها ليعدل صيام سنة) وقال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعادل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٤٢]. {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ} والليل إذا أقبل واستمر دخوله وظلامه كما قال تعالى: " وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ " ١٧ التكوير. وكما قال تعالى: " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا " ٤ الشمس. وكما قال تعالى: " وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى " ٢ الضحى. وهنا الليل إذا يسر أي يأتي ليلة العيد ويدفع الحجاج للمبيت بالمزدلفة بعد غروب شمس اليوم التاسع يوم عرفة {هَلْ فِي ذَلِكَ} هل في هذا القسم والحلف واليمين بالحج وأيامه ولياليه وموسمه وشعائره وبعد هذا البيان وهذا التوضيح {قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} قسم ويمين وحلف لذي عقل فيفهم ويدرك أن الله تعالى علام الغيوب وهو الخالق وهو المشرع وحده للحجيج مواسمهم وشعائهم وعباداتهم وأن الله تعالى واحد لا شريك له وهو المعبود وحده ويجب أن يطاع

ويعبد وحده لا شريك له {أَلَمْ تَرَ} ألم تعلم {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ} كيف فعل ربك يا محمد يا رسول الله {بِعَادٍ} وهم قوم هود عليه الصلاة والسلام {إِرَمَ} وهم أي عاد قبيلة إرم. وإرم هو إرم بن عوص بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام {ذَاتِ الْعِمَادِ} ذات الأطوال والقامات المرتفعة جداً كما قال تعالى فيهم على لسان نبيهم هود عليه السلام: " وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ٦٩ الأعراف. وكذلك ذات العماد أي ذات البنايات العالية المرتفعة لطول قاماتهم {الَّتِي لَمْ تُخَلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ} التي لم يخلق الله تعالى قامات في مثل طول قاماتهم ولا أضخم من جثثهم فهم طوال العماد أي طوال القامة أقوىاء جداً لم يخلق الله تعالى من بني آدم من هو أطول منهم أو أضخم جثة منهم ثم كيف أهلكهم الله تعالى {وَتَمُودَ} وهي قبيلة صالح عليه الصلاة والسلام {الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ} أي قطعوا الصخر من الواد يصنعون منه بيوتهم كما قال تعالى: " وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ " ١٤٩ الشعراء. {وَفِرْعَوْنَ} فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عليه الصلاة والسلام {ذِي الْأَوْتَادِ} صاحب الأهرامات الراسخة الثابتة في الأرض كالجبال التي جعلها الله أوتاداً لقوله تعالى: " وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً " ٧ النبأ. {الَّذِينَ طَغَوْا} الذين ظلموا وتجبروا {فِي الْبَلَدِ} في بلادهم وفي شعبهم {فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} فأكثرُوا فيها الفساد والمعاصي والذنوب والكفر والشرك وانتهاك الأعراض وارتكاب المحرمات {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ} فسلط عليهم {رَبُّكَ} ربك وإلهك وخالقك يا محمد يا رسول الله {سَوَّطَ عَذَابٍ} نوعاً من العذاب [والسوط هو الكرباج الذي يجلد به ظهر الناس] فمثلاً قوم عاد وهم قوم هود عليه الصلاة والسلام سلط الله عليهم الريح

العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً وأما قوم ثمود وهم قوم صالح عليه السلام طلبوا من صالح عليه السلام أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأرسلها لهم ثم عقروها وكذبوه فأهلكهم الله تعالى بالصعقة والزلزلة وأما فرعون مصر وهو ملك مصر كذب نبي الله ورسوله موسى عليه السلام بعد أن رأى معجزة العصا عندما أصبح ثعباناً وحية تسعى فلم يصدقته وكذبه فأغرقه الله تعالى هو وجنده {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} إن ربك يرصد أعمال الكفار ويمهلهم ويستدرجهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿١٠﴾ ﴾

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ} فابن آدم وسمي بالإنسان لأنه ينسى كثيراً وكذلك يأنس إلى غيره {إِذَا مَا ابْتَلَاهُ} إذا ما اختبره وامتحنه {رَبُّهُ} خالقه وإلهه وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَأَكْرَمَهُ} فأغناه وأكرمه بنعمة المال والجاه ليرى ماذا يفعل في غناه {وَنَعَّمَهُ} وأترفه بها {فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} أي تفضل عليّ وأغواني من فضله {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ} وأما إذا ما ابتلاه وامتحنه واختبره بالعكس من الغنى {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} فأفقره وجعله على قدر عيشته لا زيادة ولا نقصان وشح عليه في الرزق وجعله قليلاً {فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ} فعندها يقول ربي أهانني وأذلني ولم يصبر ويحمد الله تعالى في السراء والضراء معتقداً أنه تعالى لحكمة أفقره ويوم القيامة يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصبر نصف الإيمان وقد قال تعالى: " وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " ٣ العصر. وفي الصحيحين: (والذي

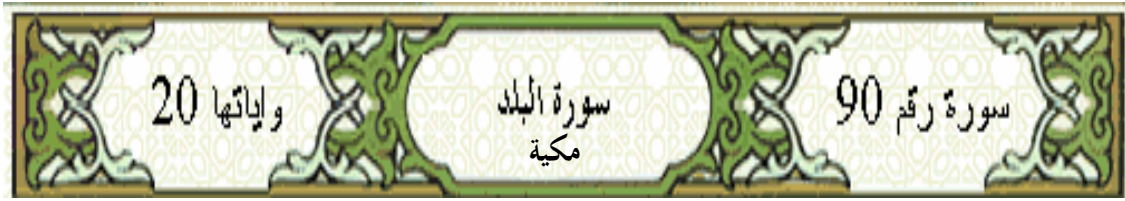
نفسى بيده لا يقضى الله لمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. وفي الحديث المرفوع عن ابن مسعود: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠١]. {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} لا تطعمونه وتعطفون عليه وتحنون عليه وتواسونه وتتصدقون عليه بعطف وحنان ومحبة. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) وقرن بين أصابعه الوسطى والتي تلي الإبهام. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٩]. {وَلَا تَحْضُوبٌ} ولا تأمرون ولا تحثون {عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} على إطعام المسكين والفقير والمحتاج والذي لا يجد من يطعمه أو يعيله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين بهذا الطواف الذي تردّه التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفْطَنُ له فَيَتَصَدَّقَ عليه ولا يسأل الناس شيئاً). [متفق عليه - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ} وتأكلون الميراث {أَكْلًا لَّمًّا} أي لا توفروا لا أبيض ولا أسود أي لا تتركوا منه شيئاً لغيركم من الورثة فتقطعوا أرحامكم من أخواتكم وبناتكم وإذا كان إخوانكم قصراً أكلتم حقهم وكذلك الذي يكون وصياً على تركة أولاد أخيه فيأكلهم {وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا} وتحبون المال حباً كثيراً أكثر من كل شيء والدليل على ذلك أن من الناس من يبيع أرضه أو عرضه حتى دمه أو بعض أعضائه أو بلده يبيعها للأعداء في سبيل المال. وعن أبي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقُطَيْفَةِ إِنْ أُعْطِيَ رُضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ). [أخرجه البخاري - سبل السلام ج٤ ص١٧٣].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ وَجِئْتَ يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُّ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۖ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۖ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ فَأَدْخِلْنِي عِبْدِي ۖ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ۖ﴾

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} لا. دعهم في طغيانهم يعمهون فعندما تُدَكُّ الأرض وتتنزل وتُخرج الأرض أثقالها وأحمالها من الناس يخرجون من قبورهم سراعاً يوم القيامة يوم الحسرة والندامة {وَجَاءَ رَبُّكَ} وجاء ربك يا محمد للحساب والجزاء والعذاب والعقاب والثواب {وَالْمَلَكُ} والملائكة {صَفًّا صَفًّا} في صفوف واقفين ينتظرون أمر الله بالحساب والجزاء {وَجِئْتَ يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُّ} وأنت جهنم وظهرت نيرانها ولهيبها وحرقتها {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} عندها يوم القيامة فقط يتذكر ويفتكر الإنسان ما عمله وما قدم وما أخر {وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} وماذا تنفعه الآن الذكرى والندامة والحسرة على ما قصر في جنب الله تعالى في الدنيا {يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} يا ليتني قدمت عملاً صالحاً أدخره لهذا اليوم ولحياتي في الآخرة يوم القيامة لأن حياة الدنيا انتهت والآن الحياة الآخرة {فَيَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} لا يستطيع أن يعذب بمثل

عذاب الله أحد لشدته وقسوته وألمه ووجعه {وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} ولا أحد
يُحكم الربط والتقييد في الحديد والقيود بمثل إحكام وثاقه تعالى دليلاً على شدة
عذاب الله تعالى وشدة وإحكام وثاقه للعاصين والمذنبين {يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}
وهي نفس المؤمن والولي الصالح مطمئنة بحسن عبادتها في الدنيا وطاعتها لله تعالى
{أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ} بالبعث والنشور {رَاضِيَةً} بالجنة {مَرْضِيَةً} بالثواب بنعيم
الجنة وترفها وحورها وقصورها وفواكه كثيرة ولحم طير مما يشتهون {فَادْخُلِي فِي
عِبَادِي} وكوني مع عبادي الصالحين {وَادْخُلِي جَنَّتِي} وادخلي جنة الله تعالى
خالدة مخلدة لما قدمتي من طاعات وعبادات لله تعالى في الدنيا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَتَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾
أَتَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾

{لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} أي لا داعي للقسم كمن يقول بدون يمين أي صدقوني بدون قسم وبدون حلف وبدون يمين وهو في حد ذاته كأنه يقسم على قوله وكما قال تعالى: " فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " ٧٦، ٧٥ الواقعة. أي لا داعي لأن أقسم لكم فإن قلبي هو الحق " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ١٢٢ النساء. وخاصة {وَأَنْتَ حِلٌّ} وأنت موجود {بِهَذَا الْبَلَدِ} بمكة وذلك كرامة لك حيث أنت أفضل عند الله وهذا إعلاء لمنزلة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كيف لا وقد قرن اسمه باسمه [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وحتى في الصلاة نقول في التشهد: [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله] وكذلك يجب أن نسلم عليه ونحن في صلاتنا بقولنا السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وكيف لا وهو سيد ولد آدم. كيف لا وقد وصل منزلة تحت العرش في ليلة الإسراء والمعراج لم يصلها أحد من خلقه حتى جبريل عليه السلام لم يصلها لأنه عند سدرة المنتهى قال له يا محمد أنت في مقام لا يتجاوزه أحد من خلق الله ولو تجاوزته لاحتقرت بالنور. [نزهة

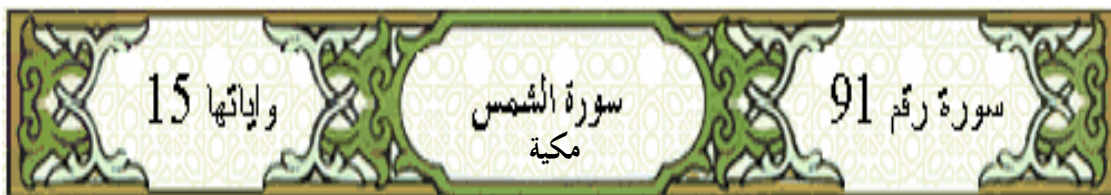
المجالس ص ٤٠٢]. كيف لا وله الشفاعة العظمى يوم القيامة وهو المقام المحمود فما بالكم بالدنيا أليس مقامه محموداً أكثر {وَوَالِدٍ} وكل والد على وجه الأرض أي كل من تزوج وأصبح له أولاد {وَمَا وَلَدٌ} وكل من ولد من الأولاد. أو (ووالد) هو آدم أبو البشر (وما ولد) جميع أبنائه وذريتهم إلى يوم القيامة وفيهم الأنبياء والصالحون والأولياء {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} لقد خلق الله تعالى الإنسان وأنشأه [وقد سمي بالإنسان لأنه ينسى كثيراً وكذلك لأنه يأنس بغيره] {فِي كَبَدٍ} أي يكابد العناء والمشقة ومتاعب الحياة الدنيا {أَتَحْسَبُ} أيظن ويعتقد {أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} أن الله تعالى لا يستطيع عذابه وقهره لأنه أمهله واستدرجه {يَقُولُ} يقول الكافر {أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} أي صرفت وأنفقت مالا كثيراً أي رُزماً رُزماً في المحرمات في الزنا وشرب الخمر والقمار والمعاصي جميعها فهو يفتخر أنه ينفق أموالاً طائلة في الحرام ولم ينفق فلساً واحداً في الحلال في الصدقات أو مساعدة الفقراء والمساكين أو يبني مسجداً أو مدرسة أو ينفقها في سبيل الله تعالى {أَتَحْسَبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ} هل يظن ويفتكر ويعتقد وهو يرتكب المحرمات والفواحش أنه لم يره أحد لأنه اختبأ لا فليعلم أن الله تعالى يراه وسيحاسبه يوم القيامة ما لم يعتبر ويتوب {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} ألم يخلق الله تعالى من كرمه وفضله له عينين يرى بهما أفلا يشكر الله تعالى على نعمة البصر فيتقيه {وَلِسَانًا} ولساناً من لحم ينطق ويتكلم به {وَشَفَتَيْنِ} وشفتين تفتلان فمه حفاظاً على الطعام والشراب الذي يأكله ويشربه حتى لا يسقط ثانية فلا يستفيد منه إذا لم توجد الشفتان {وَهَدَيْنَاهُ} وهداه الله تعالى بجوهرة عقله {النَّجْدَيْنِ} أي هداه وعلمه وأرشده للطريقين المعتادين (الخير والشر) (الضلال والهدى) (الطاعة والمعصية) (الإيمان

والكفر) وهو مخير بين الاثنين يختار في الدنيا ما يشاء وما يريد وفي الآخرة عذاب شديد إذا عصى وضل.

﴿ فَلَا أَقْتَحِمَ الْعُقْبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۝ فَكُ رَقَبَةً ۝ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۝ ﴾

{فَلَا أَقْتَحِمَ} أفلا يستطيع اقتحام واجتياز وتعدي {الْعُقْبَةُ} والعقبة هي الشيء الصعب في طريق الإنسان الذي يقف حائلاً دون تنفيذ إرادة المرء وهي يوم القيامة إذا المرء اجتازها وتعداها ونجح فيها دخل الجنة {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ} ما أدراك وما أعلمك وما عرفك ما هي العقبة التي نقصدها هنا لدخول الجنة هي {فَكُ رَقَبَةً} عتق رقبة مسلمة. قال أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار). [ابن كثير ج ٤ ص ٥١٤]. {أَوْ إِطْعَمُ} إطعام الطعام {فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} في يوم ذي مجاعة وفقر واحتياج. وكثير ما تمر هذه الأوقات أيام الحروب وأيام القحط والجذب {يَتِيمًا} فاقد الأبوين أو أحدهما وهو طفل أو غلام لم يبلغ سن الرشد أو الحلم بعد {ذَا مَقْرَبَةٍ} قريباً له تربطه به قرابة {أَوْ مِسْكِينًا} فقيراً لا يجد من يعيله ولا يُفطن له {ذَا مَتْرَبَةٍ} ذا فقر مدقع وجائر {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} ثم كان ممن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} أي صبروا ووعظوا الناس بالصبر. وفي الصحيح: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن

أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٤]. {وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} أي رحموا عباد الله تعالى ووصوا وأوصوا بها الناس. وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان عن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو قال: (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا). [ابن كثير ج ٤ ص ٥١٤]. وفي الحديث: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). [ابن كثير ج ٤ ص ٥١٤]. {أُولَئِكَ} هؤلاء هم {أَصْحَابُ الْمِمْنَةِ} أهل اليمين أي يأخذون كتبهم يوم القيامة بيمنهم أي أنهم من أهل الجنة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَآيَتِنَا} والذين كذبوا بآيات الله تعالى والقرآن الكريم وآياته وبيانه وتوضيحاته وأوامره ونواهيه {هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} هم أصحاب الشؤم والعذاب وهم أهل الشمال أي يأخذون كتبهم بشمالهم فهم أهل النار ويدخلون جهنم {عَلَيْهِمْ نَارٌ} عليهم في جهنم نار تحرقهم {مُؤَصَّدَةٌ} مقفلة ومحكمة القفل كاللحم في القدر وهو مغلق بغطائه لا فرار ولا ملجأ ولا منجا من نار جهنم خالداً فيها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

{وَالشَّمْسُ} وهي الشمس التي نراها وتضيء لنا الأرض بنورها {وَضُحَاهَا} وهو ضياؤها ونورها عندما يشتد في الضحى أي عندما تعلو في السماء. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً في الجنة). [رواه الترمذي - سبل السلام ج ٢ ص ١٧]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما يشاء. [رواه مسلم - سبل السلام ج ٢ ص ١٦]. {وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا} والقمر الذي يتلو الشمس إذا غابت وذلك في الليل {وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا} ونهار اليوم عندما يُجَلِّي الشمس كالعروس وهذا تصوير رائع فالشمس عندما تطلع وتسطع فهي كالعروس إذا تجلت وظهرت وبانت وكذلك الشمس كأن النهار جلاها كالعروس أي ظهرت الشمس وبانت وتحركت من المشرق إلى المغرب في السماء {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا} والليل الذي يغشى الشمس ونهارها فيذهبها ويجعلها تغيب ويأتي بعدها الليل بظلامه {وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا} ويقسم الله تعالى بالسماء وربها وخالقها الذي بناها وأحسن خلقها وأعلاها {وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا} والارض وخالقها الذي بسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها كما قال تعالى: " فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ

لَحَقَّ " ٢٣ الذاريات. {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا} وكل نفس والذي خلقها فأحسن وأبدع خلقها وفي أحسن صورة سواها فمن خَلَقَ الإنسان الذي خلقه في أحسن صورة وأحسن تقويم {فَأَلْهَمَهَا} فعلمها {فَجُورَهَا} فسقها وعصيانها ومعاصيها وكفرها وشركها وضلالها {وَتَقَوَّيْنَاهَا} صلاحها وهداها وذلك بالعقل الذي خلقه الله تعالى لها ليدبر شئونها إما الطاعة وإما المعصية حسب ما ترغب وتريد وتتحكم في شهواتها وملذاتها وكما قال تعالى: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" ٥٠ طه. {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} قد نجح وفاز وسلم من زكى نفسه وطهرها من الذنوب والمعاصي والشرك والكفر والطغيان {وَقَدْ خَابَ} خسر وتعس وهلك {مَنْ دَسَّاهَا} من غمسه في الفجور والفواحش والمحرمات والكفر والشرك والعصيان.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۖ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۖ وَلَا تَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ﴾

{كَذَبَتْ ثَمُودُ} كذبت وأنكرت وحدثت قبيلة ثمود قول نبيهم ورسولهم صالح عليه الصلاة والسلام أن لا يعقروا الناقة التي أخرجها لهم من صخرة بناءً على طلبهم معجزة له على أنه رسول الله إليهم ولكن قبيلته ثمود كذبتهم {بِطَغْوَيْهَا} بظلمها وجبروتها وكبرها وعنادها وكفرها وعصيانها {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} إذ أرسل أشقى هذه القبيلة قبيلة ثمود لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكانت امرأة جميلة في قومها وغنية وثرية وعدته واشترطت عليه إن هو عقر الناقة ناقة صالح عليه السلام ستتزوج به وتعطيه مالها فانبعث إليها وأرسل وذهب للناقة ليعقرها {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ} صالح عليه الصلاة والسلام {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} هذه ناقة

الله ومعجزته لكم لا أحد يمسها بسوء فهي أي الناقة لها يوم تشرب فيه من البئر وكانت تشربه كله ويوم للقوم يسقون فيه ماشيتهم وإبلهم وبقرهم وأنعامهم ويشربون هم كذلك وكانت الناقة في يوم شربها تسقي القبيلة كلها من لبنها {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} كذبوه ولم يصدقوه فعقروها عقرها قدار بن سالف وهو أشقى القوم {فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمَ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} فسلط الله عليهم بذنوبهم هذا وهو عقر الناقة الصيحة والصاعقة والزلزلة فأهلكهم عن آخرهم {فَسَوَّيْنَاهَا} أي دمرها وسواها بالأرض وأهلكهم جميعاً وتخلص منهم {وَلَا تَخَافُ} ولا يخاف الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عُقِبْنَاهَا} عاقبتها لأنه لا يُسأل عما يفعل كما قال تعالى: " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " ٢٣ الأنبياء.

قال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم بن مسعر عن محارب ابن دثار عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفتان أنت يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسما والطارق والشمس وضحاها ونحوها؟). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ} والليل إذا جاء وأتى وغطى الأرض بظلامه {وَالنَّهَارِ} هو نهار اليوم {إِذَا تَجَلَّىٰ} إذا ظهر بنوره وتجلي بضيائه {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ} والذي خلق الذكر والأنثى الرجل وزوجته وكل ذكر وأنثاه {إِنَّ سَعْيَكُمْ} إن عملكم وأشغالكم {لَشَتَّىٰ} لكثيرة ومتفرقة {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ} فأما من أعطى الله تعالى حقوقه وواجباته بالطاعة والعبادة وأعطى الصدقات للفقراء {وَاتَّقَىٰ} واتقى الله تعالى في أوامره ونواهيه وخافه في جميع أعماله وأفعاله وأقواله {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ} وصدق بالآخرة وبالجنة وما فيها من نعيم {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ} فسنسهل له أموره في الدنيا ونحييه حياة طيبة كما قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ٩٧ النحل. وكما قال تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " ٣، ٢ الطلاق. {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ} من بخل بالإنفاق من ماله في الخير والصدقات {وَاسْتَغْنَىٰ} ومنع الصدقات واستغنى

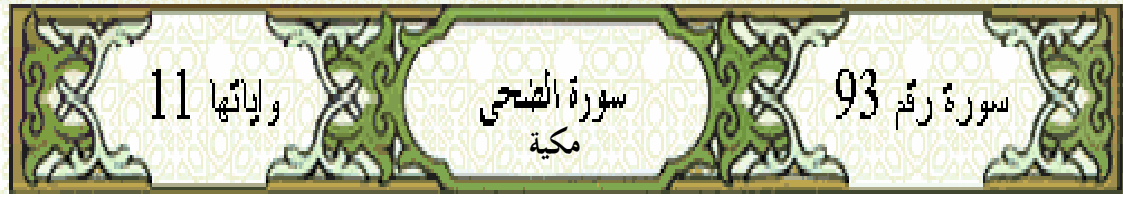
عنها أي لم ينفقها ولم يرد الصدقات {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} أنكر وجحد ولم يصدق بالآخرة وبالجنة وما فيها من نعيم كما قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " ٤٧، ٤٨ يس. {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} فسنعسر ونضيق عليه معيشتة وجميع أموره كما قال تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا" ١٢٤ طه. {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ} وما ينفعه ماله {إِذَا تَرَدَّى} إذا هلك ومات.

﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾

{إِنْ عَلَيْنَا} إن على الله تعالى والجمع للتفخيم له جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَلْهُدَى} علينا أن نهديه بإرسال الرسل ومنحه العقل ونرشده للحق والصواب والحلال والحرام وطريق الخير والهدى {وَإِنَّ لَنَا} ولله تعالى {لَلْآخِرَةَ} يوم القيامة فهي بأمره وقدرته وإرادته وأمره وحكمه {وَالْأُولَى} الحياة الدنيا ونعيمها وما فيها من موت أو حياة أو رزق أو مخلوقات فهي لله تعالى وحده لا شريك له {فَأَنْذَرْتُكُمْ} حذرتكم {نَارًا تَلَظَّى} ناراً محرقة تشتعل وتتوهج وتحرق وهي نار جهنم {لَا يَصْلَاهَا} لا يُحرق فيها ولا يدخلها {إِلَّا الْأَشْقَى} الشقي المذنب العاصي {الَّذِي كَذَّبَ} أنكر وجحد ولم يصدق {وَتَوَلَّى} وأعرض عن

الإيمان والتقوى {وَسَيُجَنَّبُهَا} ويتحاشاها ويبعد عنها {الْآتَقَى} التقي الورع العابد الطائع لله تعالى مخلصاً لله دينه {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} الذي يزكي أمواله ويخرج زكاتها {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} ليس لأحد عنده حق يدفعه بعد أدائه زكاة أمواله {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} إلا صدقة يتبرع بها من تلقاء نفسه لوجه الله تعالى كما قال تعالى: " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا " ٩ الإنسان. {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} ولسوف يوم القيامة يرضى بدخول الجنة ونعيمها والنظر إلى وجه ربه الكريم في الجنة يوم القيامة.

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل عندما صلى بالبقرة والنساء في صلاة المغرب: (هَلَّا صَلَّيْتُ بِـ " سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى " وَ " وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا " وَ " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى "). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ ٤ مِنَ الْأُولَىٰ ٥ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٦ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٨ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٩ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ١٠ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١١ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١٢﴾

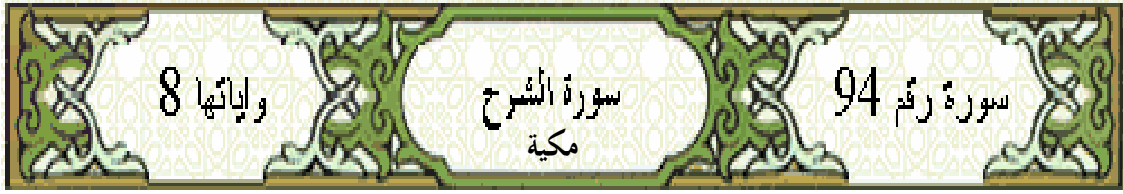
{وَالضُّحَىٰ} وهو ضحى النهار. ومن التطوع صلاة الضحى وهي سنة ويبتدئ وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح إلى زوالها والأفضل أن تؤدى بعد ربع النهار فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال: (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى). [رواه أحمد ومسلم والترمذي - كتاب الصلاة على المذاهب الأربعة لعبد القادر الرحباوي ص ١٨٠]. {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ} والليل إذا أظلم وزحف بظلامه وعتمته {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} ما تركك يا محمد يا رسول الله ربك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَمَا قَلَىٰ} وما أبغضك ولا كرهك. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندباً يقول: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة [قيل هي أم جميل امرأة أبي لهب] فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل: "وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ". [رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٢]. ويسن ويستحب التكبير

من أول سورة الضحى إلى آخر القرآن بأن يكبر في أول كل سورة بأن يقول الله أكبر وقيل يقول لا إله إلا الله والله أكبر بدءاً من سورة الضحى لأنها أتت بعد انقطاع الوحي وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً بنزول الوحي عليه {وَلِلْآخِرَةِ} وهي يوم القيامة {خَيْرٌ لَّكَ} أفضل لك ففيها نهر الكوثر وفيها الجنة وقصورها وحورها وأنهارها وعيونها وترى ربك فيها {مِنَ الْأُولَى} من الدنيا لأن الآخرة دار قرار والدنيا دار زوال كما قال تعالى: "وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" ١٧ الأعلى. {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} يعطيك في الآخرة نهر الكوثر والشفاعة لأمتك ويزوجك مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية زوجة فرعون زيادة على زوجاتك في الدنيا وزوجات الجنة وحورها وقصورها وترفها ونعيمها وترضى بقاء الله تعالى ورؤيته في الجنة {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا} ألم يجدك ربك يا محمد يا رسول الله يتيماً فقد مات والده عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه حامل به وقيل مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المهدي ابن شهرين أو أكثر وعلى ذلك أكثر العلماء وقيل بل مات ورسول الله ابن ثمان وعشرين شهراً. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٧]. وماتت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنين على ما قاله ابن إسحاق. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٧]. ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمانين سنين على ما قاله ابن إسحاق وبعضهم يقول توفي عبد المطلب ورسول الله ابن عشر سنين. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٨]. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب وكان عبد المطلب يوصي به عمه أبا طالب. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٩]. {فَقَاوَى} أي آواك ربك بأن سخر لك من يحتضنك ويرعاك جدك عبد المطلب ثم عمك أبا طالب [وهو أبو علي بن أبي طالب رضي الله عنه] {وَوَجَدَكَ ضَالًّا} وراك ربك يا محمد يا رسول الله ضالاً

بعدم معرفتك كيفية العبادة الحقّة على أكمل وأحسن وجه قبل نزول الوحي بالقرآن عليك كما قال تعالى: " مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ " ٥٢ الشورى. {فَهْدَىٰ} فهداك بالوحي والقرآن والرسالة {وَوَجَدَكَ عَائِلًا} ووجدك عائلاً فقيراً يعولك عمك أبو طالب {فَأَغْنَىٰ} فأغناه الله تعالى بالزواج من زوجته خديجة بنت خويلد وكانت من أغنى نساء قريش فأعطته المال والولد [وهم فاطمة أم الحسن والحسين وزينب ورقية وأم كلثوم والقاسم وعبد الله اللذان ماتا في صغرهما] {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} كما كنت يتيماً فلا تقهر الأيتام واعطف عليهم ولا تقهر أو تظلم أحداً منهم {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} حيث كنت فقيراً يعولك عمك أبو طالب فلا تنهر أحداً أو تزجره أو تشتمه أو تسبه أو تطرده {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} جميع نعم الله تعالى عليك حَدِّثْ بها ولا حرج. قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٣].

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة والضحى سبع مرات عند طلوع الشمس وعند غروبها لم يضع له ضائع ولا يهرب له هارب ولا يسرق له سارق من بيته ولا يقع في بيته فساداً ولا يدخله وباء وطاعون وكل سارق وطارق يقرب إلى بيته وسار إليه بليل يجد على بيته سوراً من حديد ولا يجد له سبيلاً). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة باباً يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه

برحمة الله). [رواه الطبراني - نزهة المجالس ج ١ ص ١٠١]. وقال صلى الله عليه وسلم: (صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٠٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر [يعني الثلاثة أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر] وركعتي الضحى وأوتر قبل أن أنام). [صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۖ ﴿٨﴾ ﴾

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} ألم نثلج صدرك ونفرحه ونجعله مسروراً يا محمد يا رسول الله بالوحي تارة وبليلة الإسراء والمعراج تارة أخرى وبنهر الكوثر وبالشفاعة العظمى يوم القيامة لك وغفرنا ذنبك ما تقدم وما تأخر وحفظناك من الأعداء ونصرناك بالرعب مسيرة شهر وأحللنا لك الغنائم وجعلنا لك الأرض مسجداً وطهوراً وجعلناك رسولاً للناس كافة ووصفناك بأنك لعلی خلق عظيم وأنك بالمؤمنين رؤوف رحيم {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} بأن غفرنا لك يا محمد يا رسول الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووضعنا عنك وزر وذنب عدم معرفتك كيفية العبادة الحققة على أكمل وأحسن وجه قبل نزول الوحي بالقرآن عليك كما قال تعالى: " وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ " ٧ الضحى. وكما قال تعالى: " مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ " ٥٢ الشورى. {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} الذي ثقل حمله على ظهره وعلى عاتقك قبل نزول القرآن عليك {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} رفعه الله تعالى بدروس العلم والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم في الأذان وبعده وقبله وفي الصلاة في التشهد {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} دائماً يرافق العسر والضيق الفرج {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} تأكيد التأكيد على أن اليسر قادم عند العسر فكم من فقير أغناه الله وكم من مريض شفاه

الله وكم من أسير فك الله أسره وكم من غريب رده الله إلى أهله ووطنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: (لن يَغْلِبَ عُسْرُ يَسْرِينِ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يَسْرِينِ " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا "). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٥]. {فَإِذَا فَرَغْتَ} إذا فرغت من نزول الوحي وسماع وحفظ آيات التنزيل {فَأَنْصَبْ} فاتعب في العبادة بها وتبليغها للناس {وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ} وإلى رضاء الله تعالى دائماً ارغب واعمل وجد واجتهد في الطاعة والعبادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

{وَالَّتَيْنِ} يقسم الله تعالى بالتين وهي فاكهة طيبة المذاق حلوة الطعم وهي بلا بذر ولا عجم تؤكل كلها وهو التين المعروف ببلاد الشام (الأسود والأبيض) وعن أبي هريرة قال: أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طبق تين فأكل وقال لأصحابه: (كلوا فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هي التين كلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (مكتوب على كل حبة [يعني التين] بسم الله القوي). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١]. وقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بأكل البلس فإنه يقطع عرق الجذام ألا وهو التين). [نزهة المجالس ج ١ ص ٢١]. والتين فيه بروتين فهو يبني خلايا الجسم من جديد {وَالزَّيْتُونِ} وهو الزيتون المعروف الذي يستخرج منه زيت الزيتون الذي وصفه الله تعالى بقوله: "يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ" ٣٥ النور. وكما قال تعالى: "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّكِلَيْنِ" ٢٠ المؤمنون. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (يا علي كل الزيت وادهن به فإن من أدهن الزيت لم يقربه شيطان أربعين

ليلة) ذكره في تحفة الحبيب. وفي العرائس: وأن آدم عليه السلام اشتكى وجعاً فجاء جبريل عليه السلام بشجرة الزيتون وأمره أن يأخذ من ثمره ويعصره فإن فيه شفاء من كل داء إلا السام وهو الموت. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١]. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاءً من سبعين داء منها الجذام). وكذلك فإنه يقوي العظم ويشد الأعصاب ويشفي من الأمراض ويقوي شعر الرأس ويطوله ويمنعه من السقوط {وَطُورِ سِينِينَ} وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه وهو في سيناء بمصر {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} مكة فهو أمين على من فيه وفي الحديث المتفق على صحته: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرامٌ بحُرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعْصَدُ شجره ولا يختلى خلاه وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب) وفي لفظ آخر: (فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم). [ابن كثير ج ٤ ص ٥١١]. {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} خلق الله تعالى ابن آدم وأنشأه {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} في أحسن صورة وأحلى هيئة وأجمل خلقة. وقد تناسب ذكره للتين في أول السورة في مطلعها مع قوله "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ" إشارة إلى أن فاكهة التين تبني خلايا الجسم وتنشئه وتقويه فالتين غني بالبروتين وهو مهم لبناء الجسم كما تناسب ذكره للزيتون في خاتمة الآية الأولى مع قوله "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" إشارة إلى أن زيت الزيتون يشفي الجسم ويبرئه من الأمراض ويقوي الجسم والعظم والأعصاب أي يجعله في أحسن تقويم وهذا ما تؤيده الأحاديث السابقة في فائدة التين والزيتون {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ} ثم رددناه بالموت من جديد {أَسْفَلَ سَافِلِينَ} جعلناه في القبر وهو أسفل سافلين بأن يأكله الدود ويصبح رميماً ثم يحيى من جديد يوم

القيامة وهو يوم البعث والنشور ثم يدخله أسفل سافلين في نار جهنم. وقد تناسب ذكره تعالى في الآية الثانية لطور سنين حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام في سيناء مع قوله "ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" إشارة إلى اليهود قوم موسى عليه السلام الذين عاقبهم الله تعالى بالتية في سيناء أربعين سنة لتكذيبهم موسى عليه السلام {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إلا المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الصالحات والطيبات من العبادات والطاعات لله تعالى وحده لا شريك له مخلصين له الدين والعبادة {فَلَهُمْ أَجْرٌ} لهم ثواب {غَيْرُ مَمْنُونٍ} بغير حساب وغير محدود وغير محصور وغير مقطوع وغير منقوص وغير قليل بل كثير جداً في الجنة. وقد تناسب ذكره تعالى في الآية الثالثة للبلد الأمين مهبط الوحي على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قوله "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" إشارة إلى المؤمنين والصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجزاؤهم في الآخرة {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ} فماذا يجعلك أيها الإنسان تكذب وتكفر وتجحد بعد كل هذا بالدين وأوامره ونواهيه وتعاليمه وأحكامه وحلاله وحرامه {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} أليس الله تعالى هو أحكم الحاكمين واعدل العادلين؟ بلى يا رب أنت أحكم الحاكمين وأعدل العادلين. قال أبو داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟" فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ: "لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" فانتهى إلى قوله: "أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ

الْمَوْتَى؟ " فليقل بلى ومن قرأ: " وَالْمُرْسَلَات " فبلغ: " فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟ " فليقل آمنا بالله). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٢].

ونلاحظ مما سبق ذكره في تفسير هذه السورة مما فتح الله تعالى به عليّ أننا لو أخذنا الثلاث آيات الأولى ونضعها أولاً ثم نضع الثلاث آيات التالية تحت الثلاث الأولى فتكون كل آية في الأسفل مرتبطة بالآية مقابلها في الأعلى كالآتي:

(١) وَالتِّينِ	وَالزَّيْتُونِ	(٢) وَطُورِ سِينِينَ	(٣) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
↓	↓	↓	↓
(٤) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ	فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	(٥) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ	(٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
التين يبني خلايا الجسم وينشئ خلايا جديدة	الزيتون يشفي الأمراض ويقوي الجسم والعظم والأعصاب	وهم اليهود تاهوا في سيناء أربعين سنة لتكذيبهم موسى عليه السلام وهم قوم موسى عليه السلام الذي كلمه ربه عند جبل الطور	وهم المؤمنون أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه الوحي في مكة وهي البلد الأمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

{أَقْرَأْ} أي اتل {بِاسْمِ رَبِّكَ} بإذن ربك وخالقك وإلهك ومنشئك معتمداً عليه ومتوكلاً عليه كما يقال ابدأ باسم الله أي بإذن الله وبأمره وبإرادته {الَّذِي خَلَقَ} خلق الكون والخلق كلهم {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} خلق وأنشأ ابن آدم. وسمي الإنسان لأنه ينسى كثيراً ولأنه يأنس بغيره {مِنْ عَلَقٍ} من الحيوان المنوي عندما يلقي البويضة عند المرأة فتتكون علقة حمراء من الدم الجامد يكون صغيراً وهو ما يسمى العلق {أَقْرَأْ} اتل {وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} كريم ويتكرم عليك بالقراءة والرسالة {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} علم بني آدم بالقلم كل العلوم الحساب والقراءة والكتابة والطب والهندسة والكيمياء وعلم الفلك والتاريخ وخلافه {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ} علم ابن آدم {مَا لَمْ يَعْلَمْ} ما لم يكن يعلم من قبل. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فقلت: ما أنا بقارئ) قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت:

ما أنا بقارئ. فَغَطَّنِي الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ. فَغَطَّنِي الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: " اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " حتى بلغ: " مَا لَمْ يَعْلَمْ " قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع فقال: (يا خديجة ما لي؟) وأخبرها الخبر وقال: (قد خشيت على نفسي) فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أومخرجي هم؟) فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٧].

وعندما ضم جبريل عليه السلام النبي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال اقرأ ظن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل لا يعلم أنه أمي لا يجيد القراءة والكتابة فقال له ما أنا بقارئ ولكن جبريل أراد بالقراءة أنه سوف يقرأ ويحفظ عن ظهر قلب ولا ينسى وبدون تعلم القراءة والكتابة لقوله تعالى: " سَنُقَرِّئَكَ فَلَا تَنْسَى " ٦ الأعلى. وهذه المنحة منحة الحفظ عن ظهر قلب وبدون تعلم القراءة والكتابة لأنه أمي هي منحة ومعجزة له من الله تعالى وذلك ما أكدته قوله تعالى:

"فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"
١٥٨ الأعراف.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ﴾ ١ ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۖ﴾ ٢ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۚ﴾ ٣ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ٤ ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ ٥ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ ٦ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ ٧ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ ٨ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ٩ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ١٠ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا﴾ ١١ ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٢ ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٣ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٤ ﴿سَدِّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ١٥ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ١٦ ﴿﴾

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ} كلا إن المرء من بني آدم [وسمي الإنسان لأنه ينسى كثيراً]
{لَيَطْغَى} ليظلم ويفسق ويفجر ويعصي ويكفر {أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} إذا أصبح غنياً
ورأى نفسه لا يحتاج لأحد {إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى} لله المرجع والمآل والمصير يوم
القيامة {أَرَأَيْتَ} هل علمت يا محمد يا رسول الله {الَّذِي يَنْهَى} وهو أبو جهل
ابن هشام {عَبْدًا} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِذَا صَلَّى} إذا صلى
عند الكعبة بالبيت الحرام أراد منعه أن يصلي هناك. قال البخاري: حدثنا يحيى
حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس
قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لئن فعل لأخذته الملائكة). [ابن كثير ج٤
ص٥٢٨]. {أَرَأَيْتَ} أعلمت {إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَى} إن كان على الحق والصواب
والرشاد {أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى} أو أمر بالتقوى والصلاح والهدى {أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ}
أعلمت إن كذب أبو جهل وجحد وأنكر ولم يصدق {وَتَوَلَّى} وأعرض {أَلَمْ يَعْلَم}

ألم يعرف ويدري {يَأْنَّ اللَّهَ يَرَى} أن الله تعالى يراقبه ويرى أفعاله {كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهُ} لئن لم يرجع ويتوقف عن إيذاء الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَنَسْفَعًا} لنضربن {بِالنَّاصِيَةِ} جبهته وهي مقدم الرأس أي نضربه على جبهته أو كما يقال "على قرعته" {نَاصِيَةٍ} جبهة {كَذِبَةٍ} كاذبة في أقوالها حقيرة {خَاطِئَةٍ} مذنبه عاصية كافرة وهي جبهة أبي جهل {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} ليدع أبو جهل جلساءه في نادية ويأتي لمقابلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} وسندع له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب في نار جهنم وهم خُلِقُوا للعذاب {كَلَّا لَا تُطِعْهُ} لا توافقه على عدم الصلاة في الحرم عند الكعبة {وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} واسجد لله تعالى واقترب منه بالطاعة والعبادة وأخلص له الطاعة والعبادة. وهذه آية سجدة عند الإمام أبي حنيفة يجب عند قراءتها السجود سجدة واحدة بين تكبيرتين بدون رفع يد وبدون سلام ولا تحيات. وسجود التلاوة واجب عند الإمام أبي حنيفة فقد ورد في الصحيحين أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته. وعن أبي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار) رواه مسلم. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْزَلْنَاهُ} أنزل الله تعالى بأمره القرآن الكريم {فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ليلة لها قدر وشرف وشأن وهي ليلة مباركة أنزل الله تعالى فيها القرآن الكريم كما قال ابن عباس جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل مفصلاً وموضحاً ما يقع ويحدث من أحداث ووقائع في ثلاث وعشرين سنة وهي حياة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ بلغ الأربعين وهو سن تبليغه الرسالة حتى موته في السنة العاشرة للهجرة بالمدينة المنورة وعمره ثلاث وستون سنة ودفن بالمسجد النبوي عليه الصلاة والسلام. {وَمَا أَدْرَاكَ} وما عرفك {مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} ما هي ليلة القدر والشرف {لَيْلَةُ الْقَدْرِ} ليلة القدر والشرف هي ليلة مباركة {خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} أفضل من ألف شهر غيرها في البركة ونزول الملائكة {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} تنزل الملائكة من السماء في ليلتها ليلة القدر ومعها جبريل عليه الصلاة والسلام أمين الوحي والرسالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} بأمر ربهم وبعلمه وإطلاعه وأمره

وإذنه {مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} من كل خير وبركة من توبة وصحة ومال ورزق واستجابة دعاء ومضاعفة الأجر والثواب والرحمة والعنتق من النار وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (يُسْحَخُ الْخَيْرُ سَحاً فِي أَرْبَعِ لَيَالٍ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى وَعُرْفَةَ وَأَخْفَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ الرَّحْمَةِ وَالْعَنْتَقُ مِنَ النَّيِّرَانِ فَأَخْفَاهَا لئَلَّا يَتَكَلَّوْا). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٠]. {سَلَمْتُ هِيَ} أمان واطمئنان هي حتى أنه تُمنَعُ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْخُرُوجِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ وَتُمنَعُ الشَّهْبُ أَنْ تَنْطَلِقَ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْطَانٌ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنْ كَثْرَةِ الْحِرَاسَةِ وَكَثْرَةِ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} حتى طلوع الفجر أي الصبح فتصعد الملائكة إلى السماء ثانية. قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بَقِيَّةٌ حَدَّثَنِي بِحَيْرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي مِنْ قَامِهِنَّ ابْتِغَاءَ حَسْبَتِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَهِيَ لَيْلَةٌ وَتَرْتَعُ أَوْ سَبْعٌ أَوْ خَامِسَةٌ أَوْ ثَالِثَةٌ أَوْ آخِرُ لَيْلَةٍ) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِنَةً سَاجِيَةً لَا بَرْدَ فِيهَا وَلَا حَرَّ وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ يُرْمَى بِهِ حَتَّى يَصْبِحَ. وَأَنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شِعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَا يَحِلُّ لَشَيْطَانٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمئِذٍ). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣١]. وفي ليلة القدر يقول الله تعالى: يَا جَبْرِيلُ الطَّاهِرُ وَيَا مِيكَائِيلُ الذَّاكِرُ وَيَا إِسْرَافِيلَ الرَّكَعِ اخْتَارُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَرْحَمَهُمْ وَاقْصِدُوا زِيَارَةَ الْعَصَاةِ فَيَنْزِلُونَ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَمَعَهُمْ أَرْبَعَةُ أَلْوِيَةٍ لَوَاءِ الْحَمْدِ وَلَوَاءِ الْمَغْفِرَةِ وَلَوَاءِ الْكَرَمِ وَلَوَاءِ الرَّحْمَةِ فَيَسْمَعُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى الْحُورُ الْعِينُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقْلُنَ يَا رِضْوَانُ [خازن الجنة] ما هذه الليلة؟ فيقول ليلة العرض تعرض

أزواجكن فيرفع الحجاب حتى ينظرن أزواجهن فتنزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة على قبر محمد صلى الله عليه وسلم وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة [صخرة بيت المقدس] ولواء الحمد بين السماء والأرض فلا يبقى بيت فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله ملك فمن كان جالساً سلم عليه الملك ومن كان ذاكرًا سلم عليه جبريل ومن كان مصلياً سلم عليه الرب سبحانه وتعالى. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٧].

وعن سبب نزول هذه السورة سورة القدر قال وهب ابن منبه: أن نبياً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقال له شمعون كان يجاهد قومه فيقتل منهم ويأخذ من أموالهم وكان لا يوثقه الحديد فلما عجزوا عنه قالوا لزوجته إن أوثقتيه لنا أعطيناك مالاً كثيراً فلما نام أوثقته بحبل فلما استيقظ وقع بين يديه ورجليه فسألها عن ذلك فقالت لأرى قوتك ثم أوثقته بالحديد فلما استيقظ سقط من يديه ورجليه فسألها عن ذلك فقالت كما تقدم ثم قالت أما في الدنيا شيء يوثقك؟ قال شعري فلما نام أوثقته شعره وبعثت إلى قومه فقطعوا أنفه وأذنيه وقلعوا عينيه فخسف الله بهم الأرض وأرسل الله على المرأة صاعقة ورده الله إلى أحسن ما كان وكان قد جاهدهم ألف شهر فعجب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى سورة القدر. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٧]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة ابن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أنزلت صُحُف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مَضِين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان). [وروى ابن

مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٣٩٣].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ بعد وضوئه سورة إنا أنزلناه مرة واحدة أعطاه الله تعالى ثواب خمسين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ومن قرأها مرتين أعطاه الله تعالى ما أعطى إبراهيم وموسى عليهما السلام ومن قرأها ثلاث مرات يفتح الله تعالى له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء بلا حساب ولا عذاب). [خزينة الأسرار ص ٤٤]. وفي رواية: (من قرأ في أثر وضوئه إنا أنزلناه في ليلة القدر مرة واحدة كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب في ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاث مرات حشره الله محشر الأنبياء). [أخرجه الديلمي ذكره أبو الليث كذا في مشكاة الأنوار - مراقي الفلاح في الفقه الحنفي للشرنبلالي ص ٣٩]. ومن قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر قبل صلاة الجمعة ثلاث مرات كتب الله له من الحسنات بعدد من صلى الجمعة في ذلك اليوم. ومن قرأها عقب كل صلاة مفروضة أعطاه الله نوراً في قبره ونوراً عند الميزان ونوراً عند الصراط. [خزينة الأسرار ص ١٧٣]. وعن علي رضي الله عنه: من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر بعد العشاء سبع مرات عافاه الله من كل بلاء ودعا له سبعون ألف ملك بالجنة ومن قرأها يوم الجمعة قبل الصلاة ثلاث مرات كتب الله له من الحسنات بعدد من صلى الجمعة في ذلك اليوم ومن كتبها لامرأة معوقة سهل الله عليها الولادة ومن قرأها عقب كل صلاة مفروضة أعطاه الله نوراً في قبره ونوراً عند الميزان ونوراً عند الصراط. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٧]. وفي النصيحة للإمام الغزالي: من كتب إنا أنزلناه في ليلة القدر وسقاه زرعاً لم يصبه نار ولا آفة ومن كتبها وسقاه محموراً أبرأه الله تعالى ومن قرأها على رأس زوجته أو ولده نال خيراً. [نزهة المجالس ص ٣٧٧].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده. أخرجاه من حديث عائشة ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان. وقالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحياي الليل وأيقظ أهله وشد المنزر. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٤]. وروى الإمام أحمد قال: حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجوهري وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: (قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝^(١) رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝^(٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۝^(٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝^(٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝^(٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝^(٦)﴾

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً ونشوراً وجزاءً وحساباً وعذاباً وعقاباً وثواباً {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} اليهود والنصارى {وَالْمُشْرِكِينَ} عبد الأصنام والأوثان ومن جعل مع الله إلهاً آخر {مُنْفَكِينَ} منصرفين عن كفرهم وشركهم وجدالهم وعنادهم {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} حتى يأتيهم الدليل والبيان الواضح وهو القرآن {رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ} الرسول والنبي وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَتْلُوا} يقرأ {صُحُفًا مُّطَهَّرَةً} وهي صحف القرآن الكريم بسوره المتعددة في الصفحات التي كتبت في القرآن الكريم {فِيهَا كُتِبَ} يذكر القرآن الكريم كتب الرسل السابقين التوراة لموسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل لعيسى عليه الصلاة والسلام والزبور لداود عليه الصلاة والسلام وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصحف شيث وكلها كتب الله تعالى وهي

{قِيَمَةُ} ثَمِينَةٌ وَغَالِيَةٌ وَمُبَارَكَةٌ وَمَقْدَسَةٌ {وَمَا تَفَرَّقَ} وَمَا اخْتَلَفَ {الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ} الْيَهُودَ الَّذِينَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ عِنْدَهُمُ الْإِنْجِيلُ هَؤُلَاءِ مَا
تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ} إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ وَالْبَرَهَانُ السَّاطِعُ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ {وَمَا أُمِرُوا} وَمَا
طُلِبَ مِنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ {إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} لَمْ يُؤْمَرُوا وَلَمْ
يُطْلَبْ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَخْلَصُوا لَهُ فِي دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ
وَلَا يَشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا {حُنَفَاءَ} مُسْتَقِيمِينَ {وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} يَصَلُّوا الصَّلَوَاتِ
الْخَمْسَ فِي أَوْقَاتِهَا {وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} وَيَدْفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ {وَذَلِكَ} وَهَذَا هُوَ {دِينُ
الْقِيَمَةِ} دِينُ الْعَدْلِ وَالصَّوَابِ وَالْحَقِّ {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إِنَّ الْكَفَارَ {مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ} مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى {وَالْمُشْرِكِينَ} الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
وَأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ {فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} مُصِيرُهُمْ دَائِمِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
يُعَذَّبُونَ فِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ {أُولَئِكَ هُمْ} هَؤُلَاءِ هُمْ {شَرُّ الْبَرِيَّةِ} أَسْوَأُ وَشَرُّ الْخَلْقِ
وَأَهْلُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَهُمْ أَسْوَأُ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَأَقْبَحُهُمْ قَوْلًا وَعَمَلًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الطاعات والعبادات خالصة لله تعالى من صدقات وذكر وتسبيح وخلافه {أُولَٰئِكَ} هؤلاء {هُمَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} أفضل وأحسن أهل الدنيا ومن على ظهر المعمورة وأفضل الخلق كلهم ومن على ظهر الأرض {جَزَاؤُهُمْ} ثوابهم {عِندَ رَبِّهِمْ} عند الله تعالى خالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ربهم ورب آبائهم ورب العالمين ورب الأرباب ورب الخلق أجمعين جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جَنَّتٌ عَدْنٌ} أي لهم جنة عدن وفي داخلها جنات لكل واحد منهم جنة خاصة به بها حور عين وفواكه مما يشتهون ولحم طير مما يتخيرون {تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار من تحت قصورها ومن تحت أشجارها وخلالها والأنهار أربعة نهر ماء غير آسن ونهر لبن ونهر خمر ونهر عسل {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين فيها ولا يموتون أبداً {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} رضي الله وقبل عبادتهم وطاعتهم {وَرَضُوا عَنْهُ} بدخولهم الجنة ونعيمها الدائم والمقيم {ذَٰلِكَ} هذا {لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} لمن خاف الله تعالى ربه وخالقه ورازقه.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ") قال: وسماني لك؟ قال: (نعم)

فبکی. [ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به - ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٦].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَـٰذَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

{ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ } رجفت واهتزت وتحركت واضطربت اضطراباً مخيفاً { زِلْزَالَهَا } أي الزلزال المدمر الذي أعد لها يوم القيامة { وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } وأخرجت أحمالها وما فيها من المخلوقات يخرجون من قبورهم أحياءً سراعاً مسرعين إلى المحشر وهي كالحامل عندما تضع ثقلها ومولودها وكذلك الأرض تُخرج ما في بطنها من الأموات من جميع المخلوقات { وَقَالَ الْإِنْسَانُ } قال الإنسان الكافر الذي لا يعلم شيئاً عن يوم القيامة { مَا هَـٰذَا } ما شأنها ما جرى لها وما مصيبتها ولماذا تتحرك هكذا وتنزل { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } يوم القيامة تحدث الأرض وتتكلم وتنطق وتقول كل ما جرى عليها من خير أو شر لكل إنسان { بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا } لأن الله تعالى أوحى لها وأمرها أن تقول كل ما جرى عليها من كل إنسان { يَوْمَئِذٍ } يوم القيامة { يَصْدُرُ } يخرج ويذهب { النَّاسُ } بني آدم { أَشْتَاتًا } متفرقين { لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ } ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا } فمن يعمل من الخير ولو مقدار ذرة أو

أصغر {يَرَهُ} يجده أمامه. وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً: (اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٠]. وفي الصحيح: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٠]. {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا} ومن يعمل من الشر أو السوء ولو مقدار ذرة {يَرَهُ} يجده أمامه ويرى عاقبة أمره يوم القيامة. وفي الصحيح: (يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة [يعني ظلفها]). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٠]. فمن عمل خيراً دخل الجنة ومن عمل شراً دخل النار.

روى الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: (هل تزوجت يا فلان؟) قال: لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج قال: (أليس معك "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"؟) قال بلى قال: (ثلث القرآن) قال: (أليس معك "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن) قال: (أليس معك "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن) قال: (أليس معك "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن. تزوج). [قال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٩]. وفي رواية ابن عباس: "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ" تعدل نصف القرآن. [رواه الترمذي - نزهة المجالس ص ٥١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْغِيَرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ٤ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿

{وَالْعَدِيَّتِ} يقسم الله تعالى بالخيول وهي تجري وتعدو {صُبْحًا} ويكون لها صوت عند الجري من شدة التعب أي تلهث بصوت عال بسبب الجري المستمر {فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا} تقدح حوافرها وهي تلمس الصخور أو الأرض الصلبة أثناء جريها بسرعة كالحديد عندما يُضرب ببعضه أو بصخر الصوان فيقدح شراراً {فَالْغِيَرَاتِ صُبْحًا} أي تهجم وتُغير على الأعداء في الصباح لمحاربتهم كما قال تعالى: " فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ " ١٧٧ الصافات. {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} فأثارت حوافر الخيل الغبار الكثيف وهي تجري بسرعة في ساحة الحرب {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} أي توسطت الخيل صفوف الأعداء في حالة الحرب والنزال {إِنَّ الْإِنْسَانَ} إن ابن آدم وسمي بالإنسان لأنه كثير النسيان ويأنس بغيره {لِرَبِّهِ} لربه والله تعالى خالقه ورازقه ومحبيه ومميته وهو رب الكون كله ورب العالمين ورب الأرباب ورب العباد ومسبب الأسباب جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَكَنُودٌ} جاحد للنعم وعاص وكفور {وَإِنَّهُ} أي ابن آدم {عَلَىٰ ذَٰلِكَ} على جحوده وعصيانه وكفره

{لَشَهِيدٌ} ليشهد على ذلك ويعترف به وإن لم تصدق فانظر إلى أغلب وأكثر أهل الأرض تجدهم مشركين وكفرة وهم يعلنون ذلك {وإنه} أي ابن آدم {لِحُبِّ الْخَيْرِ} لحب الخير والمال {لَشَدِيدٌ} لحريص وحرصه شديد وقوي {أَفَلَا يَعْلَمُ} أفلا يعلم ويدري {إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ} إذا أُخرج من في القبور يوم القيامة أحياء من جديد للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب {وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ} وعُرف ما كانوا يكتُمون ويُسرون وما كانوا يعملون ويفعلون {إِنَّ رَبَّهُم} إن الله تعالى ربهم وخالقهم ومحييهم ومميتهم ورازقهم ربهم ورب آبائهم ورب العالمين والكون والخلق كلهم رب الأرباب ورب العباد ومسبب الأسباب {بِهِمْ} بالخلق جميعهم وبني آدم خاصة {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {لَخَبِيرٌ} لخبير ومطلع وعليم بهم وبأعمالهم وعلى ماذا جُبلوا وكيف خُلِقوا وماذا فعلوا وعملوا في الدنيا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ
ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ
هََاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ ۝ ﴾

{ الْقَارِعَةُ } وهي يوم القيامة وسميت قارعة لأنها تأتي فجأة وتقرع وتصدق إعلاناً
بميعاد يوم القيامة مثلما يُقرع الجرس لأطفال المدارس في الصباح إعلاناً بأن اليوم
الدراسي قد بدأ { مَا الْقَارِعَةُ } ما هي القارعة؟! { وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ } وما
يدريك وما أعلمك ما هي وما شأنها وكيف هي وكيف تكون. والقارعة اسم من
أسماء يوم القيامة وليوم القيامة عدة أسماء ومنها: (١) يوم الجمع (٢) يوم التغابن
(٣) الآزفة (٤) الواقعة (٥) الحاقة (٦) القارعة (٧) الساعة (٨) الراجفة (٩)
الرادفة (١٠) الساهرة (١١) الطامة الكبرى (١٢) الغاشية (١٣) الزلزلة (١٤) يوم
الدين (١٥) يوم الفصل (١٦) الصاخة (١٧) يوم الفرار "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *
وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ" ٣٤-٣٦ عبس. { يَوْمَ } يوم القيامة { يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ } يكون الناس لكثرتهم لأن الخلق جميعهم يحشرون في
صعيد واحد كالفرش المنتشر على الأشجار { وَتَكُونُ الْجِبَالُ } وتصبح جبال الأرض
{ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } مثل الصوف وهو منفوش ومنظف من الأوساخ والأتربة

ليكون جاهزاً للغزل أو مثل القطن وهو منفوش ومنفوخ ومفتت من بعضه أي تنتهي الجبال وتعود ثانياً تراباً وتذهب وتكون في طورها النهائي للهيلان والسقوط والاندثار والذهاب والانتهاء {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} فأما من ثقلت كفة حسناته على كفة سيئاته {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} فهو يكون من أهل الجنة وتكون عيشته طيبة سعيدة {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} وأما من خفت كفة حسناته وثقلت كفة سيئاته على حسناته {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} فمصيره نار جهنم والأم عادة تحتضن وليدها وكذلك النار تحتضن الكافر لتعذبه بنارها ولهيبها وحرها وسمومها {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ} وما أعلمك وما يدريك وما يعرفك ما هية ومن تكون هي والجواب هي {نَارٌ حَامِيَةٌ} نار جهنم حامية الوطيس شديدة الحرارة والاشتعال والالتهاب يعذب فيها الكافر والعاصي. والهاوية هي اسم من أسماء جهنم التي هي سبعة أطباق ولها سبعة أبواب كما قال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {٤٤} " ٤٤، ٤٣ الحجر. ولكل طبقة من طبقاتها وباب من أبوابها اسم: (١) أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية (٢) والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم (٣) والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر (٤) والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى (٥) والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة (٦) والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير (٧) والباب السابع فيه أهل الكبائر من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين ماتوا ولم يتوبوا. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٣]. وعن علي بن أبي طالب قال: أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملاً الأول والثاني والثالث حتى تملأ كلها. [مكاشفة

القلوب ص ١٧٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ﴾

{الْهَيْكُمُ} شغلکم {التَّكَاثُرُ} التجمع مع بعضکم البعض في نواديکم فتلهيتم عن أداء الفرائض مثل فرض الصلاة وخاصة عند لعب الكرة أو في الحفلات أو الاستعراضات وتلهيتم عن ذكر الله تعالى. وكذلك التكاثر في جمع الأموال فتتركون الفرائض كفرض الصلاة والحج وحتى الزكاة لا تدفعونها طمعاً في تكاثر أموالکم. وكذلك التكاثر في الأولاد فهم يلهون عن أداء الفرائض لأن المرء ينشغل بجمع الأموال لهم حتى يعيشهم حياة طيبة مترفة سعيدة فلا يكثرث بالطاعة والعبادة وقد يتعامل بالربا والرشوة والسرقة حتى يكثر أمواله بأية صفة حتى بالغش في التجارة إن كان تاجراً. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ("أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ") يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضَيْتَ؟). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٥]. {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} حتى أتاكم الموت ودُفِنْتُمْ في قبورکم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصري حدثني خالد ابن عبد الدائم عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ " عن الطاعة " حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ " حتى يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٤]. {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} كلا سوف تعرفون الحقيقة في المستقبل ويأتىكم العلم {ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} ثم كلا ستعلمون الحقيقة المرة يوم القيامة وهذا تأكيد التأكيد على أنه واقع لا محالة وهو يوم الدين ويوم البعث ويوم النشور {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ} كلا لو تعرفون وتدرّون وتعلمون {عِلْمَ الْيَقِينِ} علم الحقيقة وعلم التأكد واليقين {لَتَرُونَهَا} لتشاهدن وترون رؤية تصور وتخيل {الْجَحِيمِ} نار جهنم وجحيمها وعذابها ولهيبها {ثُمَّ} يوم القيامة {لَتَرُونَهَا} لترونها وتشاهدنها {عَيْنَ الْيَقِينِ} رؤية عين مجردة حقيقية بأعينكم وبأبصاركم ترون يوم القيامة جهنم ونارها وعذابها وكما قال تعالى: " لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ " ٢٢ ق. {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ} ثم لتسألن وتحاسبن {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {عَنِ النَّعِيمِ} عن الترف والبذخ الذي كنتم فيه في الدنيا. وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ إن المرء يُسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعه فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩].

عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ كل ليلة ألف آية؟) قالوا ومن يستطيع ذلك؟! قال: (أما يستطيع أن يقرأ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ). [رواه الحاكم - نزهة المجالس ص ٥١]. وقيل أن بعض الصالحين في بغداد رأى صبيّاً على باب مكتب يبكي فسأله عن ذلك فقال كتب لي المعلم في اللوح سطرًا أبكاني فقلت ما هو قال: بسم الله الرحمن الرحيم " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ *"

حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ " تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف يخوف الله به عباده فقال له آخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا قال وما يكتب قال قوله تعالى: " لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ " إلى آخرها فاضطرب الصبي فسقط ميتاً فوثب إليه المعلم وقال أنت قتلتته فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة فقص عليه القصة فقال دعوه فقد أسرع الصبي الصالح إلى منازل السعداء. [نزهة المجالس ص ٣٠٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

{وَالْعَصْرِ} يقسم الله تعالى بالعصر وهو الدهر والزمان والعصر أيضاً وقت العصر من كل يوم لأن الله تعالى أقسم بالفجر وبالضحى وبالليل وقد جاء في الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. {إِنَّ الْإِنْسَانَ} إن ابن آدم والذي سمي بالإنسان لأنه كثير النسيان ولأنه يأنس بغيره {لَفِي خُسْرٍ} في خسارة مادية وجسمانية يعني لفي هلاك {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إلا المؤمنين وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الطاعات والعبادات خالصة لله تعالى {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} وصوا به أنفسهم ووصوا به غيرهم أي حكموا بالعدل والحق هم ومن يأترون بأمرهم {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} صبروا هم أنفسهم وأوصوا به من يعولون أو يسمع لقولهم. والصبر هو تحمّل المكاره والأذى وعدم اليأس والثبات عند البلاء والمصائب وعند صعب الأمور وعلى المشاق والتعب وفي الجهاد في سبيل الله وطلب الرزق كما قال تعالى: "وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" ١٧٧ البقرة. وقال تعالى: "إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"

١٠ الزمر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٤]. وفي صحيح مسلم: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿تَحَسَّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾
 ﴿كَأَلَّا كَيِّبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾ الَّتِي
 تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿

{وَيْلٌ} عذاب وهلاك {لِّكُلِّ} لكل فرد ولكل شخص {هُمَزَةٍ} الذي يهمز أخاه
 بيديه أي يمد يده عليه بضربه وينخره بيديه تحقيراً وتوبيخاً واستهزاءً به أي
 (همزة) باليد {لُّمَزَةٍ} بالعين واللسان وبالإشارة كأن يغمز عينيه على أخيه وهو
 يكلم أحداً عنه سخرية واستهزاءً أو بلسانه بأن يخرج لسانه ويشير عليه بلسانه
 استهزاءً أو تحقيراً أو بلسانه بأن يعيبه ويقع فيه ويذكره بسوء كما قال تعالى:
 "وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ
 يَسَخَطُونَ" ٥٨ التوبة. وكما قال تعالى: "الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
 الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ" ٧٩ التوبة وقد نهى الله تعالى عن كل ذلك بآيات تقرأ وحكم يشرع
 بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ
 وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
 بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ١١ الحجرات.
 {الَّذِي جَمَعَ مَالًا} جمع المال من حرام {وَعَدَّدَهُ} وكثره أي جعله أكثر عدداً
 وجعله عدةً وذخراً له وجعل ماله متعدد المشاريع {تَحَسَّبُ} يظن ويعتقد في ذات

نفسه {أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} أن ماله سيخلده في الدنيا ولن يموت لكثرة أمواله {كَلَّا^ط
لَيُنْبَذَنَّ} كلا لَيُلْقَيْن وَيُقَذَّفَن وَيُرْمَيْن {فِي الْحَطْمَةِ} في نار جهنم والحطمة اسم من
أسماء طبقات جهنم السبعة {وَمَا أَدْرَاكَ} وما أدراك وما أعلمك وما عرّفك {مَا
الْحَطْمَةُ} ما هي الحطمة والجواب أنها {نَارُ اللَّهِ} هي نار جهنم أعدّها الله للكفار
والعصاة {الْمُوقَدَةُ} المشتعلة. وروى الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري عن
يحيى ابن كثير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد
عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء
مظلمة). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٤]. {الَّتِي تَطَّلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} تطلع وتعلم وتعرف ما
في الأفئدة من كفر أو نفاق فتزيده حرقاً وعذاباً ذلك صاحب القلب الكافر والمنافق
والمشرك {إِنَّهَا} جهنم وهي الحطمة {عَلَيْهِمْ} على الكفار {مُؤَصَّدَةٌ} مغلقة ومقفلة
عليهم لا فرار ولا خروج منها فهم دائمون في عذاب جهنم {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} وهذا
راجع إلى قوله تعالى لينبذن أي لينبذن في الحطمة في عمد ممددة أي يُقَيَّد الكافر
والمشرك والمنافق والعاصي ويُربط بسلاسل من حديد في عمد ممددة أي في أعمدة
قائمة في جهنم حتى لا يتحرك فهي كالوتد للحمار وهذه الأعمدة هي أعمدة واقفة
عمودية يُصلب عليها الكافر ويُشد بالسلاسل والأغلال إليها حتى يبقى في العذاب
مسجوناً لا يستطيع الحركة عذاباً له وانتقاماً منه لكفره وشركه وعصيانه.
وجهنم لها سبعة أطباق وسبعة أبواب كما قال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ
أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {٤٤} " ٤٤، ٤٣ الحجر.
أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها

الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه أهل الكبائر من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين ماتوا ولم يتوبوا. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٣]. وعن علي بن أبي طالب قال: أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملاً الأول والثاني والثالث حتى تملأ كلها. [مكاشفة القلوب ص ١٧٦]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ تَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله. والمشاهدة هنا والرؤية لم يرها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأم عينيه فهو لم يولد حينها بعد ولكن الرؤية والمشاهدة هي لمن رآها حقيقة بعينه ونقلها لك صورة كاملة بوقائعها وكأنك أنت رأيتها بعينك بعد نقل الصورة والأحداث كاملة لك وهذه الرؤية نُقلت بالتواتر وللأحداث كاملة فتكون أنت بذلك الرائي الثاني للأحداث فالمشاهدة والرؤية هنا وجدانية وليست رؤية حقيقية عينيه أي بعينه {كَيْفَ فَعَلَ} ماذا فعل وعمل {رَبُّكَ} إلهك وخالقك ورازقك ورب العالمين ورب الأرباب والخلق والكون رب العباد ومسبب الأسباب وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} وهم جند أبرهة بن الصباح الملقب بالأشرم لأنه تقاتل مع أمير آخر كان معه على اليمن اسمه أرياط فضرب أرياط أبرهة بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وتداوى فبرئ منها وقد جهّز أبرهة جيشاً لهدم الكعبة لأنه بنى كنيسة في اليمن تسمى القليس ليحج الناس إليها بدلاً من الكعبة فجاء رجل من العرب بالليل وقضى بها حاجته أي تبول وتبرز فيها فجهز أبرهة جيشاً لهدم الكعبة ومعهم فيلة ليربطوا الكعبة بالسلاسل وتشدها الفيلة فتقتلعها ولذا وصفهم الله تعالى

بأصحاب الفيل {أَلَمْ تَجْعَلْ كَيْدَهُمْ} ألم يجعل الله تعالى كيدهم ومكرهم لهدم الكعبة {فِي تَضَلُّلٍ} يذهب سدى ولم ينفع مكرهم حيث أذهب الله تعالى وأبطله {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ} أرسل الله على جنود أبرهة وفيلقه {طَيْرًا أَبَابِيلَ} طيوراً تسمى أبابيل وقيل هي طيور السنونو وهي طيور سوداء شكلها وأجنحتها كالخفاش وهي سريعة الحركة والزوغان في الجو وتكون دائماً في جماعات تطير وتحلق في الجو باستمرار دون تعب ويصعب صيدها لأنها سريعة الحركة والطيران والدوران والزوغان والروغان وكأنها طائرات حربية تنقض عمودياً ثم تصعد عمودياً ثم تنحرف يمينا ثم شمالاً في أغلب أوقاتها وكأنه مكتوب عليها الطيران والدوران باستمرار وبسرعة فائقة وهي طيور في حجم البلابل تقريباً إلا أن أجنحتها تشبه جناح الخفاش إلا أن جناح الخفاش من جلد أما هي جناحها من الريش على شكل مثلث {تَرْمِيهِمْ} تقذف جند أبرهة وهو ذاهب لهدم الكعبة {بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ} بحجارة من طين قوي وقاس وشديد الصلابة كما قال تعالى عن قوم لوط عليه السلام: " فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ " ٧٤ الحجر. وقال تعالى: " قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ " ٣٢، ٣٣ الذاريات. {فَجَعَلَهُمْ} جعل الله تعالى أبرهة الأشرم وجيشه وفيلته بهذه الطير الأبابيل وحجارة السجيل جعلهم {كَعَصْفٍ} كتبن {مَّاكُولٍ} أكلته البهائم والماشية والإبل ولم يبق منه شيء أي أهلكتهم عن آخرهم إلا قائد الفيل (واسمه أنيس) وسائسه بقيا في مكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس كما رواه محمد بن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٥٢].

وقصة أصحاب الفيل مختصرة: أن ذا نواس الذي كان آخر ملوك حمير كان هو الذي قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريباً من عشرين ألفاً فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الروم وكان على الشام وكان نصرانياً فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح (أبا يكسوم) في جيش كثيف فدخلوا اليمن وهرب ذو نواس وغرق في البحر واستحلت الحبشة اليمن بهذين الأميرين أرياط وأبرهة فاختلفا فيما بينهما فتبارزا فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله. ثم داوى أبرهة جرحه وشفي واستقل بحكم اليمن. فغضب النجاشي ملك الحبشة وتوعد أبرهة ليطأن بلاده ويجز ناصيته فأرسل إليه أبرهة بهدايا يسترضيه بها وتراب من أرض اليمن في جراب وجز ناصيته [أي شعر رأسه] وأرسله مع التراب والهدايا مع كتاب يقول فيه: ليطأ الملك هذا الجراب [الذي فيه تراب أرض اليمن] فيبر قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك فأعجب النجاشي بذلك وعفا عنه وأقره على عمله. ثم بنى أبرهة كنيسة عظيمة بأرض اليمن بصنعاء سمىها العرب القليس لارتفاعها وعظمتها وأمر الناس أن يحجوا إليها بدلاً من الكعبة فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً فدخلها رجل من العرب ليلاً فتبول وتبرز فيها فلما علم بذلك في الصباح أبرهة أقسم ليهدم الكعبة وجهز جيشاً عرمرماً وأخذ معه فيلة وفيهم فيل ضخم يقال له محمود بعثه إليه النجاشي وقيل أنه كان معه في الجيش ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلاً وذلك لهدم الكعبة. وقد تصدى له أهل اليمن وعلى رأسهم ذو نفر فهزموهم أبرهة وأسر ذو نفر فاستصحبه معه حتى إذا وصل أرض خثعم اعترضه نفيل بن حبيب الخثعمي

وقومه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله على الطريق ولما وصل الطائف هادنه أهلها خوفاً على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات وخوفاً على حياتهم وأموالهم وبعثوا معه أبا رغال دليلاً ليدلهم على الكعبة فلما اقترب أبرهة من مكة بمكان يقال له المغمس أغار جيشه على إبل أهل مكة وفيها مئتا بعير لعبد المطلب وبعث أبرهة رجلاً يقال له حناطة الحميري ليأمر أهل مكة وأشرافها أن يأتوا لمقابلته فذهب إليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة أجله وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن الهيئة والمنظر ونزل أبرهة عن سريره واحترمه فطلب عبد المطلب منه أن يرد عليه إبله التي سلبها جيشه فتعجب أبرهة من عبد المطلب لماذا لم يطلب منه ترك البيت وعدم هدمه بل طلب إبله فقط فقال له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه . فرد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رءوس الجبال وترك أبرهة وشأنه وذهب عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال عبد المطلب فيما قال :

لَاهُمْ إِنَّ الْمَرْءَ يَمُ * نَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعِ رِحَالِكَ

فلما وجه جيش أبرهة فيلهم الضخم المسمى محمود نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب الذي كان أسره أبرهة كما سبق ذكره إلى الفيل ثم أخذ بأذنه وقال : أُبْرُكُ محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب هارباً إلى رأس الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى نهائياً

السير نحو الكعبة وكلما وجهوه إلى جهة أخرى قام يهرول فإذا وجهوه إلى مكة
 برك وامتنع عن السير فبينما هم كذلك أرسل الله تعالى عليهم الطير الأبابيل
 وأهلكهم. قيل مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران
 في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم
 أصابت. وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق
 ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب
 الفيل من النقمة. قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على
 كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا
 به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.
 وملك اليمن بعده ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة ثم خرج سيف بن ذي يزن
 الحميري إلى كسرى فاستغاثه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد
 الله إلى أهل اليمن ملكهم بقيادة سيف بن ذي يزن الحميري. [ابن كثير ج ٤
 ص ٥٤٩-٥٥١]. وقيل أن الرسول عليه الصلاة والسلام ولد في عام الفيل وهذه
 معجزة من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في عام مولده بأن الله تعالى يحمي بيته
 ودينه القادم وهو دين الإسلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

{لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ} لأجل ما ألفه واعتاده أهل قريش وهم أهل مكة. وسميت قريش بهذا الاسم قيل من التقرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم وقال بعضهم كان قصي يقال له قريش وقيل سميت قريش من التقرش وهو التكسب والتجارة. [السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٨٧]. {إِيَّاهُمْ} وهو ما ألفوه واعتادوه من {رِحْلَةَ الشِّتَاءِ} إلى اليمن {وَالصَّيْفِ} إلى بلاد الشام للتجارة {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} فليؤدوا العبادات والطاعات والفرائض شكراً لله تعالى رب وإله وخالق البيت الحرام بمكة وخالقهم جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} الذي أطعمهم ورزقهم حتى لا يفتقروا إلى الطعام ويجوعوا {وَوَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} آمنهم وحفظهم من أن يتخطفهم الناس وجعل بلدهم حرماً آمناً وكما قال تعالى: "وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُّ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" ٥٧ القصص. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وأنها لم تحل لأحد كان قبلي وإنما أحلت

لي ساعة من نهار وإنها لا تحل لأحد بعدي فلا يُنفر صيدها ولا يُختلى شوكتها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين [إما أخذ الدية أو قتل القاتل] فقال العباس: إلا الإذخرياً رسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال: (إلا الإذخر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ١٩٦].

ومن فوائد هذه السورة أن من قرأها على طعام يخاف منه ولو كان سماً لا يضره ويبارك الله تعالى في الطعام ويطرح فيه البركة وهي فائدة مجربة مراراً وقال أبو الحسن القزويني: من أراد سفراً وخاف من عدو أو غيره فليقرأ لإيلاف قريش وآية الكرسي فإنهما أمان من كل سوء. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا تَحْضُ
عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾
الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾

{أَرَأَيْتَ} أعلمت يا محمد يا رسول الله {الَّذِي يُكَذِّبُ} ينكر ويجحد ولا يصدق
{بِالدِّينِ} بالدين الإسلامي كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩
آل عمران. {فَذَلِكَ} هو ذلك {الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ} يضرب اليتيم ويدفعه
ويطرده {وَلَا تَحْضُ} ولا يأمر ولا يحث {عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} أي لا يطعمه ولا
يأمر أحداً بإطعامه. والمسكين هو الفقير الضعيف الذي لا يجد من يعوله ولا يُفطن
له فيُتصدق عليه. قال البخاري: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري
قالا سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين
الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرؤوا إن
شئتم قوله: " لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا "). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. وفي الحديث
المتفق على صحته عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
(ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة
والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن له فيُتصدق عليه ولا
يسأل الناس شيئاً). [وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضاً - ابن كثير ج ١

ص ٣٢٤]. فالمسكين هو الذي يتعفف فلا يسأل الناس إلحافاً فهو الفقير المتعفف الذي كرامته تأبى عليه السؤال فأمثال هذا يسمون فقراء وهم المساكين لأنهم قد يكونوا أبطالاً أو ذوي جاه ولكن الدهر مال عليهم فأصبحوا فقراء ولكن كرامتهم لا تسمح لهم بالسؤال وخلافه فلا يُفطن لحالهم واحتياجهم لتعففهم عن السؤال كما قال تعالى: " لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا " ٢٧٣ البقرة. فصاروا مساكين لهذا السبب بخلاف الفقير الذي يسأل الناس ولا يتعفف عن السؤال ولهذا فرقت آية الزكاة بين الفقير والمسكين في قوله تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " ٦٠ التوبة. {فَوَيْلٌ} هلاك وعذاب. أو ويل وادي في جهنم قال الإمام أحمد: حدثنا حسن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك فيه أبداً). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٢].

{لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} أي يُقَطِّعون الصلاة فيوماً يصلي ويوماً لا. أو يصلي فرضاً ويترك الآخر حسب فراغه وتفرغه أو تكاسلاً عنها أو ألهاه اللعب عنها أو لا يصلي إلا يوم الجمعة أمام الناس فهؤلاء الساهون اللاهون والمتناسون والمتغافلون عن صلاتهم لهم ويل وعذاب في وادي جهنم يوم القيامة يهوي فيه أربعين خريفاً لا يصل إلى قعره. وقيل الساهون هم الذين يؤخرون الفرض إلى آخر الوقت فيؤخرونه ثم ينسونه فيذهب وقته فيصلوها في غير وقتها لقوله تعالى: " إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا " ١٠٣ النساء. فهؤلاء آثمون ويحاسبون على قدر تقصيرهم أما الذي يترك الصلاة نهائياً فقد قال تعالى

فيه: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا" ٥٩ مريم. وغياً أي هلاكاً في جهنم {الَّذِينَ هُمْ يُرْأَوْنَ} أي يُصلون فقط أمام الناس رياءً وسمعة حتى يقال فلان مصلٌّ أو أمام الناس يطيل صلاته أو يتقن عمله وبعدهم لا شيء من هذا القبيل {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} يمنع الماعون أو الإناء ملاًناً أو فارغاً عن عباد الله تعالى فالغني لا يقدم الطعام للناس في ماعونه أي بخلاً وإذا كان لا ينبغي أن يمنعه ملاًناً فكيف يمنعه فارغاً والماعون يشمل كل ما اعتاد الناس استعارته فيما بينهم: قِدرًا [حَلَّةً أو طَنْجَرَةً] أو دلوًا أو صينية أو غربالاً [منخلًا] أو حتى إبرة وهذا يحض على التعاون والتآلف والتآزر بين المسلمين وأن يساعدوا بعضهم البعض وكما قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" ٢ المائدة. أما الذي يأخذ الماعون ثم ينكره ويجحده أو يكسره أو يفسده ولا يعيده ولا يحافظ عليه فهذا يُمنع ولا يُعطى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ} والكوثر هو نهر في الجنة أعطاه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم يشرب منه هو وأُمته. قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال: (نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر) فقال عمر: إنها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آكلها أنعم منها). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٧]. ويوم القيامة يفتح الماء من الكوثر إلى الحوض كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٧]. وهو الحوض المذكور في الأحاديث ومنها ما قاله الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار ابن القاسم عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه [قال الحسن البصري: القدم هم

الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لجهنم. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧].

فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وأنا على الحوض) قيل وما الحوض يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظماً أبداً ولا يُصرف [أي يُمنع عنه] فيروى أبداً).

[ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٧]. وفي صحيح مسلم: حدثنا علي بن حجر السعدي حدثنا علي بن مسهر أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس بن مالك ح وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة واللفظ له حدثنا علي بن مسهر عن المختار عن أنس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أنزلت علي آناً سورة فقراً: بسم الله الرحمن الرحيم "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ") ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟) فقلنا الله ورسوله أعلم قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فَيُخْتَلَجُ العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك).

[زاد ابن حجر في حديثه: بين أظهرنا في المسجد ، وقال: ما أحدث بعدك - صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣]. {فَصَلِّ لِرَبِّكَ} صلاة العيد {وَانْحَرْ} انحر البدن في الأضحى. وقد نحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة وكان معه مائة بدنة فأمر علياً عليه السلام بنحر باقيها وذلك في حجة الوداع وهو قارن.

[سبل السلام ج ٢ ص ٢٠٣]. ويكون النحر بعد صلاة العيد وهو الأضحى أو الهدي في الحج {إِنَّ شَانِئَكَ} إن مبغضك يا محمد يا رسول الله. قيل هو أبو جهل وقيل كعب بن الأشرف وقيل العاص بن وائل أي ممن عاداه صلى الله عليه وسلم

وكان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره. {هُوَ الْأَبْتَرُ} هو الذي ينقطع امتداد نسله في الدنيا كما هو الآن في الواقع أما نسل محمد صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة ممتد وسيأتي من نسله المهدي المنتظر من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب الذي يكون في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً كما جاء في الحديث.

أخرج أبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والديلمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع أنزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والكوثر). [كذا في الدر المنثور - خزانة الأسرار ص ١٠٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَهُوَ قُلُوبُكُمُ الَّتِي كَفَرْتُمْ فَلَا تَعْبُدُونَهَا ۚ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۚ﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۚ﴾

﴿دِينِ ۚ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَهُوَ قُلُوبُكُمُ الَّتِي كَفَرْتُمْ} أيها الكفار يا من كذبتم ووجدتم ولم تصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً ونشوراً وجزاءً وحساباً وعقاباً وثواباً {لَآ أَعْبُدُ} لا أفعل الطاعات والعبادة إلى {مَا تَعْبُدُونَ} ما تعبدون من أصنام وأوثان {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ} ولا أنتم تؤدون العبادة والطاعة إلى {مَا أَعْبُدُ} إلى الله تعالى الذي أعبد {وَلَا أَنَا عَابِدٌ} ولا أنا سأعبد {مَا عَابِدُكُمْ} من الأصنام والأوثان {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ} ولا أنتم ستعبدون {مَا أَعْبُدُ} وهو الله تعالى. أي لا أحد منا يعبد إله الآخر ولا سوف يعبد مستقبل كل منا متشبه برأيه وهذا حكم عام وليس خاص والحكم العام للأكثرية والنادر ليس له حكم وكما قال تعالى: "يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ" ٨٣ النحل. وكما قال تعالى: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" ١٠٣ يوسف. وكما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" ٧، ٦ البقرة. {لَكُمْ دِينُكُمْ} لكم عقيدتكم ودينكم وهو الكفر {وَلِيَ دِينِ} وهو الإسلام.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر. أي "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" و "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ". [رواه مسلم - ابن كثير ج ٤ ص ٥٥٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" و "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ". ابن كثير ج ٤ ص ٥٥٩. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال: قلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله عند منامي قال: (إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" فإنها براءة من الشرك). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٠].

وقيل في سبب نزول السورة قول الكفار: يا محمد اعبد آلِهتنا عاماً ونعبد إلهك عاماً والتكرار فيها للتأكيد. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس في القرآن سورة أشد غيظاً لإبليس من "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" فإنها براءة من الشرك وتوحيد. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٤]. روى الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: (هل تزوجت يا فلان؟) قال: لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج قال: (أليس معك "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"؟) قال بلى قال: (ثلث القرآن) قال: (أليس معك "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن) قال: (أليس معك "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن) قال: (أليس معك "إِذَا زُلْزِلَتْ

الأرضُ"؟) قال بلى قال: (ربع القرآن. تزوج). [قال الترمذي: هذا حديث حسن
- ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾

{ إِذَا جَاءَ } إذا حضر { نَصْرُ اللَّهِ } النصر على الأعداء { وَالْفَتْحُ } فتح مكة { وَرَأَيْتَ } وشاهدت { النَّاسَ } من بني آدم { يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ } يدخلون في الإسلام { أَفْوَاجًا } جماعات { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } أي نزه ربك وقُدَّسه ومجده واحمده على نعمه وأفضاله عليك وعلى الناس جميعاً وعلى دين الإسلام ونزول القرآن عليك وقل سبحان الله وبحمده لأن كل شيء يأتي بحمد الله تعالى وبفضله وبتوفيقه وهذا معنى سبحان الله وبحمده { وَاسْتَغْفِرْهُ } استغفر الله وقل أستغفر الله العظيم وأتوب إليه أي الزم التوبة والندم والاستغفار من الذنوب { إِنَّهُ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { كَانَ تَوَّابًا } أي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويصفح ويدخلهم الجنة.

وهذه آخر سورة نزلت كاملة وفي ذلك إشارة إلى اقتراب انتهاء أجله صلى الله عليه وسلم. قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا الأسفاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت: " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال: (إنه قد نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي) فبكت ثم ضحكت وقالت: أخبرني أنه نُعِيَتْ إِلَيْهِ نفسه فبكيته ثم قال:

(اصبري فإنك أول أهلي لحوقاً بي) فضحكت. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦١]. وقيل أنها
توفيت بعده بستة أشهر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ

لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾

{تَبَّتْ} قطعت وبُترت {يَدَا أَبِي لَهَبٍ} يداه الاثنتان. وأبو لهب هو عم الرسول

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو

عتبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه {وَتَبَّ} وخسر وهلك لأنه وقع في

المحذور. قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش

عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم

خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: (يا صباحاه) فاجتمعت إليه قريش فقال:

(أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟) قالوا: نعم

قال: (فإنني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً

لك. فأنزل الله: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " إلى آخرها. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي

الزناد عن أبيه قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عماد من بني الدليل وكان

جاهلياً فأسلم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي

المجاز وهو يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون

عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه

حيث ذهب فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٤].

{مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} ذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى: "مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ". [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٤]. أي لا يغني نفعاً ماله يوم القيامة وما كسب من عمل أو تجارة كله لا ينفعه يوم القيامة ولا يجدي نفعاً حيث لا فداء يومها كما قال تعالى: "فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ" ١٥ الحديد. وكما قال تعالى: "يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ" ٣١ إبراهيم. {سَيَصْلَىٰ نَارًا} سيُحرق أبو لهب في نار جهنم {ذَاتَ لَهَبٍ} ذات اشتعال {وَأَمْرَأَتُهُ} أم جميل العوراء واسمها أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب زعيم قريش {حَمَالَةً} نقالة وشيالة {الْحَطَبِ} تحمل الشوك وترميه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتؤذيه {فِي جِيدِهَا} في عنقها وفي رقبتها {حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} حبل من نار جهنم تعذيباً لها تلبسه قلادة من النار أي تُربط كالكلبة بحبل في رقبتها من نار جهنم يوم القيامة. وقال سعيد ابن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٤]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ" أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مُدْمَمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها لن تراني) وقرأ

قرآنًا اعتصم به كما قال تعالى: "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا" فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر إني أخبرتك أن صاحبك هجاني؟ قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فَوَلَّتْ وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٤، ٥٦٥].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {هُوَ اللَّهُ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَحَدٌ} واحد لا ثاني له ولا شريك له في الملك {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه إله الخلق ومعبودهم رب العالمين وخالقهم ومحييهم ومميتهم ورازقهم {الصَّمَدُ} الذي يُصمد في الشدائد [أي يُقصد ويُلتجأ إليه] ويُصمد لأرزاق الناس ولا ينسى من فضله أحداً ويُصمد في قضاء حوائج الناس في الدنيا والآخرة ولا يُصمد غيره فهو المستعان وهو الرزاق وهو الذي يجير ولا يُجار عليه وهو الحافظ الذي لا ينسى ويغيث ولا يُغاث فهو صمد في ملكوته صمد في سمائه وفي أرضه وصمد أمام خلقه وفي بره وبحره لا يترك مخلوقاً إلا رزقه ولا مريضاً إلا شفاه وعافاه ولا حاجة من حوائج الدنيا له فيها رضاً إلا قضاها وسهّلها ويسرّها {لَمْ يَلِدْ} لم يلد أحداً ولم يكن له صاحبة ولا ولداً سبحانه في ملكه أحد فرد صمد {وَلَمْ يُولَدْ} لم يولد لا من أب ولا من أم ولم يكن قبله أحد كان ولا زال أحداً. سبحانه الواحد الذي ليس غيره إله سبحانه القديم الذي لا بادئ له سبحانه الدائم الذي لا نفاد له سبحانه الذي يحيي ويميت سبحانه الذي خلق ما يُرى وما لا يُرى سبحانه الذي كل يوم هو في شأن سبحانه الذي علم كل شيء بغير تعلم {وَلَمْ يَكُنْ} ولم يوجد لا سابقاً ولا لاحقاً {لَهُ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره

وعلا شأنه {كُفُوا أَحَدٌ} لا أحد مثله ويكافئه لا في القدرة ولا في الخلق ولا في الإحياء ولا في الإماتة ولا في الرزق فلا أحد يكافئه أو يكون مثله " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " وهو القادر المقتدر القوي العزيز الجبار الخالق خلق كل أحد بقدرته وإرادته وأوجدهم من العدم يقول للشيء كن فيكون أي أمره بين الكاف والنون لا تأخذه سنة ولا نوم. ومن يستطيع من خلقه أن يخلق سماءً أو أرضاً أو شمساً أو قمراً أو براً أو بحراً ولو اجتمعوا جميعاً أن يخلقوا ذباباً ما استطاعوا أو يحيوا ميتاً لعلمو عجزهم وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ " ٧٣ الحج.

وفي سبب نزول هذه السورة قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعد محمد بن ميسر الصاغاني حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب: أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " . [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٥]. وقيل: أن كفار مكة وغيرها قالوا يا محمد صف لنا ربك من ذهب أو ياقوت أو زبرجد قال: (إن ربي ليس من شيء لأنه خلق الأشياء) فنزلت هذه السورة. [نزهة المجالس ص ٥٢، ٥٣].

وفي فوائدها وفضلها:

(١) قال البخاري في كتاب الصلاة: وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلّمه أصحابه فقالوا

إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتُم أن أوْكمم بذلك فعلت وإن كرهتُم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال: (يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرُك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟) قال: إني أحبها قال: (حُبُّك إياها أدخلك الجنة). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٦].

(٢) وقال البخاري: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها [يتقللها] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٦].

(٣) وقال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ("قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تعدلُ ثلث القرآن). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٧].

(٤) وقال الإمام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبد بن حسين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَجَبَتْ) قلت: وما وَجَبَتْ؟ قال: (الجنة). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٨].

(٥) وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد حدثني الخليل بن مرة عن الأزهر بن عبد الله عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحدًا. عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٨].

٦) وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زباني بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة) فقال عمر: إذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكثر وأطيب). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٨].

٧) وقال النسائي: حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. قال: (والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٩].

٨) وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن سنان عن أبي شداد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله وأدى ديناً خفياً وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " قال فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: (أو إحداهن). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٩].

٩) وقال البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا الفضل عن عقيل بن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٠].

١٠) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " عند فراغه من الطعام مرة واحدة بُني له مدينة في الجنة من ياقوتة حمراء وكتب له بكل لقمة عشر حسنات). [نزهة المجالس ج ١ ص ٢٤].

١١) وعن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من سافر فقراً " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " عشر مرات صرف الله عنه شر ذلك السفر وأعطاه خيره). وفي رواية: (من صلى أربع ركعات يقرأ الفاتحة و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ثم يقول اللهم أني استودعتك نفسي ومالي وأهلي وولدي فإن الله يحفظه وماله وأهله وولده ويصلح أمره حتى يرجع). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

١٢) وعن سهل بن سعد وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة قال: شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة الرزق فقال: (إذا دخلت البيت فسلم على أهلك واقرا " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " مرة) فقرأها فأدر الله الرزق عليه حتى فاض عليه وعلى جيرانه. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

١٣) وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى الصبح ثم قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " عشر مرات لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

(١٤) وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من مرَّ على المقابر وقرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" إحدى عشر مرة ثم وهب ثوابها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٤].

(١٥) وفي فضائل الأعمال للبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" ألف مرة لم يموت حتى يرى مكانه في الجنة أو يرى له). [نزهة المجالس ج ١ ص ١١١].

(١٦) وفي الحديث: (ومن قرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" ألف مرة يوم عاشوراء نظر الله إليه بعين رحمته وكتب من الصديقين). [نزهة المجالس ص ٢١٦].

(١٧) وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" خمسين مرة غُفر له ذنوب خمسين سنة). [خزينة الأسرار ص ١٤٥].

(١٨) وعن عبد الله بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي: (قل) فلم أقل شيئاً ثم قال: (قل) قلت فما أقول قال: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" والمعوذتين ثلاثاً حين تصبح وحين تمسي تكفيك من كل شيء). [قال الترمذي حديث صحيح - نزهة المجالس ص ٥٤].

(١٩) وأخرج الديلمي عن البراء بن عازب رضي الله عنه: (من قرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" مائة مرة بعد صلاة الغداة قبل أن يكلم أحداً رُفِعَ ذلك اليوم له عمل خمسين صديقاً). [خزينة الأسرار ص ١٤٧].

(٢٠) وأخرج الطبراني والديلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" مائة مرة في الصلاة أو في غيرها كُتِبَ له براءة من النار). [خزينة الأسرار ص ١٤٥].

(٢١) وعن علي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: " وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ " قال: (هي ركعتان قبل صلاة الغداة فما من مؤمن يصلي ركعتي الفجر ويقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة و " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " مرة وفي الثانية بفاتحة الكتاب مرة و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ثلاث مرات فكأنما تصدق بملء الأرض ذهباً). وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه ألا إن فلاناً عتيق الله). [في ملكوت أسماء الله ص ١٦٠].

(٢٢) وقال صلى الله عليه وسلم: (من قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ثلاث مرات في مرضه الذي توفي فيه مات شهيداً). [خزينة الأسرار ص ١٥١].

(٢٣) وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل شيء نور ونور القرآن " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "). [خزينة الأسرار ص ١٤٨].

(٢٤) وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " أربعين مرة كل يوم بنى الله له مناراً على جسر جهنم حتى يجوز الجسر). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

(٢٥) قال القرطبي في تفسيره عن مالك ابن أنس رضي الله عنه: (إذا نقر في الناقوس اشتد غضب الله فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرؤون " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ليسكن غضبه). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

(٢٦) وفي الحديث: (ينادي مناد يوم القيامة ألا ليقم ماحد الرحمن فلا يقوم إلا من كان في الدنيا يكثر قراءة " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "). وعن ابن عباس: (من قرأها مائتي

مرة في أربع ركعات كل ركعة بخمسين غُفر له ذنوب مائة عام خمسون مقدمة وخمسون متأخرة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٣].

(٢٧) وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقلوه لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٠، ٥٧١].

(٢٨) وقال النيسابوري: ومن أسمائها:

(١) سورة الإخلاص لأن من قرأها تخلص من النار.

(٢) سورة المعرفة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها فقال: (هذا عبد عرف ربه).

(٣) سورة الأساس لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أسست السموات السبع والأرضون السبع على " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ").

(٤) سورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار ولياً لله.

[نزهة المجالس ص ٥٢، ٥٣].

(٢٩) وقال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان ابن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبد الله عن عطاء ابن أبي ميمونة عن أنس قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه؟ قال: (نعم) ف ضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضععت فرفع سريره فنظر إليه فكبر

عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟) قال بحبه: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وقراءته إياها ذاهباً وجائياً قائماً وقاعداً وعلى كل حال. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٩].

(٣٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليلة أُسري بي وقفت تحت العرش فنظرت فوق فرأيت لوحين معلقين من در وياقوت في أحدهما مكتوب فاتحة الكتاب وفي الآخر جميع القرآن فقلت يا رب أكرم أمتي بهذين اللوحين فقال الرب تعالى قد أكرمتك وأمتك بهما وهو قوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ " فقلت يا رب وما ثواب من يقرأ فاتحة الكتاب؟ قال تعالى: يا محمد هي سبع آيات من قرأها حرمت عليه سبعة أبواب جهنم لقوله تعالى: " لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ " فقلت يا رب فما لمن قرأ القرآن مرة قال تعالى: أعطه بكل حرف شجرة في الجنة وما في الجنة من النعمة إلا عليها. فنظرت في اللوح فرأيت ثلاثة أنوار في ثلاثة أمكنة فقلت يا رب ما هذه الأنوار الثلاثة؟ قال هي مواضع آية الكرسي ويس و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فقلت يا رب ما ثواب آية الكرسي؟ فقال هي صفتي ونعتي من قرأها مرة ينظر وجهي يوم القيامة بلا حجاب قال تعالى: " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ". وأما يس فهي قلب القرآن وهي ثمانون آية من قرأها كل يوم مرة فله مني ثمانون رحمة عشرون في حياته وعشرون عند موته وعشرون في قبره وعشرون عند بعثه فإذا بُعث من قبره طُوق بطوق من نور وتُوج بتاج الوقار ويمر على الصراط كالبرق الخاطف اللامع في أول زمرة ويكون في الجنة من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم. وأما " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فهي نسبتي وهي أربع آيات من

قرأها أعطيته الأنهار الأربعة التي تجري في الجنة. قال تعالى: " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ
خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى " . [خزينة الأسرار ص ١٠٤].

(٣١) وروي عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال: (إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ")
قد أمنت (إلا الموت) أي من كل شيء يؤذيك إلا الموت. [رواه البزار - خزينة
الأسرار ص ١٠٥]. وهو في الأذكار عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم: (إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت الفاتحة و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فقد
أمنت كل شيء إلا الموت). [نزهة المجالس ص ٤٨].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ

النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {أَعُوذُ} أستجير وأحتمي {بِرَبِّ} بإله {الْفَلَقِ} قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى" ٩٥ الأنعام. وقال تعالى: "فَالِقُ الإصْبَاحِ" ٩٦ الأنعام. أي رب الكون كله ورب الخلق كلهم {مِنْ شَرِّ} من شر كيد ومن سوء وظلم وبغي واعتداء {مَا خَلَقَ} كل ما خلق الله تعالى ومن شر كل ذي شر وظلم كل ظالم وبغي كل باغ واعتداء كل معتمد وتجبّر كل متجبّر {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ} ومن شر الليل {إِذَا وَقَبَ} إذا أظلم واسود وأعتم لأن ظلام الليل يختفي فيه اللصوص وقطاع الطرق والجن والشياطين والهوام ولا نستطيع رؤيتهم حتى نتفادى شرهم ولذلك تخاف أن تؤخذ على غفلة وعلى غرة ولذلك نتعوذ من شرور الليل وما يخفيه {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ} ومن شر السحرة الذين يتلون عزائم السحر على خيط من حرير أو غيره ويعقدون عقداً وينفثون وينفخون على كل عقدة وهم يقرؤون عزائمهم ويسحرون بذلك من يعملون له عملاً وسحراً وهذه من قوانين وسنن الله تعالى حيث أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بشر وقد أصيب بسهم في وجنته ووقع في حفرة في معركة أحد وكسرت رباعيته ووضع مشركو مكة على ظهره الأوساخ والقاذورات وهو ساجد عند الكعبة وكذلك اختبأ في غار ثور لمدة ثلاثة أيام في هجرته خوفاً من الطلب وحتى تهدأ عنه أعين المشركين وكذلك سحر

من لبيد بن الأعصم اليهودي وهذه حقائق ملموسة مراراً وتكراراً مع أغلب الناس إن لم يكن جميعهم كيف لا وللسحر خاصية يعترف بها القرآن بقوله: "فَيَنَعَلْمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" ١٠٢ البقرة. وكذلك الرباط أو العقد لا يكاد يسلم منه عريس في ليلة عرسه كيف لا وقد سحر نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وربط وعقد ومنع من زوجاته وليس كما فهم البعض من قول عائشة: كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. ليس معناه أنه لا يعلم شيئاً فلم يؤثر السحر على عقله حتى يكون مجنوناً بل معناه أنه ربط وعقد ذكره عن إتيان النساء بالجماع وهو ما يُعرف عند العامة بالرباط والذي يفقد فيه المربوط قدرته على الجماع عند المجامعة بحيث يرتخي ذكره ولا يقوم ولا ينتصب ولا يستطيع دخول الفرج إطلاقاً وهذا معروف عند العامة والخاصة والكبير والصغير والمرأة والرجل ومعروف أنه بتأثير السحر وأن السحر صحيح والربط والعقد صحيح ولا شك في ذلك إطلاقاً ومجرب مراراً وتكراراً ولا يكاد أحد ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى وقرأ أو حمل بعض الآيات القرآنية فإنه ينجو منه وخاصة المعوذات وهذا ما يؤكد الحديث التالي: قال البخاري في كتاب الطب من صحيحه: حدثنا عبد الله ابن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاماً عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن [أي أنه كان يظن أنه يستطيع الجماع مع نسائه ولكنه لا يأتيهن أي لا يستطيعه لأنه مربوط ومعقود عن النساء بالسحر] قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا [أي إذا كان على هذا النحو] فقال: (يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند

رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوب [أي مسحور] قال: ومن طَبَّه؟ قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود وكان منافقاً قال وفيم؟ قال في مُشط ومُشاطة قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان) قالت: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: (هذه البئر التي أُريتُها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين) قال فاستخرج فقلت أفلا تنشّرت؟ فقال: (أمّا الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٤]. ورواه الإمام أحمد عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي [أي يظن أنه يستطيع الجماع ولكنه لا يستطيعه كما فسرناه سابقاً] فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله وذكر تمام الحديث. وقال الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبّت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة [شعر] رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فأعطاه اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له: ذروان [وذلك لأن العمل والسحر يجب أن يكون في ماء أو عليه رطوبة ماء فلم يجدوا إلا هذا البئر] فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن [يرى أنه يستطيع الجماع ولا يستطيع] وجعل يذوب ولا يدري ما عراه [أي ما حل به] فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طب قال وما طب؟ قال سحر قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه؟ قال بمشط ومشاطة

قال وأين هو؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف: قشر الطلع [أي كوز النخل الذكر عندما يستخرج منه حبوب اللقاح] والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح [أي كان السحر المعمول مخفياً تحت حجر في أسفل البئر حتى لا يطفو على سطح الماء] فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعوراً وقال: (يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟) ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً [ابن أبي طالب] والزبير [ابن العوام] وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء [أي لونه أحمر قاتم من كوز النخل الذكر] ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشرة عقدة مغروزة بالإبرة فأنزل الله تعالى السورتين [المعوذتين] فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أرقيك. من كل شيء يؤذيك. من حاسد وعين. الله يشفيك. فقال يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٤].

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} ومن الملاحظ أن النفاثات جاءت بصيغة الجمع المؤنث والحاسد جاء بصيغة المفرد المذكر وهذا يدل على أن أكثر الذين يطلبون السحر هم من النساء وأما الحسد فهو قليل وهو لبعض الرجال والحسد هو أن ينظر إنسان إلى شخص أو شيء يعجبه فيدقق فيه النظر إعجاباً فتخرج من عينيه أشعة وسموم تصيب ذلك الرجل أو الدابة أو الطفل فتؤذيه وهي كأشعة الليزر أو نفث الحيات والثعابين وكما قال تعالى: " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ " ٥١ القلم. والحسد يمرض الجسم ويهلكه

ويضره وقد يؤدي إلى موته فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل ابن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقليل له يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق قال: (هل تتهمون فيه من أحد؟) قالوا نظر إليه عامر ابن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغيظ عليه وقال: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟) ثم قال: (اغتسل له) فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخله إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس. [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) ويقول: (هكذا كان إبراهيم يُعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام). [أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. وروى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه

البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتماً فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: (الحسن والحسين أصابتها عين) قال صدق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات؟ قال: (وما هن يا جبريل؟) قال قل: اللهم يا ذا السلطان العظيم والمن القديم والوجه الكريم يا ذا الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس. فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله). [ابن كثير ج ٤ ص ٤١١]. وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا رقية إلا في عين أو حمة أو دم لا يرقأ). [ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩]. ورقية العين مروية عن سيدنا جبريل عليه السلام وهي للعين والسحر وهي أن تقرأ على المريض الفاتحة سبع مرات وآية الكرسي مرة و "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" و "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" والمعوذتين ثم تقول: عزمت عليك أيتها الغبطة مع (فلان بن فلانة) بعز عز الله وبقدرة قدرة الله وبما جرى به القلم من عند الله إلى محمد بن عبد الله إلا خرجت منه يا عين وإلا فأنت بريئة من الله والله بريء منك ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم. فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. [تسهيل المنافع ص ١٩٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويزيد قالا حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها). [وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل ابن أبي خالد به - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٢].

ويلاحظ أن السحر هو خفي لا يُرى كالكهرباء في الأسلاك وكجذب المغناطيس للحديد وكالملائكة والجن والهواء الذي نتنفسه وكالميكروبات والجراثيم والبكتيريا التي تصيب جسم الإنسان ولا تُرى بالعين المجردة وكذلك الحسد لا يُرى إلا أثره. ومما ينفع لإبطال السحر والحسد ما ذكره القرطبي في تفسيره قال: قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المؤمن فالقرآن للرسول صلى الله عليه وسلم وأُمته إلى يوم القيامة فأصله نزل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح لكل عصر وزمان إلى يوم القيامة {أَعُوذُ} أستجير وأحتمي {بِرَبِّ} بإلهه وخالق {النَّاسِ} هم أولاد آدم من البشر. وسبب تسميتهم بالناس لأنهم ينسون كثيراً ويأنس بعضهم إلى بعض {مَلِكِ النَّاسِ} ملك الملوك ومالك وحاكم الكون كله بقدرته وإرادته وحكمه وقوته ومشيتته وتصرفه وهو مالك الأرواح والأنفس والخلق. والكون كله لله تعالى {إِلَهِ النَّاسِ} الله تعالى إله البشر وإله الآلهة وخالق الكون ورب الأرباب ورب العالمين ورب الخلق وإله العالمين {مِنْ شَرِّ} من شر وسوء وبغي وظلم وقهر واعتداء {الْوَسْوَاسِ} الشيطان والذي يوسوس بطريقتين: (١) الأولى لا تُرى كيفيتها حيث يدخل إلى النَّفْس ويشوش عليها ويبث الأحلام والأمانى والتمنى ويدخل على النفس مثل تشابك خطوط الإرسال. (٢) والطريقة الثانية خارجية أي وسوسته خارجية وهي الإغراء والتزيين والإدلال على المعصية كما جاء في الحديث: (ولا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) أي يوسوس من الخارج ويزين ويحلي ويحبب الرجل مع المرأة حتى يقع في ذنب الزنا أو ينصب شباكه بأن يجعل امرأة تتزين وتسفر عن وجهها وبعض جسمها ويجعله

ينظر فإذا نظر دخل إلى قلبه وجعل فيها شيئاً حتى يوقعه في المعصية كما جاء في الحديث : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه). [إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣١٠].

{الْحَنَاسِ} الذي إذا ذكر العبد المؤمن الله تعالى خنس واختفى لا يستطيع الوسوسة وإذا كفَّ الشخص عن ذكر الله تعالى وسوس له {الَّذِي يُوسَّسُ} الشيطان يوسوس ويزخرف ويحلي ويزين ويجمّل المعصية {فِي صُدُورِ النَّاسِ} في قلوبهم وفي نفوسهم {مِنَ الْجِنَّةِ} يكون الوسواس من الجن {وَالنَّاسِ} ومن الناس. فالوسوسة في صدور الناس من الطرفين من الجن والإنس ووسوسة الناس أخطر من وسوسة الجن والشياطين وخاصة إذا كان قرين سوء وصاحب سوء يزين لك ارتكاب المعصية ويسهلها لك فالشيطان يكتفي بالوسوسة والتزيين أما هذا فهو يزين لك المعصية ويدلك ويعينك عليها كما قال تعالى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا " ١١٢ الأنعام. والجن يوسوسون لبعضهم البعض فهم يخاطبون بعضهم البعض كبني آدم عندما يتفق اثنان منهم ويشجعان بعضهما البعض على ارتكاب جريمة الزنا أو الاغتصاب أو السرقة أو خلافه لكن لا تستطيع الشياطين أن توسوس سراً لبعضهم كما يفعلون مع بني آدم لأنهم يرون بعضهم وهم من مادة شفاقة لا يستطيعون اختراقها ولا دخول صدور بعضهم البعض لأنهم خلق آخر تكوينهم غير تكوين الإنسان. وفي الصحيح : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : (نعم. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٥]. وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من

الأنصار فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أسرعاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على رسلكما إنها صفة بنت حبي) فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً أو قال شراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمه يحدث عن رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال بقوتي صرعته وإذا قلت "بسم الله" تصاغر حتى يصير مثل الذباب). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٥]. وفي الخبر: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمة بآدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ". [عوارف المعارف ص ٤٥٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع). [إحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٣٠٧]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء). [المنقذ من الضلال ص ٦٧].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: بينما أنا أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقال: (يا عقبة تعوذ بهما ولن تقرأ سورة أحب

إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاتك فافعل. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٤].
وقال صلى الله عليه وسلم: (تهرب مرده الشياطين من سورة يس وآخر الحشر والمعوذتين). [خزينة الأسرار ص ١٥٣]. وعن عبد الله بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي: (قل) فلم أقل شيئاً ثم قال: (قل) قلت فما أقول قال: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " والمعوذتين ثلاثاً حين تصبح وحين تمسي تكفيك من كل شيء). [قال الترمذي حديث صحيح - نزهة المجالس ص ٥٤].

فهرس أجزء الرابع

الصفحة

الموضوع

١	تفسير سورة الزُّخْرُف (٤٣)
٣٦	تفسير سورة الدُّخَان (٤٤)
٥٨	تفسير سورة الجَاثِيَّة (٤٥)
٧٩	تفسير سورة الْأَحْقَاف (٤٦)
١٠٥	تفسير سورة مُحَمَّد (٤٧)
١٣٤	تفسير سورة الْفَتْح (٤٨)
١٦١	تفسير سورة الْحُجُرَات (٤٩)
١٨١	تفسير سورة ق (٥٠)
٢٠٩	تفسير سورة الذَّارِيَّات (٥١)
٢٢٤	تفسير سورة الطُّور (٥٢)
٢٣٩	تفسير سورة النَّجْم (٥٣)
٢٧٥	تفسير سورة الْقَمَر (٥٤)
٢٩١	تفسير سورة الرَّحْمَن (٥٥)
٣٢٠	تفسير سورة الْوَاقِعَة (٥٦)
٣٦٠	تفسير سورة الْحَدِيد (٥٧)

تابع فهرس أجزاء الرابع

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة المُجَادَلَة (٥٨)	٣٩٢
تفسير سورة الحَشْرِ (٥٩)	٤١٢
تفسير سورة الْمُتَحَنِّنَة (٦٠)	٤٣٥
تفسير سورة الصَّفِّ (٦١)	٤٥٠
تفسير سورة الْجُمُعَة (٦٢)	٤٦٠
تفسير سورة الْمُنَافِقُون (٦٣)	٤٧٢
تفسير سورة التَّغَابُن (٦٤)	٤٧٩
تفسير سورة الطَّلَاق (٦٥)	٤٩١
تفسير سورة التَّحْرِيم (٦٦)	٥٠٣
تفسير سورة الْمُلْك (٦٧)	٥٢٧
تفسير سورة الْقَلَم (٦٨)	٥٤١
تفسير سورة الْحَاقَّة (٦٩)	٥٥٨
تفسير سورة الْمَعَارِج (٧٠)	٥٧١
تفسير سورة نُوح (٧١)	٥٨٠
تفسير سورة الْجِنِّ (٧٢)	٥٨٧

تابع فهرس أجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة المَزَّمْل (٧٣)	٦٠٠
تفسير سورة المَدَّثَر (٧٤)	٦١٠
تفسير سورة القِيَامَة (٧٥)	٦٢٠
تفسير سورة الإِنْسَان (٧٦)	٦٢٩
تفسير سورة المُرْسَلَات (٧٧)	٦٤١
تفسير سورة النَّبَأ (٧٨)	٦٥٠
تفسير سورة النَّازِعَات (٧٩)	٦٦٠
تفسير سورة عَبَسَ (٨٠)	٦٦٩
تفسير سورة التَّكْوِير (٨١)	٦٧٦
تفسير سورة الانْفِطَار (٨٢)	٦٨٢
تفسير سورة المَطَفِّين (٨٣)	٦٨٦
تفسير سورة الانْشِقَاق (٨٤)	٦٩٢
تفسير سورة الْبُرُوج (٨٥)	٧٠٠
تفسير سورة الطَّارِق (٨٦)	٧٠٦
تفسير سورة الْأَعْلَى (٨٧)	٧١٠

تابع فهرس أجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة الغَاشِيَةِ (٨٨)	٧١٤
تفسير سورة الفَجْرِ (٨٩)	٧١٨
تفسير سورة البَلَد (٩٠)	٧٢٥
تفسير سورة الشَّمْس (٩١)	٧٢٩
تفسير سورة اللَّيْلِ (٩٢)	٧٣٢
تفسير سورة الضُّحَى (٩٣)	٧٣٥
تفسير سورة الشَّرْح (٩٤)	٧٣٩
تفسير سورة التِّين (٩٥)	٧٤١
تفسير سورة العَلَق (٩٦)	٧٤٥
تفسير سورة القَدْر (٩٧)	٧٤٩
تفسير سورة البَيِّنَةِ (٩٨)	٧٥٤
تفسير سورة الزُّلْزَلَةِ (٩٩)	٧٥٨
تفسير سورة العَادِيَّات (١٠٠)	٧٦٠
تفسير سورة القَارِعَةِ (١٠١)	٧٦٢
تفسير سورة التَّكْوِيْن (١٠٢)	٧٦٥

تابع فهرس أجزاء الرابع

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة العَصْر (١٠٣)	٧٦٨
تفسير سورة الهمزة (١٠٤)	٧٧٠
تفسير سورة الفيل (١٠٥)	٧٧٣
تفسير سورة قُرَيْش (١٠٦)	٧٧٨
تفسير سورة المَاعُون (١٠٧)	٧٨٠
تفسير سورة الكَوْثَر (١٠٨)	٧٨٣
تفسير سورة الكَافِرُونَ (١٠٩)	٧٨٦
تفسير سورة النَّصْر (١١٠)	٧٨٩
تفسير سورة الْمَسَد (١١١)	٧٩١
تفسير سورة الْإِخْلَاص (١١٢)	٧٩٤
تفسير سورة الْفَلَق (١١٣)	٨٠٤
تفسير سورة النَّاس (١١٤)	٨١١